الشيعة والحاكمون

تأليف

محمد جواد مغنية

وثق أصوله وحققه وعلق عليه

الأستاذ سامي الغريري (الغراوي)

دار التيار الجديد منشورات الرضا

الشيعة والحاكمون

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

منشورات الرضا
طباعة نشر توزيع

ت: ٠٣/٦٣٨١٨٤ - بيروت - لبنان



الشيعة والحاكمون

بحث

تأليف

محمد جواد مغنية

وثق أصوله وحققه وعلق عليه

الأستاذ سامي الغريري (الغراوي)

منشورات الرضا
طباعة نشر توزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

فَهْرِس المَوضُوعَات

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالحَمْدُ لله رَبّ العَالَمِين وَالصَّلاَة وَالسَّلاَم عَلىٰ خَاتم النَّبيين، وَآله الطَّاهِرين.

وَبَعْد:

فَإِنَّ الحَاكم ـ أي حَاكم ـ يَسْتَحِيل عَلَيه أَنْ يَسُوس النَّاس بِالحَقّ، وَالعَدلِ مَهمَا كَانَت مَوَاهِبه، وَكَفَاءَاته إلاَّ إِذَا ٱسْتَفتىٰ المَحْكُومِين فِي جَمِيع تَـصَرُّفَاته وَعَـمَل بِالتَّعَاون مَعَهُم عَلىٰ تَحقِيق رَغَباتهُم وَمَصالحهُم، أَو كَان عَالِمَاً بِكُـل مَـا يَـصْلُح النَّاس مِنْ أُمُور الدِّين والدُّنْيا، عَامِلاً بِعلْمه قَدْ نَصَّب نَفْسه لله ولِلخَيْر، أَو قُل إِذَا تَوَافرَت فِيهِ جَمِيع الشُّرُوط الَّتي ٱعْتَبرهَا الشِّيعَة الإِمَامِيَّة بِإِمَام الدِّيـن والدُّنْـيَا، بِحَيث يَخرُج عَن كَونه فَرداً كَسَائر النَّاس وَيَصِير، وَكَأَنَّه المَبدَأ الأَسمىٰ مُتَمثلاً فِي شَخْصه، أَو ظِل الله فِي أَرْضه عَلىٰ حَد تَعْبِير الإِمَامِيَّة أَنْفُسهم، وَعِـنْدَها يَكُـون الرَّاد عَلَيه رَاداً عَلىٰ الله بِالذَات.

وإِذَا لَمْ يَكُن لاَ هٰذَا وَلاَ ذَاك، عَمَّ الظُّلم، وَٱنْتَشِر الفَسَاد، وَتَكَرَّرت الحَوَادِث المُفْجِعَة، كَنَتِيجَة طَبِيعِية لإِخضَاع النَّاس بِالقوّة. وأَنَّ قَوْل الإِمَـامِيَّة ـ كَـفِكرَة ـ صَحِيح إِلَىٰ أَبْعَد الحُدُود، كَمَا أَنَّ تَطبِيقه الآن غَايَة فِي الصُّعُوبة إِلَىٰ أَبْعَد الحُدُود،

فَلَم يَبق إلاَّ الحَاكِم بِرضَا النَّاس وَٱخْتيَارهم. وَفِي ضَوء هَذِه الحَقِيقَة نَسْتَطِيع أَنْ نُفَسّر مَا حَدَث وَيَحدث مِنْ الإِصطدَام وَالصِّرَاع بَيْن الحَاكمِين، نُفَسّره بِإِسْتبدَاد الحَاكِم بِرَأيه، وَحَصر جَمِيع السُّلطَات فِي يَده.

وَقَدْ يَتَسَاءل: إِذَا كَان الإِسْتبدَاد، وَحَصر السُّلطَة فِي فَرد أَو أَفرَاد يَسْتَدعي بِطَبِيعَته ٱنْتشَار المَظَالِم وَالمَآثِم فمَا مَعْنَىٰ تَخصِيص الشِّيعَة فِي هَذَا الكِتَاب مَا دَام المُسْتَبد يَحكُم الرَّعيَة بِجَمِيع طوَائِفها وَفِئَاتها. وَمَا دَام ٱسْتبدَاده يَعمّ الكُلّ بِدُون ٱسْتثنَاء ؟!.

الجَوَاب:

أَنَّ الشِّيعَة يَشْتَرطُون فِي الحَاكِم الَّذي يَجْمع بَيْن السُّلطتَين الدِّينِيَّة وَالزَّمَنِيَّة أَنْ يَكُون مَعصُوماً مِنْ الخَطأ وَالزَّلل فِي عِلْمه وَعَمله، أَو مَنْ يَرتَضيه المَعصُوم لكفَاءَته العِلمِية، وَالخُلقِية الجَامعَة المَانعَة، وَمَتىٰ فُقدت هَذِه الكَفَاءة فَلاَ يَحق أَنْ يَحكُم بِٱسم الله وَالدِّين، وَلَهُ أَنْ يَحْكُم بِٱسم النَّاس إِذَا كَان مَحلاً لِثقَتهم مُحققَاً لأُمْنيَتهم، هَذَا مَا تَعْتَقده الشِّيعَة الإِمَامِيَّة، أَمَّا أَهْل المَذَاهب الأُخر فَإِنَّهم لَمْ يَشتَرطوا شَيئاً مِنْ ذَلِكَ، بَل أَكثرهُم يُحَرم الخرُوج عَلىٰ الحَاكِم الفَاجر الجَائر وإِنْ حَكَم بِٱسم الدِّين، وَتَكلمنَا عَن ذَلِكَ بِشَيء مِنْ التَّفصِيل فِي بَعْض فصُول الكِتَاب بعنوَان (طَاعَة الحَاكِم الجَائِر).

وكَان الحَاكمُون مِنْ قَبل يَحكمُون بِٱسم الدِّين، وَكَانُوا دَائِمَاً يَصْطَدمُون بِعَقِيدة التَّشيُّع الَّتي تَعْتَبر الحَاكِم بِأَمر الله غَاصباً كَاذباً إِذَا لَمْ يَجْمَع الشُّرُوط، وكَان الحَاكِم الفَاقِد للشُّرُوط يُحَاول حَلّ هَذِه المِشْكلَة بِالضَّغط وَالإِرهَاب، بَل وَبِإِرَادَة القَمع وَالإِبَادة، فَتَزدَاد المِشكلَة تَعقِيداً، حَيث يَزدَاد الشِّيعَة ٱنْتشَاراً وَإِيمَاناً وَتَمسُّكاً

بِمَبدأهُم وَعَقيدتهُم.

وَمِنْ أَجْل أَنَّهُم الحِزب المُعَارض بمُوجب عَقِيدتهُم كَان مَوقف الحَاكمِين مِنْ الشِّيعَة أَشَدّ وَأَقْسىٰ مِنْهُ مَع غَيْرِهم، وَهَذَا الكِتَاب يَكْشف عَن هَذَا المَوقِف الأَثِيم المُشِين الَّذي أَضْعَف الإِسْلاَم والمُسْلِمِين، وَتَرك لهُم مِنْ الضَّغَائن وَالأَحقَاد مَا يَتوَارثُونهُم جِيلاً بَعد جِيل، أَنَّه يُصور مَظَالِم (المُسْتَبد الفَاسد) الَّذي تَأَمَّر بِلاَ شُورىٰ، وَتَآمر وَتَنمَّر عَلىٰ كلّ مَنْ لاَ يَقرّه عَلىٰ الإِثم، وَالفَسَاد، والعُدوَان.

وَفِي الوَقت نَفْسه يُصور الكِتَاب ثبَات أَهْل الحَقّ عَلَيه، وَتَسمكهُم بِهِ، وَتَضحِيتهُم بِالأَروَاح، وَالأَطفَال مِنْ أَجْله. كَمَا يَكشف الكِتَاب عَن الإِنفجَار الَّذي زَعزَع أَركَان الظَّالِمِين، وأَودىٰ بِعرُوشهم، وَقَضىٰ عَلَيهم الوَاحد تُلو الآخر.

وَقَدْ إِهتَّم الشِّيعَة إِهتمَاماً بَالغَاً بِأَوصَاف الحَاكِم الدِّينِي، والشُّرُوط الَّتي أَعْتَبرُوها أَسَاساً لحُكمه، فَدوَّنُوهَا فِي كُتب الفِقْه وَالعَقَائد، وَأَلقوهَا عَلىٰ الطُّلاب فِي المعَاهد، وعَلىٰ المُؤْمِنِين فِي المَعَابد، وعَلىٰ النَّاس أَجمعِين فِي المَجَالس وَالأَندِية العَامَّة وَالخَاصَّة، وَحَكمُوا بِقَول قَاطع عَلىٰ كلّ حَاكِم بِأَسم الدِّين أَنَّه عدوّ الله وَرُسله وَمَلاَئِكته إِذَا فُقد شَرطاً واحِداً مِنْ الشُّرُوط الَّتي لاَ بُدّ مِنْهَا فِيمَن يَتَولىٰ مَنصبَاً مِنْ المنَاصب الإِلٰهية، وَلَمْ يُفرقُوا فِي حُكمِهم هَذَا بَيْن السُّني وَالشِّيعي، بَل الحُجَّة عَلىٰ الشِّيعي أَقوَىٰ وأَبلَغ، لأَنَّه خَالف مَا يُدِين وَيَعْتَقد، بَل لَمْ يَكْتَف الشِّيعَة بِشَرط العِلْم وَالعَدل، حَيث أَضَافوا إِلَيهما عَدَم جوَاز تَقوِيم الفَاضل عَلىٰ الأَفضل[1]. فَمَن تَصَدىٰ للحَاكم، وَفِي النَّاس مَنْ هُو خَير مِنْهُ فَقَد أَفترىٰ

(١) أتَّفق الإِمَامِيَّة عَلىٰ أَنَّ «المَفضُول لاَ يَجُوز تَقدِيمه عَلىٰ الفَاضل» وَأَسْتَدلُوا بِقَوله تَعَالىٰ: ﴿أَفَمَن ﴾

وَتَجاوَز الحَد .

فدَولَة الفَاطميين ، وَالبُويهيين ، وَالحَمدَانيين ، وَالإيرَانيين كلّها زَمَنيَّة فِي عَقيدة الشِّيعَة لاَ تَمتُ إِلَىٰ الدِّين بِصِلَة ، تَمَاماً كدَولة الأُمَويين ، وَالعبَّاسيين مِنْ هَذِه الجِهة ، نَقول هَذَا مَع العِلْم بِأَنَّ الشِّيعَة لاَ يَرون أَي بَأس مِنْ النَّاحِية الدِّينِيَّة بِقيَام أَيَّة دَولة زَمنِيَّة فِي هَذَا العَصر ، وَالعصُور السَّابقَة إِذَا حَكَمت بِرضَا النَّاس وَٱختيَارهم ، وَأَدَّت وَاجبهَا كدَولة صَالحَة تَحفظ الأَمن وَالنِّظام ، وَتصُون لكلّ ذِي حقّ حَقّه ، وَتُحصن الحدُود مِنْ الإِعتدَاء ، عَلَىٰ شَريطة أَنْ لاَ تَتَعرض للأَديَان مِنْ قَريب أَو بَعِيد[١] .

ثُمَّ أَنَّ مُرَادنا مِنْ « الحَاكمُون » فِي تَسمِية الكِتَاب كلّ حَاكِم ظَالِم ، لاَ خصُوص الحَاكِم السُّني كَمَا قَدْ يَتوهَم ، وَمَا حَدَث مِنْ مظَالم الحُكَّام السُّنيين عَلَىٰ الشِّيعَة إِنَّما كَان بدَافع سِيَاسي لاَ دِيني .

وَبالتَالي ، فَإِنَّ غَرضنَا مِنْ هَذَا الكِتَاب أَنْ يَتجه بِالقَارىء إِلَىٰ الصّمُود وَالثَّبَات عَلَىٰ مَبدأ ، وَمَا يُوحِيه إِلَيه الضَّمِير الإِنْسَاني لاَ يَتزَحزَح عَنْهُ بحَال ، حَتَّىٰ وَلَو دَفع ثَمن هَذَا الصّمُود وَالثَّبَات رَأسَه ، أَو مَا هُو أَعز وأَغلىٰ ، فَإِنْ ٱنْتَهىٰ إِلَىٰ هَذِه الغَايَة فَهي المُنىٰ ، وإِلاَّ ٱتَّهمتُ نَفْسي بِالتَّقصِير . وَقَبل أَنْ أَترُك القَلم أَود أَنْ أُشِير

﴿ يَهْدِيَ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّايَهِدِّيَ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ يُونُس : ٣٥ ، وَقَدْ جرَت عَلَيهم هَذِه القَاعدَة الوَيلاَت وَالنَّكبَات . (مِنْهُ ﷺ) .

(١) وَيَدل عَن هَذَا قَوْل الإِمَام فِي نَهج البَلاَغَة حِين بُويع عُثمَان . « وَوَاللهِ لأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلاَّ عَلَيَّ خَاصَّة ، ٱلْتِمَاساً لأَجْرِ ذَٰلِكَ وَفَضْلِهِ ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ ، وَزِبْرِجِهِ » . أُنظر ، نَهج ٱلبَلاَغَة : ٱلْخُطْبَةُ (٧٤) .

بإختصار إلىٰ أنَّ استقرائي للتَّأريخ قدْ كشف لي عن حقيقتين:

الأُولىٰ: أنَّ الإسلام لولا الحُكَّام الطُّغاة لعمَّ الكرة الأرضية ولمَا وجد علَيها إنسان غير مُسْلِم.

وَالثَّانِيَة: أنَّ طَبيعَة الحُكَّام تَتغير وَتتبَدل عمَّا كَانَتْ علَيه مِنْ قَبل الحُكْم، وأنَّ ذَاتهُم تَنقلب رَأساً عَلىٰ عقب بَعد الحُكْم إلاَّ منْ عَصم الله، وَهُم أقل مِنْ القَـلِيل، وَهُو سُبحَانه المَسؤول أنْ يُوفقنا لصَالح الأَعْمَال، بِمُحَمَّد وآله صَلوَات الله عَلَيه وَعَليهم.

اخْتِلاَف المُسْلِمِين

فِي عَهْد الرَّسُول ﷺ

كَان المُسْلِمُون فِي عَهْد رَسُول الله ﷺ كَلْمَة وَاحدة لاَ فِرق وَلاَ مَذَاهِب ؛ لأنَّه المَصدَر الوَحِيد لِمعَرفَة الدِّين وَالوَحي الَّذي لاَ يَأْتِيه البَاطِل مِنْ بَيْنَ يَدَيه وَلاَ مِنْ خَلْفه ، فَإِذَا مَا عُرِضَت مَسأَلة مِنْ مَسَائِل الشَّرِيعَة كَان قَوْله الفَارق وَالفَصل ، لاَ قَوْل مَعَهُ لقَائِل ، وَلاَ اعْتِرَاض لسَائِل : ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1] . إِذَن لاَ مَجَال لتَعَدُد الأَقوَال ، وَتَضَارب الآرَاء فِيمَا جَاء عَن الله وَرَسُوله مَا دَام الرَّسُول حيّاً ، وَالوصُول إِلَيه مُمكِناً .

بَعْد الرَّسُول ﷺ :

وَبَعْد أَنْ انْتَقَل النَّبيّ الكَرِيم إِلَىٰ خَالِقَه ، تَقَدَّست أَسمَاؤه ، ظَلَّ المُسْلِمُون عَلىٰ وِحدَتهِم وَاتفَاق كَلِمَتهم عَلىٰ وحدَانِية الله ، وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُول الله ، وأَنَّ القُرْآن مِنْ عِند الله ، وأَنَّ البَعث حَق ، وَالحِسَاب حَق ، وَالجَنَّة وَالنَّار حَق ، كَمَا أَنَّهم لَمْ يَختلفُوا

---

(١) النِّسَاء : ٥٨.

فِي شَيء ثَبت حُكْمَه بِضَرورَة الدِّين، وَوَاظَب الرَّسُول عَلىٰ عِلْمه، كَوجُوب الصَّلاَة وَالزَّكَاة وَالحَجّ وَالصَّوم، وَمَا إِلَىٰ ذَلِكَ.

وَٱخْتَلفُوا فِيمَا عَدا ذَلِكَ مِمَّا هُو مَحل النَّظر وَالْإِجْتِهَاد، سَوَاء أَكَان مِنْ شُؤون الأُصُول وَالعَقَائِد، أَم مِنْ شُؤون الفِقْه وَالتَّشرِيع، وَلَكنَّه خِلاَف لاَ يَمس أَسَاس الْإِسْلاَم فِي شَيء، وَلاَ يَخرج المُتخَاصمِين مِنْ الدِّين، فَلَم يَخْتلفُوا فِي وجُود الله وَوحدَانِيَته بَل فِي صِفَاته، وَإِنَّها عَيْن الذَّات أَو غَيرهَا، وَلاَ فِي رِسَالة مُحَمَّد؛ بَل فِي عِصْمَته قَبل البِعْثَة وَبَعْدها، أَو بَعد البِعْثَة فَقط، وَلاَ فِي صِدق القُرْآن، بَل فِي أَنَّه مخلُوق أَو قَدْيم، وَلاَ فِي أَصل البَعْث، بَل فِي أَنَّه جِسمَاني أَو رُوحَاني، وَلاَ فِي وجُوب الصَّلاَة، بَل فِي السُّورَة جُزء مِنْهَا أَو لَيْست بِجُزء، وَمِنْ هُنا كَانُوا جَمِيعاً عَلىٰ ٱخْتلاَفِهم هَذَا مُسْلِمِين وَمِنْ أُمَّة مُحَمَّدﷺ.

أهم الفِرَق:

لَقَد ٱخْتَلف المُسْلمُون بَعْد نَبيِّهُم فِي بَعْض الأُصُول الدِّينِيَّة الَّتي تَرجع إِلَىٰ إِيمَان القَلب وَيَقِينه، وَٱخْتَلفُوا أَيضاً فِي كَثِير مِنْ مَسَائِل الفرُوع وَالتَّشرِيع الَّتي تَعُود إِلَىٰ حُكْم العَمَل مِنْ الوجُوب وَالتَّحرِيم أَو الجوَاز. ٱنقسَام المُسْلِمِين إِلَىٰ فِرق كَالأَشَاعِرَة وَالمُعْتَزلة - مَثَلاً - جَاء عَلىٰ أَسَاس ٱخْتلاَفِهم فِي العَقَائِد وَالأُصُول، الَّتي هِي شَأن الْإِيمَان وَالْإِعتقَاد، لاَ عَلىٰ أَسَاس الْإِخْتلاَف فِي الفُرُوع وَالتَّشرِيع الَّذي هُو شَأن الْإِيمَان وَالْإِعتقَاد، لاَ عَلىٰ أَسَاس الْإِخْتلاَف فِي الفُرُوع وَالتَّشرِيع الَّذي هُو مِنْ شَأن العَمَل وَالفِعل، فَالمَذَاهب الأَرْبَعَة: الحَنَفِي، والمَالكِي، وَالشَّافعِي، وَالحَنْبَلي، مَذَاهِب فِقْهِية تَخْتَلف فِي الفُرُوع، وَتَتفق عَلىٰ

الأَخذ فِي أُصُول الأَشَاعرَة كَمَا أَنَّ عُلَمَاء الشِّيعَة مَع آتفَاقِهم عَلىٰ الأُصُول يَخْتلفُون فِي كَثِير مِنْ مَسَائِل الفِقْه،

وَالفِرق الإِسْلاَمِيَّة كَثِيرة أَنهَاها بَعْضهُم إِلَىٰ ثَلاَث وَسبعُون فِرقَة، كِي يَتَفق العَدَد مَع الحَدِيث المَروي عَن الرَّسُول: «آفْتَرقَت اليَهُود عَلىٰ إِحَدىٰ وَسَبعِين فِرقَة، وَآفْتَرقَت النَّصارىٰ عَلىٰ إِثْنَتِين وَسَبعِين فِرقَة، وَسَتَفتَرق أُمَّتي عَلىٰ ثَلاَث وَسَبعِين فِرقَة»[1] ومهما يَكُن فَإِنَّ أَهَم الفِرَق أَرْبَعَة، وَغَيرها يَتَفرع عَنْهَا، أَو قَرِيب مِنْهَا.

الشِّيعَة: يَفْترقُون عَن غَيْرهم فِي القَول: أَنَّ الإِمَام يَتعَين بِالنَّص مِنْ النَّبيّ، وَلاَ يَجوز لنَّبيّ إِغفَال النَّص عَلىٰ خَلِيفَته، وَتَفوِيض الأَمر إِلَىٰ إِخْتيَار الأُمَّة، وأَنْ يَكُون الإِمَام مَعْصُومَاً عَن الكَبَائِر والصَّغَائِر، وأَنَّ النَّبيّ قَدْ نصَّ بِالخِلاَفَة عَلىٰ عَليّ بن أَبي طَالب دُون سوَاه[2]، وأَنَّه أَفْضل الأَصْحَاب عَلىٰ الإِطلاَق[3].

---

(١) أُنظر، مَن هُم الزَّيدِيَّة، السَّيِّد يَحيىٰ أبن عَبدالكَرِيم: ٨٥ ـ ٨٦. رَشفَة الصَّادِي: ١٥، طَبْعَة مَصر. وَمَا أَحْسَن قَوْل الإِمَام الشَّافعيّ:

إِنْ كَان فِي الإِسلاَم سَبعُون فِرْقَة ... وَنَيف عَلىٰ مَا جَاءَ فِي وَاضِح النَّقلِ
وَلَيْس بِنَاجٍ مِنْه غَير وَاحدٍ ... فَقُل لِي بِهَا يَاذَا الرَّجَاحَة وَالعَقْلِ
أَفِي الفِرْقَة الهَلاَك آل مُحَمَّد؟ ... أَمْ الفِرْقَة اللاَّتِي نَجَت مِنْهُم قُلْ لِي؟
فَإِنْ قُلتَ فِي النَّاجِين فَالقَول وَاحد ... وَإِنْ قُلتَ فِي الهَلاَك حفْتَ عَن العَدْلِ

(٢) أُنظر، التَّجدِيد فِي فِكر الإِمَامة عِند الزَّيدِيَّة فِي اليَمَن: ٥٦، الفَرق بَيْن الفِرق: ٢٣، المِلل وَالنِّحل: ١/ ١١٥.

(٣) أَثبَت الشِّيعَة النَّص عَلىٰ خِلاَفة عَليّ بِأَحَادِيث شَتىٰ مِنْ طُرق السُّنَّة، وَوَضعُوا فِي ذَلِكَ مُؤلفَات كَثِيرة، مِنْهَا «الشَّافِيْ» للمُرتَضىٰ، «دَلاَئل الصِّدق» للمُظَفر، «المُرَاجعَات لشَرف الدِّين» «الغَدِير» للأَمِيني، وَغَيرها؛ وَالجُزء الأَوَّل، وَالثَّالث، وَالرَّابع مِنْ أَعيَان الشِّيعَة للأَمِين. (مِنْهُ ﷺ).

الخَوَارج: وَالمَبَادىء الَّتي تَجْمَعهُم وَتَميَزُوا بِهَا عَن غَيْرِهم أَنَّ الخَلِيفَة لاَ يَجب أَنْ يَكُون مِنْ قُرَيْش، بَل وَلاَ مِنْ العَرب، فَلَيْسَت الخِلاَفَة لعَربي دُون أعْـجَمي، والنَّاس فِيهَا سَوَاء، وأَنَّ مُرتَكب الكَبِيرة كَافر، بَـل اعـتَبرُوا الخَـطأ فِـي الرَّأي والإِجْتهَاد ذَنباً إِذَا أَدّىٰ إِلَىٰ مُخَالفَة رَأيهُم، وَلذَا كَفَّرُوا عَلِيّاً لقَبُوله التَّحكِيم، وَإِنْ لَمْ يَقدِم عَلَيه مُختَاراً؛ وبَعْض فِرقهُم كَالأَزَارقَة يَعْتقدُون أَنَّ كلّ مَنْ خَالفهُم مُشـرك مُخَلد فِي النَّار يَجب قَتْله وَقِتَاله(١).

---

(١) الخَوَارِج قَوْم خَرجوا عَلىٰ الإِمَام عَليّ عليه السلام فِي وَقْعَة صِفِّين. لَكنْ رَغم ذَلِكَ اخْتَلف المُؤرخُون فِـي تَعيين خرُوجهم، فَيرىٰ بَعْض: أنَّ ذَلِكَ كَان عِند قَبُول الإِمَام عَليّ عليه السلام أمر التَّحكيم.

أُنظر، تَلْبِيس إِبْلِيس: ٩٦.

وذَهب فرِيق آخر: أنَّ خرُوجهُم كَانَ بَعد التَّحكيم.

أُنظر، بَيَان الأَدْيَان: ٤٨، تَلْبِيس إِبْلِيس: ٩٠، الفَـصل لِابْـن حَـزم: ١٥٧/٤، المِـلل والنّـحل: ٢١/١، شَرح العَقِيدَة الطّحاوية: ٤٧٢، البدَاية والنّهاية: ١٨٩/٧، الدَّلِيل لأَهْل العَقْل للورجلاني: ١٥.

وَيَرىٰ فَرِيق ثَالث: أنَّ بدَاية خرُوجهُم قَد بَرز أَيَّام الرَّسُول صلى الله عليه وآله عِندَما مَرّ عَلىٰ النَّبيّ صلى الله عليه وآله ذُو الثّدية ـ وهُو يُقسـم الغنَائم ببَدْر ـ فَقَالَ لهُ: أعْدل يَا مُحَمّد! فَقَالَ صلى الله عليه وآله: خِبتَ وخَسِرت...

التّبصِير فِي الدّين: ٢٩، صَحِيح البُخَاريّ: ٥٢/٨، صَحِيح مُسْلِم: ١١٠/٣.

ولَسْنَا بِصَدد دراسة الْخَوَارِج. وَلَكنْ مَا يَهمنَا هُو رَأي الفِرق الّتي غَالت في هَذِه الحَرَكة، وَخَرجت عَن نطَاق دَائرة الإِسْلاَم. والشّهرستَانيّ يَقول: إنَّ الْخَوَارِج انْقَسمُوا إلىٰ ثمَان فِرق وهُم:

١ ـ المُحكّمة الأُولىٰ: وهُم الّذين خَرجوا عَلىٰ عليّ أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، حِين أَجرىٰ أمر المُحكِين.

٢ ـ الأَزَارقة: وَهُم أَتبَاع نَافع بن الأَزرَق.

٣ ـ النّجدَات: وَهُم أَتبَاع نَجدةَ بن عَامر الحَنفيّ.

٤ ـ العَجَاردَة: وَهُم أَصْحَاب عَبد الكَرِيم بن عَجرَد.

٥ ـ الإِبَاضِية: وَهُم أَتبَاع عَبد الله بن إِبَاض.

٦ ـ الصّفرِيّة: وَهُم أَصْحَاب زِيَاد بن الأَصفر.

المُعْتَزِلَة: والأُصُول الَّتي تَجْمَعهُم، وَأستَحقُوا بِهَا أسم الإعتزَال خَمْسة:

١ ـ التَّوحِيد: أَي أَنَّ الله وَاحَد بذَاته وَصِفَاته، فَصفَاته عَيْن ذَاته.

٢ ـ العَدْل: أَي أَنَّ الإِنْسَان مُخيَّر غير مُسَيَّر.

٣ ـ المَنْزِلَة بَيْنَ المَنْزلتَين: أَي أَنَّ مُرتَكب الكَبِيرة فِي مَنْزِلَة بَيْنَ المُؤمِنْ وَالكَافِر، فَلاَ هُو بِالمؤمِنْ؛ لأَنَّه لَمْ يَسْتَكمل صفَات الخَيْر، وَلاَ هُو بِالكَافِر؛ لأَنَّه يَقرّ بِالشَّهادتِين، وَهُو مُخلد فِي النَّار، إِذْ لَيْس فِي الآخرَة إِلاَّ الجَنَّة وَالنَّار، وَلَكنْ تُخَفف النَّار عَلَيه، وَيُطلق عَلَيه أسم المُسْلِم[1].

٤ ـ الوَعْد وَالوَعِيد: أَنَّ الله إِذَا وَعَد بِالثَّواب عَلىٰ الخَيْر فَوَعدَه وَاقع، وإِذَا تَوعَد بِالعقَاب عَلىٰ الشَّر فَوَعِيده أَيضاً وَاقع لاَ محَالة، وَلاَ يَحقّ لهُ أَنْ يَعفُو عَمَّن تَوَعدَه[2].

٥ ـ الأَمْر بِالمَعْرُوف وَالنَّهي عَن المُنْكَر: وَاجبَان بِالعَقل لاَ بِالسَّمع[3].

↔ ٧ ـ الثَّعالَبة: وَهُم أَصْحَاب ثَعلَبة بن عَامر.

٨ ـ البِيهسيَّة: وَهُم أَتبَاع أَبي بَيهس، الهَيصم بن جَابر.

أُنظر، كتَاب الفُتُوح لِابن أعثم الكُوفي: ٢ / ٢٤٨، المِلل والنِّحل: ١ / ١١٥، إعتقَادَات فِرق المُسْلِمِينَ: ٤٩، الفَرق بَيْن الفِرق: ٧٤، المَواقف: ٤٢٤ التَّبصير فِي الدِّين: ٤٥، أَوَائِل المَقالاَت: ١٥، مُروج الذَّهب: ٣ / ٢٣٥، لمُنيَة وَالأَمل فِي شَرح المِلل وَالنِّحل، أَحْمَد بن يَحيَىٰ بن المُرْتَضىٰ: ١٤٢، وَفَضل الإعتزَال وَطَبقات المُعْتزِلَة: ٢٣٩.

(١) أُنظر، مُصبَاح العُلُوم فِي مَعْرِفَة الحَي القَيُّوم لأَبِي الحَسَن أَحْمَد بن الحَسَن بن مُحَمَّد الرَّصَاص (الثَّلاَثُون مَسأَلَة): ٥٣٩ وَ(مَخطُوط) وَرَقَة: ١٦٤، الأَسَاس فِي عِلم الكَلاَم عِند الزَّيدِيَّة، القَاسم بن إِبْرَاهِيم الرَّسيّ (مَخطُوط)، وَكَذَلِك شَرح الثَّلاَثِين مَسأَلة فِي عَقَائِد الزَّيدِيَّة لإِبرَاهِيم بن يَحيَىٰ السُّحولي (مَخطُوط)، وَرَسَائِل العَدْل والتَّوحِيد (مَخطُوط) أَيضاً، الإِصْبَاح عَلىٰ المصبَاح فِي مَعرفَة المَلك الفَتَّاح: ٢٨، وَمَا بَعدَها.

(٢) أُنظر، الإِصْبَاح عَلىٰ المصبَاح فِي مَعرفَة المَلك الفَتَّاح: ١٣٢.

(٣) كَانَتْ بدَاية ظهُور حَركَة الإِعتزَال جوَاباً عَلىٰ سُؤال فَرض نَفسه فِي مُرتَكبي الكبَائر: فَقَالت

الأَشَاعرَة: خَالفُوا المُعْتزلَة فِي الأُمُور الخَمْسَة، وَقَالُوا: أَنَّ صِفَات الله غَير ذَاته، وَزَائِدة عَلَيها، وأَنَّ الإِنْسَان مُسيَّر غَير مُخيَّر، وأَنَّ الله لاَ يَجب عَلَيه الوَفَاء لاَ بالوَعَد وَلاَ بَالوَعِيد، وَلَهُ أَنْ يُعَاقب المُحْسن، وَيُثِيب المُسيء، إذْ لاَ يَجْب عَلَيه شَيء، وَلاَ يقْبح مِنْهُ شَيء، وأَنَّ مُرْتَكب الكَبِيرة لَيْس فِي مَنْزلَة بَيْنَ المُؤمِن وَالكَافر، وأَنَّه لاَ يُخَلد فِي النَّار، وأَنَّ الأَمْر بِالمَعرُوف وَالنَّهي عَن المُنْكَر يَجبَان بِالسَّمع لاَ بِالعَقل[1].

⇔ الْخَوَارِج: كُلّهم كفّار؛ وَقَالت المُرجِئة: هُم مُؤمِنُون، لأَنَّهم لاَ يَرون ضَرراً فِي أيَّة مَعْصِيَة مَع الإِيمَان «الَّذي هُو فِي الْقَلْب فَقط» وَقَد لخّص الشّهرستانيّ هَذَا بقَوْله:

«...دَخل وَاحد عَلىٰ الْحَسَن البَصريّ فَقَالَ: يَا إِمَام الدّين! لقَد ظَهرَت فِي زَمَاننا جَمَاعَة، يُكفّرون أَصْحَاب الكبَائر، والْكَبِيرة عِندَهم كُفر، يَخرج بِهِ عَن المِلّة، وهُم وَعِيديّة الْخَوَارِج؛ وجَمَاعَة يُرجئُون أَصْحَاب الكَبَائر. والكَبَائر عِندَهم لاَ تَضر مَع الإِيمَان. بَل العَمَل ـ عَلىٰ مَذْهَبهم ـ لَيْس رُكناً مِن الإِيمَانِ، وَلاَ يَضُرّ مَع الإِيمَان مَعْصِيَة، كمَا لاَ يَنْفع مَع الكُفر طَاعة. وهُم مُرجِئة الأُمّة، فكَيف تَحكم لنَا فِي ذَلِكَ اعتقَاداً»؟

فَتَفكّر الْحَسَن فِي ذَلِكَ، وقَبل أَنْ يُجيب قَال وَاصل بن عَطَاء:

«أَنَا لاَ أَقُول صَاحب الْكَبِيرة مُؤمِن مُطلق، وَلاَ كَافر مُطلَق، بَل هُو فِي مَنزلَة بَيْن المَنزلتَين، ثُمّ قَام وَاعتَزل إِلىٰ أُسْطُوَانة مِن أُسطوَانَات المَسجد، يُقرر مَا أجَاب بِهِ عَلىٰ جَمَاعَة مِن أَصْحَاب الْحَسَن».

فَقَالَ الْحَسَن: «اعْتَزلَ عنّا وَاصَل» فَسُمِي هُو وأَصْحَابه مُعْتزلة. ثُمّ أَضَاف وَاصل إِلىٰ قَوْله بِالْمَنزِلَة بَيْن المَنزلتَين مبَادىء أُخرىٰ.

أنظر، المِلل والنّحل: ١ / ٤٨، الحُور الْعَيْن: ١٧٧، البِدء والتَّأرِيخ: ٥ / ١٤٢، الْمُعْتَزِلَة وَأُصُولهُم الْخَمسَة ومَوقف أَهْل السُّنَّة مِنْهُم: ١٤ـ٢١.

(١) هُم أَصْحَاب أَبي الْحَسَن عَليّ بن إِسْمَاعِيلَ الأَشْعَرِيّ، المُنتَسب إِلىٰ أَبي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيّ، وَهِي جَمَاعَة الصّفاتِية، الَّذِين يُثبتُون لله تَعَالىٰ الصّفَات الأَزَليّة، كالعِلم، والْقُدْرَة، والْحَيَاة وغَيْرها. أنظر المِلل والنّحل للشّهرستاني: ١ / ٥٨ ـ ٩٤.

⇔

وَالشِّيعَة يَتفقُون مَع المُعْتَزلَة فِي مَسْألَتي التَّوحِيد وَالعَدْل(١)، وَيُخَالفُونهُم فِي الثَلاَثَة البَاقِية، وَيَقولُون فِي مَسْألَة مُرْتَكب الكَبِيرة، وَمَسْألَة الأَمْر بِالمَعرُوف وَالنَّهي عَن المُنْكَر بمَا تَقول الأَشَاعرَة، وَيَنفردُون عَن المُعْتَزلَة والأَشَاعرَة معاً فِي مَسْأَلَة الوَعَد والوَعِيد، حَيْث ذَهبُوا إِلَىٰ أَنَّ الله سُبْحَانهُ يَفي بِالوَعد، وَلاَ يَجْب عَلَيه الوَفَاء بِالوَعِيد، فَلَهُ أَنْ يَعْفُو عَن المُذْنِب، وَلاَ يَحقّ لهُ بِحُكم العَقْل أَنْ يُخْلف وَعدَه مَع المُحْسن(٢).

التشيُّع:

مَا مَعْنَىٰ التَّشيُّع؟ وَمَا هُو السَّبَب فِي وجُودَه؟ وَمَتىٰ وِجد؟ وَكَيف نَمَا وَتَرَعْرَع؟.

ومَعْنَىٰ الشِّيعَة فِي اللُّغَة الأَتبَاع وَالأَنْصَار، فَشِيعَة الرَّجُل هُم أَنصَاره الَّذين

↔ أُنظر، المَوَاقف للإِيجي: ٨/ ٢٥٤، المِلل والنّحل: ١/ ٧٦ و ١٧٧، الإِنْتصَار: ٢٥، أَوَائل المقَالاَت: ٤٤، رَسَائِل المُرتضىٰ: ١/ ١٥٥ و: ٢/ ٩١، شَرح أُصول الكَافِي: ١٠/ ٦٧، فَيض القَدير: ٣/ ٤٨٢، السِّير الْكَبِير للشَّيباني: ١/ ١٥٦، شَرح نَهج الْبَلاَغة لِابْن أبِي الْحَدِيد: ٧/ ٢٢٧، شَرح مُسْنَد أَبي حَنِيفَة للقَاري: ٣٣٠، المنخُول للغزّالي: ١٣٤، الشّفا بِتَعرِيف حقُوق المُصطَفىٰ: ٢/ ٥، الفصُول المُهمة فِي أَحْوَال الأَئِمّة: ١/ ٤٤٠، بِتَحقِيقنا، مقَالاَت الإِسلاَميين: ١/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦، شَرح الأُصُول الخَمْسَة: ٦٣٢ و ٨٠٠، الإِصْبَاح عَلَىٰ المصبَاح فِي مَعرفَة المَلك الفَتَّاح: ١٤٢.

(١) أُنظر، رِسَالة الإِعتقَادَات: ٦٩، الفَصْل (٣١ ـ ٣٢)، تَصحِيح الإِعتقَاد: ١١ ـ ١٢، كتَاب التَّوحِيد: ١٧.

(٢) أُنظر، أَوَائِل المَقَالاَت: ٩٠ و ٧٥، والفُصُول المُهمّة: ٢٨٢، الأُصُول الخَمْسَة، القَاسم بن إِبْرَاهِيم المَعرُوف بِالرَّسي (ضِمن مَجمُوع رَسَائِل العَدْل وَالتَّوحِيد): ٦٢٧. أُنظر، المَسَائِل السَّروِية: ٦٤. أُنظر، أَوَائِل المَقَالاَت: ٥٩. أُنظر، شَرح الأُصُول الخَمْسَة: ٦٣٢ و ٨٠٠، الإِصْبَاح عَلَىٰ المصبَاح فِي مَعرفَة المَلك الفَتَّاح: ١٤٢.

ٱتبعُوا رَأيَه[١]، وَمِنْهُ قَولَه تَعَالىٰ: ﴿شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾[٢]. وَيُطلق المُؤرخُون، وَالفُقهَاء، وَالمُتكلمُون لفَظ الشِّيعَة عَلىٰ الفِرقَة المَعرُوفة بِموَالاَتها لِعَليّ وَلِابْنَائه دُون غَيْرِهم، وَقَدَمنا فِي الفَقرَة السَّابقة أَنَّ الشِّيعَة هُم الَّذين يَعْتَقدُون بوجُوب النَّص مِنْ النَّبيّ عَلىٰ خَلِيفَته. وأَنَّ مُحَمَّدﷺ قَدْ نصّ عَلىٰ الإِمَام عَليّ[٣].

سَبَب التَّشيُّع:

قَالَ الَّذِين يَتبعُون الظَّن، وَيَقِيسُون الغَائِب عَلىٰ الشَّاهِد: أَنَّ السَّبَب الأَوَّل للتَّشيع سِيَاسي مَحض لاَ يَمتّ إِلَىٰ الدِّين بِسَبب، وَهَذَا خَطَأ، فَإِنَّ سَبَب التَّشيُّع دِيني صِرف، وَلاَ صِلَة لهُ بِالسِّيَاسَة مِنْ قَرِيب أَو بَعِيد، إِنَّه فِعْل النَّبيّ وَقَوله.

أَمَّا الفِعْل فَقَد ٱختَار النَّبيّ عَليًّا أَخًا لهُ وَنَجيًّا، وَقَام بِتَربِيَته وَتَنْشئَته مُنذ عَهْده بِالحَيَاة، وَٱهتَّم بِتَعلِيمه وَتَهذِيبَه، حَتَّىٰ أَصبَح كَمَا يَشَاء الرَّسُول، لَمْ يُؤاخذَه أَو يُعَاتبَه عَلىٰ شَيء فِي حَيَاته كلّها، وَقَدْ ٱعتَمد عَلَيه النَّبيّ فِي المُهمَات، وَسَاعَة العُسرَة، فَبلَّغ عَنْهُ سُورَة بَرَاءَة، وَنَدَبه إِلَىٰ قتَال عَمْرُو بن وَدّ، وَمَرحب؛ وَبَاهل نَصَارىٰ نَجرَان بِهِ، وَبِزَوّجَته فَاطِمَة، وَوَلده الحَسن والحُسَيْن، وَٱرْتَقي عَلىٰ مَتْنه لكَسر الأَصْنَام، وَٱنضَوىٰ وَإِيَّاه تَحت كسَاء وَاحد، إِلَىٰ غَير ذَلِكَ مِنْ المَنَاقب الَّتي

---

(١) أُنظر، تَاج العَرُوس: ٥ / ٤٠٥، لسَان العَرب: ٨ / ١٨٨، مُسْنَد زَيد: ٤٥، القَامُوس: ٣ / ٤٧، الفُرُوق اللُّغوية: ٣٠٧، سُبل الهُدىٰ وَالرَّشاد: ٥ / ٤٢٧، الشِّفَا بِتَعرِيق حقُوق المُصْطَفىٰ: ٢ / ١٥٥.

(٢) ٱلصَّافَات: ٨٣.

(٣) أُنظر، ٱلشَّمْس المُنِيرة، لتَنوِير البَصِيرَة فِي فرُوع الدِّين وَأُصُوله، لِابن الهَادي: ٨٨، كتَاب الزِّينَة للرَّازي: ٢٤٢.

لاَ يَبلغهَا الإحصَاء، والَّتي لَو كَانَتْ مَنْقَبة وَاحدَة مِنْهَا لصَحَابي غَير الإِمَام لدَقُّوا لهُ الطُّبُول، وَرَفعُوا لهُ الأَعلاَم، وَبَلغُوا بِه سُدرَة المُنْتَهىٰ.

أَمَّا القَول فَقَد نصّ النَّبيّ عَلَيه بِمُنَاسبَات شَتىٰ، أَوَّلهَا حِين نَزلَت الآيَة: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1] حَيْث جَمَع مِنْ أَهْله ثَلاَثِين رَجُلاً فَأَكلُوا وَشَرِبُوا وقَالَ لهُم الرَّسُول: «إِنَّ هَذَا أَخي، وَوَصيِّي، وَخَلِيفتي فِيكُم، فَاسْمَعوا لهُ وَأَطِيعُوا.

فَقَام القَوم يَضْحَكُون، وَيَقُولُون لأَبي طَالب: قَد أَمَرَك أَنْ تَسْمَع وَتُطِيع لوَلدَك عَليّ»[2]. وَأَخِيرهَا حَدِيث: «مَنْ كُنْتُ مَولاَه فَعَليّ مَولاَه»[3]، وبَيْنَ هَذِين

---

(١) الشُّعرَاء: ٢١٤.

(٢) أنظر، دَلاَئِل الصُّدق: ٢٣٣، كَنز العُمَّال: ١٣/١٣٣ ح ٣٦٤١٩، تَأرِيخ الطَّبري: ٢/٦٣، مَعَالِم التَّنزِيل: ٤/٢٨٧، السِّيرَة الحَلبية: ١/٢٥٨، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١٣/٢١١، جَامع البَيَان: ١٩/١٤٩، شوَاهد التَّنزِيل: ١/٤٨٦، تَفْسِير أبن كَثِير: ٣/٣٦٤، البدَاية وَالنّهاية: ٣/٥٣، دَلاَئِل النُّبوة للبيهقي: ١/٤٢٨، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٢/٦٢، تَأرِيخ أَبن عسَاكر: ١/ تَرجَمَة الإِمَام عَليعليه السلام.

(٣) أنظر، مُسْنَد أَحمَد: ١/١١٨ و ١١٩، و: ٤/٢٨١ و ٣٧٠ و ٣٧٢ و ٣٧٣، و: ٥/٣٤٧ و ٣٧٠، مُسْتَدرَك الْحَاكِم: ٣/١٠٩، سُنن أَبْن مَاجه بَاب فَضَائِل عَليّ، تَأْرِيخ أَبْن عَسَاكر: ٢/١٣/٥٠٨ و ٥١٣ ـ ٥١٦ و ٥٢٣ و ٥٤٤ و ٥٦٢ و ٥٦٩ الطَّبعة الأُولىٰ بَيرُوت، يَنَابِيع المَوَدَّة: ٢٤٩ طَبْعَة اسلامبول: ٢٩٧ طَبْعَة الحَيدرِية، كِفَاية الطَّالب: ٦٣ طَبْعَة الحَيدرية: ١٧ طَبْعَة الغَري، المنَاقب للخوَارزمي: ٨٠ و ٩٤ و ١٣٠، نُظم دُرر السِّمطَين: ١١٢، كَنز الْعُمَّال: ٦/٤٠٣ الطَّبعة الأُولىٰ، و: ١٥/١١٥/٣٣٢ و ٤٠٢ الطَّبعة الثَّانِيَة، أَنْسَاب الأَشْرَاف للبَلاَذري: ٢/١١٢، شوَاهد التَّنزِيل: ١/١٥٧/٢١١ و ١٩٢/٢٥٠.

مَجْمَع الزَّوائد: ٩/١٠٥، مُنْتَخب كَنز الْعُمَّال بهَامِش مُسْنَد أَحمَد: ٥/٣٢، شَرْح النَّهج لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١/٢٠٩ و ٢٨٩ الطّبعة الأُولَىٰ بمِصْر، و: ٢/٢٨٩، و: ٣/٢٠٨ طَبْعَة مِصْر تَحقِيق مُحَمَّد أَبُو الْفَضْل، إِسعَاف الرَّاغِبِين المَطبُوع بهَامِش نُور الأَبْصَار: ١٥١ طَبْعَة السّعيدية: ١٣٧ طَبْعَة العُثْمانِيَة، خصَائص أَمِير ٱلْمُؤمِنِين للنسَائي: ٩٦ طَبْعَة الحَيدرِية: ٢٦ و ٢٧ طَبْعَة مَصْر، المِلل والنّحل للشَّهرستاني: ١/١٦٣، بَيرُوت).

الحَدِيثَين صَدَرت أَحَاديث كَثِيرة، كحَدِيث: «أَنْتَ مِنّي بِمَنزِلَة هَارون مِن مُوسىٰ غَير أَنّه لاَ نَبيَّ بَعدِي»[١]. وَحَدِيث: «الْحَقّ مَع عَليّ، وَعَليٌّ مَع الْحَقّ لَنْ يَفْتَرِقا حَتَّىٰ يَرِدَا عَليَّ الحَوض»[٢]. وَحَدِيث الثَّقَلَين: (كِتَاب الله، طَرف بِيَد الله، وَطَرف بِأَيدكُم، فَاسْتَمسكُوا بِهِ، لاَ تَضلّوا وَلاَ تُبدّلوا؛ وَعِتْرَتِي أَهْل بَيْتِي....)[٣]. إِلَىٰ

(١) أنظر، بُلُوغ الأَرب وَكنُوز الذَّهب فِي مَعرِفة المَذْهَب: ١٢٧، كتَاب الأُصُول: ٣٩، الأَمَالي لأَبي طَالب: ٣٩، العَقِيدَة الصَّحِيحَة: ١٩، الصَّواعق المحرقَة لِابْن حَجر: ٢٩، صَحِيح البُخَاريّ: ٢ / ٢٠٠ و ٣٢٤، وَرَوىٰ بِسَنده، و: ٤ / ٢٠٨، و: ١٤ / ٢٤٥ / ٣٤٧٠، و: ١٦ / ٢١٧ / ١٤١٥ بشَرح الكِرْمَانِي، صَحِيح مُسْلِم فِي فَضَائِل عَليّ: ٣٢٤، المُسْتَدرَك لِلحَاكِم النّيسابوري: ٣ / ١٠٩، مُسْنَد أبن مَاجَه: ١ / ٢٨، مُسْنَد الإِمَام أَحْمَد: ١ / ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ٣٣١ و ٣٦٩، كَنز الْعُمَّال: ٦ / ١٥٢ ح ٢٥٠٤، وتَلخِيص الحَافظ الذَّهبي عَلَىٰ المُسْتَدرَك: ٣ / ١٣٣، وَخصَائِص النّسائي: ١٧، والإِصَابَة لِابْن حَجر: ٤ / ٥٦٨، وِيَنَابِيع المَوَدَّة للقُندُوزي: ٢ / ٥٨، فرَائِد السّمْطَين: ١ / ١٤٩ ح ١١٣، سُنن التّرمِذي: ٥ / ٥٩٨ ح ٣٧٣٠، ومَن شَاء فَليرَاجِع إلى المصَادِر التَّالية عَلَىٰ سَبِيل المثَال لاَ الحَصر.

(٢) هَكَذا رُوي الْحَدِيث: «الْحَقّ مَع عَليّ، وعليٌّ مَع الْحَقّ لن يَفْتَرقا حتَّىٰ يَرِدَا عليَّ الحَوض». أنظر، صَحِيح التّرمِذي: ٥ / ٢٩٧ ح ٣٧٩٨ و: ١٢ / ١٢٦، القَول المُبِين فِي فَضَائِل أَهْل البَيْت المُطَهرِين ﷺ، مُحَمّد بن عَبدالله سُليمان العزيّ: ٣٩، الأُصُول الثّمَانِيّة: ٦٧، وجَامع التّرمِذي: ٢ / ٢١٣، التَّفْسِير الْكَبِير للفخر الرّازي: ١ / ٢٠٥، فيض القدير: ٦ / ٣٥٦، مَجْمَع الزّوائد: ٧ / ٢٣٥ و: ٩ / ١٣٤، تَأرِيخ بغداد: ١٤ / ٣٢١، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١ / ٧٨، شَرح الأَخْبَار للقاضي النّعمان المغربي: ٢ / ٦٠، ربيع الأبرار للزّمخشري: ١ / ٨٢٨، فَرَائِد السّمْطَين: ١ / ١٧٧ ح ١٣٨، المناقب لِابْن المغازلي: ١١٧ و ٢٤٤، والمُسْتَدرَك: ٣ / ١٩ و ١٢٤، العِقْد الفَرِيد: ٣ / ١٠٨ الطَّبْعَة الثَّالثة، تَأرِيخ أبن عَسَاكر ترجمة الإِمَام عَليّ: ٣ / ١١٩ ح ١١٦٢ و: ٤٢ / ٤٤٩، كَنز الْعُمَّال: ١١ / ٦٠٣ ح ٣٢٩١٢، أَنْسَاب الأَشْرَاف: ٢ / ٢٨١ الطَّبْعَة الأُولىٰ، فضل آل البَيْت للمَقريزي: ٦٠، جواهر المطَالِب فِي مَنَاقب الإِمَام عَليّ لِابْن الدّمَشْقي: ١ / ٣٤٣، المِلل والنّحل: ١ / ١٠٣، بُلُوغ الأَرب وَكنُوز الذَّهب فِي مَعرِفة المَذْهَب: ٩٨.

(٣) أُنظر، صَحِيح مُسْلِم: ٤ / فَضَائِل عَليّ ح ٣٦ و ٣٧ و: ٧ / ١٢٠، وسُنن التّرمِذي: ٥ / باب ٣٢، و:

غير ذَلِكَ مِمَّا أَثبته السُّنَّة فِي كُتبهم. وَقَدْ جَمع عُلَمَاء الإِمَامِيَّة هَذِه الأَحَادِيث فِي كُتب وَمُجلَّدَات تُعد بِالعَشرَات، وَطُبعَت أَكثر مِنْ مرّة وهِي فِي مَنَال كلّ رَاغب، وَأَيسرهَا، تَنَاولاً، وأَوْضَحها تَعْبِيراً (نَـقض الوشِـيعَة) الجُـزء الأَوَّل، وَالثَّـالث، وَالرَّابع مِنْ أَعيَان الشِّيعَة للأَمِيني وَكتَاب «المُرَاجعَات» لشَرف الدِّين، وَكتَاب «دَلاَئل الصِّدق» للمُظَفر، وَفِي هَذِين الكتَابَين وَغيرهُما الأَحَادِيث الَّتي أَشَرنَا إِلَيهَا بِروَاتهَا المُوثَقِين عِندَ أَصحَاب الحَدِيث مِنْ السُّنَّة. وَأَسْـمَاء الكُـتُب الَّـتي دُونَت فِيهَا مِنْ صِحَاح أَهْل السُّنَّة.

هَذَا، وَمَا رَأَيت أَحداً مِنْ عُلَمَاء السُّـنَّة يُشَكك فِـي سَـند أَحَـادِيث الوِلاَيَـة وَالوَصيَّة لعَليّ مِنْ النَّبيّ، وَلَكنَّهُم تَمحلُوا وَتَأَوَلوا الَولاَء بِالحبُّ والإِخـلاَص لاَ بِالحُكم والسُّلطَان، والوَصيَّة بِالعَهد إِلَىٰ الإِمَام بِتَجهِيز النَّبيّ وَدَفْنه؛ وَمَا إِلَىٰ ذَلِكَ مِنْ التَّكَلف وَالتَّعسف الَّذي لاَ يَشْعر بِهِ اللَّفظ مِنْ قَرِيب أَو بَعِيد، ولَيْس مِنْ شَكٍ أَنَّه

↔ ١٣ / ١٧١، وسُنن الدَّارِمِي: ٢ /فَضَائِل القُرآن، وخصَائص النَّسَائي: ٥٠، وذَخَائِر العُقْبَىٰ للمحبّ الطَّبَرِيّ: ١٦، وتَذكرَة الخوَاصّ: البَاب ١٢، وأُسد الغَابَة: ٢ / ١٢، وتَارِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ١٠٢، والمُستَدرَك عَلَىٰ الصَّحِيحَين: ٣ / ١٠٩، ومُسنَد أَحمَد: ١ / ١٧٠و ١٧٣و ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩و ١٨٢ و ١٨٤و ١٨٥ و ٣٣٠، و: ٣ / ٣٢ و ٣٣٨، و: ٦ / ٣٦٩ و ٤٣٨، والصَّوَاعِق المحرِقَة: ٢٥ الطبعة الميمَنِية بمِصر، وص: ٤١ المَطبَعة المحمّدية بمِصر، ومَجمَع الزَّوائد: ٩ / ١٦٤، وتَارِيخ دِمَشق لابن عسَاكر: ٢ / ٤٥ ح ٥٤٥، وكَنز العُمَّال: ١ / ١٦٨ ح ٩٥٩ الطبعة الأُولَىٰ، ويَنَابِيع المَوَدَّة: ٣٧ طبع إِسلاَمبُول... إلخ).

أُنظر، البُخَارِيّ فِي صَحِيحه: ٢ / ٢٠٠، والطَّيَالسِي: ١ / ٢٨ / ٢٠٥ و ٢٠٩ و ٢١٣، وابن مَاجه: ح ١١٥، الأُصُول الثمَانِية: ٦٧، مَجمَع الزَّوَائد: ٩ / ١٦٢، مُستَدرك الحَاكِم: ٣ / ١٠٩، ابن كَثِير: ٥ / ٢٠٩، مَن هُم الزَّيدِيَّة، السَّيِّد يَحيىٰ ابن عَبدالكَرِيم الفَضِيل: ٥٩، الأَمالي الخَمِيسِيَّة: ١ / ١٥٦.

هَذَا الحَدِيث الأَخذ وَالعَمَل بِهِ ثَقِيل وَخَطِير؛ وَلِذا سُمِّي «بِحَدِيث الثَّقَلين» ـ كتَاب الله وَالعِتْرَة.

لَو جَاء حَدِيث وَاحد مِنْهَا فِي حَقّ صَحَابي غَير الإِمَام لَكتَبُوه بمَاء الذَّهب، وَأكثرُوا حَوله الحوَاشي وَالشّرُوح.

لَقَد وَالَىٰ الشِّيعَة عَليّاً، وَقَالُوا بِالنَّص عَلَيه مِنَ الرَّسُول، وَأَوجَبوا لهُ العِصمَة وَالسَّبَب فِي كلّ ذَلِكَ هُو النَّبيّ دُون سوَاه، هُو حَدِيث: «لاَ فَتَىٰ إلاّ عَلي، ولاَ سَيْف إلاّ ذُو الفقَار»[1].

عَلىٰ هَذِه الأَحَادِيث وَأَمثالهَا اعتَمد الشِّيعَة فِي وَلاَئِهم لِعَليّ، ولَمْ يَعْتَمدُوا عَلىٰ الظَّن وَالتَّخمِين، وَلاَ عَلىٰ العَاطفَة وَالتَّعصُب، وَلاَ عَلىٰ التَّقلِيد وَالورَاثَة.

إِذَن فَسَبب التَّشيُّع دِيني لاَ سِيَاسي، وَعِلْم لاَ أَهوَاء.

---

(١) الرّوَايَة المَشهُورَة هِي أَنّ جِبرَائِيل ﷺ هُو الّذي كَان يُنادِي: لا سَيْف إلاّ ذُو الفَقَار ولاَ فَتىٰ إلاّ عَليّ.

وقِيل: إنّ رَضوَان ﷺ هُو المُنَادِي، وهُما مَلكَان كَرِيمَان كمَا وَرد فِي كَنْز العُمَّال: ٣ / ١٥٤ بَعد أنْ سَاق حَدِيث الإِمَام عَليّ ﷺ يَوم بَيْعَة عُثْمَان فقَال ﷺ: أنَاشدكُم الله أَنّ جِبرَائِيل نَزَل عَلىٰ رَسُول الله ﷺ فقَال: يَا مُحَمّد: لاَ سَيْف إلاّ ذُو الفَقَار..... فهَل تَعْلمُون هَذَا كَان لِغَيْري؟ وورد فِي ذَخَائِر العُقبَىٰ: ٧٤ أَيضاً عَن الإِمَام أَبِي جَعْفَر مُحَمّد بن عَليّ ﷺ قَال: نَادىٰ مَلك مِن السَّمَاء يَوم بَدْر يُقَال لهُ رضوَان، أنْ لا سَيْف إلاّ ذُو الفَقَار... وورد فِي الرِّيَاض النَّضرة: ٢ / ١٩٠، والمنَاقب لإبن المغَازلي: ١٩٧ـ١٩٩ ح ٢٣٤ و٢٣٥، بُلُوغ الأَرب وَكنُوز الذَّهب فِي مَعرفة المَذْهَب: ١٩٢.

أُنظر، شَرح النّهج لإبن أَبِي الحَدِيد: ١ / ٢٨، و: ٧ / ٢١٩، و: ١٠ / ١٨٢، و: ١٤ / ٢٥١، تَأْرِيخ الطّبَرِيّ: ٢ / ١٩٧ و ٥١٤، الكَامل لِابن الأَثِير: ٢ / ٧٤، فَرَائِد السّمطَين: ١ / ٢٥٦ـ٢٥٨ ح ١٩٨ و ١٩٩، تَأرِيخ دِمشق: ١ / ١٤٨ ح ٢١٥ و ١٦٧، المنَاقب للخوَارزمي: ١٦٧ و ٢١٣ طَبْعَة الحَيدَرِيّة، كفَايَة الطَّالب: ٢٧٧، أبن هِشَام فِي السِّيرة: ٣ / ٥٢ و ١٠٦، سُنن البَيْهَقِيّ: ٣ / ٢٧٦، المُسْتَدرَك: ٢ / ٣٨٥، الرِّيَاض النَّضرة: ٣ / ١٥٥، مِيزَان الإِعتدَال: ٢ / ٣١٢ و٣١٧، و: ٣ / ٣٢٤ طَبْعَة بَيْرُوت، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢ / ١٠٧، تَذكرة الخوَاصّ: ٢٦، مَجْمَع الزّوَائد: ٦ / ١١٤ و١٢٥، تَأرِيخ الطّبَرِيّ: ٢ / ١٩٧ طَبْعَة آخر، رَبِيع الأَبرار: ١ / ٨٣٣، مَعارج النُّبُوّة: الرُّكن الرَّابع: ١٠٧ و ١٦٨ طَبْعَة لكنهو الأَغَاني: ١٥ / ١٩٢، نَظم دُرر السّمطَين: ١٢١.

بدء التشيع:

قَالَ الشَّيخ مُحَمَّد أَبو زُهرَة: «الشِّيعَة أَقدَم المَذَاهِب السِّيَاسيَّة الإِسلاَمِيَّة، وَقَدْ ظَهَروا بِمَذهبِهِم فِي آخر عَصر عُثْمَان[1]، وَنَمَا وَترعرَع فِي خِلاَفَة عَليّ، إِذْ كُلَّما اختَلط بِالنَّاس ازدَاد اعجَاباً بِموَاهِبه، وَقوَّة دِينَه، وَعِلْمه»[2]. وقَالَ آخر: «إِنَّ مَذْهَب التَّشيُّع ظَهر يَوْم وَقْعَة الجَمَل[3]، وقَالَ ثَالِث: بَل يَوْم ظهُور الخوَارج[4]. وقَالَ طَه حُسين: «أَنَّ فِرقَة الشِّيعَة أَصْبَحت حِزباً سِيَاسِياً مُنَظمَاً لِعَليّ وَبَنِيه فِي عَهْد الحَسن بن عَليّ»[5].

والحَقِيقَة أَنَّ تَأرِيخ التَّشيُّع يَقْتَرن بِتَأرِيخ نصّ النَّبيّ عَلىٰ الإِمَام بِالخِلاَفَة، وَقَدْ كَان جَمَاعَة مِنْ الصَّحَابَة يَرون أَنَّ عَليّاً أَفْضَل أَصحَاب الرَّسُول عَلىٰ الإِطلاَق، ذَكر ذَلِكَ ابْن أَبي الحَدِيد، وَعدَّ مِنْهُم عمَّار بن يَاسر، وَالمُقدَاد بن الأَسوَد، وَأَبَا ذَرّ، وَسَلمَان الفَارسي، وَجَابر بن عَبدالله، وَأُبي بن كَعْب، وَحُذيفَة اليَمَان،

(١) أنظر، المِلل وَالنِّحل لابن حَزم، عوَامل وَأهدَاف نَشأة عِلم الكَلاَم لِيَحيىٰ هَاشم فَرْغل: ١/ ١٠٥.

(٢) أنظر، «المَذَاهِب الإِسْلاَميَّة»: ٥١. (مِنْهُ رحمه الله).

(٣) أنظر، النِّزَاع وَالتَّخَاصم فِيمَا بَيْن بَني أُميَّة وبَني هَاشم: ٦، العِبر ودِيوَان المُبتَدأ وَالخَبر فِي أيَّام العَرَب وَالعَجم والبَربر ومَن عَاصرهُم مِن ذَوي السُّلطان الأَكبَر: ٣/ ١٧١.

(٤) أنظر، تَذكرة الخواصّ لابن الجوزي الحَنفي: ٩٥، مروج الذَّهب: ٢/ ٤٠٤، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ٤/ ٥٢، الكَامِل لابن الأَثِير: ٣/ ٣٢٤، خصَائص أَمِير المُؤْمِنِين للنَّسائي: ١٥٠ ـ ١٥٢ ح ١٨٥، دِلائِل النُّبوَّة: ٤/ ١٤٧، المنَاقب للخوَارزمي: ١٩٢ ح ٢٣١، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢/ ٢٠٤، شَرح النَّهج لابن أَبِي الحَدِيد: ٢/ ٢٣٢، و: ١٠/ ٢٥٨، تَأرِيخ اليعقوبي: ٢/ ١٦٧ طَبعَة الغري، تَلبِيس إبْلِيس لابن الجَوزي: ٩١، المَعْرِفَة والتَّأرِيخ لأَبِي يُوسُف البسوي: ١/ ٥٢٢، البدء والتَّأرِيخ للمَقدسي: ٥/ ٢٢٣.

(٥) أنظر، عَليّ وَبَنُوه: ١٩٢.

وَبُرِيدة، وَأَبا أَيُوب الأَنْصَاري، وَسَهل بن حُنَيف، وعُثْمَان بن حُنَيف، وَأَبَا الهَيثَم بن التَّيهَان، وَأَبَا الطُّفَيل، وجَمِيع بَني هَاشم[1].

وجَاء فِي كتَاب «تَأرِيخ الشّيعَة» للشَّيخ مُحَمَّد حُسين المُظفر: «قَالَ مُحَمَّد كُرد عَليّ فِي كتَابه خُطط الشَّام: عُرف جَمَاعَة مِنْ كُبَّار الصَّحَابَة بمُولاَة عَليّ فِي عَصر رَسُول الله ﷺ مِثْل سَلْمَان الفَارسي، القَائِل: بَا يَعنَا رَسُول الله عَلىٰ النُّصح للمُسْلِمِين وَالإئتمَام بِعَليّ بن طَالب وَالمُوَلاَة لهُ»[2]. ومِثْل أَبي سَعِيد الخُـدري الَّذي يَقُول: «أَمر النَّاس بِخَمس، فَعَملُوا بِأَربع، وَتَركوا وَاحدة، ولمَّا سُئل عَن الأَربع قَالَ: الصَّلاَة، وَالزَّكَاة، وَالصَّوم، وَالحَجّ. قِيلَ فمَا الوَاحدة الَّتي تَركُوها؟ قَالَ: وِلاَيَة عَليّ بن أَبي طَالب. قَالَ لهُ: وَإِنَّها لمَفرُوضَة مَعَهُنَّ؟! قَالَ: نَـعَم هِـي مَفرُوضَة مَعَهُنَّ»[3]. ومِثْل أَبي ذَرّ الغِفَاري، وَعمَّار بن يَاسر، وَحُذَيفَة اليـمَان، وَذِي الشَّهادتين، وأَبي أَيُوب الأَنْصَاري، وَخَالد بن سَعِيد، وَقَيس بن سَعد بـن عُبَادة...»[4].

---

(١) أُنظر، أُسد الغَابَة لِابن الأَثِير: ٣/ ٢٢٢ طَبعَة مَصْر، تَأرِيخ الطَّـبري: ٣/ ٢٠٨ طَـبْعَة دَار المـعَارف بِمَصْر، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢/ ٣٢٥ الطَّبعة الثَّانِية دَار صَادر، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢/ ١٠٣ طَبْعَة الغَري، سِمط النُّجوم العَوَالي للعَاصمي المَكّي: ٢/ ٢٤٤ الطَّبعَة السَّلفِية، السِّيرة الحَلبِية: ٣/ ٣٥٦ طَبْعَة البَهِية بِمَصْر، الإِصْبَاح عَلىٰ المِصبَاح فِي مَعرفَة المَلك الفَتَّاح: ١٦٧، الرِّيَاض النَّضرة: ١/ ١٦٧، الإستِيعَاب: ٢/ ١٨ و ٣٥، الإِصَابة فِي تَميّز الصَّحَابة: ٢/ ٣٠ و ٣٢، تَأرِيخ الخَمِيس: ١/ ١٨٨، أبن عَبد رَبّه: ٣/ ٦٤ و: ٤/ ٢٥٩ الطَّبعَة الثَّانِية بِمَصْر، تَأرِيخ أَبي الفِدَاء: ١/ ١٥٦، أبن شِحنَة بِهَامش الكَامل: ١١/ ١١٢، مُروج الذَّهب: ٢/ ٣٠١ طَبْعَة بَيروت، الإِفَادة فِي تَأرِيخ الأَئِمَّة السَّادَة: ٢٣.

(٢) أُنظر، صَفوة الصَّفوة لِابن الجَوزي: ١/ ٢١٥، مَعَالِم التَّنزِيل بِهَامش الخَازن: ٥/ ١٨٧.

(٣) أُنظر، شوَاهد التَّنزِيل: ١/ ٢٥٧، المُستَرشد فِي الإِمَامَة: ٤٧٦، شَرح الأَخبَار: ١/ ٢٢٨ ح ٢٥١.

(٤) أُنظر، تَأرِيخ الشّيعَة: ٩، خُطَط الشَّام: ٥/ ٢٥١ ـ ٢٥٦. (مِنهُ ﷺ).

أَمَّا مَا ذَهَب إِلَيه بَعْض الكِتَاب مِنْ أَنَّ التَّشيُّع مِنْ بِدعَة عَبدالله ٱبْن سَبأ فهُو وَهم؛ وَقِلَّة مَعرفَة بِحَقِيقة مَذْهبهُم، وَمِنْ عِلم مَنْزلَة هَذَا الرَّجل عِندَ الشِّيعَة، وَبَرَاءتهُم مِنْهُ وَمِنْ أَقوَاله وَأَعمَاله، وَكَلاَم عُلمَائهم فِي الطَّعن فِيهِ بِلاَ خِلاَف بَيْنهُم عِلْم مَبلغ هَذَا القَول مِنْ الصَّوَاب... أَنَّ مُحَمَّد كُرد عَليّ لَيْس مِنْ الشِّيعَة، وَلاَ مِنْ أَنْصَارهم غَير أَنَّه رَأىٰ أَنَّ مِنْ الأَمَانة أبدَاء هَذِه الحَقِيقَة، نَاصعَة دُون أَنْ يَشُوبهَا بِغَرض»[1].

وإِذَا كَان مَعْنَىٰ التَّشيُّع هُو الإِيمَان بوجُود النَّص مِنْ النَّبيّ عَلىٰ عَليّ كَمَا أَسلَفنا فَمِن الطَّبِيعي أَنْ يَبْتَدىء تَأرِيخ التَّشيُّع مِنْ حِين النُّطق بِهذَا النَّص[2].

قُعُود الإِمَام عَن حَقّه:

وَهُنا سُؤال يَفْرض نَفْسه: إِذَا كَان الإِمَام هُو الخَلِيفَة بِالنَّص الثَّابت، فَلِمَاذَا لَمْ يُطَالب الإِمَام بِالخِلاَفَة حِين تَولاَّها أَبُو بَكْر بَعْد الرَّسُول؟!.

وَقَدْ تَردد هَذَا السُّؤال، وَتَكرر مُنْذ عَهْد الإِمَام حَتَّىٰ اليَوْم، بَل سُئل عَن ذَلِكَ الإِمَام بِالذَات، وفِيمَا يَلِي نَنْقُل مَا أَجَاب بِهِ الإِمَام، وَمَا قَاله بَعْض البَاحِثِين، وَمَا ٱسْتَنتجنَاه نَحنُ مِنْ مَنْطق الحَوَادِث. وَإِلَيك مُلَخص الأَجوبَة:

١ ـ قَالَ الإِمَام مُجِيباً عَن هَذَا السُّؤال: «وَاللهِ مَا مَنَعَني الجُبْن، وَلاَ كَرَاهِيَة

---

(١) أُنظر، خُطَط الشَّام: ٥ / ٢٥٢ ـ ٢٥٦.

(٢) أُنظر، تَأرِيخ الشِّيعَة: ٨ ـ ٩، فِرق الشِّيعَة: ٣٦، إِثبَات الوَصِية: ١٢١ طَبْعَة النَّجف. وَتَحقِيق: مُحَمَّد أبن يَحْيَىٰ سَالم عزَان، صَنعَاء دَار التُّراث اليَمَني، مَقَالاَت الإِسلاَمِيين: ١ / ٦٥ طَبْعَة مَصْر، المِلل وَالنِّحل: ١ / ١٣١، الفَصْل فِي المِلل وَالأَهوَاء وَالنِّحل لاِبْن حَزم الظَّاهري: ٢ / ١١٣ طَبْعَة بَغدَاد.

المَوت، وَلَكنْ مَنَعنِي عَهْد أَخي رَسُول الله، إذْ قَالَ: يَا أَبا الحَسن إنَّ الأُمَّة سَتَغدُر بك، وَتَنْقض فِيكَ عَهْدي، وَأَنْت مِنّي بِمَنزلَة هَارُون مِنْ مُوسىٰ. فَقُلْتُ: مَاذَا تَعهد إلَيَّ يَا رَسُول الله إذَا كَان ذَلِكَ؟ فَقَال: إنْ وَجَدت أَعوَاناً فَبَادر إلَيهم، وَجَاهدهُم، وإنْ لَمْ تَجد أَعوَاناً فَكُف يَدك، وَٱحقن دَمك، حَتَّىٰ تَلحَق بِي مَظلُوماً[1]. ثُمَّ قَالَ: إنَّ لِي أُسوَة بِسَبعَة أَنْبيَاء:

أَوَّلهُم: نُوح، إذْ قَالَ: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾[2].

وَالثَّانِي: إبرَاهيم الخَلِيل، حَيْث قَالَ: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[3].

وَالثَّالِث: ٱبْن خَالَته لُوط الَّذي قَالَ لقَومه: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[4].

وَالرَّابِع: يُوسُف، إذْ قَالَ: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾[5].

وَالخَامِس: مُوسىٰ حَيْث قَالَ: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾[6].

وَالسَّادِس: هَارُون الَّذي قَالَ: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾[7].

---

(١) أُنظر، المُسْتَرشد فِي الإمَامة: ٣٦٣، مُسْتَدرك الحَاكم: ٣/ ١٤٢، تَأريخ بَغدَاد: ١١/ ٢١٦، نَهج الإيمَان: ٥٧٩، الإحتجَاج: ١/ ٢٧٩، الفَضَائل لِابن شَاذَان: ١٢٩.

(٢) ٱلْقَمَر: ١٠.

(٣) مَريَم: ٤٨.

(٤) هُود: ٨٠.

(٥) يُونُس: ٣٣.

(٦) الشُّعرَاء: ٢١.

(٧) ٱلأَعْرَاف: ١٥٠.

وَالسَّابِع : مُحَمَّد لمَّا هَرَب مِنْ المُشْرِكين إِلَىٰ الغَار.

وقَالَ فِي الخُطْبَة الشَّقيقة. « وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُول بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَىٰ طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّىٰ يَلْقَىٰ رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَىٰ هَاتَا أَحْجَىٰ »[١].

وقِيلَ للإِمَام الرِّضَاؑ : «لِمَ لَمْ يُجَاهد عَليّ أعدَاءه خَمسَاً وَعشرِين سَنَة بَعْد رَسُول الله، ثُمَّ جَاهد فِي أَيَّام وَلاَيته ؟ فقَال: لأِنّه اقتَدىٰ بِرَسُول الله فِي تَركه جِهَاد المُشرِكِين بِمَكَّة بَعْد النُّبوَّة ثَلاَث عَشرَة سَنَة، وَبِالمَدِينَة تَسعَة عَشر شَهراً، وذَلِكَ لِقلّة أعوَانه عَلَيهم، وكَذَلِك تَرك عَليّ مُجَاهدة أعدَائه لقِلَّة أَعوَانه عَلَيهم »[٢].

وَنَحنُ إِذَا تَتَبعنَا آي الذِّكر الحَكِيم وَجَدنَاها عَلىٰ نَوْعَين:

نَوع يَأمُر النَّبيّ بِالصَّبر عَلىٰ الأَذىٰ، وَتَحمُل مَا يُعَانِيه مِنْ المُشرِكِين، كَقَوله تَعَالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[٣]... ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَايَقُولُونَ﴾[٤]... ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾[٥]... ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾[٦] وَغَيرها كَثِير.

وَنَوع يَأمُره بِالقتَال، كقَوله سُبحَانهُ: ﴿فَلَاتَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ

---

(١) أنظر، الخُطبَة الشّقشِقيّة: (٣).

(٢) أُنظر، عِلل الشَّرَائع: ١ / ١٤٨، وَسَائل الشِّيعَة: ١٥ / ٨٨ح ١، مُسْنَد الإِمَام الرِّضَا: ١ / ١١٥ح ٧٧.

(٣) النحل: ١٢٧.

(٤) طه: ١٢٩.

(٥) ٱلأَحْقَاف: ٣٥.

(٦) ٱلقَلَم: ٤٨.

ٱلْأَعْلَوْنَ﴾[1] ... ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾[2] ... ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾[3] إِلَىٰ غير ذَلِكَ.

خاَطب الله نَبِيّه بِآيَات الصَّبر حِين لَمْ يَكُن لهُ أعوَان، وَلاَ عِدَّة لَدَيه وَلاَ عَـدَد ولَيس مِنْ شَك أَنَّ الحِكمَة فِي مِثْل هَذِه الحَال تَسْتَدعي الصَّـبر وَالتَّـريُث؛ لأَنَّ المُقَاوَمة مَع الضَّعف تَنْتُج عَكس الغَرض، وَتَبعث العَدوّ عَلىٰ التَّمرد وَالضَّـراوَة. وَأَمر الله نَبِيّه بِإستعمَال العُنف يَوْم أَصبَح للنَّبيّ قوّة تُمَكنه مِنْ القَضَاء عَلىٰ العُنف وَقَطع دَابر المُفسدِين.

وَبِهَذا يَتَبيَّن أَنَّ الصَّبر يُحسن فِي بَعْض الحَالاَت لاَ فِي جَمِيعهَا، كَمَا تَبيَّن مكَان الخَطأ فِي قَوْل المُسْتَشرق المَجري الأَصل اليَـهُودي الدِّيـن «أَجـنَاس جُـولد تَسهِير»: «تَحول مُحمَّد مِنْ المُتَقَشف المُسْتَسلم الصَّابر ـ وَهُو فِـي مَكَّـة ـ إِلىٰ رَئِيس الدَّولة المُحَارب ـ وَهُو فِي المَدِينَة ـ وَقَوله: «فَمُنذ تَركه مَكَّة تَغير الزَّمن ولَمْ يَصر وَاجباً الإِعرَاض عَن المُشرِكِين. وَقَوله: «فَبعد أَنْ تَعَلق مُحَمَّد بِـالدَّار الآخرة أَنْتَقل إِلىٰ الأَمَاني الدُّنيَويَّة... وَهَذَا مَا طَبع تَأَرِيخ الإِسْلاَم بطَابع الدِّيـن الحَربي المُتنَاقض تَنَاقُضاً مُطلقاً مَع مَرحَلته الأُولىٰ»[4].

كَلاَّ، أَنَّ رِسَالة مُحَمَّد هِي هِي فِي جَمِيع المَرَاحل لاَ تَنَاقض فِيهَا وَلاَ مُنَافَاة،

---

(١) مُحَمَّد: ٣٥.

(٢) ٱلتَّوْبَة: ١٤.

(٣) مُحَمَّد: ٤.

(٤) أُنظر، فِي كتَاب العَقِيدة وَالشَّرِيعَة: ٢٦ ـ ٣١، طَبعَة: ١٩٤٦م.

تَأمر بِالصَّبر حَيْث لاَ سَبِيل إِلَىٰ سوَاه، وَلاَ مَجَال للقَضَاء عَلَىٰ الفَسَاد، وَتَنْهَىٰ عَنْهُ حَيْث يُمكن القَضَاء عَلَيه، تَمَاماً كَمَا لَو اشْتَهيت نَوعاً مِنْ الطَّعَام، وَكُنتَ عَاجزاً عَن ثَمَنه، فَيَجعل بِكَ الصَّبر عَنْهُ وَالتَّحمل، أَمَّا لَو مَلَكت الثَّمن فَالصَّبر شُحّ وَظُلم، وَهَكذا لَمْ يُحَارب مُحَمَّد فِي مَكَّة لعَدم الأَعوَان، وَحَارب فِي المَدِينَة لوجُودهِم.

٢ ـ أَنَّ النَّاس كَانُوا قَرِيبي العَهْد بِالْإِسْلاَم، وَأَكثرهُم أَو الكَثِير مِنْهُم لَمْ يَتمكَن الدِّين مِنْ نفُوسهِم، وَلَمْ يَسن للمُسْلِمِين بَعدُ مِنْ القوّة وَالمَنَاعة مَا يَصمدُون بِـهَا أَمَام الهَزَّات العَنِيفَة بخَاصَّة أَنَّ ثَورَات أَهْل الرِّدة قَدْ نَشَبت فِي أَنحَاء الجَـزِيرَة، وأَنَّ النَّبيّ كَان قَدْ أَعدَّ حَمْلَة فِي مَرض مَوته عَلَىٰ الرُّوم الَّذِين كَانُوا يَتحفزُون هُم وَالفُرس للقَضَاء عَلَىٰ الدَّولة الْإِسْلاَمِيَّة النَّاشِئَة، فَلو ثَار الْإِمَام فِيمَن ثَـار عَـلىٰ الخِلاَفَة، وَالحَال هَـذِه، لتَشَـتت كَـلِمَة الْإِسْـلاَم والمُسْـلِمِين، وَذَهب رِيـحهم وَسُلطَانهم وَلمَا كَان للإِسْلاَم تِلْكَ العَظمَة وَالْإِنْتشَار، وَلِمَا رَفرَف عَلَمه فِي مَصْر، وَالعرَاق، وَالشَّام، وَفَارس فِي أَمدٍ قَصِير، وَمَا كَان الْإِمَام، وَهُو النَّاصح لدِين الله وَرَسُوله والَّذي جَاهد وَضَحىٰ بمَا ضَحّىٰ مِنْ أَجْله أَنْ يَكُون السَّبَب فِـي هَـدمِهِ وَتَقويض أَرْكَانه، لذَلِك سَكَت الْإِمَام، ولَمْ يُشْهر السِّلاح وَيُعلن الكِفَاح، تَمَاماً لَو كَان لَك دِين فِي ذِمَّة زَيد، وَامْتَنع عَن أَدَائه، وَأَنْت تَعلم أَنَّك لَو اسْتَعمَلت مَـعَهُ القوّة وَالشِّدة لجَرت الدِّمَاء أَنْهراً، فَتَسكت رَغبَة فِي الوئَام وَحُبّاً بِالسَّلاَم.

٣ ـ مَا أَشَار إِلَيه الأُسْتَاذ العَقاد بِقَوله: «آمَنْ عَليّ بِحَقّه فِي الخِلاَفَة، وَلَكِنْ أَرَادَه حَقّاً يَطْلبه النَّاس وَلاَ يَسْبقهُم إِلَىٰ طَلَبه»[1].

---

(١) أنظر، كتَابه «فَاطِمَة الزَّهرَاء»: ٥٦ طَبعَة دَار الهِلاَل. (مِنْهُ ﷺ).

وقَوْل العَقاد هَذَا غَير بَعِيد عَن زُهد الإِمَام القَائِل: «وَلأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ»[1]. وَقَدْ وَصَف بَعْض العَارِفِين إِعرَاض الإِمَام عَن الدُّنْـيَا بِقَول: «الدُّنْيَا أَهوَن عَلَيه مِنْ الرَّمَاد فِي يَوْم عَصَفت بِهِ الرِّيح، وَالمَـوت أَهـوَن عَلَيه مِنْ شُرب المَاء عَلَىٰ الظَّمأ»[2].

٤ ـ قَدْ كَان بَيْنَ المُسْلِمِين أَعدَاء كَثِيرُون للإِمَـام مِـنْ الَّـذِين قَـتل آبَـاءهم وإِخوَانهُم وَأَقربَاءهُم عَلىٰ الشِّرك. فَلو قَام الإِمَام بِالسَّيف لتَذرعُوا كِـذبَاً وَنِـفَاقاً بِأَنَّه شقَّ عصَا المُسْلِمِين، ولقَاومُوه مُتسَترِين بِاَسم الدِّين، وَمَا كَان الإِمَام ليُوجد لهُم السَّبيل إِلَىٰ نَفْسه، وَهُو القَائِل: «وَاللهِ إِنَّ اَمْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَـفْسِهِ يَـعْرُقُ لَحْمَهُ، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ، وَيَفْرِي جِلْدَهُ، لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ، ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ»[3].

٥ ـ كَان للإِمَام حُسَّاد كَمَا كَان لهُ أَعدَاء. قِيلَ للخَلِيل بـن أَحـمَد: مَـا بَـال أَصحَاب رَسُول الله كَأَنَّهُم بَنُو أُمّ وَاحدة، وعَليّ بَيْنَهُم كَأَنّـه اَبْـن عَـلَّة؟ ـ أَبْـنَاء العَلاَّت هُم الأُخوة مِنْ أَب وَاحد. وَأُمَّهَات شَتىٰ ـ.

فقَال: تَقَدَّمهُم إِسلاَماً، وَبَذَّهُم شَرفاً، وَفَاقهُم عِلماً، وَرَجحهُم حِلماً، وَكثرهُم هُدىٰ فَحسدُوه، والنَّاس عَلىٰ أَشكَالهُم وَأَمثَالهُم أَميَل»... وَقِيلَ: لمَسْـلَمة بـن نَمِيل: كَيف تَرَك النَّاس عَليَّاً، وَلَهُ فِي كلّ خَير ضِرس قَاطع؟ فَـقَال: لأَنَّ ضَـوء

(١) أنظر، الخُطْبَة الشَّقشِقِيَّة: «٣».

(٢) أنظر، شَرْح النَّهج لإبْن أبِي الحَدِيد: ٣/٢٠٦، وَقْعَة صِفِّين: ١٦٤.

(٣) أنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطْبَة (٣٤).

عُيونَهُم قَصُر عَن نُورَه »[١].

وقَالَ الصَّحَابي الجَلِيل أَبو الهَيثم بن التَّيهان للإِمَام: « أَنَّ حَسَد قُرَيْش إِيَّـاك عَلىٰ وَجهِين: أَمَّا خيَارهُم فَتمنُّوا أَنْ يَكُونوا مِثلك مُنَافسة فِـي المَـلأ وَارتـفَاع الدَّرجة، وأَمَّا شرَارهُم فَحَسدُوا حَسداً أَثْقَل القُلوب، وَأَحْبَط الأَعْمَال، ذَلِكَ أَنَّهُم رَأوا عَلَيك نِعْمة قَدَّمها إِلَيك الحَظ، وَأَخرهُم عَنْهَا الحِرمَان، فَلَم يَرضُوا أَنْ يَلحقُوا حتَّىٰ طَلبوا أَنْ يَسْبقُوك، فَبَعُدت والله عَلَيهم الغَـاية، وَقُـطعَت المِـضمَار، فَـلَمَّا تَقَدَّمتهُم بِالسَّبق، وَعَجزوا عَن اللُّحاق بَلغوا مِنْك مَـا رَأيت، وَكُـنت والله أَحـقّ قُرَيْش بِشُكر قُرَيْش، نَصَرت نَبيَّهُم حيَّاً، وَقَضَيت عَنْهُ الحقُوق مَيتاً، وَالله مَا بَغيهم إِلاَّ عَلىٰ أَنْفسهِم، وَمَا نَكثوا إِلَىٰ بَيعَة الله، يَـد الله فَـوق أَيـدِيهم، وَنَـحنُ مـعَاشر الأَنْصَار أَيدِينا وَأَلسنَتنا مَعك، فَأَيـدينَا عَـلىٰ مَـنْ شَـهد، وَأَلسَـنتنا عَـلىٰ مَـنْ غَاب »[٢].

وإِذَا كَان المُسْلمُون ـ كَمَا رَأيت ـ بَيْنَ عَدوّ مَوتُور، وَحَـاسد مَـقهُور، فَـبِمَن يُحَارب؟! وعَلىٰ مَنْ يَعْتَمد؟! بخَاصَّة أَنَّ أَبا بَكْـر وَمِـنْ مَـعَهُ أَظْـهرُوا الشِّـدة، وَاستعمَلُوا القُوّة فِي أَخذ البَيْعَة لأَبي بَكْر. قَالَ ابْن أَبِي الحَدِيد: كَان أَبُـو بَكْـر، وَعُمَر، وأَبُو عُبيدَة، وَجَمَاعَة مِنْ الأَصْحَاب لاَ يَمرُون بِأَحدٍ إِلاَّ خَبطُوه، وَقَدَّموه فَمدُوا يَده فَمسحُوها عَلىٰ يَد أَبي بَكْر يُبَايعه شَاء ذَلِكَ أَو أَبىٰ »[٣].

وقَالَ عَليّ عَبدالرَّزاق: « أَنَّ بَيْعَة أَبي بَكْر سِيَاسِية مَلكِية، عَلَيهَا طوَابع الدَّولَة

---

(١) أنظر، منَاقب آل أَبي طَالب: ٣ / ١٥.

(٢) أُنظر، شوَاهد التّنزيل: ١ / ١٨٦ ح ١٩٨.

(٣) أُنظر، ابْن أَبِي الحَدِيد فِي شَرح النَّهج: ١ / ٧٣. (مِنْهُ‌ﷺ).

المِحدثة ، وَإِنَّها إِنَّما قَامت كَمَا تَقوم الحكُومَات عَلىٰ أَسَاس القوّة وَالسَّيف »[١].

وَلمَّا تَأكدُوا مِنْ أَنَّ الإِمَام لاَ يُقَاتل بحَال خَيَّرُوه بَيْنَ القِتَال وبَيْنَ المُبَايعَة ، فَبَايع مُكرَهاً دَفعاً لأَخْطر الضَّرَرين[٢].

---

(١) أُنظر ، « الإِسْلاَم وَأُصُول الحُكْم » . (مِنْهُ ﷺ) .

(٢) وَقَد رَوىٰ كَثِير مِن أَئِمَّة الزَّيدِيَّة بِالإِضَافة إِلىٰ الإِمَامِيَّة ـ أَنَّ عَلِيّاً ﷺ ، لَمْ يُبَايع أَبَا بَكْر قَطّ .

أُنظر ، الإِصْبَاح عَلىٰ المصبَاح فِي مَعرفَة المَلك الفَتَّاح : ١٦٨ . وَنَقُول لَم يُبَايع الإِمَام ﷺ ؛ وَذلك مِن خِلاَل أَدلة كَثِيرَة مِنْهَا : المُنَاظرَة الَّتي رَوَاها الطَّبري .

جَرَتْ مُنَاظرَة بَيْن العَلاَّمَة الأُصُولي المحقّق أَحْمَد بن مُوسىٰ الطَّبري المُكنىٰ بَأَبي الحُسَيْن الزَّيدِيّ (٢٦٨ ـ ٣٤٠ هـ) ، وَبَيْن رَجُل مِن كبَار أَهْل صَنْعَاء جَاء فِيهَا : (... قُلتُ لهُ : وَتَقول إِنَّ عَلياً بَايَعهُم ـ أَبُو بَكْر ، وَعُمر ، وَعُثْمان ـ قَال : نَعَم . قُلت : فَقَولك هَذَا يُخرج عَلياً مِن الإِسْلاَم : قَالَ : كَيف ؟

قُلتُ : لأَنَّك تَقول : إِنَّه بَايَعهُم ، ثُمَّ نَكثَ بَيْعَتهُم وَخذلهُم ، وَالنَّاكث وَالخَاذل فِي النَّار ، لأَنَّك تَعْلم أَنَّ المُهَاجرين قَالُوا لعُثْمان : أَعْتَزل وَإِلاَّ قَتلنَاك ، فَكرِه الإِعتزَال فحَاصَرُوه فِي دَارِه أَرْبَعِين يَوْماً ، فَلَمَّا أَبىٰ أَنْ يَعْتَزل قَتلُوه وَطرَحُوه عَلىٰ مَزْبَلة ، فَجعَل الصِّبيَان يَجرُونه وَيَقُولُون :

أَبَـا عُـمرٍ أَبَـا عُـمرِ رَمَـاك الله بِـالجَمرِ
فَـمَا يَـنفَعك المَـال إِذَا دُلِّـيتَ فِـي القَـبْرِ

وَعَليٌ يَومَئذٍ حَاضر المَدِينَة لَمْ يَقْتلهُ وَلَم يَنْصرهُ ، فَوقُوفه عَن نَصرهِ يَدلُّ عَلىٰ أَنَّه لَمْ يُبَايعهُ ؛ لأَنَّه ﷺ قَد كَان يَقرَأ هَذِه الآيَة مِن كتَاب الله عزَّ وَجلَّ حَيث يَقُول : ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ . ٱلْأَنفَال : ٧٢ . وَيَقُول : ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ . ٱلْقَصَص : ١٩ .

أَلاَ تَرىٰ أَنَّ مُوسىٰ ﷺ ، نَصَر ذَلِكَ الرَّجل الإِسرَائِيلي عَلىٰ القِبطي إِذ كَان عَدُوّهما وَعَدُوّ الله وَاحداً ، كمَا قَال تَعَالىٰ لأُمّ مُوسىٰ : ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ ، سُورَة طه : ٣٩ . فَلَو أَنَّ عَدُوّ عَليّ بـن أَبـي طَالب ﷺ وَعَدُوّ عُثْمان أَو عَدُوّ قَاتله وَاحدٌ لَنَصرَهُ أَو إِيَّاهُم ، فَلَمَّا أَعْتَزل عَن الفَرِيقين صَحّ أَنَّ القَاتل وَالمَقتُول غَير مُصِيبَين بَل هُم ظَالمُون لأَنْفسِهم ، إِذ أَدبرُوا عَمّن أَوجب الله طَاعَته عَلَيهم ؛ لأَنَّه مَن خَرَج مِن طَاعَة أُولي الأَمر فَقَد خَرَج مِن طَاعَة خَالقه .

وَقَد قَالَ عَليّ ﷺ ، لمَّا بَلَغهُ قَتْل عُثْمان : مَا سَاءَني . قُلتُ : فَقَولك هَذَا مِمَّا يَدحَض حُجَتك وَيَدل أَنَّه

↩

كيف نما التشيع؟

أنّ جذور التّشيُّع تمتد إلى عهد الرّسول، أي أنّ جماعة من الأصحاب كانوا يرون عليّاً أحق بالخلافة من سواه ـ كما أسلفنا ـ وحين بويع أبو بكر امتنع عليّ

↔ لم يبايعه.

قال: ثمّ قلتُ: وهذا عمر بن الخطّاب قتله أبو لؤلؤة، فلم يطلبهُ عليٌّ بدمه كما طلب عُبيد الله بن عمر بدم الهرمُزان الفارسي حتّى هرب منه إلى معاوية، فلم يزل عليّ يطلبه حتّى قتله بصفّين في عسكر معاوية.

ثمّ أنت تعلم أنّ الأمّة مجمعة على قول النبيّ ﷺ: «إنّ الله يغضب لغضب فاطمة». أنظر، المناقب لابن المغازلي: ٢٢٠، الصّواعق المحرقة: ١٧٥، وبلفظ: (إنّما فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها) صحيح مسلم: ٤/١٩٠٣ ح ٢٤٤٩، وبلفظ: (فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني) صحيح البخاري: ٣/١٣٦١ ح ٣٥١٠ و ٣٥٥٦، الخصائص للنسائي: ٣٥، كنز العمّال: ١٢/١٠٨ ح ٣٤٢٢٢. وإنّها بضعة منّي يريبني ما يريبها. (كنوز الحقائق: ١٠٣، كنز العمّال: ١٢/١٠٨، صحيح البخاري: ٤/٢١٠). ومنها أشم رائحة الجنّة. (الجامع الصغير: ٦٢٩ ح ٤٠٨٨، كنز العمّال: ١٢/١٤٣، و: ٦/٢١٩ ح ٣٨٥٣، جامع مناقب النّساء: ح ٣٤٤٠٤. وسيّدة نساء العالمين. (الجامع الصّغير: ٦٢٩ ح ٤٠٨٨، كنز العمّال: ١٢/١٤٣ و: ٦/٢١٩ ح ٣٨٥٣، جامع مناقب النّساء: ح ٣٤٤٠٤. وسيّدة نساء هذه الأمّة. (الجامع الصّغير: ١/٥٩٠ ح ٣٨٢٢ بلفظ «الجنّة» بدل «الأمّة»، ذخائر العقبى: ٤٣، صحيح البخاري: ٤/٦٤). وأنّها ماتت وهي غضبى على أبي بكر، وعلى من عاونه على قطع ميراثها من أبيها، وانتزع فدك من يدها، أنظر، صحيح البخاري: ١٢/٧، صحيح مسلم كتاب الجهاد رقم «٥١ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٦»، مسند أحمد: ١/٤ و ٦. ليس أحد يشك في ذلك من أمّة محمّد ٩. والحديث المشهور عن العلماء أنّ عثمان حجّ ذات سنة بالنّاس، فلمّا صار إلى منى أذّن المؤذن للظهر فلم يظهر عثمان، فقال النّاس لعليّ: يا أبا الحسن، صلِّ بنا، فقال لهم عليّ ٧: «إن أحببتم صلّيت بكم صلاة رسول الله ﷺ». أنظر، أمالي الإمام أحمد بن عيسى: ٢/٣٧٠ الطّبعة الأولى. فأبوا عليه فتركهم، فهذا يدل على أنّه لم يبايعهم، ولم يعتقد بصلاتهم...). انتهى. أنظر، مجالس الطّبري، العلاّمة الأصولي المحقّق أحمد بن موسى الطّبري (٢٦٨ ـ ٣٤٠ هـ)، تحقيق: عبدالله بن حمود العزيّ: ٧٧ وما بعدها.

وَمَنْ مَعَهُ عَن البَيْعَة فِي بَدْء الأَمْر ، وَلَكنَّهُم ٱلتَزموا السَّكِينَة وَالهدُوء ، للـمُحَافظَة عَلىٰ الإِسْلاَم وَالصَّالح العَام . هَذَا إِلَىٰ أَنَّه لَيْس فِي سِيرَة الشَّيخين أَبي بَكْر ، وَعُمَر مَا يَبْعَث عَلىٰ النّقمَة وَالإِستِيَاء ، وَيَدعُو إِلَىٰ الثَّورة ، فَلَقد سَلكا طَـرِيق الزُّهـد ـ قِيَاسَاً إِلَىٰ مَسْلَك عُثْمَان ـ ، وَعَمِلا عَلىٰ ٱنتشَار الإِسلاَم ، ولَـمْ يُـؤثرَا الأَقَـارب وَالأرحَام ، كَمَا فَعل عُثْمَان ، وَمَنْ جَاء بَعْده مِنْ الأُمَويين وَالعبَّاسِيين ، إِذَن بِـمَاذا يَحتج لدَىٰ الجمهُور مِنْ يُعَارض وَيُقَاوم ؟ .

أَنَّ الَّذِين يُعَارضُون الحَاكِم فِي كلّ زَمَان وَمكَان لاَ يَدخلُون مَع الحَاكِم فِـي نزَاع مَكشُوف مِنْ أَجْل الوِلاَيَة والسُّلطَان ، وَإِنّما يَضفُون عَـلىٰ نـزَاعـهِم ثَـوب الإِصلاَح ، وَرعَاية حقُوق النَّاس الَّتي أَضَاعهَا الحَاكِم ، وَالشَّيخَان لَمْ يَدعا مَنْفَذاً لأَحد مِنْ هَذِه الجِهَة ، لِذَلِك لَمْ تَظْهر نَزعَة التَّشيُّع فِي عَصرهُما ، ولَمْ يَنْتَشر المَبدَأ كَمَا ظَهَر وَٱنْتَشر فِيمَا بَعْد ، فَلَقد ظَهر وَاضحاً جَليَّاً فِي عَصر عُثْمَان الَّذي كَثُرت عَلَيه المَآخذ وَالمَطَاعن حَتَّىٰ أُودَت بحَيَاته ، ثُمَّ ٱشتَدت نَزعَة التَّشيُّع وَٱنْتَشَرت أَكثَر فَأَكثَر لمَّا ٱشتَدت مَظَالم الحَاكمِين مِنْ الأُمَويين والعبَّاسيين وغَيْرِهم ، وكُلَّما أَمعَن حَاكم فِي الجَور كُلَّما ٱنْتَشر مَذْهَب التَّشيُّع لأَهل البَيْت ، والإِيمَان بِحَقِّهم فِي الخِلاَفَة ، وَجَاهرُوا بِهذَا الحَقّ ، وَسَنُفَصل ذَلِكَ فِي البحُوث الآتِية إِنْ شَاء الله .

شرُوط الإمَام عليه السلام :

قَدَّمنا أَنَّ التَّشيُّع هُو الإِيمَان بوجُود النَّص مِنْ النَّبيّ عَلىٰ عَليّ ، وكَان مِنْ نَتِيجَة ذَلِكَ أَنْ ٱتَّخذ الشِّيعَة مِنْ صفَات عَليّ شُرُوطاً أَسَاسيَة للإِمَامة يَجب أَنْ يَتصف بِهَا كلّ مَنْ يَتولىٰ الخِلاَفَة بَعْد الرَّسُول ؛ وعَليّ لَمْ يَسْجُد لصَنم قَطّ : ولَمْ يُشرك بـالله

طرفة عين، ولم تصدر عنه خطيئة في حياته كلّها لا عمداً ولا سهواً. فخليفة الرّسول يجب أن يكون كذلك، تماماً كالأنبياء في وجوب العصمة عن جميع الفواحش والقبائح من الصّغر إلى الموت. ومن أدلتهم أنّ الأئمّة هم حفظة الشّرع والقوّامون به كالأنبياء؛ فلو جازت عليهم المعصية انتفت الفوائد من وجودهم، وأنّ الله سبحانه قال: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1]. فقد دلت الآية أنّ عهد الله، وهو الإمامة، لا يكون لمن ظلم وعصى الله في حياته ولو مرّة واحدة.

وأيضاً عليّ أفضل الصّحابة فيجب أن يكون الإمام أفضل من رعيته في جميع صفات الكمال والجلال؛ لأنّ الأعلم الأتقى لا يجوز أن ينقاد لمن هو دونه علماً وتقى، وبهذا جاء القرآن الكريم: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[2].

وهذه الصّفات الّتي يشترطها الشّيعة في الإمام لو تتوافر في واحد ممّن تولى الخلافة غير الإمام عليّ وولده الحسن بخاصّة من جاء بعدهما، فمن الطّبيعي إذن أن لا يعترفوا بإمامة أي حاكم غير عليّ وأبنائه[3] وأن ينظروا إليه نظرهم إلى من غصب أهل البيت حقّهم الإلهي، ودفعهم عن مقامهم، ومراتبهم الّتي رتّبهم الله فيها؛ وكان الحاكم بدوره يرى في الشّيعة العدوّ اللّدود، والحزب المعارض

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) يونس: ٣٥.

(٣) يعتقد الإماميّة أنّ أئمّة الحقّ هم عليّ وأولاده من فاطمة، وأنّ كلّ إمام نصّ على خلفه، وبهذا ينتهي النّص إلى النّبيّ الّذي نصّ على وصيّه وخليفته الأوّل. (منه ﷺ).

لحُكمه، حَتَّىٰ وَلَو ٱلتزموا السّكُون وَالهدُوء مَا دَاموا يَـعْتقدُون بِأَنَّ غَـيْرَه أَحـقّ وَأَولىٰ. فَمَبدأ التَّشيُّع لاَ يَنْفَصل بحَال عَن مُعَارضة الحَاكِم إِذَا لَـمْ تَـتوَافـر فِـيهِ الشُّرُوط، وهِي النَّص، وَالحِكْـمَة، وَالأَفْـضلِيَّة، وَمِـنْ هُـنا لاَقـىٰ الشِّـيعَة مِـنْ الحَاكِمين فِي كلّ دَور صنُوف الإِضطهَاد، والتَّنْكِيل، وَالحِرمَان. وَمِنْ هُنا كَـانُوا يُمثلُون الحِزب المُعَارض دِيناً وَإِيمَاناً.

طَاعة الحَاكِم الجَائِر:

ذَكر عُلْمَاء السُّنَّة فِي كُتب الفِقْه وَالعَقَائِد هَذِه المَسْأَلة: «هَـل تَـجب طَـاعَة الحَاكِم الفَاسق الجَائِر أُو لاَ؟».

قَالَ ٱبْن حَنْبل، وَالشَّافِعِي، وَمَالك: «يَجْب الصَّبر عِند جَور الحَـاكِـم»[1].

وجَاء فِي آخر الجُزْء الثَّامِن مِنْ كتَاب المَوَاقف وَشَرحه: «أَنَّ المُرجِئَة قَالُوا: لاَ يَضر مَع الإِيمَان مَعْصِية، كَمَا لاَ يَنْفَع مَع الكُفْر طَاعَة؛ وَذَهَبت بَعْض فِرقَهُم إِلَىٰ أَنَّ الإِيمَان هُو المِعَرفَة باللهِ وَالخضُوع لهُ، وَالمَحبَّة بِالقَلب، فَمَن ٱجْتَمعَت فِيهِ هَـذِه الصِّفَات فهُو مُؤْمِن لاَ يَضره تَرك الطَّـاعَات، وَٱرتكَـاب المـعَاصي وَلاَ يُـعَاقب عَلَيهَا»[2].

---

(١) أُنظر، المَذَاهِب الإِسْلاَمِيّة، الشّيخ مُحَمَّد أَبُو زُهرَة: ١٥٥ الطَبْعَة النّمُوذَجِية. (مِنْهُ). أُنظر، مَتن شَرْح العَقِيدة الطَّحَاوية: ٣٧٩، شَرْح العَقَائِد النّسفِيّة: ١٨٥، مَقَالاَت الإِسلاَمِيين: ٣٢٣، وَأُصـول الدِّين للبَزدوي: ١٩٠، مُغني المحتَاج فِي شَرح أَلفَاظ المِنهَاج: ٤/ ١٢٣، وَالنّووي فِي شَرحَه عَلىٰ صَحِيح مُسلم: ١٢/ ٢٢٩، مَآثر الإِنَافَة: ١/ ٦٦.

(٢) أُنظر، أُنظر، المَوَاقف فِي عِلم الكَلاَم: ٣٩٥، وَشَرْح المَوَاقف للجُرْجَاني: ٨/ ٣٤٦، الطَّـبعَة الأُولىٰ ↔

وَزَعمُوا أَنَّ الخرُوج عَلىٰ الحَاكِم المُسْتَخف بِدِين الله الجَائر عَلىٰ عبَاد الله حَرَام مُسْتَدلِين بِأَنَّ فِي الخرُوج تفرِيقاً لكَلمَة المُسْلمِين، وَٱسْتَبدَال الخَوف بِالأَمن؛ وَبِمَا رَوَاه أَبُو بَكْر عَن الرَّسُول: «سَتكُون فِتَن القَاعد فِيهَا خَير مِنْ المَاشي، والمَاشي فِيهَا خَير مِنْ السَّاعي أَلاَ فَإِذَا نَزلت أَو وَقَعت، فمَن كَان لهُ إِبل فَليَلحق بِإِبله، وَمَنْ كَان لهُ غَنْم فَليَلحق بِغَنمه، وَمَنْ كَان لِهِ أَرْض فَليَلحق بِأَرْضه. فَقَال رَجُل: يَا رَسُول الله مَنْ لَمْ يَكُن لهُ إِبل وَلاَ غَنْم وَلاَ أَرْض؟ قَالَ: يَعمد إِلَىٰ سَيْفه فَيَدق عَلىٰ حَده بِحَجر»[(١)].

وَقَدْ جَاء هَذَا الحَدِيث وَمَا إِلَيه، وتِلْكَ الأَقوَال وَأَمثَالهَا كَمَا يَشَاء الحَاكمُون الَّذِين وجدُوا قَدِيماً وَحَدِيثاً فُقهَاء يَفتُونهُم بمَا يُرِيدُون، وَيَضعُون الأَحَادِيث، وَيُفسرُون القُرآن بمَا يَصون مصَالح الظَّالم الغَاشم. وَنَقل أَبُو زُهرَة عَن الصَّحِيحَين البُخاري أَنَّ رَسُول الله قَالَ: «مَنْ وِلِّي عَلَيه وَالٍ فَرَآه يَأتِي شَيئاً مِنْ مَعْصِية الله فَلْيَكرَه مَا يَأتي مِنْ مَعْصِية وَلاَ يَنْزَعَن يَداً مِنْ طَاعَة»[(٢)]. هَذَا إِلَىٰ أَنَّ الأَشَاعرَة يَقُولون بِأَنَّ الإِنْسَان مُسيَّر غَير مُخيَّر وأَنَّ جَمِيع أَفعَاله بقَضَاء الله وَقَدْره[(٣)].

أَمَّا عُلْمَاء الإِمَامِيَّة فَقَد جَاءت أَقوَالهُم وَأَحَاديثهُم عَلىٰ العَكس حَيْث ٱعتَبرُوا

↩ مَصر ١٩٠٧م، فَضل الإِعتزَال وَطبقَات المُعْتَزِلَة: ٢٢٨ و ٢٣٩، المُنيَّة وَالأَمل فِي شَرْح المِلل وَالنِّحل، أَحْمَد أَبن يَحْيَىٰ المُرْتَضىٰ: ١٣٢، وكَذَلِك ١٤٢، وَتَأرِيخ اليَمَن الثَّقَافِي: ٢ / ١٤٢، الحَدَائِق الوَردِيَّة فِي مَنَاقِب الأَئِمَّة الزَّيدِيَّة: ١ / ١٤٣.

(١) أُنظر، صَحِيح مُسْلم: ٨ / ١٦٩، مُسْنَد أَحمَد: ٥ / ٣٩، سُنَن أَبي دَاود: ٢ / ٣٠٣ ح ٤٢٥٦، السُّنن الكُبرىٰ: ٨ / ١٩٠، كَنز العُمَّال: ١١ / ١١٢ ح ٣٠٨٣٠، مُسْتَدرك الحَاكم: ٤ / ٤٤٠.

(٢) أُنظر، المَذَاهِب الإِسْلاَمِيَّة: ١٥٨. (مِنْهُ ﷺ).

(٣) تَقدَّم إِسْتخرَاج ذَلِكَ.

الإِنْسَان مُخيَّراً غير مُسيَّر، وَحَمّلُوه مَسؤوليّة أَعمَاله وَأَفعَاله؛ وعَلىٰ الرَّغم مِنْ أَنَّ الشِّيعَة أعتبرُوا الخِلاَفَة حَقّاً إِلهياً لِعَليّ وَلأَولاَده، فَقَد تَساهلُوا إِلَىٰ أَقْصىٰ الحدُود مَع الحَاكِم العَادل، وَفَضَّلوا غَير المُسْلم إِذَاكَان عَادلاً عَلىٰ المُسْلِم إِذَاكَان ظَالمَاً. فَقَد اشتُهر عَن ابْن طَاوس أَنَّه قَالَ: «الكَافر العَادل أَفضَل مِنْ المُسْلِم الجَائر»[1]. وَقَالَ العَلاَّمَة المَجْلسي فِي البحَار: «المُلك يَبْقىٰ مَع الكُفر وَلاَ يَبْقىٰ مَع الظُّلم»[2]. وقَالَ الشَّرِيف الرَّضي[3]:

يَا ابْن عَبدالعَزِيز لَو بَكَت العَـ ... ـين فَتَىً مِنْ أُمَيَّة لبَكَيتُك

وَجَاء عَن الإِمَام الصَّادقعليه السلام: «مَنْ أَرْضىٰ سُلطَاناً جَائِراً بِسَخط الله خَرَج مِنْ دِين الله»[4]. وقَالَ الإِمَام البَاقرعليه السلام: «لاَ دِين لمَن دَان بِطَاعة مَنْ عَصىٰ الله»[5]. وَقَالَ الإِمَام عَليّعليه السلام: «لَا طَاعَةَ لِمَخلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»[6].

وَأَفْتىٰ فُقهَاء الشِّيعَة بِأَنَّ أَي عَمَل، فِيهِ مَعُونة لظَالم بِجهَة مِنْ الجِهَات فهُو حرَام، وَكَبِيرة مِنْ الكَبَائِر؛ وكَان فِي عَهْد الرَّشِيد رَجُل مِنْ الشِّيعَة يُدعىٰ صَفوَان، وكَانَتْ لهُ جمَال يَكرِيهَا لهَارُون الرَّشِيد حِين يَذْهب إِلَىٰ مَكَّة للحَجّ، فَدَخل يَوْمَاً عَلىٰ الإِمَام مُوسىٰ بن جَعْفَر، فَقَال لهُ: «يَا صَفوَان كلّ شَيء مِنْك حَسَن جَمِيل مَا

(١) أُنظر، إِقبَال الأَعمَال لِابْن طَاووس: ١ / ٨٠، اليَقِين لابن طَاووس: ٦٥، تَأْرِيخ الفَخري: ١٣، الآدَاب السُلطَانِيّة: ١١، جَمَال الأُسبُوع لِابْن طَاووس: ٩.

(٢) أُنظر، بحَار الأَنوَار: ٧٢ / ٣٣١ ح ٦٣.

(٣) أُنظر، الدِّيوَان: ١٢٤، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٤ / ٦٠، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣ / ٢٣.

(٤) أُنظر، الكَافي: ٥ / ٦٣ ح ٢، تُحف العُقول: ٥٧، وَسَائِل الشِّيعَة: ١٦ / ١٥٣ ح ٤.

(٥) أُنظر، الكَافي: ٥ / ٣٧٣ ح ٤، المَحَاسن: ١ / ٥ ح ٩.

(٦) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الحِكْمَة (١٦٤).

خَلا شَيئاً وَاحداً. قَالَ: جُعْلتُ فدَاك أي شَيء؟ قَالَ: إكرَاؤك جِمَالك مِنْ هَارُون. قَالَ: والله مَا أكرَيته أشرَاً وَلاَ بَطراً وَلاَ للصَّيد وَلاَ للَّهو، وَلَكن أكرَيته لطَريق مَكَّة، وَلاَ أتولاَه بِنَفسي، وَلَكن أبعث مَعَهُ غُلمَاني. فَقَال: يَا صَفوَان أيَقع كرَاؤك عَلَيهم؟ قَالَ: نَعْم جُعلتُ فدَاك. قَالَ: أتُحبّ بقَاؤهُم حَتَّىٰ يَخرج كرَاؤك؟ قَالَ: نَعْم. قَالَ: فَمَن أحَبّ بقَاءهُم فهُو مِنْهُم، وَمَنْ كَان مِنْهُم فهُو فِي النَّار. فَذَهب صَفوَان، وَبَاع جمَاله عَن آخرَها، فبلغ ذَلِكَ الرَّشِيد، فَدعَاه، وقَالَ لهُ: يَا صَفوَان بَلَغني أنَّك بِعْتَ جمَالك. قَالَ: نَعْم. قَالَ: ولِمَ؟ قَالَ: أنَا شَيخ، وَالغُلمَان لاَ يَفُون بِالأعمَال. قَالَ: هَيهَات، هَيهَات... أنّي لأعلم مَنْ أشَار عَلَيك بِذَلك، أشَار عَـلَيك مُـوسىٰ بـن جَعْفَر. قَالَ: مَالي، وَلمُوسىٰ بن جَعْفَر؟ قَالَ: دَع عَنْك هَـذَا، وَالله لَـولاَ حُـسن صُحْبتك لقَتَلتُك»[1].

وَكَتب المَنْصُور إلَىٰ الإمَام الصَّادقعليه السلام: «لِمَ لاَ تَغْشَانا كَمَا يَـغشَانا النَّـاس؟ فَأجَابه الإمَام: لَيْس لنَا مِنْ الدُّنْيا مَا نخَافُك عَلَيه، وَلاَ عِندَك مِنْ الآخرة مَا نَرجُوك بِه، وَلاَ أنْت فِي نِعْمَة فَنُهنِيك، وَلاَ فِي نِقْمة فَنُعزِيك. فَكَتب إلَيه المَنْصُور ثَـانِية: تَصحبنَا لتَنصَحنا. فَأجَابه الإمَام: مَنْ أرَاد الدُّنْيا لاَ يَنْصحك، وَمَنْ أرَاد الآخرة لاَ يَصحبك. فَقَال المَنْصُور: والله لَقَد مَيَّز عِندي منَازل النَّاس مَنْ يُرِيد الدُّنْيا مِـمَّن يُرِيد الآخرَة لاَ الدُّنْيا»[2].

وَأحَاديث الإمَامِيَّة فِي هَذَا البَاب لاَ يَبلغهَا الإحصَاء، وفِيهَا تَجد السّر لإبتعَاد

(١) أنظر، وَسَائل الشّيعَة: ١٢/١٣١ح ١٧، بحَار الأنوَار: ٧٢/٣٧٦ح ٣٠.

(٢) أنظر، مُسْتَدرك وَسَائل الشّيعَة: ١٢/٣٠٧ح ١، بحَار الأنـوَار: ٤٧/١٨٤ ح ٢٩، كَشف الغُـمَّة: ٢/٤٢٧.

كبّار العُلماء ومَراجع الدِّين فِي النَّجف عَن السِّيَاسة وَرجَال الحُكْم . فَلَقد تَوَارثُوا ذَلِكَ خَلفاً عَن سَلف عَن الأَئِمَّة الأَطهَار .

قَاطَع المُخلصُون مِنْ عُلَمَاء الإِمَامِيَّة الحَاكمِين ، وَأَفتُوا بِتَحرِيم العَمَل عِندَهُم ، ولَمْ يَسْتَثنُوا إِلاَّ مَا فِيهِ نَفع للمُؤمِنِين ، وَدَفع الحَيف وَالظُّلم عَن المَظلُومِين ، ولَمْ يَكْتفُوا بِذَلكَ ، بَل أَفتُوا بِأَشيَاء تَتصل مُبَاشرَة بِأَعمَال الحَاكِم ، فَلقد اشتَرطوا العَدَالة فِي إِمَام الجمُعَة وَالجمَاعة ، وكَان الحَاكِم - فِي الغَالب - يَؤم النَّاس فِي الصَّلاَة ، وَلاَزم هَذَا الشَّرط أَنَّ صَلاَة المُؤتَمِين بِهِ بَاطِلة لاَ يَتقَبلها الله ، مَع عِلْمِهُم بِفسق الإِمَام وجَوره ، هَذَا إِلَىٰ أَنَّ شَرط العَدَالة يُشعِر بِأَنَّ القِيَادة فِي كلّ شَيء لاَ تَصلح مَع الأَمَانَة والإِخلاَص . وَأَفتوا أَيضاً بِتَحرِيم الغِنَاء وَاستعمَال آلاَت الطَّرب ، وَالصَّيد للَّهو ، وَمَا إِلَىٰ ذَلِكَ مِمَّا كَان يَتعَاطَاه الحَاكمُون . وَبِهَذا يَتبَيَّن أَنَّ مَبدأ التَّشيُّع يُلاَزم الثَّورَة عَلىٰ الفَسَاد والظُّلم ، فَلاَ بدَع إِذا كَان اضطهَاد الشِّيعَة مِنْ الشُّغل الشَّاغل لكلّ حَاكِم جَائر .

الولاة وشيوخ السوء :

كَان الوِلاَة يَنهبُون الأَموَال ، وَيَستَعبدُون الأَحرَار ، وَيملَؤن السُّجُون بالأَبريَاء ، ويَعْمَلُون السَّيف فِي الرِّقَاب ، وَكَانُوا فِي الوَقت نَفْسه يَجدُون مِنْ شيُوخ السُّوء مِنْ يُبرر أَعمَالهُم ، وَيُخرجهَا عَلىٰ قوَاعد الدِّين وَأُصُول الشَّرِيعَة ؛ فَلقَد وَجد مُعَاوِيَة أَبَا هُرَيرَة ، وَسَمُرَة بن جُنْدُب يَضعَان الأَحَادِيث الكَاذبَة عَلىٰ لسَان الرَّسُول فِي مَدح مُعَاوِيَة ، وَالطَّعن عَلىٰ عَليّ ؛ كَمَا وَجَد وَلَده يَزِيد شَيخاً يَقُول : أَنَّ الحُسَيْن

قُتل بسيف جدّه[١]!... وقالَ الحسن البَصري (ت ١١٠ هـ): «تَجب طَاعَة مُلُوك بَني أُمَيَّة، وَإِنْ جَارُوا، وَإِنْ ظَلموا.. والله لمَا يَصْلُح بِهِم أَكثَر مِمَّا يُفْسدُون». وكَان مُلُوك بَني العَبَّاس أَغنىٰ الجَميع بِهَذا النَّوع مِنْ الشّيُوخ.

ثَار الشِّيعَة أَئِمَّتهُم وَفُقهَائِهم وَأُدبَاؤهُم عَلىٰ حُكَام الجَور، وَرَفضُوا التَّعَاون مَعَهُم عَلىٰ الإِثم، لأَنَّ عَقِيدة التَّشيُّع ثورَة بِطَبعهَا عَلىٰ البَاطِل، وَتَضحِية بِالحيَاة مِنْ أَجل الحَقّ، ولَيْس بِالمَعقُول أَنْ يَتجَاهل الحَاكمُون هَذِه العَقِيدَة فَاضطَهدُوا الشِّيعَة، وَنَكلُوا بِهم، وَطَارَدوهُم فِي كلّ مكَان، وَسَاوَموا شيُوخ السُّوء، وَتمَّ الإِتفَاق بَيْنَ الفَرِيقِين عَلىٰ أَنْ يَقتل أُولَئك المُؤْمِنِين المُخلصِين لله وَلرَسُوله وأَهْل البَيْت، وَيُبَارك هَؤلاء التَّقتِيل، وَيخرجُوه عَلىٰ أَسَاس مِنْ الدِّين المَزعُوم.

ولَيس غَريبَاً أَنْ يَبِيع شيُوخ السُّوء دِينهُم للشَّيطان، وأَنْ يُسطرُوا فِي كُتبِهِم تَكفِير الشِّيعَة، وَمرُوقهُم مِنْ الشَّرِيعَة، فَإِنَّ أَكثَر أَصْحَاب الصُّحف فِي العَصر، أَو الكَثِير مِنهُم، يَقبَضون وَيَنشرُون كَمَا يَشَاء الإِقطَاع والإِستعمَار، تَمَاماً كَمَا كَتب شيُوخ السُّوء للحَاكمِين مِنْ قَبل؛ لَيس ذَلِكَ بِغَرِيب، وَإِنّما غَرِيبَة الغَرَائب أَنْ يَثق كَاتب بِأَقوَال أُولَئك الشّيُوخ المَأجُورين، وَيَعتَمد عَلَيها، كَأَنَّها آي الذِّكر الحَكِيم... أَنَّ الكَثِير مِنْ المصَادر القَدِيمة الَّتي بَيْنَ أَيدِينا بِحَاجة إِلىٰ الدَّرس وَالتَّمحِيص، بخَاصَّة الَّتي تَتعرض للفِرق والمَذَاهِب، فَلقَد كَان للقُدمَاء غَايَات وَأَهوَاء، كَمَا لأَصحَاب هَذِه الصُّحف غَايَات وَأَهوَاء، فمَا كَان القِدَم فِي وَقتٍ مِنْ

(١) لَم تُوجد هَذِه الكَلمَة فِي تأرِيخ ابن خَلدُون المَوجُود الآن، وَكَأنّه ذَكَرها فِي النُّسخَة الَّتي رَجَع عَنْهَا كمَا قَال بَعْض المُؤرخِين. أنظر، الضَّوء اللاَّمع: ٤ / ١٤٧، فَيض القَدِير شَرح الجَامع الصَّغِير: ١ / ٢٦٥ ح ٢٨١ و: ٥ / ٣١٣ ح ٧١٦٣.

الأَوقَات سَبَباً للثِّقة بِسَند مِنْ الأَسَانِيد، أَو مُرجِحاً لبَيِّنَة عَلىٰ أُخرىٰ؛ فَعَلىٰ الكَاتب أَنْ لاَ يَتجَاهل هَذِه الحَقِيقَة إِذَا حَاول أَنْ يَكتُب عَن طَائِفَة مِنْ الطَّوَائف عَلَيه أَنْ يَعْتَمد عَلىٰ أَقوَالِهَا بِالذَات، والمَصَادر المعتبرة عِنْدَها.

الشّيعَة وأحْمَد أمِين:

ظَهر مِمَّا نَقلنَاه مِنْ مَذْهَب مَالِك، والشَّافِعِي، و أَحْمَد، والحَسن البَصرِي، وَالمُرجِئة أَنَّ جمهُور السُّنَّة يُوجبُون طَاعَة الحَاكِم الجَائر، وَالصَّبر عَلىٰ جَوره وَظُلمه، وَلاَ يُجيزُون الخرُوج عَلَيه، وأَنَّ الشِّيعَة يُوجبُون المُعَارضَة وَالثَّورَة عَلىٰ الفَسَاد والظُّلم، فَمَذهَب الشِّيعَة يُخَالف مَذْهَب التَّسَنُّن[1] فِي ذَلِكَ، وَيَقف كلّ مِنهُما مَوْقِف التَّضاد مِنْ الآخر؛ فَأَكثَر السُّنَّة يَرون الخرُوج عَلىٰ الحَاكِم الجَائر خرُوجاً عَلىٰ الدِّين والإِسْلاَم؛ والشِّيعَة يَرون الخرُوج عَلَيه مِنْ صَمِيم الدِّين والإِسْلاَم، وَالصَّبْر عَلىٰ الجَور خرُوجاً عَنْه، وَبِهَذا نَجد السِّر الأَوَّل وَالتَّفْسِير الصَّحِيح لقَول أَحْمَد أَمِين وغَيْرَه مِنْ السُّنَّة بِأَنَّ (التَّشيُّع كَان مَلجَأً لكلّ مَنْ أَرَاد هَدم الإِسْلاَم)؛ لأَنَّ الإِسْلاَم فِي مَنْطق أَحْمَد أَمِين وَأَسلاَفه يَتمَثّل فِي شَخص الحَاكِم جَائراًكَان أَو عَادلاً، فكلّ مَنْ عَارضَه أَو ثَار عَلَيه فَقَد خَرج عَلىٰ الإِسْلاَم. وَالجَائر فِي مَنطق الشِّيعَة هُو الخَارج عَلىٰ الإِسْلاَم وَشَرِيعَته؛ فَمَن ثَار عَلىٰ هَذَا الحَاكِم فَقَد أُخذ بِالدِّين، وَعَمِل بِالقُرآن وَسُنَّة الرَّسُول. وعَلىٰ هَذَا السَّبِيل فَلاَ نَعْجب إِذَا قَالَ أَحْمَد أَمِين أَنَّ الشِّيعَة هَدَّامُون. أَجَل، أَنَّهم هَدَّامُون،

(١) أنظر، المَذَاهِب الإِسْلاَمِيَّة لابي زُهرَة: ١٥٥ و ٢٩٩. (مِنْهُ).

وَلَكنْ لِلضلال وَالفَسَاد.

وَكَتب الأُسْتَاذ جُورج جَرداق صَفحَات طوَالاً فِي كتَابه (عَليّ وَالقَومِيَّة العَرَبيَّة» بِعُنوان (مَع الثَّائرِين) نَقْتَطف مِنْهَا مَا يَلي:

(كَان شِيعَة عَليّ يُمثلُون المُعَارضة للحكُومَات الأُمَويَة وَالعبَّاسِيَّة، وهِي حكُومَات ظَالمَة جَائِرَة تُوجب عَلىٰ مُعَارضِيها أَنْ يَمشوا فِي طَرِيق تُعادي الظُّلم وَالجَور، وَبِذَلك اكْتَسب التَّشيُّع لِعَليّ صِفَة الدّفَاع عَن المُضْطَهدِين وَالمُسْتَضعفِين. وَلشِيعَة عَليّ فِي تارِيخنا موَاقف ضِدّ الظُّلم بِأَنوَاعه جَميعاً، هِي الشَّرف كلّه، وهِي إِرَادَة عَليّ كلّها... أَمَّا مَواقفهُم مِنْ الفَسَاد فَتُنبيء عَنْهُ أَجيَال كَثِيرة مِنْ مُعَارضَة الحكُومَات الفَاسِدَة، والنُّظم الجَائِرَة، وَسِلسِلة طَوِيلة مِنْ حَلقَات النّظام الدَّامي.

وكَان الشِّيعَة يُفسرُون الدِّين تَفسِيراً يُخَالف مصَالح الطُّغَاة، وَيُلائم الشَّعب، فَإِذَا المُضْطَهدُون مِنْ العَرب، وَالموَالي، والمُسْلِمين، وأَهْل الذِّمة يَسيرُون ورَاء زُعمَاء الشِّيعَة مِنْ أَبْنَاء عَليّ... وعَلىٰ هَذَا أَيضاً كَان الشِّيعَة فِي تِلْكَ العصُور أَصْحَاب مَذْهَب ثَوري يُفسح المَجَال أَمَام المُجْتَهِدِين للإِنتقَال بِهِ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَال، وَيَأبىٰ الإِنكمَاش وَالجمُود. وَانْسَجمت ثَورَة هَذَا المَذْهَب مَع أَمَاني المُسْتَضعَفِين وَالمُضْطَهدِين، ومَع تَعَالِيم عَليّ بن طَالب، فَإِذَا بِعَلي عُنوَان هَؤلاَء المُسْتَضعَفِين.

وَإِنْ أَنْت أَحصَيت الثَّائرِين عَلىٰ المَظالم فِي العَهْد الأُمَوي والعَبَّاسي فِي الحِجَاز، والعِرَاق، وَالشَّام، وَفَارس، وَافْرِيقيَا وَغَيرها أَلقَيت عَليَّاً أَمَامهُم... وَإِنْ أَنتَ أَحصَيت غَايَات هَذِه الثَّورَات الَّتي زَلزَلت الشَّرق قرُوناً

طوَالاً وَقضَّت مضَاجع الطُّغَاة أَلفِيتهَا الغَايَات الإِجْتمَاعِيَّة الَّتي مِنْ أَجـلهَا كَـافح عَليّ، وَإليهَا دَعَا، وَفِي سَبِيلهَا أَستُشهد. وَهَكذا إِلتَـقىٰ فِـي حبّ عَـليّ بـعصُور الإِضطهَاد المُسْلِم، وَالمَسِيحي، وَالغَربي، وَالموَالي، وكلّ مَنْ هَاله أَنْ يَكُون رِزقَه مِنهُوباً وَحقَّه مَغصُوباً.

كَان عَليّ هُو العَلَم الَّذي إلتَقت حَوله الثَّائرُون، وكَان دُستُور عَـليّ أَبـدَاً مَـع الثَّائرِين، وكَان أَسم عَليّ يَترَدد عَلىٰ لسَان كلّ مَظلُوم، وَحِصناً يَـفزَع إِلَـيه كـلّ ضَعِيف؛ فمَا مِنْ طَالب إنصَاف فِي هَذَا التَّأرِيخ إلاَّ أَسم عَـليّ مَـلاَذه، وَمَـا مِـنْ غَاضب عَلىٰ ظَالم إلاَّ أَسم عَليّ دِرعَه؛ وَمَا مِنْ سَاخط عَلىٰ رَشوَة أَو فَسَـاد أَو جَور إِلاَّ لهُ مِنْ عَليّ حَافز عَلىٰ الثَّورة فَإذَا أَسمَه يَصبَح مُرَادفاً للإِصـلاَح الَّـذي يُريده النَّاس فِي مَوطن الفَسَاد، ولِلخَيْر الَّذي يَـتُوقُون إِلَـيه فِـي مَـعقل البَـغي. فَالتَّشيُّع مَوئل يَلُوذ بِهِ كلّ مُضْطَهَد وَمَحرُوم، وَيَنضَوي تَحت لوَائه كلّ ثَـائر فِـي سَبِيل الحَقّ المَهدُور. لاَ مَلجَأ لكلّ مَنْ أَرَاد هَدم العُرُوبة وَالإِسـلاَم، كَـمَا زَعَـم أَحْمَد أَمِين».

وَبالتَالي، فَإِنَّ الَّذِين هَدَّموا الدِّين والإِسْلاَم هُم الَّذِين صَرفوا الحَقّ عَن أَهْله، وَأَخرجُوه مِنْ مَعدَنه بَيْت الرَّسُول الأَعْظَم، حَتَّىٰ طَـمع بـِهِ الأَدعـيَاء وَالطُّـلقَاء، الَّذِين رَكَّبوا أُمّ المُؤْمِنِين عَلىٰ الجَمْل وَطَافوا بِهَا الفَيَافي وَالقِفَار، والَّذِين حَرّضُوا عَلىٰ قَتل عُثْمَان، ثُمَّ طَالبوا بِدَمه، وأَعْلَنوا الحَرب عَلىٰ الوَصـي فِـي البَـصْرَة، وَالصِّفِّين والَّذِين سَمّو الحَسن وَقَتلُوا الحُسَيْن؛ أَنَّ هَؤلاَء وَأَشيَاعهُم هُـم الَّـذِين هَدَّموا الإِسْلاَم وَالعُرُوبة لاَ الشِّيعَة أَتبَاع الصَّادق الأَمِين وأَهْل بَيْته الطَّيبِين.

عَليّ وَقُرَيْش

خَصّ الله نَبِيّه وأَهْل بَيْتَه الكِرَام بِقسمٍ وَافر مِنْ الأَموَال.

مِنْهَا: كلّ مَال يُوْخذ مِنْ غَير المُسْلِمين دُون أَنْ يُوجف عَلَيه بِخَيلٍ أَو رِكَاب.

وَمِنْهَا: خُمس الغَنَائم: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[1].

وَمِنْهَا: مَا يَختَاره النَّبيّ ﷺ مِنْ الغَنِيمَة، كَالسَّيف، وَالفَرس، وَالثَّوب، وَمَا إِلَىٰ ذَلِكَ، وَلَكنَّه ﷺ كَان يُعطي النَّاس كلّ مَا يَقع تَحت يَده، حَتَّىٰ مَا أَفَاء الله بِهِ عَلَيه وَعَلىٰ أَهْل بَيْتَه، وَيَترك حَبِيَبته فَاطِمَة، وَرَيحَانتِيه الحَسن والحُسَيْن، وَأَخَاه عَليّاً يَطوون اللَّيالي والأَيَّام جُوعاً. لاَ سَقف لبَيْتهم، وَلاَ أَبْواب، وَلاَ ستُور إِلاَّ الجَرَائد، وَمَا أَشْبه.

فَلقَد جرَّت فَاطِمَة بِالرَّحىٰ حَتَّىٰ أَثَّرت فِي يَدهَا، وَحَملت القِربَة حَتَّىٰ أَثَّرت فِي نَحرها، فَذَهبت يَوْماً إِلَىٰ أَبِيهَا تَطلب مِنْهُ خَادماً، فَقَال لهَا: «آتقِ الله يَا فَاطِمَة، وَأدي فَرِيضَة رَبّك، وَأَعْملي عَمَل أَهلك، فَإِذَا أَخذتِ مَضْجعك فَسبّحي

---

(١) ٱلأنفال: ٤١.

ثَلاَثاً وَثَلاثِين، وَحمّدي ثَلاَثاً وَثَلاثِين، وَكَبِّري أَربعاً وَثَلاثِين، فَتِلك مِئَة، فَهو خَيرٌ لَكِ مِنْ خَادم»[1]. وَشَكت مِنْ مَرضٍ أَصَابَهَا، فعَادهَا الرَّسُول وقَـالَ لهَـا: «كَيف أَنت يَا بُنَيَّة؟ فَقَالت: إِنِّي لوَجعَة، وَإِنَّه ليُزيدني أَنِّـي مَـالي طـعَام آكـلُه. فَاْستَعبر النَّبيّ، وقَالَ: يَا بُنَيَّة أَمَا تَرضِين أَنْ تَكونِي سَيِّدَة نَسَاء العَالَمِين»[2]. هَذَا، وَهُو يَملك كلّ مَا عِند المُسْلمِين، وَيُسِيطر عَلَىٰ كلّ مَا فِي الجَزِيرَة العَرَبيَّة!....

هَكَذا كَان عَليّ فِي عَهْد اَبْن عمّه يَحيَا حَيَاة الشَّظف، وَالبُؤس، وَالفَاقة، وَفِي الوَقت نَفْسه يُنَازل الأَبْطَال، وَيُقَارع الشّجعَان، وَيَتعَرض للمَوت مرَّات وَمرَّات ليَدفع القَتل عَن الرَّسُول الأَعْظَم؛ أَمَّا غَيْرَه مِنْ الأَصْحَاب فكَـان يَـفر إِذَا حَـمي الوَطِيس، أَو يَجْلس فِي العَرِيش، ومَع ذَلِكَ يَتَنعَم فِي الشّبع، وَالرّي، وَاللّبَاس، وَالوطَاء، وَالدّثار!...

أَقَام النَّبيّ بِمَكَّة (١٣) عَامَاً بَعْد البِعْثَة، وَلاَقَىٰ خِلاَلَهَا مِنْ قُرَيْش كـلّ عَـنَتٍ، وَبَلاء، وَشَاركه الإِمَام فِي كلّ مَا قَاسَاه؛ حَاصرُوه فِي الشّعب مَع أَقَاربه سَنتَين، لاَ تَأخذهُم بِهم رَأفَة. فَقَطعوا عَنْهُم الطَّعَام، ولَمْ يَدعوا أَحَداً يُكلمهُم أَو يَصل إِلَيهِم، حَتَّىٰ اَشتَّد البَلاَء، وَعَظُمت المُصِيبَة، وَزُلزلُوا زُلزَالاً شَدِيداً. وكَان عَليّ، وأَبُـوه وَإِخوَته مَع النَّبيّ، وَبَعْد أَنْ خَرَج مِنْ الشّعب نَالُوه بِأَنوَاع الأَذىٰ، فَاْستَهزأوا بـهِ، وَنَسبُوه إِلَىٰ الكِذب، وَالسّحر، وَالجنُون، فَكَانت أُم جَـمِيل زَوّجـة أَبـي لَهَب،

(١) أُنظر، مُسْنَد أَحمَد: ٦/ ٢٩٨، سُنن أَبي دَاود: ٣/ ٣٠ح ٢٩٨٨، مَجْمَع الزَّوَائد: ١٠/ ١٠٨، صَحِيح اَبن حبَّان: ١٢/ ٣٣٩ح ٥٥٢٧، المُصنَّف لعَبدالرَّزاق الصَّنعَاني: ١١/ ٣٣ح ١٩٨٢٨.

(٢) أُنظر، الإِصَابة لِابن حَجَر: ٨/ ١٠٢، تَأْرِيخ دِمَشق: ٤٢/ ١٣٤، نُظم دُرر السّمْطَين: ١٧٩، ذَخَائر العُقبىٰ: ٤٣، فَضَائل سَيِّدة النّسَاء، عُمر بن شَاهِين: ٢٤، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣/ ١٠٥.

وَعمَّة مُعَاوِيَة تَطرح الشَّوك فِي طَرِيق الرَّسُول[1]. وَأَتَاه يَوْمَاً عُقْبَة بن أَبي مَعِيط، وَهُو سَاجد لله، فَوطأ عُنُقه بِرِجله، وَمَا رَفعها حَتَّىٰ ظَنَّ الرَّسُول أَنَّ عَينِيه قَدْ سَقطَتا عَلَىٰ الأَرْض، وجَاء يَوْمَاً بِرَحم شَاة فَأَلقَاه عَلَىٰ رَأسه، وَهُو سَاجد فِي الصَّلاَة[2]، وَوَجدُوه يَوْمَاً يَطُوف، فَأَلقىٰ عمَامَته فِي عُنُقه وَجَرَّه مِنْ المَسْجِد[3]. وكَان إِذَا خَرج مِنْ بَيْتَه أَغروا بِهِ الأَطفَال، فَيَتبعُونه، وَيَرمُونه بِالحجَارة فكَان

(١) لَقَد تَظاهَرت عَلَيْهِمْ قِوىٰ الشَّر حَتَّىٰ مِن العَشِيرة والأَحْلاَف، وفِي طَلِيعَتهم عَمّه أَبُو لَهب الَّذي نَزل فِيهِ وفِي امْرَأَتهُ سُورَة خَاصَّة. ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ سُورَةُ ٱلْمَسَدِ: ١ ـ ٥.

ولَوْلا أَنْ يَدفع الله عَن نَبِيّه بِعَمّه أَبِي طَالب لَقُضي عَلىٰ الإِسْلاَم، وهُو فِي المَهد، وَقَالَ أَهْل السِّير والتَّأرِيخ: إِنّ أَبَا طَالب عَانىٰ الْكَثِير الْكَثِير فِي سَبِيل الإِسْلاَم ونَبِيّه.

أُنظر، كتَاب بُلُوغ المَآرِب فِي نَجَاة آبَائِه ﷺ، وَعمّه أَبِي طَالب، تَأليف سُليمان الأَزهرِي، بِتَحقِيقنَا.

وإِنّه كَان يَسْتَنجد بِأَخِيه أَبِي لَهب، ويَستثِير فِيهِ النَّخْوَة والْحَمِية شِعراً ونَثراً، لِيدفَع عَن أَبن أَخِيه مُحَمّد ﷺ فَيَرفض، بَل وسَاهم بِقسط وَافر فِي أَذىٰ رَسُول الله ﷺ والكِيد لهُ، والتَّألِيف عَلَيْهِ، والسَّبب الأَوّل زَوجَته أُم جَمِيل أُخت أَبِي سُفْيَانَ الَّتي وَصَفها الْقُرْآن بحَمّالة الحَطب، لِأَنَّهَا تُوقد نَار الْفِتْنَة والبغضَاء ضِدّ رَسُول الله ﷺ.

(٢) أُنظر، صَحِيح البُخَاري: ١ / ٦٩، صَحِيح مُسْلم: ٣/١٤١٨ ح ١٠٧ و: ٥ / ١٧١، بدَايـة المُـجْتَهد وَنهَاية المُقتَصد لِابن رُشد: ١ / ٦٥.

(٣) عُقبَة هَذَا مِنْ بَني أُمَيّة، وَأُسر يَوْم بَدْر مَع مَنْ أُسر، فَلَمّا أُتي بِهِ إِلَىٰ النَّبيّ أَمر بِضَرب عُنُقه. فَقَال: عَلاَمَ أُقتَل دُون غَيري! فَقَال لهُ النَّبيّ: لعدَوَاتك لله وَرَسُوله. فَقَال: يَا مُحَمّد مِنْك أُفضَل، مَنْ للصِّبيَة؟ فَقَال لهُ: النَّار. وَأَمر عَلياً فَضَرب عُنُقه، ولَمْ يَقْتل النَّبيّ مِنْ أَسرىٰ بَدْر إِلاَّ عُقْبَة، وَالنَّضر بن الحَارث. وكَان النَّضر يُعَذب المُسْلِمين، ويَقُول فِي القُرْآن والنَّبيّ أَقوَالاً مُنكَرة. (مِنْهُ ﷺ). المَعَارف: ١٥٥، و ١٥٦ الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٦٩. العِقد الفَرِيد: ٢ / ٣١٥، طَبعَة الجَمَالية بِمَصر، اليَعقُوبيّ فِي تأرِيخه: ٢/٢٦، المُدونّة الكُبرىٰ: ٢ / ١١، نَيل الأَوطَار: ٨ / ١٤، الغَارات: ٢ / ٥١٨، سُنن أَبي دَاود: ١ / ٦٠٨.

يَخرج عَليّاً مَعَهُ ليَدفعهُم عَنهُ[١]. وَأَخِيراً تَآمرُوا عَلىٰ قَتْله، وَهُو نَائِم، فَعَلم النَّبيّ بِذَلك، وأَمر عَليّاً أَنْ يَلْبس بُردَه الأَخْضر، وأَنْ يَنَام فِي فرَاشَه لَيلَة الْهِجْرَة، فَقَال الْإِمَام: أَتَسْلَم أَنْتَ يَا رَسُول الله إِذَا نُمتُ فِي فرَاشك؟ قَالَ: نَعَم. فَقَال الإِمَام: إِذَن لاَ أُبَالي بِالمَوت. وَامْتَثل أَمر الرَّسُول، وَالغِبطَة تَملأ نَفْسه[٢].

وَقَف عَليّ وأَبُوه أَبُو طَالب إِلَىٰ جَانب الرَّسُول يَوْم تَأَلبت قِوىٰ الشّرك عَلَيه وَصَمَمت عَلىٰ قَتْله، ويَوْم لَمْ يَكُن للدِّين الجَدِيد حَول وَلاَ قوّة يَمْتَنع بِهَا الرَّسُول وَمَنْ آمَن مَعَهُ. وَحَسبُنا أَنْ نَعلم مَاذَا صَنع المُشركُون بِبلاَل[٣]، وَخبَّاب[٤]،

---

(١) أُنظر، فَتح البَاري: ١٢/ ٢٥٠، تَأوِيل مُخْتَلف الحَدِيث: ١٥٠، تَفْسِير مَجْمَع الْبَيّان: ٢/ ٣٨٦، تَفْسِير أَبن كَثِير: ٢/ ٥٧٥، الدُّر المنثور: ٢/ ٢٩٨، تَفْسِير الثَّعالبي: ٢/ ١٠٤، فَتح القَدِير: ٢/ ٦١، تَأرِيخ دِمَشق: ٦٢/ ٢٤٧، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ١/ ١٨٢، عِصمَة الأَنْبِيَاء للفَخر الرَازي: ٧٨، عُيُون الأَثر لِابن سيّد النَّاس: ٢/ ٤٢١، الشّفا بِتَعرِيف حقُوق المُصْطَفَىٰ: ١/ ١٠٥.

(٢) لاَ نُرِيد الكَلاَم الَّذي أَطَال فِيهِ أَهْل التَّأرِيخ، والسِّيرَة، والحَدِيث، بل نَنقل مُلخصه، مِن خِلاَل الآيَة الكَرِيمَة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ ٱلْبَقَرَة: ٢٠٧. وَالَّتي أَطبَق المُؤرّخون عَلىٰ أَنَّهَا نَزَلت فِي عَليّ عليه السلام.

أُنظر، شوَاهد التَنْزِيل لِلحَاكِم الحَسْكَاني: ١/ ١٢٣ ح ١٣٣، وَالثَعلبي فِي الكَشف والبَيَان: ١/ ١١٧، وَالرّازي فِي تَفْسِيره: ٢/ ١٥٢، وغَيْرهم كَثِير، أبن أَبِي الحَدِيد فِي شَرحِه عَلىٰ نَهج البَلاَغَة: ١/ ٧٨٩ طَبعَة الحَدِيثه بِبَيرُوت، المَنَاقب لِابْن شَهرآشُوب: ٢/ ٥٨، المُستَرشد فِي إِمَامَة أَمِير المُؤمِنِينَ: ٤٣٣، الخَصَائص لِابن البطرِيق: ٩٨، تَذكرَة الخَواصّ لسِبط أَبن الجَوزي: ٤٠، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢/ ٣٣، كفَايَة الطَّالب: ١١٥، يَنَابِيع المَوَدَّة: ١٠٥.

(٣) هُو بلاَل بن رَبَاح، وأُمّه: حمَامة. وكَانَ مِن مُولّدي «مَكّة» لرَجُل من بَنِي جُمح فَاشْتَراه «أَبُو بَكر» بِخَمس أَوَاق وَأَعْتَقه، وكَانَ يُعذب فِي الله، وَشَهد بَدْراً والمَشَاهد كلّها. وهُو أَوَّل مَن أَذّن لرَسُول الله صلى الله عليه وآله -فمَا قُبض رَسُول الله صلى الله عليه وآله- أَتىٰ «أَبَا بَكر» فاَستَأذنه إِلىٰ الشَام، فَأَذِن لهُ، فَلَم يَزل مُقيماً بهَا، ولَم يُؤذّن بَعد النَّبي صلى الله عليه وآله. أُنظر، تَرجَمته فِي المعَارف لِابن قُتَيبَة: ١٧٦.

(٤) أُنظر، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٣/ ٢٨٥، مَجْمَع الزَّوائد: ٩/ ٣٠٥، المُصنَّف لعَبدالرّزاق

وَعمَّار، وَأَبِيه يَاسر وَأُمّه سُميَّة[1]، وغَيْرِهم مِنْ المُعذَّبِين فِي الْإِسْلاَم، فَقَد أَعْطَىٰ المُشرِكُون بِلاَلاً لأَطفَالهم وَسفُهائِهم يَجرُونه بِالحبَال، وَيَطُوفون بِهِ فِي شِعب مَكَّة، وَيَقُولُون لهُ: قُل: اللاَّت وَالعُزىٰ، وَندعك! فيَقُول: أَحَد أَحَد[2]، وأَلقَوا عَلَىٰ صَدر يَاسر وَزَوّجته سُميَّة الصُّخور يُعذبُونها بِالضَّرب وَالطَّعن، حَتَّىٰ مَاتَت سُمَيَّة بِطَعنة مِنْ أَبِي جَهل، وكَانَتْ أَوَّل شَهيدة فِي الْإِسْلاَم[3]، وَأَلبسُوا خبَّاباً درُوع الحَدِيد وَصَهرُوه فِي الشَّمس حَتَّىٰ بَلَغ بِهِ الجُهد كلّ مَبلغ[4].

هَكَذا كَان الْإِسْلاَم يَوْم نَاصَره أَبُو طَالب، وَجَاهد بِكُل قِوَاه، لِيَسلم ابْن أَخِيه

→ الصَّنعَاني: ١١ / ٢٤٢ح ٢٠٤٣٢، المُعْجَم الأَوسط: ٣ / ٢٤١، المُعْجَم الكَبِير: ٨ / ٢٩ و: ٢٤ / ٤٣٥، تَأرِيخ المَدِينة: ٢ / ٤٧٩، تَقرِيب التَّهذِيب: ٢ / ٥٨٧، الإِصَابَة: ٣ / ٣٦٥، أُسد الغَابَة: ٣ / ٣١، سِير أَعْلام النُّبلاء: ١ / ٣٤٩ و: ٨ / ٥٣٠، مِيزَان الإِعتدال: ١ / ٣٣٦، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢ / ٧٥ و: ٧ / ١٦٧، تَأرِيخ دِمَشق: ١٠ / ٤٤٨ و: ٢٤ / ٢٢٠، كَنز العُمَّال: ١١ / ٤٠٨ح ٣١٩٠٩ و ٣٣١٣٣ و ٣٣٦٧٦، مُسْنَد الشَّامِيين: ٢ / ١١، الجَامِع الصَّغير: ١ / ٤١٣ح ٢٦٩٥ و: ٢ / ٦٦ح ٤٧٩٣.

(١) أُنظر، الطَّبَقَات الكُبْرَىٰ: ٣ / ٢٥٣ و ٢٥٩، عُمدَة القَاري فِي شَرْح صَحِيح البُخَاريّ: ٢٤ / ١٩٢، مُسْنَد أَحمَد: ٢ / ١٦٤ و ٢٠٦، تَأرِيخ الطَّبَريّ: ٤ / ٢ و ٣ و ٢٨ و ٢٩، كَنز العُمَّال: ١٦ / ١٤٣، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ١٤٨ و ١٥٧ و ١٥٨، المُرقاة فِي شَرْح المشكَاة: ٥ / ٤٤٧، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١ / ١٢٦، تَأرِيخ الخَمِيس: ٢ / ٢٧٧، المُسْتَدرَك عَلَىٰ الصَّحِيحَين: ٣ / ٣٧٨، نَسِيم الرِّياض فِي شَرْح الشِّفا: ٣ / ١٦٦، العِقد الفَرِيد: ٢ / ٢٠٣ ـ ٢٠٤، خصَائص النَّسَائي: ١٣٣، الرَّوض الأُنف: ٤ / ٢٦٤ و ٢٦٥، تَأرِيخ مَدِينة دِمَشق: ٤٣ / ٤٢٥، تَفْسِير ابْن العَرَبِي: ٢ / ٥١٩، تَهْذِيب الكَمَال: ١٧ / ١١٤.

(٢) أُنظر، مُسنَد أَحمَد: ١ / ٤٠٤، المُسْتَدرك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٣ / ٢٨٤، إِعَانة الطَّالِبين: ١ / ٢٦٧، السُّنن الكُبرىٰ: ٨ / ٢٠٩، المُصنَّف لِابْن أَبِي شَيبَة الكُوفِي: ٧ / ٥٣٧.

(٣) أُنظر، الإِسْتِيعَاب بِهَامش الإِصَابَة: ٤ / ٣٣١، الإِصَابَة لِابن حَجر: ٤ / ٣٣٥(٥٨٢)، المَعَارف لِابْن قُتَيبَة: ١١١، وَقْعَة صِفِّين: ١٩٩، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ١ / ٤٠٩، تَأرِيخ بَغدَاد: ١ / ١٦١، تَأرِيخ دِمَشق: ٤٣ / ٣٥٩ و ٣٦٠.

(٤) أُنظر، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٢٠ / ٣٧، كَنز العُمَّال: ١٣ / ٦٣٠.

وَيُؤدي رِسَالة رَبّه كَامِلة، وَلَولاَ أَبُو طَالب لَمْ تَرَ النُّور، وَلقُضي عَلَيهَا، وَهِي فِي المَهد. وَفَارق الدُّنْيَا أَبُو طَالب قَبل أَنْ يَقوىٰ الرَّسُول، وَيَمتَد سُلطَانه فِي بِقَاع الأَرْض. وَظنَّ المُشرِكُون أَنَّهُم تمكنُوا مِنْ النَّبيّ بمَوت عمّه، وَعقَدوا العَزم عَلىٰ الفَتْك بِهِ، وَلَكن وَلَده عَليَّاً مَا زَال حيَّاً وَكَفىٰ بصَاحب ذِي الفِقَار قوّةً، وَحَارسَاً للإِسْلاَم وَنَبي الإِسْلاَم، فنَام عَلىٰ فرَاش النَّبيّ ليَلة الْهِجْرَة؛ وَبَعْدها كَان لوَاؤه مَع عَليّ فِي كلّ حَرْب، عَلَيه تَدور رحَاهَا، وعَلىٰ يَدَه يَتم النَّصر، وَتكُون الغَلَبة للإِسْلاَم وَالمُسْلِمين.

هَذِه حيَاة الإِمَام فِي عَهْد النَّبيّ حُرُوب دامِيَّة، وَجِهَاد بِشَتىٰ صُوره وَأَشكَاله، وَتَضحيَات وَمُغَامرَات، وَفَقر وَعوز. أَمَّا بَعْد الرَّسُول فمَا أَنْ لفَظ ﷺ نَفْسه الأَخِير حَتَّىٰ عُقدت البَيْعَة لأَبي بَكْر دُون مَشورَة الإِمَام وَمُنَاظرَته، وَلاَ مُشَاركة أَحَد مِنْ بَني عَبدالمُطلب وآل الرَّسُول، أَو مِنْ مُنَاصري عَليّ وَمُحبيه مِنْ الصَّحَابَة[1]، دبّر الأَمْر، وعَليّ مَشغُول بِتَجهِيز رَسُول الله، لأَنَّه أَحق مَا يَبدأ بِهِ. فكَان ذَلِكَ قُرحَاً عَلىٰ قَلب الإِمَام مَع الَّذي هُو فِيهِ مِنْ عَظِيم الرَّزِيَّة، وَفَاجع المُصِيبَة بِفَقد الرَّسُول الأَعْظَم، فَصَبر عَلىٰ المُصِيبَتِين عَلىٰ تَقَاربهُما وَسُرعَة اتصَالهُما، ولَمْ يُنَازع أَبا بَكْر رَغبَة فِي قوّة الإِسْلاَم وَإِعلاَء كَلِمته. وكَان جَمَاعَة مِنْ خوَاص الأَصْحَاب عُرفُوا

(١) جَاء فِي كتَاب المَوَاقف للأَيجي (ت ٧٥٦هـ) وَشَرحه للشَّرِيف الجُرجَاني. (ت ٨١٦هـ): ٨/ ٣٥٢: «أَنَّ البَيْعَة لاَ تَفْتَقر إِلَىٰ الإِجمَاع، بَل تَصح مِنْ الوَاحد وَالاثْنَين. لأَنَّ أَبا بَكْر عَقد لعُمر. وَعَبدالرَّحمن لعُثمان. وَلاَ يُشْترط إِجمَاع مَنْ فِي المَدِينَة فَضلاً عَن إِجمَاع الأُمَّة؛ وَالإِكتفَاء بِالوَاحد أنطَوت عَلَيه الأَعصَار إِلَىٰ وَقتنَا هَذَا» ومَعْنَىٰ هَذَا القَول أَنَّ صَوتاً وَاحداً يَقَدم عَلىٰ جَمِيع أَصوَات الأُمَّة وَيُفرض عَلَيهَا فَرضاً. وأَنَّ بَيْعَة مُعَاوِيَة ليَزِيد صَحِيحَة، وَكَذا كلّ حَاكِم جَعل الحُكْم مِيرَاثاً لِأَبْنَائه. وإِذَا أَطَّلع عَلىٰ هَذَا القَول أَجْنَبي فَلاَبُدّ أَنْ يَتَسَاءل أَين الحُرّية وَالدِّيمُقرَاطية فِي الإِسْلاَم؟!. (مِنْهُ ﷺ).

بالنُّصح لله، وَرَسُوله، وكتَابه يَأتُونه عوداً وَبَدءاً، وَسراً وَعَلاَنيَة، وَيَدعُونه إِلَىٰ أَخذ حَقّه بَاذلِينَ أَنْفُسهِم فِي نُصرتهِ، فَيَأمرهُم بِالصَّبر حَقناً للدِّمَاء، وَحُبّاً بِالوئَام.

وَلمَّا عَلِم القَائِمُون بِالأَمر أَنَّ عَليّاً لاَ يُقَاتل مِنْ أَجْل حَقّه، خَيَّروه بَيْنَ الحَرب وَالمُبَايعَة، فَآختَار أَنْ يَكْظُم غَيظَه، وَيُهضَم حَقّه، وإِنْ فَعلُوا مَا فَعلُوا، تَركَهُم الإِمَام وَشَأنهُم، ولَمْ يُعَارضهُم فِي الحُكْم والسُّلطَان، ومَع ذَلِكَ لَمْ يَتركُوه وَشَأنه، فَمنعُوا عَن الزَّهرَاء وَسَيِّدة النِّسَاء مِيرَاثهَا مِنْ أَبيهَا، وَأَخذُوا مِنْهَا فَدكاً، ولَمْ يُصدقُوها فِيمَا تَقول[1]، وهِي الَّتي طَهَّرها الله وَزكَّاها، وَآستعَان بِهَا النَّبيّ فِي

(١) أنظر، صَحِيح البُخَاريّ: ٧/١٢، صَحِيح مُسْلِم كتَاب الجِهَاد رقم «٥١ و٥٣ و٥٤ و٥٦»، مُسْنَد أَحمَد: ١/٤ و٦، عَن عَائِشَةَ إِشَارَة إِلىٰ المحَاورَة الَّتي دَارَت بَيْنَ فَاطِمَة الزَّهرَاء البَتُول عليها السلام وبَيْنَ أَبي بَكْر حَيْث قَالَ: إِنِّي سَمعتُ رَسُول الله ﷺ يَقول: «إِنَّا مَعَاشِر الأَنْبِيَاء لاَ نُورّث، مَا تَركنَاه فَهُوَ صَدَقةٌ»!!.

وَقَد عَلَّق الإِمَام يَحيَىٰ بن الحُسَيْن الهَادي فِي كتَابه «تَثْبِيتُ الإِمَامَة»، تَحقِيق العَلاَّمة السَّيّد مُحَمَّد رِضا الحُسَيْني الجَلاَلي فِي ص: ٢٩ مَا نَصّه: «وَلَو سَأَلنَا جَمِيع مَن نَقل مِن أَصْحَاب مُحَمَّد ﷺ: هَل رَوىٰ أَحدٌ مِنْكُم عَن أَحدٍ مِن أَصْحَاب مُحَمَّد ﷺ أَنّه سَمعَ مِن رَسُول الله ﷺ مِثل مَا قَالَ أَبُو بَكْر؟.

لقَالُوا: أَللَّهُمَّ، لاَ.

ثُمَّ جَاءَت ـ مِن بَعد ذَلِكَ ـ أَسَانِيدُ كَثِيرَة قَد جَمعهَا الجُهَّال لحُبّ التَكثُّر بِمَا لاَ يَنْفَع: عَن عَائِشَةَ، وَعن آبن عُمَرَ، فَنَظرنا عِند ذَلِكَ إِلىٰ أَصْل هَذِه الأَحَادِيث الَّتي أَسندُوها إِلىٰ عَائِشَةَ عَن النَّبِيّ ﷺ، فَإِذَا عَائِشَةَ تَقول: سَمعتُ أَبَا بَكْر، وآبن عُمَرَ يَقول: سَمعتُ أَبَا بَكْر يَقول: سَمعتُ رَسُول الله ﷺ: إِنَّا مَعَاشِر الأَنْبِيَاء لاَ نورّث مَا تَركنَاه فَهُوَ صَدَقَة.

وَإِذَا هَذِه الأَسَانِيد المُختَلفة تَرجَع إِلىٰ أَصْل وَاحِدٍ، وَلَم يُوجد أَحدٌ مِن أَصْحَاب مُحَمَّد ﷺ يَشْهَد بِمِثل شهَادَة أَبي بَكْر فِي المِيرَاث!.

فَدَفع أَبُو بَكْر فَاطِمَة عليها السلام عَن مِيرَاثها بِهَذَا الخَبَر الَّذى أُسندَ إِلىٰ رَسُول الله ﷺ. وَهَذَا الخَبَر يَنْقضُ كتَاب الله، وَحُكْمَه فِي عِبَادِه!.

فَويلٌ لمَن يُهِمُ أَنّ رَسُول الله ﷺ يَنْقضُ مَا جَاء بِهِ مُحْكَماً عَن الله عزَّ وجلّ.

الدُّعَاء عَلَىٰ الكُفَّار بِأَمر الله سُبْحَانهُ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾(١). وَهَجمُوا عَلَىٰ بَيْت الإِمَام، وَحَاوَلو إِحرَاقه،

وَقَد كَانَ فِي كَلَام فَاطِمَة ﷺ لأَبِي بَكر بَيَانٌ لمَن خَاف الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ: أَفِي كتَاب الله أَنْ تَرِثَ أَبَاك وَلاَ أَرِثَ أَبِي، لقَد جِئتَ شَيْئاً فَرِيّاً!!؟؟ ثُمَّ أنصَرفت عَنْه.

وَمِن أَعْجَب العَجَائب: أنَ جَمِيع هَذِهِ الأُمَّة أَجْمَعت: أنَّ مَن آدّعىٰ لنَفْسِه، أَو دَعوىٰ لهُ فِيهَا حَقّ أَنَّه «خصمٌ». شهَادَته لاَ تُقبل. حَتَّىٰ يَشهَد لهُ عَلَىٰ ذَلِكَ شَاهدَان عَدلاَن لاَ دَعوىٰ لهُما مَا شَهدا فِيهِ.

وَأَجمعُوا أَيضاً: أنَّ الإِمَام لاَ يَحكمُ لنَفْسِه بِحقّه دُونَ أَنْ يَشهدَ لهُ بِهِ غَيرُه.

ثُمَّ النَّاس عَلَىٰ ذَلِكَ إِلىٰ يَومنا هَذَا، لاَ تُقبل شهَادة الرَّجُل لنَفْسِه، وَلاَ يُحكم لأَحدٍ عَلَىٰ أَحدٍ فِي دَعوىٰ يَدّعيها عَلَيْهِ إِلاَّ بشَاهدِين عَدلِين غَيْر فَاطِمَة ﷺ، فإِنَّه حُكم عَلَيْهَا خِلاَف مَا حُكم بِهِ عَلَىٰ جَمِيع الخَلق، وَأنتزع مِن يَدها مَا كَانَتْ تَملكهُ، وَتحُوزه ـ مِن مِيرَاث أَبِيهَا ﷺ، وَمَالهَا مِن فَدَك المَعْرُوف بهَا، وَلهَا بِلا شهُود! إِلاَّ بِمَا آدّعىٰ أَبُو بَكْر لنَفْسِه، وَللمُسْلِمِين مِن الصَّدَقَة عَلَيْهِمْ بأَمْوَال رَسُول الله ﷺ.

فَكَان أَبُو بَكْر المُدعي لنَفْسِه، وَلأَصحَابه أَمْوَال رَسُول الله ﷺ.

فَيَا للعَجَب مِن قَبضه مَا لَيْس بِيَده، وَلاَ شهُود لهُ، وَلاَ بَيِّنَة!؟ وَطَلَبُه الشّهُود، والبَيِّنَة مِن فَاطِمَة ﷺ عَلَىٰ مَا هُو بِيَدها، وَلها!

وَقَد أَجْمَعت الأُمَّة عَلَىٰ أنَّ مَنْ كَانَ فِي يَده شيءٌ، فَهُوَ أَحقّ بِهِ حَتَّىٰ يُستحقُّ بِالبَيِّنَةِ العَادِلَة، فَقَلبَ أَبُو بَكْر الحجَّة عَلَيْهَا فِي مَا كَانَ فِي يَدها! وَإِنَّما تَجبُ عَلَيْهِ هُو وَلىٰ أَصْحَابِه فِي مَا آدَّعاه لهُ، ولَهُمْ. فَحَكم عَلَىٰ فَاطِمَة ﷺ بِمَا لَم يُحكمْ بِهِ عَلَىٰ أَحدٍ مِن المُسْلِمِين، وَطَلب مِنْهَا البَيِّنَة عَلَىٰ مَا فِي يَدهَا، ومُنِعَتْ مِيرَاثَ أَبِيها. وَشَهدَ عَلَىٰ رَسُول الله ﷺ أَنَّه لَم يُورّثها! والله تَعَالَىٰ قَد وَرَّثَ الوَلد مِن وَالدَه، نَبِيّاً كَان أَو غَيرُه.

(١) آل عِمْرَان: ٦١.

اتفَقَ أَهْل التَّفْسِير عَلَىٰ نزول هَذِهِ الآيَة فِي وَفد نصَارىٰ نَجْرَان، واتفَقُوا أَيضاً عَلَىٰ أنَّ المَعْنِي بِهِ فِي لفَظة «أَبْنَآءَنَا» هُما الحَسَن والحُسَيْن ﷺ وفِي لفَظة «نِسَآءَنا» فَاطِمَة الزَّهراء ﷺ وفِي لفَظة «أَنفُسَنَا» هُو الإِمَام عليّ بن أَبِي طَالب ﷺ كمَا صرّح بِذَلِكَ أَهْل العِلْم، لأَنَّ الرَّسُول ﷺ استعَان بِهِمْ فِي الدُّعَاء إِلىٰ الله، والتَّأمِين عَلَىٰ دُعَائه لتَحصل لهُ الإِجَابة فِيهِ. هَذَا مِن جِهة، ومِن جِهة ثَانِيَة أَنَّ النَّبِيّ ﷺ مرَاراً وَتكرَاراً فَسّر هَذِهِ الآيَة بِأنَّ عَليّ بن أَبِي طَالب ﷺ هُو نَفْسه ﷺ ولَسْنَا بِصَدد ذِكر

وفيهِ عَليّ، وفَاطِمَة، والحَسن، والحُسَيْن وجَمَاعَة مِنْ بَني هَـاشم[١]، فَأَغْـضىٰ

⇐ الرّوَايَات الّتي تُفسّر هَذَا الْمَعْنَىٰ لكنَّ الآيَة نَزلت فِي أَهْل ٱلْبَيْت ﷺ وَهُم: عَليّ وفَـاطِمَة والْـحَسَن والحُسَيْن ﷺ وَمَن شَاء فَلْيُرَاجع المصَادر التّاليَة.

أُنظر، فَتح القَدِير للشّوكاني: ١ / ٣١٦ الطّبعة الأُولَىٰ و٣٤٧ الطّبعة الثّانيَة مُصطفىٰ الحَلبي بِمِصْر، تَفْسِير أَبن كَثير: ١ / ٣٧٠ و ٣٧١ و ٣٧٦، و: ٢ / ٥٢ طَبعَة بَيرُوت. تَـفْسِير الكَشّـاف للـزَّمخشري: ١ / ٢٦٨ طَبعَة قُم و ٣٧٠ طَبعَة بَيرُوت، تَفْسِير الطَّبَريّ: ٣ / ٢٩٧ ـ ٢٩٩ طَـبعَة دَار الكُـتب العِـلمِية بيرُوت و ص ١٩٢ و ٣٣٠ و ٣٠١ طَبعَة المَيمنيّة بمَصْر، و: ٢٢ / ٦، تَأرِيخ أَبْن كَثِير: ٥ / ٥٣ و ٥٤، إِمْتَاع الأَسمَاع للمَقْريزي: ٥٠٢، شَرْح النَّهج لِابن أَبي ٱلْحَدِيد: ١٦ / ٢٩١ طَبعَة مَصْر، و: ٤ / ١٠٨ طَبعَة مِصْر تَحقِيق مُحَمَّد أَبُو الْفَضْل، المَنَاقب للخوَارزمي: ٦٠ و ٩٧، فَضَائِل الْخَمْسَة: ١ / ٢٤٤، أُسد الغَابَة لِابن الأَثِير: ٤ / ٢٦، الإِصَابَة لِابن حَجر العَسقلَاني: ٢ / ٧٢ طَبعَة المَـيمنيّة بِـمَصْر، أَسْـبَاب النّزول للوَاحدي: ٥٩ و ٧٤ الطّبعة الأُولَىٰ.

وأُنظر، دَلَائِل النُّبُوّة لأَبِي نَعِيم: ١ / ٢٩٧، فرَائد السِّـمطَين للـحمُويني: أوَائـل السِّـمط الثّـاني ح ٣٧١، السِّيرَة الْحَلَبِية للحَلبي الشّافعي: ٣ / ٢١٢ طَبعَة البَهية بمَصْر، السِّيرَة النَّبَوِيّة لزَين دَحـلَان بهَامِش السِّيرَة الْحَلَبِية: ٣ / ٥، أَحْكَام ٱلْقُرآن للجصّاص: ٢ / ٢٩٥ ـ ٢٩٦ طَبعَة عبدالرَّحمْان مُحَمَّد بمَصْر و ٢٩٥ الطّبعة الثّانيَة تَحقِيق القَمحَاوي، التّسهيل لعُلوم التّنزيل للكَلبي: ١ / ١٠٩، فَتح الْبَيَان فِي مقَاصد ٱلْقُرآن: ٢ / ٧٢، زَاد المَسِير لِابن الجَوزي: ١ / ٣٩٩، جَامع الأُصُول لِابن الأَثِير: ٩ / ٤٧٠، تَأرِيخ دِمَشْق لِابن عسَاكر: ١ / ٢٥٥ الطّبعة الثّانيَة.

(١) أُنظر، شَرْح النَّهج لِابن أَبي الحَـدِيد: ٢ / ١٣٠، الإِسـتِيعَاب: ٢ / ٨٣، الإِصَـابَة: ٢ / ٦١، تَأرِيـخ الطَّبري: ٢ / ٤٤٢ / ٤٤، كَنز العُمَّال، وأَبْن قُتَيْبَة فِي كتَاب السِّيَاسَة والإِمَامَة. و (دَلَائل الصّدق): ٣ / ٥١. (مِنْهُ ﷺ). وَقَد عَدّ المُؤرّخُون فِي الرِّجَال الَّذِين أُدخلُوا بَيْت فَاطِمَة بِنت رَسُول الله كُلاً مِن: (عُمَر بن الخَطَّاب، خَالد بن الوَلِيد، عَبدالرّحمن بن عَوْف، ثَابت بن قَيس بن شَمّاس، زِيَاد بن لَبِيد، مُحمَّد بن مَسْلَمَة، زَيد بن ثَابت، سَلَمَة بن سلاَمَة بن وَقَش، سَلَمَة بن أَسْلَم، أُسيد بن حُضَير، وَعَيَّاش بن أَبي رَبيعة القَرشي المَخزُومي). أُنظر، المَصَابِيح، لأَحمَد بن إِبْرَاهِيم: ٢٥٨.

وقَالَ الطَّبري: (أَتى عُمر بن الخَطَّاب مَنزل عَليّ وَفِيه طَلْحَة والزُّبَيْر وَرجَال مِن المُهَاجِرين فَخَرج عَلَيه الزُّبَيْر مُصلتاً بِالسَّيف، فَعَثر [illegible] السَّيف مِن يَدِه، فَوثبُوا عَليه فَأَخذُوه). أُنظر، المَصْدَر السَّابِق:

⇐

الطَّرف عَن هَذَا المُنْكَر خَوفاً مِنْ مُنْكَر أَعظَم.

عَليّ الَّذي قَالَ عَنْهُ النَّبيّ: «عَليّ مِنّي، وَأَنا مِنْ عَليّ»(١)، «النَّظر إِلَىٰ وَجْه عَليّ عِبَادة»(٢)... «مَنْ آذَاهُ فَقَد آذَاني»(٣)، عَليّ يُسَاء إِلَيه، ثُمَّ يُطلب مِنْهُ الرِّضَا بِالإِسَاءة، وَلاَ ذَنْبَ لهُ إِلاَّ فَضله وَعَظَمته فِي دِينهِ، وَعِلمهِ، وَسَابقته، وَلَكن مَاذَا

⇐ ٢٥٩، تَأْرِيخ أَبن شِحْنَة: ١١٣، هَامِش الكَامِل: ١١ / ١١٣، العَقْد الفَرِيد: ٤ / ٢٥٩، المِلل والنِّحل: ١ / ٥٧، نَقلاً عَن النَّظّام، وهَامش الفَصْل فِي المِلل وَالأَهوَاء وَالنِّحل لِابْن حَزم الظَّاهري: ١ / ٧٣، أَعْلاَم النِّسَاء: ٣ / ٧٧ و ١٢٠، كَنز العُمَّال: ٣ / ١٤٠، مُروج الذَّهب: ٢ / ١٠٠، العَقاد فِي عَبقرية عُمَر أَبن الخَطَّاب: ١٧٣.

(١) أُنظر، البُخَاريّ فِي صَحِيحه: ٢ / ٢٩٧ و: ٥ / ٢٩٧ ح ٣٧٩٨ و: ١٢ / ١٢٦، أَبن حَجر فِي صوَاعقه المحرِقَة: ٧٥ طَبعه مِصْر سَنَة ١٣١٢ هـ، و: ١٢٤ طَبعَة المحَمدية بِمِصْر، المُسْتَدرَك عَلَىٰ الصَّحِيحَين: ٣ / ١٩ و ١٢٤، يَنابِيع المَوَدَّة: ١ / ١٢٤ و: ٣ / ٩٦ ح ٢٣٤، مَنَاقب أَمِير المُؤْمِنين لمحَمَّد بن سَعيد الكُوفِي: ٢ / ٦١٦، كفَايَة الطَّالب: ٢٥٣، تَأْرِيخ أَبن عسَاكر: ٢ / ١٢٠، المُعْجَم الصَّغِير: ١ / ٢٥٥، المُعْجَم الأَوسَط: ٥ / ١٣٥، مَجْمَع الزّوائد: ٧ / ٢٣٥ و: ٩ / ١٣٤، تَأْرِيخ الخُلَفَاء للسّيوطي: ١٧٣، إِسعَاف الرَّاغِبِين بِهَامش نُور الأَبْصَار: ٧٣، المِعيار والموَازنة: ٤٦، الجَامِع الصَّغِير: ٢ / ١٧٧، ح ٥٥٩٤، كَنز العُمَّال: ١١ / ٦٠٣ ح ٣٢٩١٢، سُبل الهُدَىٰ والرَّشَاد: ١١ / ٢٩٧، وجَامع التّرمِذي: ٢ / ٢١٣، التَّفْسِير الكَبِير للفخر الرّازي: ١ / ٢٠٥، فيض القَدِير: ٦ / ٣٥٦، تَأْرِيخ بَغداد: ١٤ / ٣٢١، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١ / ٧٨، شَرح الأَخْبَار للقَاضي النُّعمان المغربي: ٢ / ٦٠، رَبيع الأَبرَار للزّمخشري: ١ / ٨٢٨، فرَائد السِّمطَين: ١ / ١٧٧ ح ١٣٨، المناقب لِابْن المغَازلي: ١١٧ و ٢٤٤، العِقد الفريد: ٣ / ١٠٨ الطَّبعة الثَّالثة، تَأْرِيخ أَنْسَاب الأَشْرَاف: ٢ / ٢٨١ الطَّبعة الأُولَىٰ.

(٢) أُنظر، مَجْمع الزَّوَائد: ٩ / ١١٩، أُسد الغَابَة: ٥ / ٥٤٨، تَأْرِيخ مَدِينَة دِمَشق: ٤٢ / ٣٥٠، تَأْرِيخ بَغدَاد: ١٢ / ٣٤٦، الكَامل فِي التَّأْرِيخ: ٢ / ٣٣٩، بِشَارة المُصطَفَىٰ: ٢٩٥، يَنَابِيع المَودَّة: ٢ / ١٨٥ و ٣٢٨، مِئَة مَنْقَبة: ١٧٦، مَنَاقب الخوَارزمي: ٢، كِفَايَة الطَّالب: ٢٥٢، فرَائد السِّمطَين: ١ / ١٩، مِيزَان الإِعتدَال: ٣ / ٤٦٧، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ١٥ / ٥٤٢، لسَان المِيزَان: ١ / ٢٤٣، جوَاهر المطَالب فِي مَنَاقب عَليّ بن أَبي طَالب: ١ / ٢٥٥، سُبل الهُدىٰ وَالرَّشَاد: ١١ / ٢٩٢، ذَيل تَأْرِيخ بَغدَاد: ١٥٢.

(٣) أُنظر، كَنز العُمَّال: ١٢ / ٩٥، ٣٤٩، مُسْنَد زَيد بن عَليّ: ٤٠٣، تَأْرِيخ مَدِينَة دِمَشق: ٥٤ / ٣٠٨.

يَصْنع، وَلاَ وَسِيلة إلاَّ الصَّبْر ؟!.

وَقَام عُمَر بَعْد أَبي بَكْر، وكَان يُشَاور عَليّاً، وَيَقضي عَن رَأيه فِي أُمُور لاَ يَعلمهَا أَحَد إلاَّ عَليّ، وَيَعتَرف لهُ بِالفَضل، وَيُكرر القَول: «لَوْلاَ عَليّ لهَلَك عُمَر»[1]... «لَو وَلّيها عَليّ حَملهُم عَلىٰ الحَقّ الَّذِي لاَ يُطِيقُونه»[2]. حَتَّىٰ لَمْ

(١) أُنظر، فَتح البَاري فِي شَرْح البُخَاريّ: ١٢/٣٤٣ و ١٧/١٠٥، تَأويل مُختَلف الحَدِيث: ١/١٦٢ فَيض القَدِير: ٤/٤/٣٥٧، تَهذِيب الكَمَال: ٢٠/٤٨٥، صَفوة الصَفوة: ١/٣١٤، الإسْتِيعَاب: ٣/١١٠٣، الطَّبَقَات الكُبْرَىٰ: ٢/٣٣٩، الإصَابَة: ٤/٥٦٨، المَدخَل إلىٰ السُنن الكُبْرَىٰ: ١/١٣٠ ح ٧٨، فَرَائد السِّمطَين: ١/٣٤٨/٢٧٢، و ٢٧٦/٣٥٠ قَالَ عُمَرَ بن الخطَّاب: أَعُوذ بالله مِن مُعضِلةٍ لاَ عَليّ لهَا. تَهذِيب التَّهذِيب: ٧/٢٩٦ و ١٠/٩٤، تَأرِيخ دِمَشْق لِابْن عساكر ترجمة الإِمَام علي عليه السلام: ٣/٩٣ و ٤١/١٠٧١ و ١٠٧٠ بِتحقِيق الشَّيخ المَحمُودي. الْحَاكِم فِي المُسْتَدرَك قَريباً مِن هَذَا فِي: ١/٤٥٧، الرّيَاض النَّضرة: ٢/١٩٥ و ١٩٦، و: ٣/١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥، وذَخَائِر العُقْبَىٰ: ٧٩ ـ ٨٢ وَقَالَ عُمَرَ بن الخطَّاب فِي حَدِيث طَويل أيضاً: عَجزت النِّسَاء أنْ تَلدن مِثل عَلي بن أبي طَالب، لَوْلاَ عَلي لهَلك عُمَرَ. وكَذَلِكَ وَرَد مِثله فِي مطَالب السّؤول لِابْن طَلْحَة الشَافعي: ١٣، والمَنَاقب للخوَارزمي الحَنفي: ٣٩ و ٤٨ و ٦٠ و ٦٥ و ٨١، والفَخر الرّازي فِي الأَرْبَعِين: ٤٦٦. وروىٰ ابن الجَوزي فِي كتَاب الأذكيَاء: ١٨ وفِي كتَابه أخبار الظّرَاف: ١٩ فِي حَديث طَويل قَالَ فِيهِ عُمَرَ بن الخَطَّاب: لاَ أبقَاني الله بَعد ابْن أَبي طَالب. تذكرة الخواصّ: لسبط ابْن الجوزي: ٨٧ و ١٤٨.

وفِي كَنز الْعُمَّال: ٣/١٧٩، و: ٥/٢٤١ و ٤٥١ وح ١٣٥٨٤ قَالَ عُمَرَ مُخَاطباً الإمَام عَليّ: لا أبقاني الله لشِدَّة لسَت لهَا، وَلاَ فِي بَلد لسَت فِيهِ. وَمِثله فِي مصبَاح الظَّلام: ٢/٥٦. وَقَالَ فِي المَنَاقب للخوَارزمي: ٥٣ و ٨١/٩٥ و ٩٧/٩٨: اللَّهُمَّ لاَ تُبقني لمُعضلة لَيسَ لهَا عليّ حيّاً.

ومِمَّا يجدر ذكره أنّ عُثْمان بن عَفَّان أيضاً قَالَ: لَوْلاَ عَليّ لهَلك عُثْمان. كتَاب أحمَد بن حنبل ـ فَضَائِل الصَّحَابَة ـ عَن سَعيد بن المسيّب قَالَ فِي: ٢/٦٧٤: كَانَ عُمَرَ يَتعوّذ مِن مُعضلة لَيسَ لهَا أبو حَسن. وَمِثله فِي الإسْتِيعَاب: ٣/١١٠٢، صَفوة الصَفوة: ١/١٢١، كفَاية الطَّالب: ٩٥، أُسد الغَابَة: ٤/٢٢.

(٢) أُنظر، العِقد الفَريد: ٣/٧٣ و: ٤/٢٧٢، طَبعَة آخر، أَنسَاب الأشرَاف: ٥/١٨، شَرح نَهج البَلاَغة ◄

يَشك أَحَد أَنَّه سَيَعهد إِلَيه بِالأَمر ، وَيَرجع الحَقّ إِلَىٰ أَهْله ؛ وَلَكن مَا أَنْ دَنَا أَجْله ، وَأَتَته مَنِيَته ؛ حَتَّىٰ نَسي عَليّاً وَمَوَاقفه وَسوَابقه ، وَقَرنه بِنَفر لَيْس لأَحدهِم قَدِيم مَذكُور ، وَلاَ يَوْم مَشهُور ، وَسَمىٰ مَعَهُ خَمْسَة ، وقَالَ : إِنْ إِجْتمع عَلِيّ وعُثْمَان فالقول مَا قَالاَه ، وإِنْ صَاروا ثَلاَثة وَثَلاَثة فَالقَول للَّذين فِيهِم عَبدالرَّحمن بن عَوْف ، لِعلْمه أَنَّ عَليّاً وعُثْمَان لاَ يَجْتمعَان ، وأَنَّ عَبدالرَّحمن لاَ يَعْدل بِالأَمر عَن عُثْمَان ، لأَنَّه صِهرَه وَزوّج أُخته[1] ؛ ثُمَّ أَمَّر عَلَيهِم ٱبْنه عَبدالله ، وَأَمره أَنْ يَضرب أَعنَاق السِّتة إِنْ لَمْ يُنَفّذا أَمرَه[2] .

وَقَدْ وَصَفهُم عُمَر حِين جَعَلها شُورىٰ بَيْنَهُم ، وَخَاطب كلّ وَاحد بصِفَته ، ففي روَاية قَالَ : « ذَكر عُمَرَ مَن يَسْتَخلف فَقِيل : أَين أَنْتَ عن عُثْمانَ ؟ قَالَ : لَو فَعَلتُ

⇐ لِابْن أَبي ٱلحَدِيد : ١٢ / ٢٥٩ ، ٱلْفَتح المُبِين : ٢ / ١٨٠ ، الإِسْتِيعَاب : ٣ / ١١٥٤ ، الطَّبَقَات الْكُبرىٰ : ٣ / ٣٤٢ .

(١) وَلِذَا قَال الإِمَام عَليّ عليه السلام : « وَمَالَ ٱلآخَرُ لِصِهْرِهِ » . أُنظر ، شَرْح ٱلخُطْبَة : (٣) المَعْرُوفَة بِالشّقشِقِيَّة .

(٢) ٱلشُّورَىٰ مُورِسَت فِي التَّأريخ وَأَدَّت إِلَىٰ تَعيين عُثْمان بن عَفَّان ، هِي أَيضاً مَظهر مِن مظَاهر العَهد ، وإِن كَانَتْ ظَاهراً غَير فَردية ؛ لاَكِنَّهُ فِي الْحَقِيقَة فَردية صِرفة ؛ لِأَنَّهَا بِيَد عَبد ٱلرَّحْمَان بن عَوْف ، وَهَذَا مَا حَدَث فِعلاً . وَلِذَا جَاء فِي العِقد الفَرِيد الحوَار الَّذي دَار بَيْنَ مُعَاوِيَة بن أَبي سُفْيَانَ ، والحُصين بن مَالك أبن الخشخاش : « قَالَ : فَأَنا أُخبرك ، أَنَّه لَم يُشتت بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِين ، وَلاَ فَرَّق أَهْوَاءهُم إِلاّ ٱلشُّورَىٰ الَّتي جَعَلها عُمَرَ بن الخَطَّاب إِلَىٰ سِتَة نَفر ... » .

أُنظر ، العِقد الفَرِيد : ٤ / ٢٧٤ و : ٥ / ٣٣ ، فَتح البَاري : ١٣ / ١٩٨ ، أَنْسَاب الأَشْرَاف ٥ : ١٩ ، الإسْتِيعَاب : ٢ / ٣٨٥ ، الإِصَابَة : ٢ / ٤٠٨ ، أُسد الغَابَة : ٣ / ٣١٣ ، تَأرِيخ اليَعقوبيّ : ٢ / ١٠٣ ، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ : ٣ / ٤٤٣ ، شَرْح النَهج لِابْن أَبي ٱلحَدِيد : ٢ / ١٣٠ ، الإِسْتِيعَاب : ٢ / ٨٣ ، الإِصَابَة : ٢ / ٦١ ، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة : ١ / ٢٣ ، الكَامل فِي التَّأرِيخ لِابْن الأَثِير : ٢ / ١٥٦ ، الطَّبَقَات الْكُبرَىٰ : ٢ / [illegible] ، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ : ٣ / ٦٧ ، السِّيرَة لِابْن هِشَام : ٤ / ٧٣ ، المغَازي للوَاقدي : [illegible] / ٨٨١ ، كنز العمّال : ٣ / [illegible] .

لحَمَل بَني أَبي مُعَيْط عَلىٰ رِقَاب النَّاس . قِيل : الزُّبَيْر ؟ قَالَ ، مُؤمِن الرِّضَىٰ ، كَافر الغَضب . قِيل : طَلْحَة ؟ قَالَ : أَنفهُ فِي السَّمَاء وأُستُه فِي الْمَاء . قِيل سَعد ؟ قَالَ : صَاحب مَقْنَب ـ جَمَاعَة مِن الخَيْل تَجْتَمِع للغَارة . قِيل : عَبد ٱلرَّحْمَان ؟ قَالَ : بِحَسبَه أنْ يَجري عَلىٰ أهْل بَيْتِه »[1] .

وَفي روَاية ٱبن قُتَيْبَة : « ... فقَالُوا : قُل فِينَا يَا أَمِير الْمُؤْمِنِينَ مَقَالة نَسْتَدل فِيهَا بِرَأيك وَنَقتدي بِهِ ، فَقَالَ : وَالله مَا يَمنَعني أنْ أَستَخلفك يَاسَعد إلّا شِدّتك ، وَغِلظَتك مَع أنَّك رَجل حَرْب ، وَمَا يَمنَعني مِنّك يَا عَبد ٱلرَّحْمَان إلّا أنّك فِرْعَوْنَ هَذِه الأُمَّة ، وَمَا يَمنَعني مِنْك يَازُبَيْر إلّا أَنّك مُؤمِن الرّضا كَافر الغَضب ، وَمَا يَمنَعني مِن طَلْحَة إلّا نَخوَته وَكِبرَه لَو وَلّيهَا وَضَع خَاتمهُ فِي أُصبع ٱمْرَأته ، وَمَا يَمنَعني مِنّك يَاعُثْمانَ إلّا عُصْبَتك وحُبّك قَومك ، وَمَا يَمنَعني مِنّك يَا عَليّ إلّا حِرصك عَلَيْهَا ، وَإنّك أَحرىٰ القَوْم إنْ وَلّيتها أَنْ تُقِيم عَلىٰ الحَقّ المُبِين وَالصّراط المُسْتَقِيم »[2] .

وَرُوي أنّ عُمَرَ بن الخَطَّاب لمّا نَظر إلَيْهمْ ـ أَصحَاب ٱلشُّورَىٰ ـ قَالَ : « قَد جَاءَني كلّ وَاحد مِنْهُم يَهزّ عَقِيرَته يَرجو أَنْ يَكون خَلِيفَة .... فَأمّا أنْتَ يَاطَلْحَة أَفلسْتَ القَائِل : إنْ قُبض النّبيّ لَنَنكحنّ أَزوَاجه مِن بَعدَه ، فمَا جَعل الله مُحَمّداً أَحقّ بِبَنَات أَعمَامنا فَأنزَل الله فِيك : ﴿ ... وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾[3] .

(١) أنظر ، أَنسَاب الأَشْرَاف : ٥ / ١٧ .
(٢) أنظر ، الإمَامَة وَالسّيَاسَة : ١ / ٢٨ .
(٣) ٱلأَحْزَاب : ٥٣ ، رَاجع تَفسِير الخَازن : ٣ / ٥٠٩ ، شَرح النّهج لإبن أبي ٱلحَدِيد : ١ / ٦٢ .

وَأَمّا أَنْتَ يَازُبَيْر فوَالله مَا لاَن قَلْبِكَ يَوْمَاً وَلاَ لَيْلَة وَمَازلت جِلفَاً جَافِياً مُـؤمِن الرِّضا كَافر الغَضب، يَوْمَاً شَيْطَان وَيَوْمَاً رَحمَان، شَحِيح.

وَأَمّا أَنْتَ ياعُثْمانَ لرَوثَة خَيرٌ مِنك، وَلئَن وَلّيتها... وَلئَن فَعلتَها لتقتُلنَّ، ثَلاَث مَرّات.

وَأَمّا أَنْتَ يَا عَبد ٱلرَّحْمَان فإنّك رَجل عَاجز تُحبّ قَومك جَمِيعَاً...

وَأَمّا أَنْتَ يَا سَعد فصَاحب عَصبيَة، وَفِتْنَة...

وَأَنْتَ يَا عليّ فوَالله لَو وِزن إِيمَانُك بإِيمَان أَهْل الأَرْضِ لرَجَحهُم.. فَقَام عَليّ مُوَلِيَاً يَخرج فَقَالَ عُمَرَ: وَالله إِنّي لأَعلم مكَان الرَّجُل...»[١].

أرَأيت إِلَىٰ هَذِه الشُّورىٰ كَيف جَمَعت بَيْنَ المُتَناقضَات، والمُنْكَرات؟! يَشْهَد عُمَر أَنَّ النَّبيّ مَات، وَهُو رَاضٍ عَن هَؤُلاَء السّتة، ثُمَّ عَاب عُمَر نَفْسه أَكثرهُم بِمَا يَتنَافىٰ مَع رِضا النَّبيّ وَأَهليتهُم للخِلاَفَة، ومَع ذَلِكَ ٱختَارهُم لهَا، وَبَعْد ٱختيَارهُم لتَولية أَمر المُسْلمِين أَبَاح قَتْلهُم!... وَهُنا يَقف الإِنسَان حَائِراً مُتسَائِلاً: إِذَا كَـان هَؤُلاَء أَهلاً للخِلاَفة، وَمَات النَّبيّ رَاضيَاً عَنْهُم، فَكَيف أَبَاح عُمَر دَمهُم، وأَجَـاز قَتْلهُم؟!... وإِذَا أَجَاز قَتلهُم فَكَيف ٱختَارهُم للخِلاَفة، وَجَعل أَمر المُسْلمِين فِي أَيديهِم؟!... وَمَا هُو السَّبَب لتَرجِيح الثَّلاَثة الَّذِين فِيهم عَبدالرَّحمن عَلىٰ الَّذِين فِيهم عَليّ؟!... وَلِمَاذَا لَمْ يَجْعل الأَمْر فِي يَد عَبدالرَّحمن مُنذ البدَايَـة؟ وَكَـيف عَدَل عَن طَرِيقة الرَّسُول الأَعْظَم مِنْ تَرك الأَمْر شُورىٰ بَيْنَ جَمِيع المُسْلمِين ـ كَمَا

(١) أُنظر، الكَامِل لِابن الأَثِير: ٣ / ٣٥، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١ / ٢٤، شَرح النَّـهج لِابـن أَبـي ٱلـحَدِيد: ٣ / ١٧٠ و: ١٢ / ٢٦٠.

زَعَم ـ؟!... ولأي شَيء، لَمْ يَختر هُو الأَصْلح الَّذي يَعرفَه وَيَعتقده، كَمَا فَعل أَبُو بَكْر؟!... وَمَا زَالت هَذِه الأَسئِلة عَطشىٰ إِلَىٰ الجَوَاب المُقْنِع.

جَاء فِي كتَاب «العِقد الفَرِيد»: «أَنْ مُعَاوِيَة قَالَ لِابْن حُصِين: مَا الَّذي شَتَت أَمر المُسْلمِين، وَفرَّق أَهوَائهُم، وَخَالف بَيْنَهُم؟ قَالَ: قَتل النَّاس عُثْمَان. قَالَ: مَا صَنعت شَيئاً. قَالَ: قتَال عَليّ إِيَّاك. قَالَ: مَا صَنعت شَيئاً. قَالَ: مَسِير طَلْحَة وَالزُّبَيْر وَعَائِشَة، وَقتَال عَليّ إِيَّاهم. قَالَ: مَا صَنعت شَيئاً. قَالَ: مَا عِندي غَير هَذَا. قَالَ: لَمْ يُشَتت أَمر المُسْلِمين وَلاَ فَرَّق أَهوَاءهُم وَلاَ خَالف بَيْنَهُم إِلاَّ الشُّورىٰ الَّتي جَعَلها عُمَر إِلَىٰ سِتَة نَفر... فَلَم يَكُن رَجُل مِنْهُم إِلاَّ رَجَاها لنَفْسه، وَرَجَاهَا لهُ قَومه، وَتَطَلعت إِلَىٰ ذَلِكَ نَفْسه، وَلَو أَنَّ عُمَر ٱسْتَخلف عَلَيهم كَمَا ٱستَخلف أَبُو بَكْر مَا كَان فِي ذَلِكَ خِلاَف»[1].

وَهَكَذا يَشهد شَاهد مِنْ أَهْله، وَيَعْتَرف المُبطل بِبُطله؛ وَكَيفمَّا كَان فَقَد تَمّت البَيْعَة لعُثمَان، ولَمْ يَكُن عِند الإِمَام إِلاَّ الصَّبْر عَلىٰ هَذِه كَمَا صَبر مِنْ قَبل عَلىٰ غَيرها، وكلّ وَاحدَة أَمضىٰ وأَبْلَغ مِنْ أُختهَا. ولَمْ يَطل الأَمَد حَتَّىٰ أَتَاه الَّذِين بَايعُوا عُثْمَان وغَيرِهم يَسأَلُونه خَلع ٱبْن عفَّان، وَيُبَايعُونه عَلىٰ المَوت. فَأَمسَك، وَتَرك عُثْمَان للمُسْلِمين يَخلعُونه أَو يَقْتلُونه عَلىٰ مَا غيَّر وَبدَّل مِنْ سِيرة مَنْ مَضىٰ بَإختيَار الوِلاَة الفَسَقة الفَجرَة، وَبِإِيوَائه طَرِيد رَسُول الله، وَإِيثَار أَهْله بِأَموَال المُسْلِمين، وَبمَا حمَاه لنَفْسه مِنْ المَاء وَالكَلأ، وَبِضَربه ٱبْن مَسعُود، وَنَفْيه أَبا ذَرّ، وَتَعطِيله الحَد الوَاجب عَلىٰ عُبيد الله بن عُمَر الَّذي قَتل الهُرْمُزَان، وَهُو مُسْلم؛

---

(١) أُنظر، العِقد الفَرِيد، لِابن عَبد رَبّه الطَّبعَة الثَّالثَة سَنَة (١٩٥٣م): ٣١. (مِنْهُ ﷺ). و: العِقد الفَرِيد: ٤ / ٢٧٤ و: ٥ / ٣٣. وَقد تَقدَّم إِسْتخرَاج ذَلِكَ.

وَغير ذَلِكَ مِمَّا لاَ يَبْلُغه الإحصَاء[١].

وَلمَّا قُتل عُثمَان انثَال المُسْلمُون عَلىٰ الإمَام مِنْ كلّ جَـانب، حَـتَّىٰ وُطـيء الحَسنَان، كمَا قَال هُوعليه‌السلام: «فَمَا رَاعَنِي إلاّ وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّىٰ لَقَدْ وُطِئَ الحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ»[٢]. وَظنَّ أَنَّ بَعْضهُم قَاتل بَعْض، وَهتفُوا لا يَصْلُح للخِلاَفة إلاَّ عَليّ، فَقَال لهُم: «دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ، وَأَلْوَانٌ، لاَ تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلاَ تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ. وَإِنَّ الآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، وَالْمحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَىٰ قَوْلِ الْقَائِلِ، وَعَتْبِ الْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ، وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ، وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً، خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً»[٣]! فَقَالوا: لاَ نَجد غَيرك، وَلاَ نَرضىٰ إلاَّ بِك، وَتَمت لهُ البَيْعَة، وترَاكَمت عَلَيه المصَاعب وَالمتَاعب، وَكلّها مِـنْ نَـوع جَدِيد لاَ عَهْد لهُ بِمِثلهَا.

---

١) أُنظر، دَلاَئل الصِّدق للمُظَفر؛ فَإنَّ فِيهِ المآخذ مَع ذِكر المَصَادر وَالارقَام مِنْ كُتب السُّنَّة. (مِنْهُ قدس‌سره).

أُنظر، السِّيرَة النَّبويَّة: ٢ / ٨٢، طَبْعَة ٢ بِمصر، شَرح النَّهج: ١ / ٦٦ و ٢٣٣، مُسْتدرَك الـحَاكِـم: ٣ / ٢٣٧ و: ٣٤٥، الكَامِل لِابن الأثِير: ٣ / ٦٥ و ٧٣، الطَّبريّ: ٥ / ٨٠ و ٩٤، مُسْنَد أَحمد: ٥ / ١٥٥ و ١٦٦، و: ٦ / ٤٥٧، كَنز العُمَّال: ٦ / ١٧٠، العِقد الفَرِيد: ٣ / ٩١، المعَارف لِابن قُتَيْبَة: ٨٤، تَأريخ أَبِي الفِدَاء: ١ / ١٦٨، الإصَابَة: ٣ / ٦١٩، سُنن البَيْهَقِيّ: ٨ / ٦١، الطَّبقَات لِابن سَعد: ٥ / ٨، أَنسَاب الأشْرَاف: ٥ / ٢٨، كَنز العُمَّال: ١١ / ٦٨٥، البدَاية والنّهاية: ٦ / ٢١٤، الإمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١ / ٣٤ ـ ٣٨. كلّ هَذِه المصادر وغَيْرها نقلت لنا هَذِه المَسَاوِىء العُثْمانية بِشَكلٍ مُفَصّل.

(٢) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطبَة (٣) المَعْرُوفَة بالشّقشِقِيَّة.

(٣) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطبَة (٩٢).

ذَهَب عُثْمَان بَعْد أَنْ تَرك لخَلَفه الشَّدَائد وَالأَزمَات، تَرك وِلاَة يَفسقُون وَيَستَبيحُون المُحرمَات، وَمَحاسِيب يَمتَصُون دَم الشَّعب، وَفُوضىٰ فِي كلّ مكَان، وَطُغَاة يَأملُون بِالحُكم، أغراهُم بِهِ مَنْ تَقَدَّم، وَشَجعهُم عَلىٰ طَلَبه سِيرة عُثْمَان مَع أَهْله وَصَحبه، هَذَا، إِلَىٰ حُسَّاد حَاقدِين، وَأَعداء يَترقبُون الفُرص للوثُوب وَالإِنتقَام!... فَمَاذا يَصْنع الإِمَام، وَهُو الَّذي لاَ يُدَاهن وَلاَ يُسَاوم، وَلاَ يُعطي الحَقّ إِلَىٰ غَير أَهْله. وَلمَّا هَمَّ بِالإِصلاَح أَتَاه المُسْتَثمرُون يَسأَلُونَه البَقَاء عَلىٰ أَسْوَاءِهِم، أو المُهَادنة إِلَىٰ حِين، وَلمَّا لَمْ يَجدُوا عِندَه إِلاَّ الحَقّ تَعَللوا الأَعَالِيل، وَأَركبُوا أُمّ المُؤْمِنِين عَلىٰ الجَمَل يَقطعُون بِهِ الفَيافي وَالقفَار، وَتَجمع حَول جَمَلهَا طَلْحَة، والزُّبَيْر، وَبَنو أُمَيَّة، وَمَن وَلاَّهم عَلىٰ مُعَانَدة الحَقّ، وَالعَدْل دَافع عَليّ، وَوَلدَاه الحَسْنَان عَن عُثْمَان، وَحَرَّضت عَلىٰ قَتْله عَائِشَة، وطَلْحَة، والزُّبَير، مُعَاوِيَة، وَابْن العَاص. وَلمَّا قُتل عُثْمَان طَالبُوا عَليّاً بِدَمه!.

وَقَف الإِمَام مَع أَصْحَاب الجَمَل بَيْنَ اثنَتين: إِنْ سَكَت وَلَمْ يُنْكر المُنْكَر انْتَشَر البَغي، وَتَحَكم الطُّغَاة فِي الرَّعيَة، وإِنْ قَاتل جَرَت الدِّمَاء فَقَدَّم الحُجَّة بِالأَعذَار وَالإِنذَار، وَدَعَا المَرأَة بِالرّجُوع إِلَىٰ بَيْتهَا، وَقَومهَا بِالوَفَاء بِبَيعتهُم، فَلَم يَزْدَادوا إِلاَّ تَمَادياً وَغَيّاً، وَلمَّا أَبوا إِلاَّ الحَرْب رَكبها للتَّأدِيب، وَاستَعمل العُنف للقَضَاء عَلىٰ العُنف، وَدَارت الدَّائِرة عَلىٰ النَّاكثِين[1]. وَلَكن هَل وَقَف الأَمْر عِند هَذَا الحَد؟

---

(١) ذكر قِصَّة الجَمَل، وكِلاَب الحَوْأب، الطَّبري فِي تَأْرِيخه: ٣/ ٤٧٥، وَاسم جَمل أُمّ المُؤْمِنِينَ يسمّىٰ «عَسكَراً» وكَانَ عَظِيم الخَلق شَدِيداً، فَلَمَّا رَأَتهُ أَعْجبهَا، وَأَنشأ الجمّال يُحدّثها بقُوّته، وشِدَّتِهِ. ويَقُول فِي أَثنَاء كَلاَمه «عَسْكر» فَلَمَّا سَمعَت هَذِه اللَفظَة اسْترجَعت، وَقَالت: ردّوه لاَ حَاجَة لِي فِيه.

كَلاً. بقي ٱبْن آكِلَة الأَكبَاد، بقي الطَّلِيق ٱبْن الطَّلِيق، بَقي المُعَاند لله وَرَسُوله وَللمُؤمِنين، بَقي الَّذي خَذل عُثمَان، ثُمَّ ٱنْتحل دَمه بَعْد أَنْ أَيقَن بِعَزله عَن وَلاَية الشَّام، وَجَمع حَوله الهَمج وَالرُّعَاع، وَالعَاصي ٱبْن العَاصي الَّذي أَشَار بِإِظهَار المصَاحف وَرَفعهَا عَلىٰ الأَعلاَم، وَٱنْطلَت الحِيلَة عَلىٰ عَسْكر الإِمَام، وَقَالُوا لهُ: أَجب القَوم. فقَال لهُم: «إِنَّها مَكْر وَخَدِيعَة، لجَأوا إِليهَا حِين أَيقنُوا بِالهَلاَك، ولَيس القَوم بِأَهل القُرآن وَلاَ سُنة، فَٱمهلُوني سَاعَة وَيَأْتِيكُم النَّصر، فَلَم يَسْتَجيبُوا لهُ، فَجَهد جُهده، ولَمْ يَترك عِلَّة إلاَّ بَلَّغها، وَلَكن عَلىٰ غَير جَدوى، وقَالَ بَعْضهُم لبَعض: «إِنْ لَمْ يَفْعل أَلحقُوه بِعُثمَان، أَو ٱدفعُوه إِلَىٰ ٱبْن هِند يَفْعل بِهِ مَا يَشَاء، وَخَاف الإِمَام إِذَا مَضىٰ عَلىٰ عَزمِهِ أَنْ يُقْتل الحَسْنَان، وَتَنقَطع ذُرِّية الرَّسُول. وَبَعْد أَنْ ٱستجَاب لهُم الإِمَام مُكرَهاً أَرَاد أَنْ يُحَكم الأَشْتَر أَو ٱبْن عَبَّاس، ليَسد

↩ وذَكرت حِين سُئلت أَنَّ رَسُول الله ﷺ ذَكر لهَا هَذَا الإِسم، وَنَهاهَا عَن ركُوبه وَأَمرت أَنْ يُطلب لهَا غَيْره، فَلم يُوجد لهَا مَا يُشْبهه فَغيّر لهَا بجلالٍ غَيْر جَلاله، وَقِيل لهَا: قَد أَصبنَا لَكِ أَعظم مِنْهُ خَلقاً، وأَشدّ مِنْهُ قوّة، وأُتيت بِهِ فَرَضيت!

أُنظر، شَرح النَّهج لِابن أَبي ٱلحَدِيد: ٦/ ٢٢٤، وَفي: ٦/ ٢٢٧ (أَنَّ عَائِشَة رَكبَت يَوْم الحَرْب الْجَمَل المُسمّىٰ عَسْكراً فِي هَودج قَد أُلبس الرّفوف، ثُمّ أُلبَس جلُود النّمر، ثمّ أُلبس فَوق ذَلِكَ درُوع ٱلحَدِيد)، فِي تَأرِيخ أَبن أَعْثَم: ١٧٦ مِثْله، وَزَاد الطَّبَرِيّ فِي تَأرِيخه: ٥/ ٢١٢، وأَبن الأَثِير: ٣/ ٩٧ أَنّ ضَبّة، والأَزد أَطَافت بعَائِشَة يَوْم الْجَمَل. وَإِذَا رِجَال مِن الأَزد يَأخذُون بَعر الْجَمَل يَفتّونه ـ يكسرُونه بأَصَابِعِهمْ ـ وَيَشمّونه ويَقُولُون: بَعرُ جَمَلِ أُمّنا رِيحهُ رِيح المِسك...

مُروج الذَهب: ٢/ ٣٦٦، تَأرِيخ الطَّبري: ٥/ ١٧٨، وَطَبعة أُوروبا: ١/ ٣١٢٧، أَبن كَثِير فِي تَأرِيخه: ٦/ ٢١٢، السُّيوطي فِي خصَائصه: ٢/ ١٣٧، والبَيْهَقِيّ، والمُسْتَدرَك: ٣/ ١١٩، والإِصَابَة: ٦٢، السِيرة الْحَلَبِية: ٣/ ٣٢٠، مُسْنَد أَحمَد: ٦/ ٩٧، السَّمعَاني فِي تَرجمَة الحُوأب في الأَنسَاب، وَالسِّيرة الْحَلَبِية: ٣/ ٣٢٠، ومُنْتَخب الكَنز: ٥/ ٤٤٤.

الطَّريق عَلىٰ حِيل ٱبْن العَاص، فَأَبوا إلاَّ أَبا مُوسىٰ الأَشْعَري، وكَان مِنْ أَمر الحَكمَين مَا أَشْهر مِنْ أَنْ يُذْكَر، وَلمَّا وَقعوا فِيمَا حَذَّرهُم مِنْهُ الإِمَام قَالُوا لهُ: مَا كَان يَنْبَغي أَنْ تُتَابعنا عَلىٰ الخَطأ، وَخَرجُوا رَاكبِين رُؤوسهُم يَأبُون إلاَّ السَّيف.

أرَأَيت إلَىٰ هَذَا البَلاَء!... دَعَاهُم الإِمَام إلَىٰ طَرِيقه، فَلَم يَسْتَجيبُوا لهُ، وَلمَّا ٱستجَاب لهُم طَلبوا مِنْهُ أَنْ يَعْترف عَلىٰ نَفْسه بِالمرُوق مِنْ الدِّين، وإلاَّ حَاربُوه لاَ لشَيء إلاَّ لأَنَّه ٱستجَاب لهُم، هَذَا مَع العِلْم بِأَنَّه لَو لَمْ يَسْتَجب لحَاربُوه أَيضاً!... عَليّ بَعْد تَضحيَاته وَجِهَاده الطَّويل مِنْ أَجل الدِّين يَعْتَرف بِالخرُوج مِنْ الدِّين وعَلىٰ الدِّين؛ عَليّ الَّذي هُو الإِيمَان كلّه، والحَقّ كلّه يَدور مَعَهُ حَيثمَا دَار يَعْتَرف عَلىٰ نَفْسه بِأَنَّه خَالف الحَقّ والإِيمَان[1]!....

---

(١) وَقْفَةٌ مَع رَفع ٱلمَصَاحِف:

أطْبَق المُؤرّخون وأَهْل السِّير علىٰ أنَّ الجَيْش الإِسْلاَمي العَلوِي قَد ٱقْترب مِن الفَتح وَلاَح لهُم النَّصر، وَالظَّفر وتَوجه الخَطر إلىٰ مُعَاوِيَةَ، وَأَصحَابه، وهَذَا مَا بَيّنه الإِمَام عَليّ ﷺ فِي خُطْبَتَه الَّتي ذَكرَها صَاحب وَقْعَة صِفِّين: ٤٧٦ وَفِيهَا: أيّها النَّاس، قَد بَلَغ بِكُم الأَمر وبِعَدُوّكم مَا قَد رَأَيْتُمْ، ولَمْ يَبْقَ مِنهُم إلاّ آخر نَفْس، وإنَّ الأُمُور إذَا أقْبلت أُعتُبرَ آخرهَا بِأَوّلها، وقَد صَبر لَكُم القَوْم عَلىٰ غَير دِينٍ حَتَّىٰ بَلغْنا، وأنَا غَادٍ عَلِيهم بِالغَداة أُحَاكمهُم إلىٰ الله عزّ وجلّ.

ولَمْ يَستطع مُعَاوِيَةُ المُقَاومة إلاّ عن طَرِيق الخُدعَة والمَكر، فأستعَان بِعَمْرو بن العَاص ـ كمَا أشرنَا سَابقاً ـ فأَمر مُعَاوِيَةَ أَصحَابه فِي جُوف اللَّيْل أنْ يَربطوا المصَاحِف عَلىٰ رُؤُوس الرِّمَاح، وأَصْبَحَ الصَّباح وإذَا بِأَهْل العرَاق يُشَاهدُون خَمسِيئة مُصْحف عَلىٰ رُؤُوس الرِّمَاح، وأَهْل الشَّام يُنادُونَ... ويَتعطّفون أَهْل العرَاق ويَطلبُون مِنهُم تَرك الحَرْب، وقَالُوا: هَذَا كتَاب الله عزّ وجلّ بينَنا و وَبَيْنَكُمْ. وفِي هَذَا قَالَ النَّجاشي:

فَأَصْبَحَ أهْل الشَّام قَد رَفعُوا القَنا ... عَليها كِتَاب الله خَير قُرآنِ
ونَادُوا عَلِيّاً: يَاٱبن عَمّ مُحَمَّد ... أمَا تَتقِي أنْ يَهلك الثَّقلانِ

لَقَد اْغْتصبُوا حقّه فَصَبر، وَخيَّروه بَيْنَ القتَال وَالطَّاعة فَصَبر، وَقَرنُوه فِي الشُّورىٰ مَع مَنْ لاَ يَجْمَعه وَإِيَّاهُم جَامع فَصَبر، وَقَالُوا عَلِيّ وَمُعَاوِيَة فَصَبر، وَأَخِيراً حَاربُوه لأِنَّه صَبَر، وَلاَ أَحسب أَنَّ حيَاة نَبي، أَو وَلي تَعرضَت لهَذَا النَّوع مِنْ البَلاَء. وَقَسماً بِالعَظِيم أَنَّ مَا يَوْم الحُسَيْن فِي كَربلاَء بِأَشد مِنْ يَوْم أَبِيه فِي النَّهرَوَان. قَاتل الحُسَيْن جَيْش الأَعدَاء، وَقَاتل أَبُوه جَيْش الأَعدَاء وَجَيشه بِالذَات، قَاتل أَصْحَاب الجِبَاه السُّود، وَبِالتَالي، فَإِنَّ السَّبَب الأَوَّل وَالأَخِير لآلاَم

↔ أنظر، كتاب الخَيْل لأَبي عُبَيْدَة: ١٦٢ وبَعْض أبيَات هَذِه القَصِيدة، رَواهَا اْبن الشَّجري فِي حمَاسته: ٣٣، وَقْعَة صِفِّين: ٥٢٤ ـ ٥٢٦.

والسّؤال الَّذي يَطرح نَفْسه هُو: مَن هُو المَظلُوم فِي وَقْعَة صِفِّين ومَا سَبَقهَا ومَا بَعدها؟.

والجَوَاب يُوضحه قُول الرّسول ﷺ كمَا وَرَد فِي عُيُون أخبَار الرّضا: ١ / ٢٣٦ البَاب ٢٧ ح ٦٣ عن الحُسَيْن بن عَليّ عليه السلام قَالَ: قَالَ: رَسُول الله ﷺ: يَا عَليّ، أنتَ المَظلوم مِن بَعدي، فوَيلٌ لِمَن ظَلَمك وأعتدىٰ عَلَيْكَ، وطُوبىٰ لِمَنْ تَبعَك ولَم يَختر عَلَيْكَ. يَا عَليّ، أَنْت المُقَاتَل بَعدِي، فَويلٌ لِمَنْ قَاتَلك، وطُوبىٰ لِمن قَاتل مَعك. أنظر، تَفْسِير الدُر المنثُور للسيوطي: ٢ / ٢٩٨. وَقَالَ عليه السلام أَيضاً: لقَد ظُلمتُ عَدَد الْحَجَرُ، وَالْمَدَرُ. ولسنَا بِصَدد بيَان كلّ الأحَادِيث الوَاردة بهَذا الخصُوص بل نُحيل القَارئ الكَرِيم إِلىٰ المصَادر التَّالية:

التَّأرِيخ الْكَبِير: ١/ق ٢ / ١٧٤ طَبْعَة حَيدر آباد، شَرح النَّهج لِابْن أَبي اْلْحَدِيد: ١٣ / ٣٠٠، العِقد الفَرِيد: ٤ / ٢٥٩، الإِمَامَة والسّيَاسَة: ١ / ١٣، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢ / ٢١٩، تَأرِيخ الطَّبَرِي: ٣ / ٢٩٤.

ثُمّ أُنظر إِلىٰ خِطْبَته عليه السلام الَّتي يُبيّن فِيهَا مَظلومِيته وتَثاقل أَصحَابه كمَا وَردت فِي شَرح النَّهج الخُطْبَة الخُطْبَة ٣٥، وَالخُطْبَة ٩٦، وأُنظر وَقْعَة صِفِّين: ٤٨٠ ـ ٤٩٤، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ٦ / ٢٧، وشَرح النَّهج لِابْن أَبِي اْلْحَدِيد: ١ / ١٨٦ ـ ١٨٨، الإِصَابَة: ٨٨٤٩ فِيهَا تَراجم بَعْض المُعترِضِين، والمعَارف: ٤١ ـ ٤٢، وَخِزَانَة الأَدب: ٣ / ٤٦٢ وَفِيهَا بَعْض الأَشعَار، وكَذَلِك الأَصْمعِيات: ٤٣ ـ ٤٥، والفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٢ / ١٨٦ ـ ١٨٨ ومَا بعدها، الكَامِل لِابْن الأَثير: ٣ / ٣١٦، وتَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ٤ / ٣٥ ومَا بَعدهَا طَبْعَة أُخرىٰ، الأَخْبَار الطّوال: ١٨٩.

الإمَام هُم قُرَيْش الَّذِين قَطعُوا رَحمه، وَأَجمعُوا عَلىٰ مُنَازعَته فِي حَقّه وَقَالُوا لهُ بِالفِعل لاَ بِالقَول اَصْبر مَغمُوماً، أَو مُتّ مُتَأسفاً. فَكَظم غيظَه عَلىٰ أمَرّ مِنْ العَلْقَم، كمَا قَال هُو عليه السلام فِي خُطْبَتِهِ: «أَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ، وَمَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَأَكْفَئُوا إِنَائِي، وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ مُنَازَعَتِي حَقّاً. كُنْتُ أَوْلَىٰ بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا: أَلاٰ إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَاْصْبِرْ مَغْمُوماً، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً. فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ، وَلاٰ ذَابٌّ، وَلاٰ مُسَاعِدٌ، إِلاّٰ أَهْلَ بَيْتِي، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّة فَأَغْضَيْتُ عَلَىٰ الْقَذَىٰ، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَىٰ الشَّجَا، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَىٰ أَمَرَّ مِنَ اَلْعَلْقَمِ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ»[1].

(١) أنظر، نَهج اَلبَلاَغَة: اَلخُطْبَة (٢١٧).

الشّيعَة وَمُعَاوِيَة
فِي عَهْد الإمَام

مُعَاوِيَة:

أَنَّ لمُعَاوِيَة «مَآثر» لاَ يُحصىٰ عَدِيدهَا:

مِنْهَا: أَنَّه مَلعُون عَلىٰ لسَان الله ونَبيّه، فَلَقَد فَسَّر المُفَسرُون الشَّجرَة المَلعُونَة فِي القُرْآن بَني أُمَيَّة[1]، وَرَآه النَّبيّ يَوْمَاً يَقود أَخَاه يَزِيد، فَقَال: «لعَنَ الله القَائِد وَالمَقُود»[2].

---

(١) أُنظر، دَلاَئل النُّبوّة للبَيهقي: ٦/ ٥١١، تَفسِير الطَّبري: ١٥/ ٧٧، الدُّر المَنثُور: ٤/ ١٩١، فَتح القَدِير: ٣/ ٢٣٩، تَأريخ دِمشق: ٥٧/ ٢٧٣، النِّزاع وَالتَّخاصم: ٢٣، الهِدَاية الكُبرىٰ: ٧٦ ح ٢٥، فَتح البَاري: ٨/ ٣٠٢، شَرح نَهج البَلاَغة لِابن أَبي الحَدِيد: ٩/ ٢٢٠.

(٢) أُنظر، الطَّبَريّ فِي تَأرِيخه: ٤/ ٢٠٢، و: ١١/ ٣٥٧، وسِبط أَبن الجَوزي فِي التّذكرة: ١١٥، ووَقعَة صِفِّين: ٢٤٧، والزُّبير بن بَكّار فِي المُفَاخرَات برِوَاية آبن أَبِي آلحَدِيد عَنْهُ فِي شَرح آلنَّهج: ٢/ ١٠٣، سِير أَعْلاَم النُّبلاء: ١/ ٢٣٧، ومُسْنَد أَحمَد: ٤/ ٤٢١، والمُعجَم الكَبِير: ١/ ٤٢٧، العِقد الفَرِيد: ٤/ ٣٤٥، الإِستِيعَاب: ٤١٢، وأُسد الغَابَة: ٣/ ١٠٦، وتَهذِيب أَبن عسَاكر: ١٠/ ٩٣ و: ٧/ ٢٠٦، والإِصَابَة: ٢/ ٢٦٠، مروج الذّهب بهَامش آبن الأَثِير: ٥/ ١٦٥ ـ ١٦٦، والنِّزاع والتَّخاصم للمَقرِيزي: ٢٠ طَبعة النَّجف، أَنسَاب الأَشرَاف: ١/ ٥٣٢، وصَحِيح مُسْلِم: ٤/ ١٩٥، ومُسْنَد الطَّيَالِسِي: ح ٢٧٤٦، وأَبن كَثِير: ٨/ ١١٩، ٤/ ١٩٥، وسُنن أَبن مَاجه: ح ١٨٦٩، الآحَاد والمَثَانِي:

وَمِنْهَا: أَنَّه يَمُوت عَلىٰ غَير الإِسْلاَم بِروَايَة عَبدالله بن عُمَر الَّذي قَالَ: «سَمِعتُ رَسُول الله يَقُول: «يَطْلع عَلَيكُم رَجُل يَموت عَلىٰ غَير سُنَّتي، فَطَلع مُعَاوِيَة»[1].

وَمِنْهَا: أَنَّه رَأس الفِئَة البَاغِيَة الَّتي قَتَلت عمَّاراً[2].

وَمِنْهَا: أَنَّه ابْن مَنْ قَاد الحرُوب ضِدّ الرَّسُول، وأَنَّه ابْن آكِلَة الأَكبَاد[3].

وَمِنْهَا: أَنَّه شَرَب الخَمر، وَهُو يَحْكُم بِاَسم الإِسْلاَم[4].

وَمِنْهَا: إلحَاق ابْن السَّفَّاح بِغَير أَبِيه[5].

وَمِنْهَا: دَسَّه السَّم بِالعَسل لقَتل الأَولِيَاء وَالصُّلحَاء، بِقَوله: «إِنَّ لله جُنُوداً مِنْهَا العَسَل»[6].

← ١/ ٣٧١و: ٦/ ٩٨ح ٣٣١٢، المُعْجَم الأوسَط: ٧/ ٤٨، مُسْنَد الشَّامِيين: ١/ ٢٥٧ح ٤٤٤و ٤٤٥، الجَامِع الصَّغِير: ١/ ٤٣١ح ٨١١، كَنز العُمَّال: ٤/ ٣٠١ح ١٠٥٩٨ وص: ٤٥٥ح ١١٣٥٧ و: ١١/ ١٢٤ح ٣٠٨٧٩، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٣/ ١٠٩ح ٢٨١١، تَهذِيب الكَمَال: ٣٥/ ٢٤٢، صَحِيح البُخَارِيّ: ٣/ ٢٣٢و: ٤/ ٥١، البدَاية والنِّهاية: ٦/ ٢٤٨.

(١) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٨/ ١٨٦، وَقعَة صِفِّين: ٢٣٠، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ١٥/ ١٧٦.

(٢) تَقَدَّم إِسْتخرَاج ذَلِك.

(٣) تَقَدَّم إِسْتخرَاج ذَلِك.

(٤) أُنظر، دَلاَئل الصِّدق: ٣/ ٢١٣ نَقلاً عَن مُسْنَد أَحمَد. (مِنْهُ ﷺ). أُنظر، مُسْنَد أَحْمَد: ٥/ ٣٤٧.

(٥) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبَرِيّ: ٤/ ٢٠٢و: ١١/ ٣٥٧، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ١/ ٢٣٧، ومُسْنَد أَحمَد: ٤/ ٤٢١، وَقعَة صِفِّين: ٢٤٦، والمُعْجَم الكَبِير: ١/ ٤٢٧، العِقد الفَرِيد: ٤/ ٣٤٥، الإِسْتِيعَاب: ٤١٢، وأُسد الغَابَة: ٣/ ١٠٦، تَهذِيب ابْن عسَاكر: ٧/ ٢٠٦، الإِصَابَة: ٢/ ٢٦٠، الطَّبقَات الكُبرَىٰ: ٤/ ٢٢٢، صَفوة الصَّفوة: ١/ ٢٣٨، سِيرَة ابن هِشَام: ٤/ ١٧٩.

(٦) أُنظر، مُروج الذَّهب: ٢/ ١٣٩ طَبعَة بَيرُوت، المُغتَالِين مِن الأَشرَاف: ٣٩، وتَأرِيخ اليَعقُوبي:

وَمِنْهَا: جَمْعَه اللُّصوص وَقُطَّاع الطُّرق، وَمَدهُم بِـالقوَّة وَالسِّـلاح، للسَّـلب وَالنَّهب، وَقَتل النِّسَاء وَالأَطفَال، وَإِحرَاق البيُوت عَلىٰ أَهلهَا[1].

ــــــــــــــ

↔ ٢ / ١٣٩ طَبعَة بَيْرُوت، شَرح النَّهج لِابْن أَبِي الْحَدِيد: ٢ / ٢٩، والطَّبَرِيّ فِي تَأْرِيخه: حوَادث سَنَة (٣٨ ـ ٣٩ هـ)، تَهْذِيب الكَمَال: ٢٧ / ١٢٦ رَقم ٥٧٣١، التَّأْرِيخ الْكَبِير للبُخاري: ٧ / ٣١١، وتَأْرِيخ الصَّغِير: ١ / ٨٧، الثِّقات لِابْن حبّان: ٢ / ٢٩٨، سِير أَعْلَام النّبلاء: ٤ / ٣٥، تَأْرِيخ مَدِينَة دِمَشْق: ٥٦ / ٣٧٦ و ٣٩١، الأَنْسَاب: ٥ / ٤٧٦، نَظرَات فِي الكُتب الخَالدَة لحَامد حَفني: ١٦١، شَيخ المُضِيرة أَبُو هُرَيرة لمَحمُود أَبُو رِيَّة: ١٧٩، وَلَكِنْ بَعْض المَصَادر نَسَبت القَوْل إِلىٰ عَمْرُو بن العَاص.

العَسل الَّذي كَانَ يَدس فِيهِ السّم، وَقَتل بِهِ الإِمَام الْحَسَن رَيحَانة رَسُول الله أُنظر، المقَاتل: ٤٣، وأَنْسَاب الأَشْرَاف: ١ / ٤٠٤، وأَبن أَبِي الْحَدِيد فِي شَرح النَّهج: ٤ / ١١ و١٧، أَبن كَثِير: ٨ / ٤١، تَأْرِيخ الخُلَفَاء: ١٣٨، الإِصَابَة تَرجَمة الْحَسَن، أَبْن قُتَيْبَة: ١٥٠، الصَّوَاعِق: ٨١، المَسْعُودِي فِي مُروج الذَّهب بِهَامش الكَامِل: ٢ / ٣٥٣، ٦ / ٥٥، وتَهْذِيب تَأْرِيخ دِمَشْق لِابْن عسَاكر: ٤ / ٢٢٦، وأَسْمَاء المُغتَالِين مِن الأَشْرَاف: ٤٤، وتَأْرِيخ اليَعقُوبِي: ٢ / ٢٢٥، وأَبْن الأَثِير: ٢ / ١٩٧، وأَبْن شُحنَة بِهَامش أَبْن الأَثِير: ١١ / ١٣٢، تَأْرِيخ الدّول الإِسْلَامِيَّة: ١ / ٥٣، تَذكِرة الخواصّ: ٦٢، تَأْرِيخ أَبِي الفِدَاء: ١ / ١٩٤، الإِسْتِيعَاب: ١ / ٣٨٩، تَأْرِيخ الخُلَفَاء للسّيوطي: ٧٤، مُسْتَدرَك الْحَاكِم: ٣ / ١٧٦.

العَسل الَّذي كَانَ يَدس فِيهِ السّم، وَقَتل بِهِ الأَشْتَر النَّخعِيّ.

العَسل الَّذي كَانَ يَدس فِيهِ السّم، وَقَتل بِهِ عَبدالرَّحمَان بن خَالد.

العَسل الَّذي كَانَ يَدس فِيهِ السّم، وَقَتل بِهِ خَالد بن الوَليد عِندَما دَخل دِمَشْق مُسْتَخفياً.

أُنظر، الإِسْتِيعَاب: ٢ / ٣٩٦ تَحت رَقم ١٦٩٧، أُسد الغَابَة: ٣ / ٢٨٩، تَأْرِيخ الطَّبَرِيّ: ٦ / ١٢٨، وأَبن الأَثِير: ٣ / ١٩٥، المُغتَالين مِن الأَشْرَاف: ٤٧، أَبن كَثِير فِي البدَاية والنِّهَايَة: ٨ / ٣١، الأَغَانِي: ١٤ / ١٣، مُختَصر أَبن شُحنة فِي هَامش أَبن الأَثِير: ١١ / ١٣٣، عُيُون الأَنبَاء فِي طبقَات الأَطبَاء: ١٧١ طَبعة بَيْرُوت.

(١) يَقْصد بذَلِك بُسر بن أَرْطَاة. أُنظر، الإِسْتِيعَاب: ٦٤ ـ ٦٧، وَقعَة صِفِّين: ٤٦٢ ط ٢ سَنَة ١٣٨٢ هـ وَطَبعَة ٢ تَحقِيق عَبدالسَّلَام هَارون المُؤسّسة العَرَبيَّة الحَدِيثة، وَمَنشُورات مَكتَبة آية الله العُظمىٰ المَرعَشي النَّجفي قُم لسَنة ١٤٠٤ هـ: ٤٤ و١٥٧ و ٣٠٥ و٤١٢ و ٤٢٤ و ٤٢٩ و ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٦٢ و ٥٠٤ و ٥٠٧، شَرح النَّهج لِابْن أَبِي الْحَدِيد: ٢ / ٣٠١، تَهْذِيب أَبْن عسَاكر: ٣ / ٢٢٠، تَأْرِيخ الطَّبَرِيّ: ↔

وَمِنْهَا: تَفَنُّنه فِي المَكر، وَالكِذب، وَالخِدَاع.
وَمِنْهَا: كُرهَه الشَّدِيد لأَهل الحَقّ، وَالعَدْل.
وَمِنْهَا: إعلاَنه السَّب وَاللَّعن لأَوليَاء الله[1].
وَمِنْهَا: تَحوِيلَه الخِلاَفة إِلَىٰ ورَاثَة[2].

↔ ٦ / ٨٠، و: ٤ / ٢٠ وَمَا بَعدها طَبعَة أُخرىٰ، كتَاب الغَارات برِوَاية اَبن أَبِي الحَدِيد: ٢ / ٣ ـ ١٤، تَأرِيخ اليَعقوبي: ٢ / ١٤١، تَهذِيب التَّهذِيب: ١ / ٤٣٦، تَأرِيخ دِمَشق: ٣ / ٢٢٢، نهَايَة الأَرَب للقَلقَشندي: ٣٧١، الفُتُوح لاِبن أَعْثَم: ٢ / ٣٩ و ٩٢، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١ / ١٢٣ و ١٤٨ و ١٥٠.

(١) أُنظر، لِسَان المِيزَان: ١ / ١٧٥، أَنسَاب الأَشرَاف: ٢ / ١٠٣ و ١١٣، مُسنَد أَحمَد بن حَنبل: ح ٤٦ / ٧٢، شوَاهد التَّنزيل: ٢ / ٤٥٩، فرَائد السِّمطَين: ١ ب ٣١ ح ١١٧ / ١٥٥ طَبعَة بَيرُوت، تَأرِيخ دِمَشق: ٢ / ٣٤٨ و ٤٤٢ و ٤٤٣ ح ٨٥١ الطَّبعة الثَّانِيَة ح ٩٥٩، كِفَايَة الطَّالب: ٦٢ / ٢٤٤ و ٢٤٦، الصَّوَاعِق المُحرِقَة: ٩٦ و ١٦١، الدُّر المَنثُور: ٦ / ٧٩، و ٣١٩، و: ٧ / ٣٠٥، مَجْمَع الزَّوائد: ٩ / ١٣١، و: ٧ / ١٧، بشَارة المُصْطَفَىٰ: ١٦٣، تَفْسِير الطَّبَريّ: ٦ / ١٨٦، و: ١٢ / ٦٥٧ طَبعَة أُخرىٰ، وذَخَائِر العُقبَىٰ: ٨٨ و ١٠٢، رُوح المَعَانِي: ٣٠ / ٢٠٧ طَبعَة مَصر، تَأرِيخ بَغدَاد: ٧ / ٤٢١، يَنَابِيع المَوَدَّة: ٦٢ و ٧٤ و ٢٧٠ طَبعَة اسلامبول و: ٧١ و ٨٤ و ٣٦١ و ٣٦٢ طَبعَة الحَيدرية، و: ١ / ١٩٦ و ٢٢٣ طَبعَة أُسوة، و: ٢ / ٣٥٧ و ٤٥٢ طَبعَة أُسوة، تَذكرة الخوَاصّ: ١٨، فَتح القَدِير: ٥ / ٤٧٧، إِسعَاف الرَّاغبِين بهَامِش نُور الأَبصَار: ١٧٢، جوَاهر العِقدين: ٢ / ٢١٩....

(٢) ذَكر ذَلِكَ صَاحب مُروج الذَّهب بِهَامش اَبن الأَثِير: ٥ / ١٦٥ ـ ١٦٦. وَأَضَاف صَاحب كتَاب الأَغَاني: ٦ / ٣٥٥ وَالإِستِيعَاب: ٦٩٠، وَالنَّزاع وَالتَّخاصم للمَقريزي: ٢٠ طَبعَة النَّجف.

«وروىٰ العَقاد فِي آخر كتَاب عُثْمان: «أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ دَخل عَلَىٰ عُثْمانَ حِين صَارت إِلَيْهِ الخِلاَفة، وَقَالَ لهُ: «قَد صَارت إِلَيك بَعْد تَيْم وعَديّ ـ أَي أَبِي بَكْر وعُمَرَ ـ فأَدْرهَا كَالكرَة، واَجْعل أَوتَاها بَنِي أُمَيّة، فإِنَّما هُو المُلك، ولاَ أَدري مَا جَنَّة ولاَ نَار». أُنظر، الإِستِيعَاب: ٤ / ١٦٧٩، والمَطبُوع بهَامش الإِصَابَة: ٤ / ٨٧، شَرح الأَخبَار: ٢ / ٥٢٨، مناقب أَهْل البَيْت لحَيدر الشّروانِي: ٤٠٧، النّزاع والتَّخاصم: ٦٠، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبِي الحَدِيد: ٢ / ٤٥ و: ٩ / ٥٣ و: ١٥ / ١٧٥، التَّذكرة الحَمدُونية: ٩ / ١٧١ ح ٣٨٠، تَأرِيخ الطَّبَري: ١١ / ٣٥٧ ولكِنْ بلفظ: «تَلقفُوها تَلقف الكُرة». مُروج الذَّهب: ٦ / ٤٠٧، تقوِيَة الإِيمَان: ١٩٧، تَأرِيخ اَبن عسَاكر: ٦ / ٤٠٧.

لِهَذِه الأَسْبَاب وَلغَيرهَا لَمْ يَجد مُعَاوِيَة مَا يَتَذرع بِهِ لطَلَب الخِلاَفَة مِنْ سَابقَة أَو مَنْقَبة أَو حَدِيث إِلاَّ قَوْل الرَّسُول الأَعْظَم: «لاَ أَشْبع الله لهُ بَطنَاً»[١]. فَأَنْتَحل دَم عُثْمَان، وَنَشر قَمِيصه مَع أَصَابع زَوْجته نَائِلة عَلىٰ المِـنْبَر[٢]، وَأَسْـعَفتهُ عَـائِشَة وَجَملهَا، وَقُطَام، وأَبْن مُلجهمَا، وَالخوَارج وَمرُوقهُم، وأَهْل الشَّام وَغَـباوتهُم، وأَهْل العرَاق وَتَخاذلهُم، وَالطَّـامعُون وَأَسَـاليبهُم، وَصَـلابة الإِمَـام فِـي دِيـنه، وَمُعَاوِيَة فِي كُفره، كلّ هَذِه، وَمَا إِليهَا كَانَتْ عوَامل هَامَّة وَفعَّالة فِي وصُول مُعَاوِيَة إِلَىٰ الخِلاَفَة، وَتَسمِيَته بدَاهِية العَرب. لَقَد أَنْتفع مُعَاوِيَة بِالظُّروف وَالمُـنَاسبَات، وكَان أَهمهَا قَمِيص عُثْمَان الَّذي أَصبَح مَضرَب الأَمثَال.

قَالَ المُسْتَشرق الأَلمَاني يُوليُوس فُلهَوزن: «كَـان الثَّأر لمَـقتل عُـثْمَان هُـو الأَسَاس الَّذي بَنىٰ عَلَيه مُعَاوِيَة حَقَّه فِي ورَاثَة الخِلاَفَة؛ أَمَّا بِأي مَعْنَىٰ قَام الثَّأر لعُثمَان فَهُو يَتَجلىٰ فِي أَنَّه مِنْ أَجل ذَلِكَ أتَّحد مَع عَمْرُو بن العَاص الَّذي أُلب عَلىٰ

(١) ذَهَب النَّسائي إِلَىٰ دِمَشق، وَهُو أَحَد أَصْحَاب الصِّحَاح السّتة عِند السُّنَّة، فَقِيل لهُ: حَدثنَا عَن فَضَائِل مُعَاوية، فقَال: أَمَا يَرضىٰ مُعَاوِيَة رَأسَاً برَأس، حَتَّىٰ يُفَضل؟! وقَالَ: لاَ أَعرف لهُ فَضِيلة إِلاَّ لاَ أَشْبع الله بَطْنَه، فدَاسُوه بِالأَرجُل، وَمَات بِسَـبب ذَلِكَ. (مِنْهُ ﷺ). أنـظر، العِـبر: ٣/ ٢٨، البِـدَايـة وَالنِّـهَايَة: ١١/ ٣١٧، وَفيَات الأَعيَان: ١/ ٥٩، أَنْسَاب الأَشْرَاف: ١/ ٥٣٢، صَحِيح مُسْلم: ٨/ ٢٧، شَرح النَّهج لِابن أَبي الحَدِيد: ١/ ٣٦٥، مُسْند الطَّيَالسي: ح ٢٧٤٦.

(٢) أُنظر، الطَّبَري فِي تَأرِيخه: ٥/ ١٥٢، و: ١/ ٣٠٦٦ طَبْعة أُوربا، كَنز العُمَّال: ٣/ ١٦١ ح ٢٤٧١، أبن أَعْثَم فِي تَأرِيخه: ١٦٠، و: ٢/ ٢٥٩ طَبْعة حَيدر آباد، و: ١/ ٤٣١ ـ ٤٥٠ دَار الكُـتب العِـلمية بَيروت، أَنْسَاب الأَشْرَاف: ٥/ ٧٠، الحَاكِم فِي المُسْتَدرَك: ٣/ ١١٤، تَأرِيـخ اليَـعقُوبي: ٢/ ١٧٨، ٢/ ٢٥٩، فَتح البَاري: ١٣/ ٧٢، الإِصَابَة: ٦/ ٢٧٦، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة لِابن قُـتَيْبَة: ١/ ٦٥ و ٧٠، تَأرِيخ دِمشق: ٤٤/ ٣٧٠، البِدَايَة وَالنِّهَايَة: ٧/ ٢٥٥.

عُثْمَان أَخْبث تَأْلِيب؛ وَلَمْ تَكُن التَّقوىٰ وَلاَ البِر بعُثمَان بَاعثاً لمُعَاوِيَة »[١].

دَافَع عَليّ عَن عُثْمَان، وَحرَّض عَلىٰ قَتْله طَلْحَة، والزُّبَيْر، وعَائِشَة، وَمُعَاوِيَة، وأبْن العَاص، وَلمَّا قُتل ثَاروا عَلىٰ الإِمَام، وَطَالبُوه بِدَمه، فَقُتل طَلْحَة والزُّبَيْر، وَعُقر الجَمَل، وَآبت صَاحِبته بِالخُذلاَن، وَسَلِم مُعَاوِيَة، وأبْن العَاص بَعْد أَنْ رَفعا المصَاحف وَلَولاَها لوَرَدا مَورد الجَمَل وَأَصحَابه، وَرَجع مُعَاوِيَة مِنْ صِفّين ليُدَبر الإِغتيَالاَت، وَالغَارَات ضِدّ عَليّ وَشِيعَته.

غارات التقتيل والتخريب:

كَانَتْ الأَمْصَار الإِسْلاَمِيَّة بكَامل أطرَافهَا فِي طَاعَة أَمِير المُؤْمِنِين عليه السلام مَا عَدَا الشَّام، حَيْث يُوجد مُعَاوِيَة؛ فَالعرَاق، وَالحجَاز، وَاليَمن، وَمَصر، وَفَارس وَغَيرها كَان عَلَيها وِلاَة يَحكمُونهَا وَيَديرُون شُؤونها مِنْ قِبل الإِمَام. فَجَمع مُعَاوِيَة حَوله الأَشقيَاء الجلاَّدِين، وَالبُغَاة مِنْ قُطاع الطُّرق وَالمُخربِين، أَمثَال النُّعمَان بن بَشِير، وَيَزِيد بن شَجرَة، وَعَبدالرَّحمن بن قبَاث، وَزُهِير بن مَكحُول، وَمُسلم أبْن عُقْبَة، وَسُفْيَان بن عَوْف، وَبُسْر بن أَرْطَأة، وَالضَّحاك بن قَيْس، وغَيْرِهم وغَيْرِهم، وَأَمدهُم بِالخَيل والرِّجَال، وَالسِّلاَح وَالمَال، وَأَمرهُم بِالغَارة عَلىٰ البِلاَد الآمِنَة التَّابعة للإِمَام، وأَوصَاهُم أَنْ يَنْشرُوا الفَوضىٰ والفَسَاد، وَيُحدثُوا التَّخريب، وَالذُّعر[٢].

---

(١) أُنظر، تَأْرِيخ الدَّولَة العَرَبيَّة وَسقُوطها لهَاوزن: ١٢٩ طَبعَة ١٩٥٨م. (مِنْهُ رحمه الله).

(٢) أُنظر، تَرجَمة هَؤلاَء فِي أُسد الغَابَة: ٥/ ٢٢، والإِصَابَة: ٣/ ٥٢٩ تحت رَقم (٨٧٣٠)، والطَّبَريّ فِي ↔

سُفْيَان بن عَوْف الغَامِدي:

دَعَا مُعَاوِيَة سُفْيَان بن عُوف، وقَالَ لَهُ: «إِنِّي بَاعِثُك بِجَيشٍ كَثِيف ذِي أَدَاةٍ وَجَلاَدة، فَالزَم لِيّ جَانب الفُرَات حَتَّىٰ تَمر بِهِيت[1] فَتَقْطَعها؛ فَإِنْ وَجَدت بِهَا جُنداً فَأَغر عَلَيهم، وَإِلاَّ فَاْمضِ حَتَّىٰ تُغير عَلَىٰ الأَنْبَار، إِنْ هَذِه الغَارَات يَا سُفْيَان عَلَىٰ أَهْل العِرَاق تُرْعب قُلوبَهم، وَتُفرح كلّ مَن لهُ هَوىٰ فِينَا مِنْهُم، وَتَدعو إِلينَا كلّ مَا خَاف الدَّوَائر، فَاْقْتل كلّ مَن لَقِيتَه مِمَّن هُو لَيس عَلَىٰ مِثْل رَأيك. وَأَخْرِب كلّ مَا مَرَرت بِهِ مِن القُرىٰ، وَأَخرِب الأَموَال فَإِنَّ حَرْب الأَموَال شَبِيه بِالقَتل وَهُو أَوْجَع لِلقَلب»[2].

↩ تَارِيخه: ٦/٧٧، وَابن الأَثِير: ٣/١٥٠، وشَرْح النَّهج لِابْن أبي اَلحَدِيد: ١/٢١٢ و: ٢/٨٥، وَابن كَثِير فِي تَارِيخه: ٧/٣١٩، وَالغَارَات لِإِبرَاهِيم بن مُحَمَّد الثَّقفي: ١/٣٤٩ و: ٢/ ٤٦٤ و ٥٠٤ و ٨٣١، تَارِيخ دِمَشق: ١٩/١٢٧ و: ٢١/ ٤٤ و: ٥٩/ ٣٧٦، أَنْسَاب الأَشرَاف: ٤٦٥ و ٤٧٣، ذَخَائر العُقبىٰ: ٢٣٧، مُستَدرك الحَاكم: ٣/ ٤٩٤.

(١) هِي بَلد عَلىٰ شَاطىء الفُرات، وسُمِّيَت هِيت لأَنَّها فِي هُوَّة مِن الأَرْض. أُنظر، لِسَان العَرب: ٢/ ١٠٧، الغَرِيب لِابن قُتيبة: ١/ ٤٧٧ و: ٢/ ٦٣.

(٢) أُنظر، الغَارَات: ١/ ٢٥ و٣٤٩ و: ٢/ ٣٩٥، أَمَالي الشَّيخ المُفِيد: ١٤٦، شَرْح نَهج اَلبَلاَغَة لِابن أَبي اَلحَدِيد، تَحْقِيق مُحَمَّد أَبُو الفَضْل: ٢/ ٨٥ و ٨٧. وَجَه مُعَاوِيَة سُفْيَان بن عَوْف فِي سِتة آلاَف وَأَمرَه أَنْ يَقطع هِيت، ويَأتِي الأَنْبَار وَالمَدَائِن فيوقع بِأهلها. فَأَتىٰ سُفْيَان هِيت فَلم يَجْد فِيهَا أَحداً، ثُمّ تَوجَه إِلَىٰ الأَنْبَار، وَفِيهَا مَسلَحة تَكُون خَمْسِمئة رَجُل، وَقَد تَفرقُوا، وَلَم يَبق مِنْهُم إِلاَّ مِئتَان لأَنَّه كَان عَلَيهم كُمَيْل، فَبَلغه أنَّ قَوماً بِقِرْقِيسِيَا ـ وَقِرْقِيسِيَا: هِي بَلد عَلىٰ نَهر الخَابُور، قُرب رُحبَة مَالِك بن طَوق، عَلىٰ بُعد سِتة فَرَاسخ، وَعِنْدَ مَصب الخَابُور فِي الفُرَات، فَهِيَ فِي مُثَلث بَيْن نَهر الخَابُور والفُرَات. أُنظر، مُعْجَم البُلدان: ٤/ ٣٢٨، مَرَاصد الإِطِّلَاع: ٣/ ١٠٨٠ ـ يُرِيدُون الغَارة عَلىٰ هِيت فَسَار إِلَيهِم..». أُنظر، الكَامِل فِي التَّارِيخ: ٣/ ١٨٩، شَرْح نَهج اَلبَلاَغَة لِابن أَبي اَلحَدِيد، تَحْقِيق مُحَمَّد أَبُو الفَضْل: ١٧/ ١٤٩.

وَٱمْتَثل سُفْيَان أَمر سَيِّده؛ فَحَمل بِخَيله عَلَىٰ الآمنِين، وَمَلأَ البُيوت وَالأَزقَـة بجُثَث القَتْلىٰ، وَحَمل مَا وَجد مِنْ الأَموَال، وَرَجع إِلَىٰ مُعَاوِيَة، وَقَالَ لهُ فِيمَا قَالَ: وَالله مَا غَزوة أَقرّ للعُيون، وَلاَ أَسَّر للنُّفوس مِنْهَا، ولَقَد أَرْعبتُ قُلوب النَّاس. فَقَال لهُ مُعَاوِيَة: كُنْتَ عِندَ ظَنِي بِكَ(١).

وَنَدبتُ الإِمَام أَهْل الكُوفَة لدَفع العُدوَان عَنْهُم، فَتَثاقَلوا، فَخَرج وَحدَه يَمْشي رَاجِلاً، فَلَحق بِهِ قَوم، وَقَالُوا: ٱرْجع يَا أَمِير المُؤْمِنِين، ونَحَنُ نَكفِيك، فَقَال: مَا تَكفُوني، وَلاَ تَكفُوا أَنْفسكُم، فَلَم يَزَالوا بِهِ حَتَّىٰ صَرفُوه إِلَىٰ مَنزله، وَهُو وَاجـم كَئِيب. ثُمَّ خَاطبهُم بِخُطْبَة جَاء فِيهَا:

«أَلاَ وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَىٰ قِتَالِ هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ لَيْلاً، وَنَـهَاراً، وَسِـرّاً، وَإِعْـلاَناً، وَقُلْتُ لَكُمْ: ٱغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِـمْ إِلاَّ ذَلُّوا. فَتَوَاكَلْتُمْ، وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّىٰ شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغَارَاتُ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الأَوْطَانُ. وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ ـ أَي سُفْيَان ـ وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الأَنْبَارَ، وَقَدْ قَـتَلَ حَسَّـانَ بْـنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِـنْهُمْ كَـانَ يَدْخُلُ عَلَىٰ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالأُخْرَىٰ الْمُعَاهِدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا، وَقُـلْبَهَا ـ أَي سوَارهَا ـ، وَقَلاَئِدَهَا، وَرُعُـثَهَا أَي القِـرط ـ، مَـا تَـمْتَنِعُ مِـنْهُ إِلاَّ بِـالإِسْتِرْجَاعِ، وَالاِسْتِرْحَامِ. ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ، وَلاَ أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ.

فَلَوْ أَنَّ ٱمْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً، فَيَا عَجَباً! عَجَباً ـ وَاللهِ ـ يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيَجْلِبُ الْهَمَّ مِنَ ٱجْتِمَاعِ هَـؤُلاَءِ

(١) أنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ٢ / ٨٧.

الْقَوْمِ عَلَىٰ بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ! فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَىٰ: يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلاٰ تُغِيرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلاٰ تَغْزُونَ، وَيُعْصَىٰ اللهُ وَتَرْضَوْنَ! فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ، قُلْتُمْ: هَذِهِ حَمَارَّةُ الْقَيْظِ، أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا الْحَرُّ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هَذِهِ صَبَارَّةُ الْقُرِّ، أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ، كُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفِرُّونَ، فَأَنْتُمْ وَاللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ!

يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ، وَلاٰ رِجَالَ! حُلُومُ الأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ، وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً ـ وَاللهِ ـ جَرَّتْ نَدَماً، وَأَعْقَبَتْ سَدَماً. قَاتَلَكُمُ اللهُ! لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ، وَالْخِذْلاٰنِ، حَتَّىٰ لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ، وَلَكِنْ لاٰ عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ.

للهِ أَبُوهُمْ! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا، وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ، وَهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَىٰ السِّتِّينَ! وَلَكِنْ لاٰ رَأْيَ لِمَنْ لاٰ يُطَاعُ!»[1].

وَهَكَذَا ابْتُلِي الإِمَام بَعَدوّ كمُعَاوِية يَغْدر وَيَفْجر، وَيستَبِيح الدِّمَاء، وَنَهب الأَموَال، وَهَتك الأَعرَاض، وَبِأَصْحَاب كَأَهل الكُوفَة مُتوَاكِلِين، مُتخَاذِلِين، يَغزُون فِي عُقر دَارهِم فَيذِلُّون وَيَستَكينُون، وَيَفرُّون وَلاَ يَكرُّون!...

(١) أنظر. نهج البلاغة: الخطبة (٢٧).

الضَّحاك بن قيس الفِهري:

وَدَعا مُعَاوِيَة بِالضَّحَاك بن قَيس الفِهْري[1] وَأَمره بِالتَّوجه نَاحِيَة الكُوفة وَقال لَهُ:

« مَنْ وَجَدته مِن الأَعْرَاب فِي طَاعَة عَليّ فَأَغر عَلَيه ».

« فَأَقْبَل الضَّحَاك فَنَهب الأَموَال، وَقَتل مَن لَقي مِن الأَعْرَاب، حَتَّىٰ مَرَّ بِالثَّعلَبِية فَأَغَار عَلىٰ الحَاج فَأَخذ أَمْتَعتهُم، ثُمَّ أَقبَل فَلَقي عَمْرُو بن عُـمِيس بـن مَسـعُود الذّهلي، وَهُو ابن أَخي عَبدالله بن مَسعُود ـ صَاحب رَسُول الله ـ فَقَتله فِي طَرِيق الحَاج عِنْدَ القُطْقُطْانة[2]، وَقَتل مَعَه نَاسَاً مِن أَصْحَابِهِ »[3].

وَأَنْفَذ الضَّحَاك أَمر سَيِّده، أَسرَف فِي القَتل وَالفَتْك، وَالسَّلب وَالنَّهب، فَكَـان يَقْتل كُلّ مَنْ رَآه فِي طَرِيقه.

وَلمَّا عَلِم الإِمَام صَعَد المِنْبَر، وقَالَ: « يَا أَهْل الكُوفَة أُخرجُوا فَقَاتلُوا عَدوّكُم، وَامنعُوا حَرِيمكُم إِنْ كُنْتُم فَاعلِين ». فَردُوا عَلَيه رَدَّاً خَفِيفاً، وَرَأىٰ مِنْهُم فَشلاً، ثُمَّ

---

(١) هُو الضحّاك بن قَيس الفِهري، وُلِد قَبل وَفَاة النَّبيّ ﷺ. لهُ فِي حرُوب مُعَاوِيَة بَلاءٌ عَظِيم، وَلاّه الكُوفَة سَنَة (٥٣ هـ) وَعَزله سَنَة (٥٧ هـ) وَهُو الّذي دفن مُعَاوِيَة، ، وَكَان يَزِيد يَوم ذَاك خَارج دِمَشق، وَبَايع لِابن الزّبَير بَعد مُعَاوِيَة بن يَزِيد. أُنظر. أُسد الغَابة: ٣ / ٣٦ ـ ٣٧. تَهذِيب ابن عسَاكر: ٧ / ٤ ـ ٥. تأرِيخ الطَّبري: ٦ / ٧٨. و: ٤ / ٧ ط أُخرىٰ. شَرْح النَّهج لِابن أَبي الحَدِيد: ٢ / ١١١ ـ ١١٧. وَقعَة صِفِّين: ١٢ و ٢٠٦ و ٢١٣ و ٢٢٦ و ٣٦٠ و ٥٥٢ و ٥٥٧. الفتوح لِابن أَعْثَم: ٢ / ٢٢. الإِمَامة وَالسِّيَاسَة: ١ / ٧٤ و ٧٥ و ١٢٧ و ١٨٨ و ١٩١ و ١٩٣ و ٢٢٥ و ٢٤٢. و: ٢ / ١٨ و ٢٠ و ٢٢ و ١١٦ و ١٦٣.

(٢) هِي مَوضع قُرْب الكُوفَة. لسَان العَرَب: ٧ / ٣٤٨.

(٣) أُنظر. شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ١ / ١٥٤. الطَّبعَة القَدِيمَة. (مِنهُ ١). وَتَحْقِيق مُحمَّد أَبُو الفَضْل: ٢ / ١١٦.

دَعَا حِجر بن عَدِيّ الكِندي، فَعَقد لهُ عَلىٰ أَرْبَعة آلاَف، فَخَرج يَتَعَقب الضَّحَاك، حَتَّىٰ لقِيهُ بنَاحيَة تَدمُر، فَٱقتَتلوا سَاعَة، فَقُتل مِنْ أَصْحَاب الضَّحَاك تِسعَة عَشر رَجُلاً، وَمِنْ أَصْحَاب حِجر رَجُلاَن، فَحَجز اللَّيل بَيْنَهُم، فَهَرب الضَّحاك إِلَىٰ الشَّام لاَ يَلوي عَلىٰ شَيء[١].

وكَانَتْ عصَابَات مُعَاوِيَة تُغِير عَلىٰ أَطـرَاف الإِمَـام، وَتُـمعن فِـي التَّـخرِيب وَالتَّدمِير، وَتَنْقضّ عَلىٰ الآمِنِين، تَقْتُل، وَتَنْهَب، وَتَحرق، وَتَنشُر الرُّعب، حَيْث يَخلو لهَا الجَو، فَإِذَا دَاهمهَا عَسْكر الإِمَام أَسرَعت فِي الفِرَار.

النُّعمَان بن بَشِير:

النُّعْمَان وأَبُوه بَشِير بن سَعد الأَنْصَاري أَوَّل مَنْ بَايع أَبا بَكْر مِنْ الأَنْصَار يَـوْم السَّقِيفَة. ثُمَّ توَالت بَعْده الأَنْصَار عَلىٰ المُبَايعَة؛ وكَان النُّعْمَان عُثمَانِيّاً مُقَرباً عِندَ مُعَاوِيَة وَوَلده يَزِيد، وَبَقي حَيّاً إِلَىٰ خِلاَفَة مَرْوَان بن الحَكَم، وَلمَّا بُويع لمَـرْوَان بِالخِلاَفَة كَان النُّعْمَان وَالياً عَلىٰ حِمْص، فَدَعا أَهْل حِمْص إِلَىٰ مُبَايَعة ٱبْن الزُّبَيْر، فثَاروا عَلَيه وَقَتلوه، وذَلِكَ سَنَة (٦٥ هـ). وَمِنْ أَخْلاَقه أَنَّه لمَّا قُتل عُـثْمَان أَخَـذ قَمِيصَه وَأَصَابع زَوّجَته نَائِلَة، وَبَاعهُما إِلَىٰ مُعَاوِيَة، وكَان مُعَاوِيَة يُعَلق القَـمِيص وفِيهِ الأَصَابع يَسْتَثِير بِهما أَهْل الشَّام؛ فَكَانوا إِذَا رَأَوا القَمِيص وَالأَصَابع يَزدَادُون غيظَاً. ثُمَّ تَرك النُّعْمَان مُعَاوِيَة، وَذَهب إِلَىٰ عَليّ، وَلَكنْ لَمْ يَطلب لهُ المَقَام فِي بِيئَة التَّقوىٰ وَالصَّلاح، فَهَرب إِلَىٰ الشَّام حَـيْث الضَّـلاَلة وَالفَسَـاد. وَهَكَـذا تَـمُوت

(١) أُنظر، الغَارَات: ٢ / ٤٢٣، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٢ / ١١٧.

الخَنَافس مِنْ رَائِحة الزُّهُور وَالعُطُور وَتَحيَا فِي المَزَابل وَالمَرَاحض.

وَنَدب مُعَاوِيَة النُّعْمَان، وَجهَزَه بِأَلفي رَجُل، وَأَمرَه بِالغَارة عَلىٰ عَيْن التَّمر فِي العرَاق، وَأَوصَاه أَنْ يَقوم بِالمُنَاوشَات، وَالغَارَات المُفَاجئَة، وَيُعَجل الهَرب، كَمَا تَفْعل اللُّصُوص وَالعصَابَات. وَأَقبَل النُّعْمَان عَلىٰ عَيْن التَّمر، وبِهَا مَالِك بن كَعب مِنْ قِبل الإِمَام، ولَيْس مَعَهُ سِوىٰ مِئَة رَجُل، فَصَمدُوا للأَلفَين، وقَالَ مَالِك لأَصحَابه: قَاتلُوهُم دَاخل القَريَة، وَاجعلُوا الجِدَار إِلَىٰ ظهُوركم، وَاعلمُوا أَنَّ الله يَنْصر العَشرَة عَلىٰ المِئَة، وَالمِئَة عَلىٰ الأَلف، وَالقَلِيل عَلىٰ الكَثِير، وَأَنجدهُم قَوم بِالقُرب مِنْهُم مِنْ شِيعَة أَمِير المُؤْمِنِين، فَانْهَزم النُّعْمَان وَمَنْ مَعَهُ ووَلّوا هَاربِين إِلَىٰ أَرْض الشَّام[1].

---

(١) النُّعمَان بن بَشِير الأَنْصَاري الخزْرَجِي وُلد قَبل وَفَاة النَّبِيّ ﷺ بثَمَاني سِنِين وسَبعة أَشهر، وَقِيل: بست سِنِين. وكَانَ هوَاه مَع عُثْمان، ثُمّ مَع مُعَاوِيَة، ثمّ مَع يَزِيد فِي أَيَّام الفِتَن خِلاَفاً لقَومه، وكَانَ انْتهَازِياً مُرتَزِقاً، يَبيع دِينه، وضَمِيره لأي شَيْطَان يَدفع الثَّمَن. وكَانَ مِن المُتقربِين عِنْدَ عُثْمان، ولمَّا قُتل عُثْمان أَخذ النّعمان قَمِيصه، وأَصَابع زَوجته نَائلة، وبَاعهما إِلَىٰ مُعَاوِيَة، فَعلّق مُعَاوِيَة القَمِيص، وعَلَيْهِ الأَصَابع لِيستَثِير أَهْل الشَّام. وقَد عَمل النّعمان أَمِيراً عَلَىٰ الكُوفَة لمُعَاوِيَة، ومِن بَعده ليَزِيد... وفِي ذَات يَوْم جهَزه مُعَاوِيَة بالسِّلاَح، والرِّجَال، وأَمَرَه بالغَارة عَلَىٰ عَين التمر فِي العِرَاق، ولمّا وَرد الخَبَر بِذَلِكَ إِلَىٰ الإِمَام اسْتَنهض النَّاس فَتثَاقلُوا، وتَجَاهلوا، فَقَالَ:

(مُنِيتُ بِمَنْ لاَ يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ، وَلاَ يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ). تُفيض هَذِه الكَلِمَات بِالأَسىٰ، وَالأَلَم، ومِثلها كَثِير فِي كَلاَم الإِمَام عليه السلام وما ذَاكَ إِلاّ لأنّه كَانَ يَهتم برَعِيته وبالإِنْسَان أَينَما كَانَ أَكثَر مِن اهتَمامه بنَفْسِه، وأَهْله، ولكنْ مَا يَصنع؟ وكُلّ ما لاَقَاه الإِمَام، وقَاسَاه مِن جُنده، وأَصْحَابه ـ تَجْمعه، وَتَحكِيه كَلِمَة وَاحِدَة، وَهِي قَوْله: «أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ، وَأَنْتُمْ دَائِي كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ». أُنظر، شَرْح النَّهج: الخُطْبَة (١٢١). لاَ شَيء أَشدّ قَسوة مِن دَاءٍ دَواؤهُ دَاءٌ. ووَلاّهُ مُعَاوِيَة الكُوفَة، ثُمّ حِمص. وفِي زَمن مُعَاوِيَة بن يَزِيد دَعَا إِلىٰ بَيْعَة عبدالله بن الزُّبَيْر فَقَتله شِيعَة بني أُمَيّة بمَرج رَاهط فِي ذي الحجّة سَنَة

⇐

وَبَعْد مَقْتل الإِمَام عيَّن مُعَاوِيَة النُّعْمَان بن بَشِير أَمِيراً عَلَىٰ الكُوفَة، وكَان أَمِيراً عَلَيهَا مِنْ قِبل يَزِيد، فَعَزله، وَعيَّن مكَانه عُبيد الله بن زِيَاد حِين قَدِم إِليهَا مُسْلم ٱبْن عَقِيل، وَرُبَّما أَتينَا عَلَىٰ ذِكر النُّعْمَان فِي الصَّفحَات الآتِية.

بُسر بن أرطأة[1]:

فِي يَوْم مِنْ أَيَّام صِفِّين صَعد الإِمَام إِلَىٰ التَّل، وَنَادىٰ بِأعَلىٰ صَوته: يَا مُعَاوِيَة. فَأَجَابه. فَقَال الإِمَام: عَلاَم يَقْتَتِل النَّاس ؟! أُبرز إِليّ، فَأَيُّنا قَتل صَاحبه يَكُون الأَمر لَهُ.

↩ (٦٤ هـ) كمَا جَاء ذَلِكَ فِي تَرجمته فِي أُسد الغَابَة: ٥ / ٢٢، وَالإِصَابَة: ٣ / ٥٢٩ تَحت رَقم (٨٧٣٠)، والطَّبَرِيّ فِي تَأرِيخه: ٦ / ٧٧، وَٱبن الأَثِير: ٣ / ١٥٠، شَرْح النَّهج لِابْن أَبي ٱلحَدِيد: ٢ / ٣٠٢، وَٱبن كَثِير فِي تَأرِيخه: ٧ / ٣١٩، الغَارَات: ١ / ٢٩٢ و: ٢ / ٤٥١.

(١) هُو بُسر بن أَرطَاة، كَانَ مِن شِيعَة مُعَاوِيَة، أَحد فَرَاعنة الشَّام، وَكَانَ مِن أَهْل الرِّدَّة وَقَد دَعَا عَلَيْهِ عَليّ عليه السلام عِندَما بَلَغه أَنَّه يَقتل الصِّبيَان فَقَالَ عليه السلام: «أَللَّهُمَّ أَسلب دِينه، وَلاَ تَخرجه مِن الدُّنْيَا حَتَّىٰ تُسْلِبهُ عَقْله، فَأَصَابه ذَلِكَ وَفَقدَ عَقْله. وقَالُوا: دَخل المَدِينَة فَخَطب النَّاس، وَشَتمَهُم يَوْمَئِذٍ وَتوعَّدهُم وَقَالَ: شَاهت الوجُوه. وَلمَّا دَخل ثَقَل عُبَيدالله بن العَبَّاس، وفِيهِ أَبنَان لهُ صَغيرَان، فَذَبحهُما بِيَده بِمُديَة كَانَت مَعَه، ثُمَّ ٱنكَفأَ رَاجعاً إِلىٰ مُعَاوِيَة. فَقَالت لهُ إِمْرَأَة لهُ: يَا هَذَا قَتَلت ٱلرِّجَال، فَعَلاَم تَقْتُل هَذَين ؟ والله مَا كَانوا يُقتَلون فِي الجَاهِلِيَّة وَٱلإِسْلاَم، والله يَا ٱبن أَرطَاة إِنَّ سُلطَاناً لاَ يَقوم إِلاَّ بِقَتل الصَّبي الصَّغير، والشَّيخ الكَبِير، وَنَزع الرَّحْمَة، وعقُوق ٱلأَرحَام لسُلطَان سَوء.

أُنظر، كتَاب الغَارات بروَاية ٱبن أَبِي ٱلحَدِيد: ٢ / ٣ ـ ١٤، تَأرِيخ اليَعقوبِي: ٢ / ١٤١، تَهذِيب التَّهذِيب: ١ / ٤٣٦، تَأرِيخ دِمَشق: ٣ / ٢٢٢، نهَايَة الأَرب للقَلقَشندي: ٣٧١، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٢ / ٣٩ و ٩٢، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١ / ١٢٣ و ١٤٨ و ١٥٠، الإِسْتِيعَاب: ٦٤ ـ ٦٧، وَقْعَة صِفِّين: ٤٦٢ ط ٢ سَنَة ١٣٨٢ هـ وَطَبعَة ٢ تَحقِيق عَبدالسَّلاَم هَارون المُؤسّسة العَرَبيَّة الحَدِيثة، تَهذِيب ٱبْن عَسَاكر: ٣ / ٢٢٠، تَأرِيخ الطَّبرِيّ: ٦ / ٨٠، و: ٤ / ٢٠ وَمَا بَعدها طَبعَة أُخرىٰ.

قَالَ ٱبن العَاص: أَنْصَفك الرَّجُل.

قَالَ مُعَاوِيَة: طَمَعت فِيْهَا يَا عَمْرُو.

قَالَ عَمْرُو: أَتجبُن عَن عَليّ، وَتَتهمني فِي النَّصِيحة؟.

قَالَ مُعَاوِيَة: لَيْسَ مِثلي يُخْدع عَن نَفْسه، والله مَا بَارز عَليّ رَجُلاً إلاَّ سَقىٰ الأَرْض مِنْ دَمه.

قَالَ عَمْرُو: وَالله لأُبَارزَنه، ولُو مُتُّ أَلف مِيتَة.

وَبَرز عَمْرُو، وَلكن مَا أَنْ دَنا مِنْ عَليّ، حَتَّىٰ رَمىٰ نَفْسه عَن فَرَسه، وَرَفع رِجلَيه، وَكَشف عَن سَوأته، فَصَرف عَليّ وَجْهه عَنْهُ، وكَان لاَ يَنْظر إِلَىٰ عَورَة أَحد حَيَاء وَتَكرمًا. وقَام عَمْرُو مُعفراً بِالتُّراب، هَارباً عَلىٰ رِجلَيه، لاَ يَلوي عَلىٰ شَيء[1].

وكَان فِي جَيش مُعَاوِيَة فَارس يُدعىٰ أَبُو دَاود، فَقَال: إِذَا كَره مُعَاوِيَة مُبَارزَة أَبي الحَسن عَليّ فَأَنا أَبرُز لهُ. ثُمَّ خَرج مِنْ بَيْنَ الصَّفين، وقَالَ: أَنَا أَبُو دَاود، ٱبرُز إِليَّ يَا أَبا الحَسن. فَتَقدم عَليّ، فَنَاداه النَّاس ٱرْجع يَا أَمِير المُؤْمِنِين عَن هَذَا الكَلب، فلَيس لكَ بِخَطر. فقَال: دَعُوني! ثُمَّ حَمل عَلَيه، وَضَربه ضَربَة قَطْعَتهُ قُطعَتين سَقَطت إِحدَاهُما يَمنَة، وَالأُخرىٰ يَسرَة، فَٱرْتَجَ العَسْكرَان لهَول الضَّربَة. وَكَان لأَبي دَاود ٱبْن عَمّ فِي عَسْكر مُعَاوِيَة، فَصَاح: وَاسوَآه: قَبَّح الله البَقَاء بَعْدك يَا أَبا دَاود، وَبَرز للإِمَام، فَأَلحَقه بِٱبن عمِّه[2].

---

(١) أنظر، شَرح النَهج لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ٥/ ٢١٧، الأَخْبَار الطِّوال: ١٧٦، تَأرِيخ دِمَشق لِابن عَسَاكر الشَّافعي: ٤٥/ ٤٨٦، أَنسَاب الأَشْرَاف: ٤، ٣٠٤، وَقعَة صِفِّين: ٢٧٥، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١/ ٩٥، جوَاهر المطَالب فِي منَاقب الإِمَام عَليّ لِابن الدِّمَشقِي: ٢/ ٣٨.

(٢) أنظر، وَقعَة صِفِّين لنَصر بن مزَاحم المَنقَري: ٤٥٨.

كلّ هَذَا وَمُعَاوِيَة عَلىٰ التَّل يُبْصر وَيُشاهد، فَقَال: تَباً لِهَؤلاءِ الرِّجَال أَمَا فِيهِم مَنْ يَقتُل عَليّاً مُبَارَزةً، أَو غِيلَةً، أَو فِي ٱختلاَط الفَيلق، وَثَوران النَّقْع. فَقَال لهُ الوَليد: ٱبرُز إِلَيه أَنت، فَإِنَّك أَولىٰ النَّاس بمُبَارَزته. فَقَال مُعَاوِيَة: وَاللهِ لَقَد دَعَاني للبرَاز حَتَّىٰ ٱستَحيَيت مِنْ قُرَيْش، ثُمَّ التَفت مُعَاوِيَة إِلَىٰ بُسْر بن أَرْطَاة، وقَالَ لهُ: أَتقُوم أَنتَ لمُبَارَزته؟ فَقَال لهُ بُسْر: مَا أَحَد أَحق بِهَا مِنْكَ، ومَع ذَلِكَ فَأنا لهُ. وكَان عِند بُسْر ٱبْن عَمّ لهُ قَدِم مِنْ الحِجَاز يَخْطب ٱبْنَته، فَقَالَ لهُ: إِيَّاك أَنْ تُبَارز عَليّاً، وَمَا الَّذي يَدعُوك إِلَىٰ ذَلِكَ؟! قَالَ: صَدَر مِنّي وَعد، وَٱستَحي أَنْ أَرْجع عَنْهُ، فَضَحك ٱبْن عمّه مِنْهُ، وقَالَ أَبيَاتاً، مِنْهَا[1]:

تُنَازلهُ يَا بُسرُ إِنْ كُنْتَ مِثْلهُ ... وَإِلَّا فَإِنَّ اللَّيْثَ للضَبْع آكِلُ
كَأَنّكَ يَا بُسْرُ بن أَرطَأة جَاهلٌ ... بِآثاره فِي الحَرْب أَو مُتجَاهِلُ
مَتىٰ تَلْقَهُ فَالموتُ فِي رَأس رُمْحِهِ ... وَفِي سَيْفه شُغلٌ لنَفْسك شَاغِلُ

فَقَال بُسْر: هَل هُو إِلاَّ المَوت؟! وَبَرز بُسْر مُقَنعاً بِالحَدِيد، وَنَادىٰ ٱبرُز إِليَّ أَبَا الحَسن. فَمَشىٰ الإِمَام إِلَيه غَير مُكْتَرث بِهِ، حَتَّىٰ إِذَا قَارَبه طَعَنَه، فَسَقط عَلىٰ الأَرْض، فَكَشف عَورَته، كَمَا فَعل ٱبْن العَاص مِنْ قَبله، فَٱنْصَرف عَنْهُ مُدبِراً، فَقَال الأَشْتَر: هَذَا بُسْر، أَتَتركهُ، وَهُو عَدوّ اللهِ وَعَدوّك؟. فَقَال: دَعه عَلَيه لَعنَة الله، أَبَعْد إِنْ فَعَلها!! وَقَالَ الشَّاعر فِي عَمْرُو، وٱبْن أَرطَأة أَبيَاتاً[2]:

(١) أُنظر، وَقْعَة صِفِّين: ٤٦٠.

(٢) أُنظر، شَرْح النَّهج لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٢ / ٣٠١. (مِنْهُ ﷺ). وَوَردَت هَذِه القِصَّة بأَلفَاظ مُخْتَلفة، وفِي مصَادِر تَأْرِيخِيه مُتعدّدة، وَلَكن كُلّها تُؤدّي نَفْس المَعْنىٰ، فَقد ذَكَرها ٱبن مُزَاحم فِي وَقْعَة صِفِّين: ٤٠٦

أَلاَ كُـلّ يَـوْمٍ فَـارِس بَـعد فَـارِس لهُ عَـــورَة وَسَـط العَـجَاجة بَـادِية
يَكـــفّ حـــيّاً لهَـــا عَـــليّ سِـنَانه ويَضْحَك مِنْهَا فِـي الخَـلاَء مُـعَاوِيَة
بَدَت أَمْس مِن عَمْرُو فَـقنّع رَأْسـه وَعَورَة، بُسْرٍ مِـثْلها حَـذو حَـاذِية
فَقُولا لعَـمْرُو وآبْـن أَرْطَـاة أَبـصرَا سَــبيلكُما لاَ تَـلقيَا اللّـيث ثَـانِيَة
وَلاَ تُحمدا إِلّا الحَـيَاء وخَـصا كُـما هُـــما كَـــانَتا وَالله للـــنّفس وَاقِـية
فـــلَوْلاَهُما لَـم تَـنجُوا مِـن سِـنَانه وتِلْكَ بِمَا فِيهَا عَن العُود كافِيه نَاهِية

و ٤٠٨ و ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٣٢، والإِمَامَة وَالسِّيَاسَة لِابْن قُتَيْبَة: ١ / ١٢٧، طَبقَات ابن سَعد: ٧ / ١٨٨، أُسد الغَابَة: ٤ / ٤٢٠، الكَامِل فِي التَّارِيخ: ٢ / ٢٣٢، شَرح النَّهج لِابْن أَبِي الحَدِيد: ١ / ٢٠، و: ٨ / ٥٣.

وَرَجع عَمْرُو إِلىٰ مُعَاوِيَة فَقَالَ لهُ: مَا صَنعتَ يَا عَمْرُو؟ قَالَ: لقيني عَليٌّ فَصَرعني. قَالَ: أَحمد الله، وعَورَتك، أَمَا وَالله أَنْ لَو عَرفته مَا أَقحمتَ عَلَيْهِ، وَقَالَ مُعَاوِيَة فِي ذَٰلِكَ شِعراً:

أَلاَ لله مِـــن هَـفَوات عَـمْرُو يُعاتِبُني عَلىٰ تَـركي بِـرَازِي
فَقَد لاَقـىٰ أَبَـا حَسَـنٍ عَـلِيّاً فَآب الوَائـــليُّ مَآبَ خَـازِي
فَلو لَـم يُـبْدِ عَـورَته للاَقـىٰ بِـــهِ لِـيثاً يَـذلِّلُ كـلَّ نَـازِي

فَغضب عَمْرُو، وَقَالَ: مَا أَشدّ تَغبِيطك عَلِيّاً فِي أَمري هَذَا؟ هَل هُو إِلّا رَجلٌ لقيه ابنُ عمّه فَصرعَه، أَفترىٰ السَّماءَ قَاطرةً لذَلك دَماً؟ قَالَ: ولَكِنّهُ مَعقبة لكَ خِزْياً.

ثُمّ قَالَ فِي: ٤٣٢: إِنّ مُعَاوِيَة أَظهَر لعَمْرُو شَماتةً، وَجَعل يُقرّعه، وَيُـوبّخه... وإِنّك لجَـبانٌ فَغَضب عَمْرُو ثُمّ قَالَ: وَالله لو كَانَ عَلِيّاً مَا قَحمتُ عَلَيْهِ يَا مُعَاوِيَة، فَهلاّ بَرَزتَ إِلىٰ عَليٍّ إِذْ دعَاك إِنْ كُنتَ شجَاعاً كمَا تَزعمُ، وَقَالَ عَمْرُو فِي ذَٰلِكَ شِعراً:

فَهَلّ لَكَ فِي أَبـي حَسَـنٍ عَـليٍّ لعَـلّ الله يُـمكِنُ مِـن قَـفَاكَـا
دَعَـاك إِلىٰ النّـزال فَـلم تُـجِبْهُ وَلَـــو نَـــازلتَهُ تَـربَتْ يَـدَاكَـا

أُنظر، المحَاورة، والشّعر فِي صَفْحَة أُخرىٰ مِن الكتَاب وَهِي: ٤٧٢ ـ ٤٧٣. وَقَـالَ جَـورج جردَاق فِي كتَابه الإِمَام عَليّ عليه السلام صَوْت العَدَالة الإِنْسَانية: ١ / ٨٢: وَقَد أَصْبَحَ ذُو الفِقَار فَوق هَامته، وَلَو قَضىٰ عَليّ عليه السلام عَلىٰ عَمْرُو آنذَاك لكَان قَضىٰ عَلىٰ المَكر، وَالدَّهاء، وَجَيش مُعَاوِيَة. أُنظر، شَرح النّهج لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٣ / ٣٣٠، وابن أَعْثَمْ فِي الفُتُوح: ٢ / ٤٤ ومَا بَعدهَا.

مَتىٰ تَلقيَا الخَيْل المُشـيحَة صُـبْحَةً وَفِيها عَلِيٌّ فَاْتركَا الخَـيْل نَـاحِية[1]

كَان بُسْر بن أَرْطَأة قَاسي القَلب، فَظَّاً سَفَّاكـاً للـدِّمَاء، لاَ رَأفَـة عِـندَه، وَلاَ رَحمَة... وَقَدْ جَهزَّه مُعَاوِيَة فِي ثَلاَثة آلاَف، وقَالَ لهُ: «سِرْ حَتَّىٰ تَمر بالمَدِينَة فَاْطرد النَّاس، وَأَخف مَن مَرَرت بِهِ، وَاْنْهَب أَموَال كلّ مَن أَصَبتَ لهُ مَالاً مِمَّن لَمْ يَكُن دَخَل فِي طَاعتنَا، فَإِذَا دَخَلت المَدِينَة فَأَرهُم أنَّك تُرِيد أَنْفسهُم، وَأَخبرهُم أَنَّ لاَ بَـرَاءَة لهُـم عِـنْدَك وَلاَ عُـذر حَـتَّىٰ إِذَا ظَـنُّوا أَنَّك مُـوقِع بِـهم فَاْكـفُف عَنْهُم... وَأَرهب النَّاس عَنك فِيمَا بَيْن المَدِينَة وَمَكَّة وَاْجْعَلها شَرَدات...»[2].

بِهَذِه النَّصائح كَان مُعَاوِيَة يُزَود عصَابَات الإِرهَاب، قَالَ لسُفْيَان بن عَوْف ـ كَمَا أَسلفنَا ـ: فَاْقْتل كلّ مَن لَقِيتَه، وَأَخْرِب كلّ مَا مَرَرت بِهِ مِـن القُـرىٰ، وَأَحْـرِب الأَموَال»[3]. وقَالَ لبُسْر: «فَاْطْرد النَّاس، وَأَخف مَن مَرَرت بِهِ»[4]، وَبِمِثل ذَلِكَ أَمر الضَّحاك وَغَير الضَّحاك، وَمَـضىٰ هَـؤُلاَء اللُّـصُوص يُـنفذُون أَمـر سَـيِّدهُم وَيَضِيفُون إِلَيه مِنْ لُؤمهم وَحِقدهم عَلىٰ الإِنْسَانِيَّة الكَثِير مِنْ الفَتْك وَالسَّفك.

وَوَصل بُسْر إِلىٰ المَدِينَة المُنورَة، فَشَتم أَهلهَا وَتَهددهُم وَتَوعدهُم، وأَحـرَق دُوراً كَثِيراً، مِنْهَا دَار زُرَارة بن حرُون، وَدَار عَمْرُو بن عَوْف، وَدَار رُفَاعة اْبْن رَافع

(١) أنظر، الاِسْتِيعَاب: ٦٤ ـ ٦٧ لَكِنَّهُ نَسَبها إلىٰ الحَارث بن النَّضر السَّهمِيّ، ووَقْعَة صِفِّين: ٤٦٢ وَنَسَبها إلىٰ النَّضر بن الحَارث، وفِيهِ: أَفِي كُلّ يَوْم فَارس تَندبُونه... وفِي شَرح النَّهج لاِبْـن أَبـي الـحَدِيد: ٢ / ٣٠١، وكَذَلِكَ مَنَاقب الخوَارزمي: ٢٤١.

(٢) أنظر، الغَارَات: ٢ / ٦٠٠.

(٣) تَقَدَّم إِسْتخرَاج ذَلِك.

(٤) تَقَدَّم إِسْتخرَاج ذَلِك.

الرَّزقي، ودَار أَبِي أَيُوب الأَنْصَاري صَاحب مَنْزل رَسُول الله ﷺ[١].

وقَالَ المَسْعُودِي: «قتَل بُسْر بِالمَدِينَة وبَينَ المَسْجدَين خَلقاً كَثِيراً مِنْ خُزَاعة وَغَيرها، وكَذَلِك بِالجُرف قَتل خَلقاً كَثِيراً مِنْ رِجَال هَمدَان، وَقَتل بصَنعَاء خَلقاً كَثِيراً»[٢]. وقَالَ المَسْعُودِي: وَلمَّا بَلَغ الخَبر عَليّاً أَنفَذ جَارِية بن قُدَامة فِي أَلفَين، وَوَهب بن مَسعُود فِي أَلفَين، وَحِين عَلِم بُسْر بِخَبر حَارِثة فرَّ هَارباً[٣].

اتَّخذ مُعَاوِيَة خُطَة الغَارَات المُفَاجِئة وَالهجُوم الخَاطف، ثُمَّ الفرَار والمُوَازَاة عَن الأَنظَار، وَاتَّخذ الإِمَام خُطَة الدِّفاع، وَلَكنَّه دفَاع بَطِيء بِطء المـوَاصـلاَت يَومذَاك.

وَقَبل أَنْ يُغَادر بُسْر مَدِينَة الرَّسُول اسْتَخلَف عَلىٰ أَهلهَا أَبَا هُرَيرَة، وَأَوصَاهم بطَاعَته، وأَبُو هُرَيرَة هَذَا الَّذي نصّ عَلَيه بُسْر «بِالخِلاَفَة» مِنْ بَعْده رَأىٰ وَشَاهد البِدَع وَالأَحدَاث الَّتي أَحدَثها بُسْر فِي مَدِينَة الرَّسُول الأَعْظَم؛ وَهُو بالذَات الَّذي وَثَّقه أَصْحَاب الصِّحَاح، وَرَووا عَنْهُ الكَثِير وَقَدْ يَكُون السَّبَب لتَوثِيقه وَتَصحِيح حَدِيثه روَايَته عَن نَبي الرَّحمَة: «إِنَّ لِكُلِّ نَبي حَرمَاً، وأَنَّ حَرمي بالمَدِينَة مَا بَيْن عِير وَثَور، فَمَن أَحدَث فِيهَا حَدَثاً فَعَليهِ لعَنْة الله وَالمَلاَئِكَة وَالنَّـاس أَجْـمَعِين، وأَشْهَد بالله أَنَّ عَليّاً أَحدَث فِيهَا»[٤]!. وتَأرِيخ روَاية هَذَا الإِفتِرَاء مُتَأخر عَن

---

(١) أُنظر، شَرح النَّهج لِابْن أَبي الحَدِيد: ج ١. (مِنْهُ ﷺ). و: ٢ / ١٠.

(٢) أُنظر، المَسْعُودِي: ٣ / ٣١ طَبعَة ١٩٤٨. (مِنْهُ ﷺ).

(٣) أُنظر، المَسْعُودِي: ٣ / ٣٢ طَبعَة ١٩٤٨. (مِنْهُ ﷺ).

(٤) لاَ نُرِيد التَّعلِيق عَلىٰ هَذِه الرِّوَاية الَّتي يَروِيها الدُّوسي الَّذي كَان يُدَلس فِي الأَحَادِيث، بَل نُرجِع القَارئ الكَرِيم أَنْ يَدرُس حَيَاة الدُّوسي فِي كتَاب شَيخ المُضِيرة أَبُو هُرِيرة لمَحمُود أَبُو رِيَّة وَالبدَاية وَالنّهَاية.

غَزوَّة بُسْر للمَدِينَة وَأستخلاَفه أَبَا هُرِيرَة بَعْده! عَليّ الَّذي قَالَ عَنْهُ الرَّسُول: «يَا عَلِيُّ، لَا يُبْغِضُكَ مُؤمِنٌ، وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ»[1]. عَليّ فِي مَنْطق أَبي هُرَيرَة قَدْ أَحَدث فِي المَدِينَة، أَمَّا مُعَاوِيَة الَّذي مَات عَلىٰ غَير سُنَة مُحَمَّد ـ بِشهَادة عَبدالله بن عُمَر مُعَاوِيَة هَذَا صَان مَدِينَة الرَّسُول، وَمَنع عَنها البِدَع، وَالأَحدَاث بِشهَادة بُسْر وَخَلِيفَته أَبي هُرَيرَة.

تَرَك بُسْر المَدِينَة، وَتَوجه إِلَىٰ مَكَّة، وَقَتل فِي طَرِيقهِ بَيْنَ حَرم الله وَحَرم الرَّسُول رِجَالاً، وَنَهب أَموَالاً، وَلمَّا بَلَغ خَبرَه أَهْل مَكَّة هَرَب أَكثرهُم خَوفَاً مِنْ جَوره وَطُغيَانه، وَمرَّ بنَجرَان فَقَتل جَمَاعَة، وَقَام خَطيبَاً فِي أَهلهَا، وقَالَ: يَا أَهْل نَجرَان، يَا مَعْشر النَّصاري، وَإِخوَان القُرُود، أَمَا والله أَنْ بَلَغني عَنكُم مَا أَكره لأَعودَن عَلَيكُم بِالتي تَقْطع النَّسل، وَتَهلك الحَرث، وَتُخرب الدِّيَار، وَقَتل، وَهُو ذَاهب إِلَىٰ صَنعَاء أَبَا كَرب، وكَان مِنْ رُؤوس الشِّيعَة، وَسَيِّد مَنْ كَان فِي البَادِية مِنْ

(١) أُنظر، كنز العُمَّال: ١١ / ٥٩٨ ح ٣٢٨٧٨ و ٣٣٠٢٨، و: ١٣ / ١٧٨ ح ٣٦٢٩، الصَّوَاعِق المحرِقَة: ١٢٢، كفَاية الطَّالب: ٦٨، شَرح الأَخبَار: ١ / ١٥٢ ح ٨٩، سُنن ابن مَاجه: ١ / ٤٢ ح ١١٤، أُسد الغَابَة: ٣ / ٦٠٢ طَبعَة بَيرُوت، المُصنَّف لِابن أَبي شَيبة: ١٢ / ٥٧، سُنن التِّرمذي: ٥ / ٣٠٦ ح ٣٨١٩، مَجْمَع الزَّوائد: ٩ / ١٣٣، فَتح البَاري: ١ / ٦٠، تُحفَة الأَحوَذي: ١٠ / ١٦٤، السُّنَن الكُبرَىٰ: ٥ / ١٣٧ ح ٨٤٨٧ و: ٦ / ٥٣٤ ح ١١٧٤٩، الرِّيَاض النَّضرَة: ٢ / ٢١٤، خَصَائِص النَّسائي: ١٠٥، مُسْنَد أَبي يَعلى: ١ / ٢١٥، المُعْجَم الأَوسط: ٩ / ٣٣٧، و: ٥ / ٨٧، مُسْنَد أَحمَد: ٦ / ٢٩٢ ح ٢٦٥٥٠، سُنن النَّسائي: ٨ / ١١٦، تَأْرِيخ دِمَشق: ٢ / ١٩٠، الغَارَات: ٢ / ٥٢٠، مُسْنَد الحُميدي: ١ / ٣١ ح ٥٨ طَبعَة المَدِينَة المُنَوَّرَة، مَنَاقب أَمِير المُؤمِنِينَ للكُوفِي: ٢ / ٤٦٩ ح ٩٦٣، كَشف الخَفَاء: ٢ / ٣٨٢ ح ٣١٨١، شوَاهد التَّنزِيل: ١ / ٤٧٧ ح ٥٠٩، الفِردَوس بمَأثُور الخِطَاب: ٥ / ٣١٩ ح ٨٣١٣، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ١٢ / ٤٣٧، تَهذِيب الكَمَال: ١٥ / ٢٣٢، تَأرِيخ بغدَاد: ٢ / ٢٩، تَهذِيب الأَسمَاء: ١ / ٨٨، فَضَائِل الصَّحَابَة لأَحمَد بن حَنبل: ٢ / ٦١٩ ح ١٠٥٩ و ١١٦٩.

حَمدَان[1]، وَحِين دَخَل صَنْعَاء أعْمَل فِي أهلهَا القَتل وَالسَّلب، وَأَتَاه وَفـد مِـنْ مَأرب يَسْتَعطفه وَيَسْتَرضِيه، فَقَتل رِجَاله، وَذَبح طِفلِين صَغِيرَين لعُـبِيد الله بـن العَبَّاس، وكَانَتْ أُمهُما تَدور مَذهُولَة نَاشرَة شَعرهَا، وَتَقول[2]:

هَا مَـنْ أَحَسَّ بِٱبـنيّ اللَّـذِين هُـما ... كَـالدُّرتَّين تَشَـظَّىٰ عَـنهَا الصَـدَفُ
هَا مَـنْ أحَسَّ بِٱبـنيّ اللَّـذِين هُـما ... سَمْعِي وَقَلْبِي فَقَلْبِي اليَوْم مُـخْتَطفُ
هَا مَـنْ أحَسَّ بِٱبـنيّ اللَّـذِين هُـما ... مُخّ العِظَام فَـمُخي اليَـوْم مُـزدَهفُ
نُبئتُ بُسْرَاً وَمَا صَدَّقت مَـا زَعـمُوا ... مِنْ قَتْلهم وَمِنْ الإفك الَّذي ٱقترفوا
أنحي عَـلىٰ وَدَجـي ٱبْـني مُـرهَفة ... مَشـحُوذة وَكَـذا الآثَـام تُـقْتَرفُ
مِـنْ ذُلّ وَالِـهة حَـرّىٰ مشـلَبة ... عَلىٰ صَبيَّين ضَلا إذْ مَضىٰ السَّـلفُ

وَكَتب المُغِيرَة بن شُعبَة إلَىٰ بُسر كتَاباً يَشكرَه عَلىٰ مَا فَعَل، ويَقُول فِيهِ: «جَعَلنا الله وَإيَّاك مِنْ الآمرِين بِالمَعرُوف، وَالقَاصدِين إلَىٰ الحَقّ، والذَّاكرِين الله كَـثِيراً» آمَنت بالله! حَتَّىٰ الَّذِين يَعصُون أوَامره يَتَكلمُون بِٱسم الله. وَمَا أقوَىٰ وجُوه الشَّبه فِي الطِّباع وَالخِدَاع بَيْنَ بُسر وَالمُغِيرة وبَيْنَ الكَثِير مِمَّن نَعرف اليَوْم مِـنْ الَّـذِين يَتَكلمُون برٱسم الله جلّ وَعلا عُلواً كَبِيراً. وَصَدق الَّذي قَالَ: مَا ٱخْتَلف النَّـاس،

---

(١) أُنظر، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبِي الحَدَيد: ٢ / ١١٥.

(٢) أُنظر، كتَاب الغَارات: ٢ / ٦١٣، وَبرِوَاية ٱبن أَبِي ٱلحَدِيد: ٢ / ١٣ ـ ١٤ و ٣٠١، الإِسْتِيعَاب: ٦٤ ـ ٦٧، وَقعَة صِفِّين: ٤٦٢ طَبْعَة ٢ سَنَة ١٣٨٢ هـ، مُروج الذَّهب بهَامِش ٱبن الأَثِير: ٦ / ٩٣، الجَمهرَة: ٢٢٨ و ٣٩١، أُسد الغَابَة: ٣ / ٣٤٠، و: ١ / ١٨٠، ٱبن الأَثِير: ٣ / ١٥٣، المعَارف: ١٢٢، الفُتُوح: ٢ / ٣٩ و ٩٢، الإمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١ / ١٢٣ و ١٤٨ و ١٥٠، الأَغَاني: ١٥ / ٤٥، تَهذِيب ٱبن عسَاكر: ٣ / ٢٢٠، تَأرِيخ الطَّبرِيّ: ٦ / ٨٠، و: ٤ / ٢٠ وَمَا بَعدها طَبعَة أُخرىٰ، تَأرِيخ اليَعقوبي: ٢ / ١٤١، تَهذِيب التَّهذِيب: ١ / ٤٣٦، تَأرِيخ دِمَشق: ٣ / ٢٢٢، نهَايَة الأَرَب للقَلقَشندي: ٣٧١.

وَلَكنْ أطَّرد القِيَاس.

أشرنَا إلَىٰ أنَّ الإمَام أنفَذ جَارية بن قُدَامة إلَىٰ بُسْر، وَأخذ جَارِيَة يَسْأل عَنْهُ، وَيَتعقبه، وَبُسر يَفر بَيْنَ يَدَيه مِنْ جِهَة إلَىٰ جِهَة، حَتَّىٰ أخرَجه مِنْ أعـمَال عَـليّ كُلّها، وَلَكن بَعْد أنْ قَطع النَّسل، وَهَلك الحَرث، وَخرَّب الدِّيار؛ وَحِين رَجع بُسْر إلَىٰ الشَّام، قَالَ لمُعَاوِية: إنِّي سِرت فِي هَذَا الجَيش أقتُل عَدوّك ذَاهباً جَائِيَاً. فَقَال لهُ مُعَاوِيَة: الله فَعل ذَلِكَ لاَ أنْت[1].

قَالَ وَلَده يَزِيد للإمَام زَين العَابدِين: «الحَمد لله الَّذي قَتل أبَاك. فَقَال لهُ زَين العَابدِين: لعَن الله مَنْ قَتل أبي»[2]. وَنَقول نَحنُ: لعَن الله مَنْ فَعَل ذَلِكَ وَأمرَ بهِ.

قَالَ ابْن أبي الحَدِيد: «وكَان الَّذي قَتل بُسر فِـي وَجـهه ذَلِكَ ثَـلاَثِين ألفـاً، وَحَرق قَوماً بِالنَّار... وكَان مُسْلم بن عُقْبة ليَزِيد وَمَا عَمَل بِـالمَدِينة فِـي وَقْـعَة الحَرَّة، كَمَا كَان بُسر لمُعَاوية وَمَا عَمَل فِي الحِجَاز وَاليَمن، وَمَنْ يُشَابه أبـه فَـمَا ظُلم»[3].

وَسَأل الإمَام رَبّه تَعَالَىٰ أنْ يَنْتَقم مِنْ بُسر فِي الدُّنْيَا بِالجنُون، فَـقَال: «أللَّـهُمَّ أسلب دِينه، وَلاَ تخرجَه مِن الدُّنْيَا حَتَّىٰ تُسْلِبهُ عَقْله، فأصَابَه ذَلِكَ وَفقَدَ عَقْله»[4]، فَلَم يَلْبَث إلاَّ يَسِيراً حَتَّىٰ ذَهَب عَقله، فكَان الصِّبيَان يَتبعُونه، وَيَعبثُون بهِ.

بِهَذِه البِدع وَالأحدَاث، بِانْتهَاك حَرم الله، وَحَرم الرَّسُول، بِقَتل الرِّجَال، وَذَبح

(١) أنظر، كتَاب الغَارات: ٢ / ٦٣٩، وبروَاية ابن أبي الحَدِيد: ٢ / ١٧.

(٢) أنظر، الإحتجَاج: ٢ / ٣٨.

(٣) أنظر، شَرح النَّهج لابن أبي الحَدِيد: ١ / ١٢١. (مِنْهُ).

(٤) تَقدَّم إسْتخرَاج ذَلِك.

الأطفال، بسلب النساء أقراطها وخلاخلها، بهذه وما إليها قال المتقولون: معاوية أعرف من علي بالسياسة[١]. أجل، لا علي ولا غير علي أعرف من معاوية بالشر وضراوته فيه، والإقدام عليه. ومن هنا كان سياسياً عظيماً عند أشكاله وأمثاله!.

عمرو بن العاص:

وعن كتاب ربيع الأبرار للزمخشري أن النابغة أم عمرو بن العاص كانت بغياً، فوقع عليها أبو لهب، وأمية بن خلف، وهشام بن المغيرة، وأبو سفيان بن حرب، والعاص بن وائل، فأتت بعمرو، وادعاه الأربعة، فقالت أمه هو من العاص، ولما قيل لها: لماذا اخترت العاص، قال:: كان ينفق علي وعلى أولادي أكثر منهم، وكان عمرو أشبه بأبي سفيان[٢]. وقد اتفق المفسرون على أن العاص قال: أني لأشنأ محمد الأبتر، فأنزل الله فيه: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[٣].

كان عمرو بن العاص من الذين عادوا النبي وآذوه، وكادوا له وكذبوه: وقاتله مع جيوش الشرك، وهجاه بسبعين بيتاً من الشعر، فقال رسول الله: «اللَّهُمَّ إني لا أقول الشعر، ولا ينبغي لي، اللَّهُمَّ إلعنه بكل حرف ألف لعنة، فكان عليه من الله ما

(١) أنظر، «الإمام علي صوت العدالة الإنسانية»: ٤ / ٥٨٤. لتطلع على جواب المتقولين.

(٢) أنظر، ربيع الأبرار للزمخشري: ٣/٥٤٨، شرح النهج لابن أبي الحديد: ٦/٢٨٣، الإستيعاب: ٤٣٤، الغارات: ٢ / ٥١٤، شرح مئة كلمة: ١٦٢، وشرح النهج لشارح الكلمات: ٢٠٩.

(٣) الكوثر: ١ ـ ٣.

لاَ يُحصىٰ مِنْ اللَّعنَات »[١]، وَذَهب إِلَىٰ النَّجاشي ليَأتي بِـالمُسْلِمِين إِلَـىٰ مَكَّـة، وَيُعَذبهُم المُشْرِكُون عَلىٰ إِسلاَمهم وَاَتِّباعهِم دِين الله وَرَسُوله، وَحرَّض عَلىٰ قَتل عُثْمَان، ثُمَّ اَنْتَحل دَمَه مَع مَنْ اَنْتَحل[٢].

وقَالَ يَوْمَاً لعَائِشَة: « وَدَدتُ أَنَّك قُتلتِ يَوْم الجَمْل. فَقَالت: وَلِـمَ ذَاك لاَ أَبـاً لَكَ؟ قَالَ: كُنتِ تَمُوتِين بِأَجلكِ وَتَدخلِين الجَنَّة، وَنَجعلكِ أَكْبَر للـتَّشْنِيع عَـلىٰ عَليّ »[٣]. وكَان وَالياً عَلىٰ مَصر أَيَّام عُمَر اَبْن الخطَّاب، فَظَلم وَنَهب، فَأَخذ مِنْهُ عُمَر شَطر أَموَاله، وَبَاع دِينه لمُعَاوِية بوِلاَية مَصْر لاَ يُسأل عَن خرَاج وَلاَ سُكَان، وَحَارب عَليَّاً لاَ لشَيء إِلاَّ لأَنَّ مَع عَليّ آخرَة بِلا دُنيَا، ومَع مُعَاوِيَة دُنيَا بِلا آخرَة، كَمَا قَالَ لهُ مَولاَه وردَان[٤].

وكَانَتْ مَصْر الَّتي جَعَلها مُعَاوِيَة طُعمَة هِي وَأَهلهَا لِابْن العَـاص، كَـانَتْ مِـنْ شِيعَة عَليّ كَمَا جَاء فِي خُطط المَقرِيزي، وَالكَامل لِابْن الأَثِير، وقَالَ أَبُو زُهرَة فِي كتَاب « المَذَاهِب الإِسْلاَمِيَّة »: الشِّيعَة نَشأت فِي مَصر فِي عَهْد عُثْمَان[٥].

---

(١) أُنظر. شَرْح النَّهج لِابْن أَبي الحَدِيد: ٦ / ٢٩١، شَرْح الحُمَيدي: ٢ / ١٠١ ـ ١٠٤، جواهر المطَالِب فِي مَنَاقب الإِمَام عَليّ لِابْن دِمَشْق: ٢ / ٢٢٣.

(٢) أُنظر. أَنْسَاب العَرب لِابْن حَزم: ١٥٤، طَبقَات اَبن سَعد: ٧/ق ٢ / ١٨٨، المعَارف لِابـن قُـتَيبَة: ٢٨٥، أُسد الغَابة: ٤ / ٤٢٠، الكَامل فِي التَّأريخ: ٢ / ٢٣٢، البدَاية وَالنِّهاية: ٤ / ٢٧٥، شَـرح النَّـهج لِابْن أَبي الحَدِيد: ١ / ٢٠ و ٨ / ٥٣، مقَاتل الطَّالبِيين: ٤٤.

(٣) أُنظر. شَرْح نَهج البَلاَغة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٦ / ٣٢٢، الكَامل للمُبرد: ١٥١ طَبْعَة لَيدن.

(٤) أُنظر. تأرِيخ الإِسْلاَم السِّيَاسي: ١ / ٤٧٤.

(٥) قَالَ الشَّيخ أَبُو زُهرَة فِي كتَاب « الإِمَام الصَّادق »: ٥٤٧ (لمَّا اَنْقضىٰ الحُكْم الفَاطِمي لَمْ يَجْد صَلاَح الدِّين كَبِير مَشَقة فِي القَضَاء عَلىٰ مَذْهَب التَّشيُّع فِي مَصر، وَقَدْ اَنْحَسر عَنهَا المَذْهَب وَالبَقيَّة البَاقيَة
⇜

وكَان قَيس بن سَعد الأَنْصَاري وَالياً عَلَيهَا لأَمِير المُؤْمِنِين عَليّ، ثُمَّ ٱسْتَعمل عَلَيها مُحَمَّد بن أَبي بَكْر، فَجهزَّ مُعَاوِيَة عَمْرُو بن العَاص فِي أَربعَة آلآف، وَبَعَثه إِلَىٰ مَصر، وَأَرْسل مَعَهُ مُعَاوِيَة بن حَدِيج، وَأَبا الأَعوَر السَّلمي[1]، وَعَبدالرَّحمن ٱبْن أَبي بَكْر، وَٱقْتَتلوا هُم ومُحَمَّد، فَتفرق أَصْحَاب مُحَمَّد عَنْهُ، فَخَرج مُتَمهلاً حَتَّىٰ ٱنْتهىٰ إِلَىٰ خَرِبة، فَٱخْتَفىٰ فِيهَا، وَلمَّا ٱهتَدىٰ إِلَيه عَسْكر ٱبْن العَاص أَخرجُوه وَكَاد يَموت عَطشاً، فَقَال: ٱسقُوني قَطرَة مَاء. فَقَال لهُ ٱبْن حَدِيج: لاَ سقَاني الله أَنْ سَقَيتُك، ثُمَّ أَخذُوه، وَوَضعُوه فِي جِلد حِمَار، وَٱضرَموه بِالنَّار، وقِيلَ: كَان بهِ شَيء مِنْ الحَيَاة[2].

⇐ أَبَان ذَلِكَ مِنْ مُعْتَنقي المَذْهب، ولَمْ يَكُونوا قوّة فِيهَا، ولِذَلِك فرّوا إِلَىٰ صَعِيد مَصر وَلَعَلهُم ٱنْتَقلوا مِنْ مُدِيرية إِلَىٰ مُدِيرية حَتَّىٰ ٱستَقر بِهم المقَام فِي مُدِيرية أَسوَان وَٱنْتهىٰ بِهم الأَمر إِلَىٰ مَدِينَة أَسوَان، وَقَدْ طوَتهُم لجَة التَّأرِيخ فِيهَا، ولَيس أَحد مِنْهُم اليَوْم!). (مِنْهُ ﷺ).

(١) هُو أَبُو الأَعور بن سُفْيَانَ السَّلمي كمَا ذَكَره الطَّبري فِي تَأرِيخه: ٣/ ٥٧١، و: ٥/ ١١٥. والبدَاية والنّهاية: ٧/ ١٩٦، ومروج الذَّهب: ٢/ ٣٨٥. وذكر ٱبن قُتَيْبَة فِي الإِمَامَة والسِّيَاسَة: ١/ ١٢٣و ١٢٤ و ١٢٦و ١٣٥ و١٤٨و ١٥٠ و ١٥٢. أنّ مُعَاوِيَة جَعله عَلىٰ مُقدمة جَيْشه فِي صِفِّين. أُنظر وَقْعَة صِفِّين: ١٥٣و ١٥٤و ١٥٧و ١٦٠و ١٦٧و ١٨١و ١٩٥و ١٩٦و ٢٠٦و ٢١٣و ٢١٤و ٢٢٦و ٣٢٨و ٣٢٩ و ٣٣٤و ٣٣٧و ٣٦٢و ٣٩١و ٤٨١و ٤٩٣و ٥٠٧و ٥١١، والفُتُوح لابْن أَعْثَم: ٢/ ٤٣٧، والأَخْبَار الطّوال: ١٦٧ ١/ ٥٥و ١٢٣و ١٢٤و ١٢٦و ١٣٥و ١٤٨و ١٥٠و ١٥٢.

(٢) هُو مُحَمَّد بن أَبي بَكْر، وأُمّه أَسْمَاء بِنت عُميس الخَثعَميّة تَزوّجها أَبُو بَكْر بَعد ٱستِشْهَاد جَعْفر بن أَبي طَالب فَوَلدت لهُ مُحَمَّداً فِي حَجّة الودَاع بطَرِيق مَكَّة. ثمّ نَشَأ فِي حِجر عَليّ بَعد أَبيهِ، وَشَهد مَعَه حَرْب الجَمَل، وكَانَ عَلىٰ الرَّجَالة، وَشَهد مَعه صِفِّين، ثُمّ وَلاّهُ مِصْر فدَخلها فِي (١٥) شَهر رَمضَان (٣٧ هـ). فجهّز مُعَاوِيَة جَيشاً بقِيادة عَمْرُو بن العَاص لفتح مِصْر فتغلّب عَمْرُو عَلَيْهِ سَنَة (٣٨ هـ) وقتله مُعَاوِيَة بن خُدَيْج صَبراً، ثُمّ أَدخلُوا جَسَده فِي بَطْن حِمَار مَيت، وَأَحرقُوه، وَعندَما بَلغ ذَلِكَ عَائِشَة بَكَت بُكَاءً شَدِيداً.

⇐

وبَلَغ الإِمَام قَتل مُحَمَّد، فقَال: مَا جزَعت علىٰ هَالك مُنذ دَخلت هَذِه الحرُوب جزَعي عَليه، وقِيلَ لهُ: أنّ جزَعك لشَدِيد علىٰ مُحَمَّد يَا أَمِير المُؤْمِنِين. فقَال: وَمَا يَمْنعني! «فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً، وَكَانَ لِي رَبِيباً»[1]. وَ«مُحَمَّد ٱبْني مِن صُلب أَبي بَكْر»[2]. وَقَالَ الإِمَام ﷺ: «جَزعنَا عَلَيْهِ عَلىٰ قَدر سرُورهم»[3].

وَأَرسَل الإِمَام إِلَىٰ مَصر مَالِك الأَشْتَر، وَأَنْفذ مَعَهُ جَيشاً، لإِنقَاذها وَطَرد ٱبْن العَاص مِنْهَا، فَلَمَّا بَلَغ ذَلِكَ مُعَاوِيَة أَرسَل رَجُل يَملك أَرضاً فِي العَرِيش، وقَالَ أُترك خرَاجك عِشرين سَنَة، وَٱحتَل للأَشْتَر بِالسُّم فِي طعَامه؛ فَلَمَّا نَزَل الأَشْتَر بِالعَرِيش أَتَاه الرَّجل بِعَسل فِيهِ سُم، فَتَنَاول مِنْهُ الأَشْتَر، وَمَات فِي سَاعَته، وَقَتل

❖ وَهِيَ الَتي خَاطبت أُمّ حَبِيبَة أُخت مُعَاوِيَة بن أَبي سُفْيَان عِندَما عَملت الأَخِيرة شَوت كَبشاً، وَبَعثت بِهِ إِلىٰ عَائِشَة تَشفِّياً بِقَتل مُحَمَّد بطَلَب دَم عُثْمان، فقَالت عَائِشَة: قَاتل الله ٱبنَة العَاهرَة، وَالله لاَ أَكلت شوَاءً أَبداً. ثُمّ ضَمّت عِيَاله إِلَيهَا، وَرَعت حقّه، وَلم تَنسه مَدىٰ ٱلحَيَاة. وهُو القَائِل لهَا بَعد أَنْ ٱنتهت معرَكة الجَمَل، وَأَدخل رَأسه إِلَيهَا، قَالت: مَن أَنتَ وَيلك؟ قَالَ: أَبغض أَهلك إِلَيك، قَالت: ٱبن الخَثْعَمية؟ قَالَ: نَعم، قَالت: الحَمْدُ لله الَّذي عَافَاك...

أُنظر، تَذكِرة خواصّ الأُمّة: ١١٤ طَبعَة النَجف، التَمهِيد والبَيَان: ٢٠٩، الأَغَاني: ٢١/ ٩، الإِشتِقَاق: ٣٧١، الطَّبَري، وَٱبن الأَثِير، وَٱبن كَثِير فِي ذِكر حوَادث سَنَة (٣٦هـ)، الإِصَابَة حَرف المِيم: ٣ ق ٢/ ٤٥١، الإِسْتِيعَاب: ٣/ ٣٢٨، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ١/ ٤٧٢، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١/ ٥٥ ومَا بَعدَها، تَهْذِيب الكَمَال: ٢٤/ ٥٤١ رَقم ٥٠٩٧، شَرح النَّهج لِابْن أَبي ٱلحَدِيد: ٣/ ١٩٠.

(١) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطْبَة (٦٨).

(٢) أُنظر، شَرح النَّهج لِابْن أَبي ٱلحَدِيد: ١/ ٢٦٤، شَرح النَّهج لِمُحَمَّد عَبْدَه: ١/ ١١٧.

(٣) أُنظر، مُروج الذَّهب: ٢/ ٣٩، تَأرِيخ ٱبن كَثِير: ٧/ ٣١٤، تَأرِيخ الطَّبَرِي: ٦/ ٥٨ ـ ٦١، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣/ ١٥٤، النّجوم الزَّاهرة: ١/ ١١٠، تَذكِرة خواصّ الأُمّة: ١١٤ طَبعَة النَجف، التَمهِيد والبَيَان: ٢٠٩، الأَغَاني: ٢١/ ٩، الإِسْتِيعَاب: ٣/ ٣٢٨، الفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ١/ ٤٧٢، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١/ ٥٥، تَهْذِيب الكَمَال: ٢٤/ ٥٤١ رَقم ٥٠٩٧، شَرح النَّهج لِابْن أَبي ٱلحَدِيد: ٣/ ١٩٠.

أَصْحَاب الأَشْتَر الرَّجل[1]؛ وَحِين بَلَغ ذَلِكَ الإِمَام قَالَ: « لليَدَين وَالفَم »[2]. وهَذِه كَلْمَة تُقَال لمَن يَسقُط عَلىٰ يَدَيه وَلسَانه. وبَلَغ ذَلِكَ مُعَاوِيَة، فَقَال: « إِنَّ لله جُنُوداً مِنْهَا العَسَل »[3].؛ وكَان حِين دُسّ السُّم إِلَىٰ الأَشْتَر قَالَ لأَهل الشَّـام: « ٱدعُـوا عَلىٰ الأَشْتَر. فَدعوا عَلَيه، وَمَا جَاء خَبر مَوته قَالَ: أَمَا تَـرون كَـيف ٱسـتُجيب لَكُم »[4]؟!.

غَرِيب! حَتَّىٰ الكِذب وَالإِحتيَال، وحَتَّىٰ السّم بِالعَسل لقَتل أَوليَاء الله مِنْ صُنع الله عِند المُجرِمِين لاَ مِنْ صُنعهِم!... وَصَدق المَعَري حَيْث يَقُول عَلىٰ لسَان آدَم يُخَاطب أَبْنَاءه مُؤنباً: «كَذَبتُم عَلىٰ خَالقكُم وَرَبّكُم، ثُمَّ عَلىٰ آدَم أَبيكُم، ثُمَّ عَلىٰ حوَاء أُمّكُم، وَكَذَب بَعْضكُم عَلىٰ بَعْض، بَل وعَلىٰ أَنْفُسهِم!»[5].

عصَابَات بِالجُملَة:

لَمْ يَكْتف مُعَاوِيَة مِنْ تَشكِيل العِصَابات بِالَّذين أَشرنَا إِلَىٰ أَسمَائهِم، بَل شَكَّل عِصَابَات أُخرىٰ للتَّخرِيب وَالإِغتيَال، مِنْهَا عصَابَة بِرئَاسَة يَزِيد بن شَجرَة، وَثَانِية

---

(١) أُنظر، مُروج الذَّهب: ٢ / ١٣٩ طَبعَة بَيرُوت، المُغتَالين مِـن الأَشـرَاف: ٣٩، وتَأرِيـخ اليَـعقُوبي: ٢ / ١٣٩ طَبعَة بَيرُوت، شَرح النَهج لِإبن أَبي ٱلحَدِيد: ٢ / ٢٩، والطَّبَرِيّ فِي تَأرِيخه: حوَادث سَـنَة (٣٨ ـ ٣٩هـ)، تَهذِيب الكَمَال: ٢٧ / ١٢٦ رَقم ٥٧٣١.

(٢) أُنظر، تَأرِيخ دِمَشق: ٥٦ / ٣٧٦، جوَاهر المطَالِب فِي مَنَاقب الإِمَام عَليّ لِإبن الدِّمَشقي: ٢ / ٥٨.

(٣) تَقدَّم إِسْتخرَاج ذَلِكَ.

(٤) أُنظر، الغَارَات: ١ / ٤٤ و ٢٦٣، شَرح النَّهج لِإبن أَبي ٱلحَدِيد: ٦ / ٧٦.

(٥) هَذَا القَول مَأخُوذ مِن قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ ٱلأَعْرَاف: ١٧٢.

بقِيَادة عَبدالرَّحمن بن قبَاث، وَثَالثَة لزُهِير بن مَكحُول؛ ورَابعَة لمُسْلم بن عُقْبَة، وَخَامسة لعَبد الله بن مَسْعَدة، بَل قَاد هُو بِنَفسه عصَابَة للتَّخرِيب، وَسَار بِهَا حَتَّىٰ شَارف دِجلَة[١].

كَان هَذَا السَّيل مِنْ العِصَابَات يَتَدفق وَلاَ يَنْقَطع فِي لَيل وَلاَ نَهَار عَلىٰ بِلاَد الإِمَام، وكَانَتْ هَذِه العصَابَات تُحْسن الحَرق وَالتَّقتِيل، وَالإِغتيَال وَالغَارة عَلىٰ القوَافل، وَالبيُوت الآمنَة. قَالَ الأُستَاذ العَقاد يَصف أَعوَان الأُمَويين: «كَانُوا جَلاَّدِين؛ وَكِلاَب طرَاد فِي صَيد كَبِير»[٢]. وقَالَ الأُستَاذ جردَاق: «أَعوَان الأُمَوِيين فَرِيقَان: فَرِيق اجْتَذَبته الرَّشوة، وَمَا أَرْخَصها ثَمناً للضَّمائِر الَّتي تُبَاع! وَفَرِيق تَمرس بِالخِسَّة وَكُره الخَيِّرين مِنْ النَّاس»[٣]. هَكَذاكَان الجِهَاز العَسْكَري عِند مُعَاوِيَة: تَعطش لسَفك الدِّمَاء، وَقَتل الشّيوخ وَالأَطفَال وَالنِّسَاء، وَنَشر الخَوف وَالذُّعر، وَبرَاعة فِي الفِرَار وَالإِختفَاء. وَيُقَابله الجِهَاز العَسْكَري عِند الإِمَام: توَاكل وَتَخاذل، وَجدَال وَخصَام، وَتَمرد وَعُصيَان؛ حَتَّىٰ أَنَّه صَلوَات الله، وَسَلامه عَلَيه، دَعَا عَلىٰ نَفسه قَائِلاً: «أَللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ، وَمَلُّونِي، وَسَئِمْتُهُمْ، وَسَئِمُونِي، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ، وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي»[٤].

وقَالَ يَوْماً لأَصحَابه: «وَيحْكُم أُخرجُوا مَعي ثُمَّ فِرّوا عَنّي مَا بَدا لَكُم، فوَالله لاَ أَكرَه لقَاء رَبي عَلىٰ نِيَّتي وَبَصِيرتي، وَفِي ذَلِكَ رَوح عَظِيم لِي، وَفَرج مِنْ

(١) أُنظر، ابْن الأَثِير حوَادث سَنَة تِسع وَثَلاثِين. (مِنْهُ).

(٢) أُنظر، مُعَاوِيَة بن أَبي سُفْيَان فِي المِيزَان، عبَّاس مَحمُود العَقاد.

(٣) أُنظر، الإِمَام عَليّ صَوْت العَدَالة الإِنْسَانية.

(٤) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطْبَة (٢٥).

مُنَاجَاتكُم وَمُقَاسَاتكُم»[1]. وَقَالَ مرَّة: «مَا يُؤخر أَشقَاها؟! يَتَعجل آبْن مُلْجَم بريحَه مِنْ أَهْل العرَاق!..»[2]. الله أَكْبَر!... عَليّ يَتَمنىٰ المَوت، لاَ لشَيء إِلاَّ أَنّه لاَ يَسْتَبِيح الحَرَام، وَالكَيد، وَالمَكر!... وَيَتعجل القَتل، وَلاَ يَجد إِلَيه السَّبيل المَشرُوع، فَيَطلب مِنْ أَهْل العرَاق أَنْ يَخرجوا مَعَهُ للجِهَاد، ثُمَّ يَتركُوه وَحِيداً، ليُسْتَشهد وَيُعذر عِند الله!...

وَبَعْد هَذَا كلّه يُقَال: كَيف صَالح الحَسن مُعَاوِيَة، وَعِندَه جَيْش العرَاق. وَهَل آستقَام هَذَا الجَيش لأَبِيه، حَتَّىٰ يَسْتَقيم لهُ؟! أَنَّ الحَسن عليه السلام لَمْ يُصَالح مُعَاوِيَة حَقناً للدِّمَاء، وَلاَ جَمعاً لِلكَلمة، وَلاَ وَضعاً لأَوزَار الحَرْب، كَمَا قِيلَ، بَل لأَخِيه وَحِيد فَرِيد لاَ نَاصر لهُ وَلاَ مُعِين؛ أَمَّا تِلْكَ السّيوف الَّتي حَوْلَه فَهي مَعَهُ فِي الظَّاهر، وعَلَيه فِي الوَاقع إِلاَّ قَلِيل لاَ يُغْني شَيئاً. وَيَأْتي الكَلاَم عَلىٰ ذَلِكَ مُفصلاً إِنْ شَاء الله.

هَذِه نَمَاذج وأَمْثِلة مِنْ سِيرة مُعَاوِيَة مَع الشِّيعَة فِي حيَاة الإِمَام، سُم يُدَاف بِالعَسل، وَآغْتيَال، وَفرَار خَوفاً مِنْ أَبي الحَسن عَليّ؛ أَمَّا سِيرَته مَع الشِّيعَة بَعْد الإِمَام فَنُقدم أَمْثِلة مِنْهَا فِي الفَصل التَّالي.

---

(١) تَقَدَّم إِستخرَاج ذَلِك.

(٢) أُنظر، الغَارَات: ٢/ ٤٢٧، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ٢/ ١٢٧.

الإمَام الحَسَن عليه السلام

الإمَام الحَسن عليه السلام ،كُنْيَة :أَبُو مُحَمَّد[1] ،وِلِد بِالمَدِينَة لَيلَة النّصف مِنْ شَهْر رَمضَان المُبَارك سَنَة ثَلاَث مِنْ الْهِجْرَة[2]. تُوفّي سَنَة (٤٩ ـ ٥٠ هـ)[3].

وَيَكبر الحُسَيْن بِأَحد عَشَر شَهراً[4]، وَحِين وَلاَدتـه أَذّن الرَّسُول فِـي أُذنـهِ

---

(١) أُنظر، كفَاية الطّالب: ٤١٣، كَشف الغُمّة: ١/ ٥١٨ و ٥١٤، الإرشَاد للمُفيد: ٢/ ٥ طَبقة آل البَيْت عليهم السلام، مَعَالم العترَة النّبوية (مَخطُوط وَرَق ٦٠، المنَاقب لِابن شَهرآشُوب: ١٩٢/٣، أُسد الغَابة: ٢/ ٩.

(٢) أُنظر، تَهذِيب تأرِيخ دِمَشق لِابن عَسَاكر: ٤/ ١٩٩، مَطَالب السّؤول: ٦٤، الإِصَابة: ١/ ٣٢٨، الإِستِيعَاب: ١/ ٣٦٨، المقَاتل: ٥٩، تأرِيخ الخُلفَاء: ٧٣. شَذرَات الذّهب: ١/ ١٠.

(٣) أُنظر، وَقعَة صِفّين: ٢٣٤، طَبعَة القَاهرة، تأرِيخ الطّبريّ: ٦/ ٩، أبن الأَثِير: ١٢٨/٣، الإستِيعَاب: ١/ ٣٤٠، شَرح النّهج لِابن أَبي الحَدِيد: ١/ ٤٨٣و: ٤/ ١١و١٧، المقَاتل: ٤٣، وأَنسَاب الأَشرَاف: ١/ ٤٠٤، و: ٤/ ١١و١٧، أبن كَثِير: ٨/ ٤١، تَأرِيخ الخُلَفَاء: ١٣٨، الإِصَابة ترجمة الحَسَن، أبـن قُتَيْبَة: ١٥٠، الصّوَاعِق: ٨١، المَسْعُودِي فِـي مُـروج الذّهـب بـهَامش الكَـامِل: ٢/ ٣٥٣، ٦/ ٥٥، وتَهذِيب تَأرِيخ دِمَشق لِابن عَسَاكر: ٤/ ٢٢٦، وأَسْمَاء المُغتَالِين مِـن الأَشـرَاف: ٤٤، وتَأرِيـخ اليَعقُوبي: ٢/ ٢٢٥، وأبن الأَثِير: ٢/ ١٩٧، وأبن شُحنَة بهَامش أبن الأَثِير: ١١/ ١٣٢، تَأرِيخ الدّول الإسْلاَمِيّة: ١/ ٥٣، تَذكِرة الخواصّ: ٦٢، تَأرِيخ أَبِي الفدَاء: ١/ ١٩٤، الإسْتِيعَاب: ١/ ٣٨٩.

(٤) أُنظر، مَعَالم العِتْرَة النّبوِيّة للحَافظ الجنَابِذِي (مَخطُوط): ورق ٦٣، مطَالب السّؤول فِي مـنَاقب آل

اليُمنىٰ، وأَقَام فِي اليُسرىٰ، وَسمَّاه حَسَناً. وَلاَ يُعْرف أَحَد مِنْ قَبل سُمي بِاَسم الحَسن والحُسَيْن(١)، وَفِي اليَوْم السَّابع ضَحىٰ عَنْهُ الرَّسُول بِكَبشين(٢)، وَحَلق رَأسه، وَطَلاَه بَالطِّيب، وَتَصَدق بوَزن شَعرَه(٣).

رَيحَانَة الرَّسُول ﷺ:

وَبَقي فِي رِعَاية جَدّه سَبع سَنوَات، وكَان النَّبيّ لاَ يَصْبر عَلىٰ فرَاقه وَفرَاق أَخِيه الحُسَيْن، فكَانا يُلاَزمَانه مُلاَزمَة نُور الشَّمس للشَّمس لاَ يَتركهُما وَلاَ يَتركَانه فِي لَيلٍ وَنَهار، حَتَّىٰ حِين يَقوم للصَّلاة وَالعبَادة بَيْنَ يَدي الله عزَّوجلّ،

↔ الرَّسول: ٢٥٠، زُبدَة المقَال فِي فَضَائل الآل لكمَال الدِّين بن طَلْحَة (مَخطُوط): وَرق ١٢٠، كَشف الغُمّة: ٢ / ٢١٥ و ٢٦٥، مَقتل الحُسَيْن ﷺ للخوَارزمي: ١ / ١٤٣، المعَارف لِابْن قُتيبَة: ١٥٨ وَفيه «حَمَلت بِهِ بَعد أَنْ وَلَدت الحَسن ﷺ بِشَهر وَاثنتين وعشرين يَوْماً» يَعني بِاثنتين وَخَمسِين يَوْماً.

(١) أنظر، كَشف الغُمّة: ٢ / ٨١ و ٩٥، تَهذِيب تَأرِيخ دِمَشق لِابْن عَسَاكر: ٤ / ٢٠١، مُسنَد أَحمَد: ٦ / ٩ / ٣٩١، سُنن التّرمذي: ١ / ٢٤٠ و ٢٨٦، ذَخَائر العُقبىٰ: ١٢٠، سُنن أَبي دَاود: ٣٣ / ٢١٤، مُسنَد الطَّيالسي: ٤ / ١٣٠، مُسْتَدرك الصَّحِيحَين: ٣ / ١٧٩ تَهذِيب التَّهذيب: ٢ / ٢٩٦، مُسند أَحمَد: ١ / ٩٨، سُنن البَيهقي: ٦ / ١٦٥، و: ٩ / ٣٠٤، و: ٧ / ٦٣، أُسد الغَابة: ٢ / ١٨ و ٩، و: ٥ / ٤٨٣، و: ٤ / ٣٠٨، كَنز العُمّال: ٦ / ٢٢١، و: ٧ / ١٠٥، الصّواعق المُحرقة: ١١٥.

(٢) أنظر، أَنسَاب الأَشرَاف: ١ / ٤٠٤، الإِستيعَاب: ١ / ٣٨٤، الحَاكم فِي المُستَدرك: ٤ / ٢٣٧، صَحِيح التّرمذي: ١ / ٢٨٦، تأرِيخ الخُلفَاء: ٧٢، صَحِيح النَّسائي: ٢ / ١٨٨، سُنن أَبي دَاود: ١٨ / ٧، تأرِيخ بَغدَاد: ١٠ / ١٥١، سُنن البَيهقي: ٩ / ٢٩٩، ذَخَائر العُقبىٰ: ١١٩، كَنز العُمّال: ٧ / ١٠٧.

(٣) أنظر، صَحِيح التّرمذي: ١ / ٢٨٦، الإِستيعَاب: ١ / ٣٨٤، سُنن البَيهقي: ٩ / ٣٠٤، مُسْنَد أَحمَد: ٦ / ٣٩٠، تأرِيخ الخَمِيس: ١ / ٤٧٠، كتَاب مطَالب السّؤول فِي منَاقب آل الرَّسول: ٢٤٠، وَكَذلك زُبدَة المقَال فِي فَضَائل الآل لِابن طَلحَة الشَّافعي (مَخطُوط): وَرزق (١١٧)، الذُّرّيّة الطَّاهرة للدُّولاَبي: ١٢٧، مُستَدرك الصَّحِيحَين: ٤ / ٢٣٧، و: ٣ / ١٧٩.

وَحِين يَأْتِية جِبرَائِيل بِالوَحي كَان الحَسن يَسْمع الوَحي سَاعة نُزُوله، فَيَحفظهُ، وَيَأتي أُمّه فَاطِمَة يُلقيهَا إِليهَا، فَإِذَا جَاءهَا الإِمَام وَجَد عِنْدَها عِلماً بِالتَّنزِيل، فَيَسأل: أَنَّىٰ لَكِ هَذَا؟ فَتَقول مِنْ وَلَدك الحَسن[1].

وَأَعْتلىٰ مرَّة رَقبَة جدِّه، وَهُو سَاجد فِي الصَّلاَة، فَأَطال النَّبيّ سُجوده، ثُمَّ أَنزَله بِرفق[2]؛ وَمرَّة أُخرىٰ أَتَاه وَهُو رَاكع، فَأَفرَج مِنْ بَيْن رِجلَيه حَتَّىٰ خَرج مِنْ الجَانب الآخر، فَقِيل لَهُ: يَا رَسُول الله إِنَّك تَصْنع بِالحَسن مَا لَمْ تَصْنَعه بِأَحدٍ. قَالَ: أَنَّه رَيحَانتي. وَوَضعه مرَّة عَلىٰ مَنْكَبه الأَيمن والحُسَيْن عَلىٰ مَنْكَبه الأَيسر، فَأستَقبله أَبُو بَكْر، فَقَال لهُما: نِعمَ المَركَب رَكَبتُما يَا غُلاَمَان. فَقَال النَّبيّ: وَنِعم الرَّاكبَان هُما[3]، وقَالَ: «هُما رَيحَانتَاي مِنْ الدُّنْيا»[4]، وقَالَ النَّبيّ أَكثَر مِنْ مرَّة

(١) أنظر، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣/ ١٧٥.

(٢) أنظر، حليَة الأَولياء: ٢/ ٣٥، كَشف الغُمّة: ١/ ٥٢٠.

(٣) أنظر، سُنن التّرمذي: ٢/ ٣٠٧ و٣٠٨ و: ٥/ ٣٢٧/ ٣٨٧٢، ذَخائر العُقبىٰ: ١٣٠، كَشف الغُمّة: ١/ ٢٥٠، مَجمع الزَّوائد: ٩/ ١٨٢ و ١٨١، كَنز العُمَّال: ٧/ ١٠٤ و ١٠٧، مُسْتَدرك الصَّحِيحَين: ٣/ ١٧٠، أُسد الغَابة: ٢/ ١٢، مُحَاضرات: ٢/ ٢٨١، يَنَابِيع المودّة: ٢/ ٣٦ و٢٠٥ طَبعَة أُسوة.

(٤) هَذِه الكَلمَة مَأخُوذَه مِن سُورَة الْوَاقِعَةِ ٨٨ و٨٩: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾. وَيُشِير إِلَيها بِقَوله «مِن الدُّنيَا» فهُو رَيحَانة رَسُول الله فِي الدُّنيَا فِي قِبَال رَيحَان الجَنَّة فِي الجَنَّة لِلمُقَرَّبين. أُنظر، مَطَالب السّؤول فِي مَنَاقب آل الرَّسول: ٢٤٠، صَحِيح البُخَاري: ٢/ ١٨٨، و: ٤/ ٢١٧، سُنن التّرمذي: ٥٣٩، خَصَائص النَّسائي: ٢٦، الإِسْتِيعَاب: ١/ ٣٨٥، صَحِيح التّرمذي: ٢/ ٣٠٦، ٥/ ٣٢٢/ ٣٨٥٩، البُخاري فِي الأَدب المُفرد: ١٤، مُسْنَد أَحمَد: ٢/ ٨٥ و ٩٣ و ١١٤ و ١٥٣، مُسْند الطَّيالسِي: ٨/ ٢٦٠، حِليَة الأَولِيَاء: ٥/ ٧٠، و: ٣/ ٢٠١، خَصَائص النَّسَائي: ٣٧، فَتح البَاري فِي شَرح البُخَاري: ٨/ ١٠٠، كَنز العُمَّال: ٦/ ٢٢٠ ـ و ٢٢٢، و: ٧/ ١٠٩ و ١١٠، و: ١٢/ ١١٣/ ٣٤٢٥١، مَجمَع الزَّوَائِد: ٩/ ١٨١، ذَخَائر العُقبىٰ: ٤١، مُسْتَدرك الصَّحِيحَين: ٣/ ١٦٥،

للحسن: أشبهت خلقي وخُلقي[(١)]. وَقَدْ توَاتَر عَن طريق السُّنَّة والشيعَة: الحَسن والحُسَيْن سَيِّدا شبَاب أَهْل الجنَّة[(٢)]... إِنِّي أحبهُما فَأَحبُوهُما أَيُّها النَّاس. مَنْ أَحبهما فقَد أَحبَني، وَمَنْ أَبغضَهُما فقَد أَبغَضني[(٣)]... أَوَّل مَنْ يَدخل الجَنَّة أَنَا وفَاطِمَة والحَسن والحُسَيْن[(٤)]. وقَدْ تَوَاتر الحَدِيث عَن النَّبيّ أَنَّه قَالَ: «وَلَدَاي هَذَان إِمَامَان قَامَا أَوْ قَعدَا»[(٥)]. عَن مُسْند أَحْمَد عَن مُعَاوِيَة أَنَّ رَسُول الله كَان

⇐ الرِّيَاض النَّضره: ٢ / ٢٣٢، الصَّوَاعق المُحرقَة: ١٩١ب ١١ فصل ٣، مَوَدَّة القُربى: ٣٤، يَنَابِيع المَودَّة: ٢ / ٤٨ و ٣٧ و ٣٢٩، و: ٣ / ١٠ طَبعَة أُسوَة.

(١) أنظر، سُنن التِرمذي: ٥ / ٣٢٥ح ٣٨، الإستِيعَاب: ١ / ٣٨٤ و ١٣٩، مُسْنَد أحمَد: ١ / ٩٩ و ١٠٨، تَهذِيب التَّهذِيب: ٢ / ٢٩٦، الإصَابة: ٢ / ١٥ ق ١، كَنز العُمَّال: ٧ / ١٠٦، صَحِيح البُخَاري: ٥ / ٣٣، و: ٢ / ١٨٨، تَأرِيخ دِمَشق تَرجَمة الإمَام الحَسن عليه السلام: ٢٨ / ٤٨، مَجمَع الزَّوائـد: ٩ / ١٨٥ و ١٧٥ و ١٧٦، مُسْتَدرك الصَّحِيحَين: ٣ / ١٦٨، مُسْنَد أحمَد: ٣ / ٢٦١ و ١٦٤ و ١٩٩.

(٢) أنظر، صَحيح التِرمذي: ٢ / ٣٠٦، مُستَدرك الحَاكم: ٣ / ١٦٧، خصَائص النَّسائي: ٢٤، البدَاية وَالنّهاية: ٨ / ٣٥، الإستِيعاب: ١ / ٣٩١، تَأرِيخ الخُلفَاء: ٧١، مُسْنَد أحمَد: ٣ / ٣ و ٦٢ و ٨٢، حليَة الأولِيَاء: ٥ / ٧١، تأرِيخ بَغدَاد: ٩ / ٢٣١، و: ١٠ / ٩٠، فرَائد السِّمطَين: ٢ / ٩٨ح ٤٠٩ و ٤١٠ و ٤٢٨، تأرِيخ دِمَشق تَرجَمة الإمَام الحَسن: ٤٥ / ٦٦ ـ ٧١، الفَتح الكَبِير: ٢ / ٨٠، الإصَابة: ١ / ٢٥٥، المعيَار وَالموَازنة: ٢٠٦، ذَخَائر العُقبى: ٩٢ و ١٢٩.

(٣) أُنظر، صَحِيح البُخَاري: ٢ / ١٨٨، صَحِيح مُسْلم: ٧ / ١٢٩، سُنن التِرمذي: ٥ / ٣٢٧ بَاب ١١٠ / ٣٨٧٣، كَنز العُمَّال: ١٢ / ١٢٤ / ٣٤٣٠٧، و٧ / ١٠٥، مُسْنَد أحمَد: ٥ / ٣٦٦، و٢ / ٥٣٢، تَهذِيب التَّهذِيب: ٢ / ٢٩٧، مَجمَع الزَّوائد: ٩ / ١٧٦، الأدب المُفرد للبُخاري: ١٧١.

(٤) أُنظر، كَنز العُمَّال: ١٢ / ٩٨ح ٣٤١٦٦ و: ١٣ / ٦٣٩ح ٣٧٦١٤، شوَاهد التَنزِيل: ١ / ١٨٥، تَفسِير القُرطبي: ١٦ / ٢٢، تَأرِيخ مَدِينة دِمَشق: ١٤ / ١٦٩، ذَخَائر العُقبى: ١٢٣، مِيزَان الإعتدَال: ٣ / ٦٣٥.

(٥) أُنظر، سُنن التِرمذي: ٣٢٢، الإستِيعَاب: ١ / ٢٨٧، التّنبِيه وَالأشرَاف: ٢٦٠، تَهذِيب التَّهذِيب: ٢ / ٢٩٩، مَنَاقب آل أبي طَالب: ٣ / ١٤١، كَشف الغُمّة: ١ / ٥٣٣، مَجمَع البَيَان: ٨ / ٣٦١.

يَمصّ لسَان الحَسن أَو شَفْته(١)، وأَنَّ الله لَن يُعَذب لسَاناً أَو شَفتِين مَصَهُما رَسُول الله إِلَىٰ غَير ذَلِكَ مِمَّا لاَ يَبْلغه الإِحصَاء(٢). وَكَفىٰ بِمَكَانه رِفعَة عِند الله أَنَّـه أَحَـد الَّذِين بَاهل الرَّسُول بِهِم نَصَارىٰ نَجرَان.

وصفه:

قَالَ شَيخ الشَّافِعِيّة أَحْمَد بن عَبدالله الطَّبري فِي كتَاب «ذَخَائر العُقبىٰ»(٣):

كَان رَبعَة لَيْسَ بِالطَّوِيل، وَلاَ بِالقَصِير، أَبْيَض اللَّون مُشرباً بِحُمرَة، أَدعَـج العَينِين(٤)، سَهل الخَدَين، دَقِيق المَسْرُبَة(٥)، كَثّ اللِّحيَة، ذَا وَفرَة(٦)، كَأَنَّ عُـنقه إِبرِيق فضّة، كَعُنق جَدّه وأَبيه، عَظِيم الكرَادِيس(٧)، بَعِيد مَا بَيْن المَنْكبَين، وكَان جَعْد الشَّعر، حَسن البَدن، وَيَخضب بِالسَّوَاد(٨).

---

(١) أنظر، مُسْنَد أَحْمَد: ٢/ ٢٤٩ و ٥٣٢، و: ٦/ ٢٨٣، و: ٢/ ٢٣١، مناقب آل أَبي طَالب: ٢/ ١٥٦، تَأْرِيخ مَدِينَة دِمَشق: ١٣/ ٢٢٣، صَحِيح البُخَاري: ٢/ ١٨٨، مُسْتَدرك الحَاكم: ٣/ ١٦٩، نُظم دُرر السِّمطَين: ٣/ ١٨٠، سُبل الهُدىٰ وَالرَّشاد: ١١/ ٧٢.

(٢) تجد هَذِه الأَحَادِيث وَمَا إِليهَا فِي مُسْنَد أَحْمَد، وَذَخَائر العُقبىٰ، وَالإِبَانَة لِابْن بَطّة، وَالحـلية لِابْـن نُعِيم، وَالإِصَابة، وَالبُخاري، وَمُسلم، وَالمَنَاقب، وَالعِقد الفَرِيد، وَفِي الخَطِيب البَـغدَادي، ومُـروج الذَّهب، وَالبحَار وَغيرها. (مِنْهُ عليه السلام).

(٣) أَنظر، ذَخَائر العُقبىٰ: ١٢٥.

(٤) الدَّعج شِدَّة سوَاد العَين مَع سِعَتها.... (مِنْهُ عليه السلام).

(٥) مَا دَق مِن شَعر الصَّدر سَائِلاً عَلَىٰ البَطن. (مِنْهُ عليه السلام).

(٦) شَعر الرَّأس إِذَا وَصَل شحمَة الأُذن. (مِنْهُ عليه السلام).

(٧) رُؤوس العِظَام. (مِنْهُ عليه السلام).

(٨) أنظر، صَحِيح البُخَاري: ٥/ ٣٣، و: ٢/ ١٨٨، سُنن التّرمذي: ٥/ ٦٥٩/ ٣٧٧٦، تأرِيـخ دِمَشـق

وَفِي صَحِيح البُخَاري أَنْ أبَا بَكْر مرَّ، فَرأىٰ الحَسن يَلعَب مَع الصِّبيَان، فاحتمله عَلىٰ رقبته، وقَالَ: «بَأَبي شَبِيه بِالنَّبي لَيس شَبيهاً بِعَلي» وَهُو يَضْحَك[1].

أخلاقه:

كَان أَعْبَد النَّاس فِي زَمَانه، فَإِذَا تَوضأ أصفر لَونه، وَأرتَعدت فرَائِصه، وإِذَا بَلَغ المَسْجد قَالَ: «يَا مُحْسن قَدْ أَتَاك المُسيء، تجَاوز عَن قَبِيح مَا تَعْلم مِنّي بِجَمِيل مَا عِندَك يَا كَرِيم»[2]. وكَان إِذَا ذَكر المَوت، وَالقَبر، وَالبَعث، وَالصِّرَاط بَكىٰ، وَقَدْ حَجَّ خَمسَاً وَعشرِين حَجَّة مَاشيَاً[3]، وَالنَّجائب تُقَاد بَيْنَ يَدَيه[4].

↔ ترجَمة الإمَام الحَسَن عليه السلام: ٢٨ / ٤٨، كَشف الغُمّة: ١ / ٥٢٢ و ٥١٤، كفَاية الطَّالب: ٤١٣ و ٢٦٧، صَحِيح التّرمذي: ٢ / ٣٠٧، مَجْمَع الزَّوائد: ٩ / ١٨٥ و ١٧٥ و ١٧٦، المُحبَّر: ٤٦٩، مُسْند أحمَد: ٣ / ٢٦١ و ١٦٤ و ١٩٩، و: ٢ / ٣٤٢، و: ٤ / ٣٠٧، كَنز العُمّال: ٧ / ١١٠. تَأْرِيخ الخَمِيس: ١ / ١٧١، الفُتوح لِابْن أعثَم: ٢ / ٣٤٠، تأرِيخ اليَعقُوبي: ١٢ / ٢٠١.

(١) أنظر، صَحِيح البُخَاري: ٤ / ٢١٧، و: ٢ / ١٨٨، المنَاقب لِابْن شَهرآشوب: ٣ / ١٦٥، كَشف الغُمّة: ١ / ٥٢٢، أَنسَاب الأَشرَاف: ١ / ٥٣٩، مُسْتَدرك الحَاكم: ٣ / ١٦٨، مُسْنَد أحمَد: ٤ / ٣٠٧، و: ١ / ٨، سُنن التّرمذي: ٤٠١، فَتح البَاري: ٨ / ٩٧، نُور الأَبصَار: ٢٤٠.

(٢) أُنظر، مناقب آل أَبي طَالب: ٣ / ١٨٠، صَحِيفَة الإِمَام الحَسن: ٧٢.

(٣) أنظر، حليَة الأَولياء: ٢ / ٣٧، شَرح نَهج البَلاغَة لِابْن أبي الحَدِيد: ١٦ / ١٠، يَنَابيع المَودّة: ٢ / ٤٢٤ و ٢١٠ و ٢١١ طَبعَة أسوة، مُستَدرك الصَّحِيحَين: ٣ / ١٦٩، سُنن البَيهقي: ٤ / ٣٣١، ذَخَائر العُقبىٰ: ١٣٧، تَهذِيب التَّهذِيب: ٢ / ٢٩٨، تأرِيخ الخُلفَاء: ٧٣، الصَّواعق المُحرقَة: ١٣٩.

(٤) أُنظر، ذَخَائر العُقبىٰ: ١٣٧ لعَلّ الصَّحيح هُو الجَنَائب جَمع جَنِيبَة أَي الدَّابّة الطَّائعَة الّتي تُقَاد إِلىٰ جَنْب الإِنسَان كمَا فِي تَهذِيب التَّهذِيب: ٢ / ٢٩٨، تأرِيخ الخُلفَاء: ٧٣، سُنن البَيهقي: ٤ / ٣٣١، حليَة الأَوليَاء: ٢ / ٣٧، نُور الأَبصَار: ٢٤٠، أَنسَاب الأَشرَاف: ٣ / ٩.

وَقَاسم الله مَالهُ ثَلاَث مرَّات، وَخَرج مِنْهُ بكَامله مَرَّتين[1]، وَسَأله رَجُل، فَأعطَاه خَمسِين أَلف دِرهَم، وَخَمسمِئة دِينَار؛ وجَاءه أعرَابي، فقَال: أعطُوه كَل مَا فِي الخُزَانة، وَسَأله سَائل، فَأَعطَاه مِئَة وَخَمسِين أَلف دِرهم[2].

وكَان مِنْ هَيبَته أَنَّ مُعَاوِيَة قَالَ: «مَا رَأيتُ الحَسن إِلاَّ خِفتُ مَقَامه، وَعَيْبَه لِي»[3]. وكَان مِنْ حِلْمه أَنَّ مَرْوَان بن الحَكَم قَالَ: «أَنَّ حِلم الحَسن يوَازن بِهِ الجبَال»[4]. وكَان مِنْ توَاضعه أَنَّه مرّ بِفُقرَاء يَأكُلُون كُسيرَات عَلىٰ الأَرْض، فَقَالوا لهُ: هَلُّم يَا ٱبْن رَسُول الله فَنَزل وقَالَ: أَنَّ الله لاَ يُحبّ المُتَكَبِرِين، وَأَكل مَعَهُم، ثُمَّ دَعَاهم إِلىٰ مَنْزله، فَأَطعَمهُم وَكسَاهُم[5].

وكَان لفصَاحَته وَجُرَأته مَا كَان لأَبِيه أَمِير المُؤْمِنِين، وَلاَ بَدع، فَقَد سَمع كَلاَم الله، وَحَفظه وَوَعَاه، وَهُو ٱبْن سَبع؛ وَسَمع كَلاَم جدّه أَفْصح مَنْ نَطق بالضَّاد؛ وَسَمع كَلاَم أَبِيه الَّذي سَنَّ الفصَاحة لقُرِيش... وَعَن الصَّواعق المُحرقة لِابْن حَجر أَنَّ الحَسن رَأىٰ أَبا بَكْر عَلىٰ مِنْبر جَدَّه الرَّسُول فصَاح بِهِ إِنْزل عَن مَجْلس

(١) أُنظر، منَاقب آل أَبي طَالب: ٣ / ١٨٠، تَأرِيخ دِمَشق لِابْن عَسَاكر (تَرجَمة الإِمَام الحَسن): ٢: ١٤٢، حليَة الأَوليَاء: ٢ / ٣٧، سُنن البَيهقي: ٤ / ٣٣١، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ١٦ / ١٠، تأرِيخ الخُلفَاء: ٧٣.

(٢) أُنظر، كَشف الغُمّة: ١ / ٥٥٨، المنَاقب لِابْن شَهرآشوب: ٣ / ١٨٢، مطَالب السّؤول: ب ٢ فِي كَرمه، الصَّوَاعق المحرقة: ٨٣، المحَاسن للبَيهقي: ٥٦.

(٣) أُنظر، شَرْح نَهج البَلاَغة لِابن أَبي الحَدِيد: ٦ / ٢٨٦، جوَاهر المطَالب فِي منَاقب الإِمَام عَليّ لِابْن الدِّمَشقي: ٢ / ٢٢١.

(٤) أُنظر، المنَاقب لِابْن شَهرآشوب: ٣ / ١٨٤.

(٥) أُنظر، المنَاقب لِابْن شَهرآشوب: ٣ / ٢٢٢، تَفْسِير القُرطبي: ١٠ / ٩٧. وَلَكن نَسَبها إِلىٰ الإِمَام الحُسَين عليه السلام كمَا فِي تَرجَمة الإِمَام لِابْن عَسَاكر: ٢١٨.

أبي[1]. وقَالَ أبُو الفَرج الإِصْفهَاني فِي «مقَاتل الطَّالبيين» لمَّا بُويع مُعَاوِيَة خَطَب؛ فَنَال مِنْ عَليّ، وَمِنْ الحَسن؛ فَقَام الحُسَيْن لِيرُد عَلَيه، فَأجْلَسه الحَسن، ثُمَّ قَام فقَال:

«أيُّها الذَّاكر عَليّاً، أنا الحَسن، وأبي عَليّ، وَأنْت مُعَاوِيَة، وأبُوك صَخر، وَأُمّي فَاطِمَة، وَأُمّك هِند، وَجدَّتي خَدِيجَة، وَجَدتك قُتيلة، وَجدّي رَسُول الله، وَجدّك حَرْب؛ فلَعن الله أخْمَلنا ذِكراً، وَألأمنَا حَسَباً، وَشَرنا قَدْماً، وَأقدَمنَا كُفراً وَنِفَاقاً[2]».

فَقَال الحَاضرُون: آمِين. وَكلّ مَنْ حَدَّث بِذَلك أو كَتَبه. أو سَمعَه مُنذ نَطق بِهِ الحَسن قَالَ: آمِين. وَنَحنُ نَقول: آمِين رَبّ العَالَمِين. وَلاَ جوَاب أبْلَغ وَأحكَم مِنْ هَذَا الجوَاب، فَلقَد نَال مُعَاوِيَة مِنْ عَليّ، فَأفهَمه الحَسن صلوَات الله وَسَلاَمه عَلَيه أنَّ اللّعنة لاَ تَتَعدىٰ الجَدِيرين بِهَا وَهُم مُعَاوِيَة وأبُوه أعدىٰ أعدَاء الله وَالرَّسُول، وَأُمّه آكِلة الأكبَاد؛ وَجدّاته ذوَات الرَّايَات؛ وَعَرف النَّاس وَالأجيَال صِدق هَذَا الجَوَاب وَبَلاَغته، وَشَرف الحَسن وَعَظَمته، ولُؤم مُعَاوِيَة وَخِسّته، فَرَددوا مَعَهُ هَذَا اللّعن الَّذي يَتَردد صَدَاه، وَيَدُوم مَا دَام فِي الحَيَاة نَاطق.

---

(١) أُنظر، الصّواعق المُحرقة: ١٧٥ طَبعَة المُحَمدِية، الرّياض النّضرة: ٢ / ١١٩، شَرح نَهج البَلاَغة لاِبن أبي الحَدِيد: ٢ / ١٧، الطَّبعة الأُولىٰ، تَأريخ ابن عسَاكر: ٣٠ / ٣٠٧، يَنَابِيع المَودَّة: ٢ / ٤٦٥ ح ٣٠٠، كَنز العُمّال: ٥ / ٦٣٦ ح ١٤٠٨٥، تأرِيخ مَدِينة دِمَشق لاِبن عَسَاكر: ٣٠ / ٣٠٧.

(٢) أنـظر، مـقَاتل الطَّالبيين: ٧٠، ذخَائر العُقبىٰ: ١٣٨ و ١٤١، العِقد الفَريد: ٣ / ٢٤٢، ٢٨٢، مُحَاضرَات: ١ / ٢١٦، الأغَاني: ١٤ / ١٥٦، المحَاسن وَالأضدَاد: ٩٠، محَاسن البَيهقي: ٨٢ و ٨٣ و ٩٥، شَرح النّهج لاِبن أبي الحَدِيد: ٤ / ١٠، طَه حُسين فِي الفِتْنَة الكُبرىٰ: ٢٠٢، كَنز العُمّال: ٦ / ٢٢١، مَجمع الزَّوائد: ٩ / ١٨٤، الصَّواعق المُحرقة: ١٢٠ ـ ١٢٦، مَودّة القُربىٰ: ٢٩، فَرائد السّمطَين: ٢ / ٣١٣ / ٥٦٤.

أسْبَاب الصُلح:

تَتَلَخص أَسْبَاب صُلح الحَسن مَع مُعَاوِيَة بِمَا يَلي:

١ ـ تَخَاذُل أَهْل العِرَاق، وَقعُودهُم عَن أَبِيه أَمِير المُؤْمِنِين يَوْم كَان مُـعَاوِيَة يَغزُوهُم فِي عِقر دَارهِم بعصَابَات القَتل وَالنَّهب، تُذبح رِجَالهُم. وَتُسلب نَسَاءهُم والإِمَام يَسْتَنهضُم، وَيَسْتَحثهُم بِبلاَغَته وَحِكْمَته، فَلاَ يَزدَادُون إلاَّ تَـقَلبُاً وَتَـلونَاً حَتَّىٰ تَمَنىٰ فرَاقهُم بِالمَوت، وَتَعجل القَتل ـ كَمَا أسلفنَا ـ وَإذَا كَانَتْ هَذِه حَالهم مَع أَمِير المُؤْمِنِين، فَبالأَولىٰ أَنْ يَخْذلُوا وَلَده، وَيَنكصُوا عَنْهُ إِذَا جَدَّ الجِدّ، وَاْحـتَدم القتَال، هَذَا، إلَىٰ أَنَّ أَهْل الشَّام كَانُوا أَطوَع لمُعَاوِية مِنْ بنَانه، لاَ يَسْأَلـونه عـمَّا يَفْعل، وَهُم مَسؤولُون.

٢ ـ أَنَّ أَكثَر الوجهَاء وَالشّيوخ الَّذِين بَايعُوا الإِمَام الحَسن، وَالتَّفوا حَوله كَانُوا طُلاَب غَنَائم وَمَنَاصب، شَأْنَّهم فِي ذَلِكَ شَأْنْ مُعظم الوجهَاء وَالرُّؤسَاء فِـي كـلّ زَمَان وَمَكان ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[1]، وليْس لهَؤلاَء وَلاَ لغيرهم عِند الحَسن إلاَّ مَا كَان لهُم عِند أَبيه مِنْ قَبل، لَيْس عِندَه إِلاَّ العَدْل والمُسَاوَاة وإِلاَّ المَنْفَعة تَعم النَّاس أجمعِين؛ وَكَيف يَـرضىٰ «الوَجِـيه الكَبِير» أَنْ يَكُون مَع «المِسْكِين الفَقِير»؟!... لَقَد تَرَك النَّجَاشي، وَمَصقَلة بـن هُبَيرَة، وَالقَعقَاع بن شور وغَيْرهم وغَيْرِهم، تَركُوا الإِمَام بَعْد أَنْ بَايعُوه، وَكَانُوا مَعَهُ عَلىٰ عَدوّه، وَالتَّحقوا بمُعَاوِية، لاَ لشَيء إلاَّ إيثَاراً للعَاجلَة عَلىٰ الآجلَة، وَالفَانِية عَلىٰ البَاقِية، تَركوا مَنْ لاَ يَغْلبهُ عَلىٰ دِينه أَهْل السَّموَات وَالأَرض، وَتَسللُوا إِلَىٰ

---

(١) التَّوبَة: ٥٨.

مَنْ يَسْتَبيح كلّ مَحرَم فِي سَبِيل مَآربه وَمَطَالبه[١].

٣ ـ أنَّ عَدَداً غير قَلِيل مِمَّن بَايع الإِمَام الحَسن كَان مِنْ المُنَافقِين، يُشَايعُونه ظَاهِراً، وَيَكيدُون لهُ سرّاً، ومِنْهُم مَنْ رَاسل مُعَاوِيَة، وَرَاسلهُ مُعَاوِيَة، وَبَعث لهُ الأموَال؛ ومِنْهُم مَنْ أَخَذ وَعداً مِنْ مُعَاوِيَة بالوَلاَية عَلىٰ بَعْض الأقطَار؛ وَمِنْ هَؤلاَء المُنَافقِين عَمْرُو بن حُرِيث، وَعُمارة بن الوَليد، وَحِجر بن عَمْرُو، وَعُمَر بن سَعد، وأَبُو بُردة بن أَبِي مُوسىٰ الأشعري، وَإِسمَاعِيل، وَإِسحَاق أبنَا طَلْحَة بن عُبيدالله، وغَيْرِهم. قَالَ الشَّيخ رَاضي آل يَس[٢]: «كَتَبوا إِلَىٰ مُعَاوِيَة بِالسَّمع وَالطَّاعة فِي السّر، وَاستحثُوه عَلىٰ المَسِير نَحوهُم، وَضَمنُوا لهُ تَسلِيم الحَسن، أَو الفَتك بِهِ. وَأَرسَل مُعَاوِيَة إِلَىٰ كلّ مِنْ عَمْرُو بن حُريث، وَالأشعَث بن قَيْس، وَحَجَّار بن أَبجُر، وَشِبث بن رَبعي: إِنَّك إِذَا قَتَلت الحَسن فَلَك مِئَة أَلف دِرهَم، وَجُند مِنْ أَجنَاد الشَّام، وَبِنْت مِنْ بنَاتي. فَبَلغ الحَسن ذَلِكَ، فكَان يَحترز وَيَلبَس الدّرع تَحت الثّياب، وَلاَ يَتقدم للصَّلاة إلاّ كَذَلِك، فَرمَاه أَحدهُم بِسَهم[٣]، وَهُو فِي

(١) قَالَ طَه حُسين: «فكَان الطَّامعُون يَجدُون عِندَه ـ مُعَاوِيَة ـ مَا يُرِيدُون، وكَانَ الزَّاهدُون يَجدُون عِندَ عليّ مَا يُحبُون». أنظر، الفِتْنَة الكُبْرَىٰ ـ ٢ ـ عليّ وبَنُوه للدّكتور، طَه حُسين: ٥٩. طَبْعَة سَنَة ١٩٦٤م.
أنظر، القِصَّة فِي تأرِيخ الطَّبرِيّ: ٤ / ٩٧. شَرح نَهج البَلاغَة لِابن أبِي الحَدِيد: ٣ / ١٢٨. الأغَانِي: ٤٤ / ١٣٩ طَبعة السَّاسِي. تَأرِيخ دِمَشق: ١٩ / ١٧٢ و: ٥٨ / ٢٦٩. جَمهرة أَنسَاب العَرب: ٣٢١. الأنسَاب: ١ / ٤٥. الأعْلاَم: ٧ / ٢٤٩. تأرِيخ المَسعُودِي: ٤ / ٤١٩. وَقعَة صِفِّين: ٥٥٥. فتُوح البُلدان: ٣٤٢. التَّاج: ٧ / ٤٠٤. المرزبَانِي: ٤٧٥. أَنسَاب الأشرَاف: ١٦٠.

(٢) تَبسط الشَّيخ رَاضي آل يَس فِي كتَاب «صُلح الحَسن» فِي حَقِيقَة هَذَا الصُّلح وَأَسبَابه وَنَتَائجه حَتَّىٰ أوفىٰ عَلىٰ الغَاية، وَقَدْ بَلغت صَفحَاته... بِالقَطع الكَبِير.

(٣) الجَرّاح بن سنَان مِن بَني قَبِيصَة الأسدي كمَا جَاء فِي تأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٢١٥. الفُتُوح: ٢ / ٢٩٠.

الصَّلاَة، فَلَم يَثبت فِيهِ للدّرع الَّذي لاَبِسُه»(١).

مُعَاوِيَة يُسَاوم عَلىٰ بنَاته شِبث بن رَبعي وَعَمْرُو بن حُريث، وَحجَّار بن أبجُر، وَأَضرَابهم، يُسَاومهُم ليَغدرُوا بِالحَسن رَيحَانة الرَّسُول، ولَقَد صَمَموا وَعَزموا عَلىٰ قَتْله، وَلَولاَ الصُّلح لأَنفذُوا أَمر مُعَاوِيَة بِالحَسن، كَمَا أَنْفَذوا أَمر وَلَدهُ يَزِيد بِالحُسَيْن، وَأَطفَال الرَّسُول وَبَنَاته، فَإِنَّ عَدَداً كَثِيراً مِمَّن آشترَكوا فِي قَتل الحُسَيْن كَانُوا مُنْخَرطِين فِي جَيش أَخيهِ الحَسن قَبل الصُّلح، ومِنْهُم شِمر بن ذِي الجَوشَن قَاتل الحُسَيْن عليه السلام.

٤ ـ أَنَّ الحَسن صَمَم عَلىٰ القتَال، وَحثَّ النَّاس عَلىٰ الجِهَاد، وَأَرسل جَيشاً إِلَىٰ الحدُود وَالثّغور، وَخَرج الحَسن بِنَفْسه بَعْد أَنْ آستَخلف عَلىٰ الكُوفَة آبْن عمِّه المُغِيرة بن نُوفل بن الحَارث بن عَبدالمُطلب، وَتَخلف عَنْهُ خَلق كَثِير، ولَمْ يَخرجُوا مَعَهُ بَعْد أَنْ كَانُوا قَدْ وَعدُوه بالقتَال ضِدّ عَدوّه، فَغرّوه كَمَا غَرّوا أَبَاه مِنْ قَبل... وَبقِيَ مُعسكراً بِالنَّخيلَة عَشرَة أَيَّام، ولَيْس مَعَهُ إِلاَّ أَرْبَعة آلاَف، فَرَجع إِلَىٰ الكُوفَة يَسْتَنفر

↔ الأَخبَار الطّوال: ٢١٧، المقَاتل: ٧٢، الإِرشَاد: ٢ / ١٢، مُسْتَدرك الحَاكم: ٣ / ١٧٤، آبن الأَثِير: ٣ / ١٧٥، آبن خُلدُون: ٢ / ١٨٦، الإِصَابَة تَرجمَة الحَسن بن عَليّ، وأَبن الوَردي: ١ / ١٦٦.

(١) أنظر، «صُلح الحَسن»، الشَّيخ رَاضي آل يَس: ٥٧ طَبعَة ١٩٥٣م. (مِنْهُ رحمه الله). وَأنظر، تَأرِيخ اليَعقُوبيّ: ٢ / ١٩١ و ٢١٥، الأَخبَار الطّوال: ٢١٧، الفُتُوح لِابن أَعثَم: ٣ / ٢٩٠، تَأرِيخ الطّبريّ ٦: ٩٦ و ١٩٧، أبن الأَثِير: ٤ / ١٠، جَمْهرَة أَنسَاب العَرب: ٢٩٥، مَقتل الخوَارزميّ: ١ / ١٩٤، تَأرِيخ الكُوفة: ٢٧٣، تَذكرَة الخوَاصّ: ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٤١، مقَاتل الطَّالبِيين: ٩٩، تَهذِيب التَّهذِيب: ٧ / ١٧، الإِصَابة: ١ / ٣٧٣، شَرح النَّهج لِابن أَبي الحَدِيد: ١٦ / ٤٢، و: ٤ / ٢٨، البدَايَة وَالنّهاية: ٨ / ١٤، حيَاة الحَيوان: ١ / ٥٧.

النَّاس، وَخَطب فِيهم يَقُول: «قَدْ غَررّتمُوني كَمَا غَررّتُم مَنْ كَان قَبلي»(١).

وكَان الحَسن قَدْ سَيَّر عُبيد الله بن العَبَّاس فِي (١٢) أَلف مُقَاتل، ليَدفع مُعَاوِيَة عَن حدُود العرَاق، وَلَكنْ مُعَاوِيَة اَشتَرىٰ هَذَا العُبيد بمِليُون دِرهم، فَقَبض الثَّمن، وَاَنضَّم إِلَىٰ العَدوّ، وكَانَتْ خيَانَته نَصراً كَبِيراً لمُعَاوِية، فَلقَد أَحدَثت فِي عَسْكر الحَسن التَّمرد وَالتَّصدع، بِالإِضَافة إِلَىٰ مَا هُم عَلَيه مِنْ التَّخاذل، وَأَخذ أَهْل العرَاق يَتَسللُون الوَاحد بَعْد الآخر إِلَىٰ الشَّام(٢).

٥ ـ أَنَّ مُعَاوِيَة جَمع كلّ مَا أَتَاه مِنْ كُتب أَصْحَاب الحَسن الَّتي وَعدُوا فِيهَا مُعَاوِيَة أَنْ يُسلموه الحَسن أَو يَفْتكوا بِهِ، وَأَرسلهَا إِلَىٰ الحَسن مَع المُغِيرة بن شُعبَة وَعَبدالله بن عَامر، وَعَبدالرَّحمن بن الحَكَم، فَتَفحص الحَسن تِلْكَ الخطُوط، وَتَأكد مِنْ نِسبتهَا لأَصحَاب التَّواقِيع. وَقَدْ أَرَاد مُعَاوِيَة بِذَلك أَنْ يَتَضْعضَع جَيش الحَسن وَيَتمَزق أَيدِي سَبأ(٣).

---

(١) أنظر، الهدَاية الكُبْرىٰ: ١٩٠.

(٢) أنظر، الطَّبري في تَأريخه: ٦/٩٦، صَحِيح البُخاري: ٢/٧١، إرشَاد السَّاري: ٤/٤١١، الإِستيعَاب: ١/٣٨٥، حيَاة الإِمَام الحَسن ٧ لبَاقر شَريف القَرشي: ٢/١١٥، مَطبعَة الآدَاب النَّجف الأَشرَف، أَنسَاب الأَشرَاف: ق ١: ١/٢٢٣، شوَاهد التَّنزيل: ٢/٣٢، سِير أَعلاَم النّبلاء: ٣/٢٧٠، تَأرِيخ مَدِينة دِمشق: ١٣/٢٦٩، تَرجمَة الإِمَام الحَسن مِن تأرِيخ أَبن عَسَاكر: ١٨٢، عِلل الشَّرائع: ١/٢٢٠ ح ١ و: ٨٤ طَبعَة قَدِيمَة، بحَار الأَنوَار: ٤٤/٣٣/١، تَهذِيب التَّهذِيب: ٧/١٧، الإِصَابَة: ١/٣٧٣، الخرَائج وَالجَرَائح (المَخطُوط): ٢٩٦، كَشف الغُمّة: ١٥٤، شَرح النّهج: ١٦/٤٢، أَعيَان الشِّيعة: ٤/ق ١: ٢٢، الإِرشَاد للشّيخ المُفيد: ٢/١٢ و ١٣، مقَاتل الطَّالبيّين: ٧٣، البدَاية وَالنّهاية: ٨/١٤، تأرِيخ اليَعقوبي: ٢/١٩١، الدّميري في حيَاة الحَيوان: ١/٥٧، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٣/٢٠٤ و ١٧٦ طَبعَة أُخرىٰ، وحمَاة الإِسلاَم: ١/١٢٣، المُجتني لِاَبن دُرِيد: ٣٦.

(٣) اَختلف المُؤرّخُون اَختلافاً كَثِيراً فِيمن بَدر لطَلب الصُّلح، فأبن خُلدون فِي تأرِيخه: ٢/١٨٦ ذَهَب

هَذِه هِي أهم الأَسْبَاب الَّتي دَعت الحَسن إِلَىٰ الصُّلح، ومِنْهَا يَتبيَّن مَعْنىٰ أَنَّ سَبب صُلح الحَسن لَمْ يَكُن حَقناً للدِّماء، وَلاَ جَمعاً للشَّملِ، وَلاَ كُرهاً للحَرب الَّتي تَقضي عَلىٰ الفِتْنَة وَالفَسَاد؛ بَل لأَنَّ الإِمَام الحَسن لَمْ يَجد مَنْ يَقوىٰ بِهِ عَلىٰ عَدوّه وَعَدوّ الدِّين، فَإِنَّ أَكثَر الَّذِين أَظهرُوا مُتَابعته كَانُوا عَيناً عَلَيه، وَعُملاَء لعَدوّه، يَتربصُون بِهِ الدَّوائر، وَيَنْتهزُون الفُرص، فَهُم أَخطر عَلَيه مِنْ الَّذِين صَارحُوه العَدَاء وَجهاً لوَجه.

أَمَّا مَا نُسب إِلَىٰ النَّبيّ مِنْ أَنَّه قَالَ مُشِيراً إِلَىٰ الحَسن: «إِنَّ ٱبْني هَذَا سَيّد، وَلعَلّ الله يَصلح بِهِ بَيْن فِئَتين عَظِيمتين مِنْ المُسْلمِين...»[1].

إِلىٰ أنّ المُبَادر لذَلِك هُو الإِمَام الحَسن عليه السلام حِين دَعا عَمرو بن سَلمة الأرحَبي وأرْسَله إِلىٰ مُعَاوِيَة يَشْتَرط عَلَيه بَعد مَا آل أمرَه إِلىٰ الإِنحلاَل، وَقَال ٱبن الأَثِير فِي الكَامل: ٣ / ٢٠٥ مِثل ذَلك؛ لأَنَّ الإِمَام الحَسن عليه السلام رَأىٰ تَفرّق الأَمر عَنه، وَجَاء مِثلهُ فِي شَرح النَّهج لاِبن أَبِي الحَدِيد: ٤ / ٨.

وأَمّا ٱبن أَعثَم فِي الفتُوح: ٢ / ٢٩٢ قَال: ثُمّ دَعَا الحَسن بن عَليّ بعَبد الله بن نَوفل بن الحَارث بن عَبدالمطّلب بن هَاشِم وهُو ٱبن أُخت مُعَاوِيَة فَقَال لهُ: صِرْ إِلىٰ مُعَاوِيَة فَقُل لهُ عَنّي: إِنّك إِنْ أَمّنت النَّاس عَلىٰ أَنْفُسِهم... وَقَرِيب مِن هَذا فِي تَأرِيخ الطَّبري: ٦ / ٩٢، والبِدَاية وَالنِّهَاية: ٨ / ١٥، وٱبن خُلدُون: ٢ / ١٨٦، وتأرِيخ الخُلَفَاء: ٧٤، والأَخبَار الطّوال: ٢٠٠، وتأرِيخ اليعقُوبي: ٢ / ١٩٢.

أمّا الفَرِيق الآخر فَقد ذَكر أَنّ مُعَاوِيَة هُو الَّذي طَلَب وَبَادر إِلىٰ الصُّلح بَعدمَا بَعث إِلِيه بِرسَائل أَصحَابه المُتضمّنة للغَدر وَالفَتك بِهِ مَتىٰ شَاء مُعَاوِيَة أو أرَاد، كمَا ذَكر الشَّيخ المُفِيد فِي الإِرشَاد: ٢ / ١٣ و ١٤ وَصَاحب كَشف الغُمّة: ١٥٤، ومَقَاتِل الطَّالبيّين: ٧٤، وَتَذكرة الخوَاصّ لِسبط ٱبن الجَوزي: ٢٠٦ وَلَكننا نَعْتَقد أنّ مُعَاوِيَة هُو الَّذي طَلَب الصُّلح، وَممّا يَدل عَلىٰ ذَلك خطَاب الإِمَام الحَسن عليه السلام الَّذي ألقَاه فِي المدَائن وَجَاء فِيهِ: أَلاَ وإِنّ مُعَاوِيَة دَعَانا لأَمر لَيْس فِيهِ عزّ وَلاَ نِصفه....

أُنظر، الكَامل فِي التَّاريخ: ٣ / ٢٠٥، وَتَأرِيخ الطَّبري: ٦ / ٩٣.

(١) أُنظر، مَعَالم العِتْرَة النَّبويّة للجَنَابذي (مَخطُوط): وَرَق ٦١، كَشف الغُمّة: ١ / ٥١٩، المنَاقب لاِبن

وقَدْ أَشرنَا فِي بَعْض مُؤلفَاتنَا السّابقة إِلَىٰ أَنَّ حَدِيث «يَصلح بـهَ بَـيْن فِـئَتِين عَظِيمتِين مِنْ المُسْلِمين» مِنْ وَضع الأُمَـويين وَأَنْـصَارهم، الَّـذِين اَسـتَأْجرهُم مُعَاوِيَة للكِذب والإِفْترَاء عَلىٰ الرَّسُول أَمثَال أَبي هُرَيرَة، وسَمُرَة بـن جُـندب. وَالغَاية مِنْهُ إِثبَات الإِسْلاَم لمُعَاوِيَة ومَنْ كَان مَعَه فِي صِفِّين، لأَنَّ حَدِيث عـمَّار تَقْتله الفِئَة البَاغِية يَدعُوهم إِلَىٰ الجَنَّة، وَيَدعُونه إِلَىٰ النَّار»[1]. قَدْ أَخرَج قَـاتِلي عمَّار مِنْ الإِسْلاَم فَوضعُوا فِي قِباله هَذَا الحَدِيث لِيُستَدل بِهِ عَلىٰ بقَائهم مُسلمِين

⇐ شَهرآشوب: ٣ / ١٨٥، الإِصَابة: ١ / ٣٣٠، مُسْند أَحمَد: ٥ / ٥١ و ٤٤ و ٣٨، العِقد الفَرِيد: ١ / ١٦٤، تَهذِيب تأرِيخ دِمَشق لِابْن عَسَاكر: ٤ / ٢٠٢، صَحِيح البُخَاري: ٢ / ١١٨، و: ٤ / ١٤١ و ٢١٦، سُنن النَّسائي: ٣ / ١٠٧، و: ٥ / ٣٢٣ / ٣٨٦٢، سُنن أَبي دَاود: ٢ / ٢٨٥، و: ٣ / ١١٨، محَاسن البَـيهقي: ٥٥، مُستَدرك الحَاكم: ٣ / ١٦٩ و ١٧٥، الإِستِيعَاب: ١ / ٣٨٤، البدَايـة وَالنّهاية: ٨ / ٩، صَحِيح التِّرمذي: ٢ / ٣٠٦.

وَلاَ نُرِيد التَّعلِيق عَلىٰ هَذَا الحَدِيث بل نَقول: إِنَّ هَذَا اللَّفظ «بَيْن فِئَتِين مِن المُسْلِمِين عَظِيمتِين» كَيف يُوجّهها أَصحَاب الرَّأي وَالسَّداد فِي حَالة المُقَارنة بَيْن قَوله ﷺ حَول رَيحَانة الإِمَام الحَسن ﷺ: إِنّ أَبني هَذَا سيّد، وَقَوله ﷺ: وإِنّ الحَسنين خَير النَّاس جَداً وَجدَة وأَباً وأُمّاً، وقَوله ﷺ: إِنّ الحَسن وَالحُسَيْن سِبطا هَذِه الأُمّة، وَقَوله ﷺ: إِن الله زَيّن الجنَّة بِالحَسن والحُسَيْن، وقَوله ﷺ: إِنّ الحَسن وَالحُسَيْن سَيّدا شَبَاب أَهْل الجنّة، وَقَوله ﷺ: إِنّ الحَسنين عضوَان مِن أعضَائه، وَغير ذَلِك كَثير وَبَين قَوله ﷺ: إِذَا رَأيتُم مُعَاوِيَة عَلىٰ مِنْبَري فَاَقتلُوه... كمَا ذكر ذَلك صَاحب مِيزَان الإِعْتِدَال: ٢ / ٧ و: ١٢٩، طَبعة مِصْر سَنَة ١٣٢٥ هـ، وأبن حَجر فِي تَهْذِيب التَّهذِيب: ٥ / ١١٠، و: ٧ / ٣٢٤، و: ٨ / ٧٤، طَبْعَة حَيدر آباد سَنَة ١٣٢٥ هـ. وفِي لَفظ أَبن عُيينَة «فأرجمُوه»، وكنُوز الحَقَائِق: ٩، طَبْعَة استانبول سَنَة ١٢٨٥ هـ، وأَبن سَعد فِي الطَّبَقَات: ٤ / ١٣٦ ق ١. وَقَوله ﷺ: وَيحُ عـمّار... وَكَـذلك تأسّف عبد الله بن عُمر بن الخطّاب، وَتأسّف عَبد الله بن عُمرو بن العَاص عَلىٰ أَنّه كَان مَع الفِئَة البَاغيَة؟؟! وَمَع هَذا كلّه يَطلقُون لفَظة «المُسْلِمِين» عَلىٰ مُعَاوِيَة وَأَصحَابه، وَبالتّالي فإِنّ لفَظ «المُسلم» كمَا يُطلق عَلىٰ المُؤمِن فَكَذلك يُطلق عَلىٰ المُنَافق وَالبَاغي وَغير ذَلِك مِن الفِرق المُنْتَحلة للإِسلاَم.

(١) تَقَدَّم إِسْتخرَاج ذَلِك.

بِالرَغم مَنْ قَتل عمَّار، ويُؤيد الوَضع لفَظَة «عَظِيمتِين» الَّتي حُشـرت للـدِلاَلة عَلىٰ تَسَاوي فِئَة مُعَاوِيَة لفِئة عَليّ فِي العَظَمَة... وَلَكن خَاب سَعيهُم، فَإِنَّ قَـوْل النَّبيّ: «يَا عَليّ حَرْبُك حَرْبِي وَسِلمُك سِلمِي»[1]. يَفضَح هَذِه الأُكذُوبة، وَيَجعل الَّذِين حَارَبُوا عَلِيّاً فِي مصَاف أَبي جَهل ومَنْ إِلَيه، حَتَّىٰ وَلَو تَستَروا بِلَفظ «لاَ إِلَه إِلاَّ الله مُحَمَّد رَسُول الله».

وَلمَّا ظَهَرت أمَارات الصُّلح ثَار أَهْل الكُوفَة وَمِنْ إِلَـيهِم بِـالحَسن، وَانْـتَهبُوا متَاعه، وَطَعنُوه بِفَخذه، تَآمرُوا عَلَيه حِين صَـمم عَـلىٰ الحُبّ، وَلمَّـا اضـطرُوه مُكرهاً إِلَىٰ الصُّلح بِسَبب خيَانتهُم وَمؤَامراتهُم ثَاروا بِهِ، تَمَاماً كَمَا فَعلوا مَع أَبـيهِ مِنْ قَبل أرغمُوه عَلىٰ التَّحكِيم فوَافق مُكرَهاً. فَلَمَّا وَافقهُم قَاتلُوه؛ لأَنَّه وَافقهُم، صَبر عَلَيهِم، فَأَعلنُوا عَلَيه الحَرب، لأَنَّه صَبر عَلَيهِم!... وَهَذَا شَأنهُم مَع الحَسن أَلجَأوه إِلَىٰ الصُّلح، ثُمَّ آخذُوه لأَنَّه صَالح!...

ومَاذَا يَصْنع الحَسن إِذَا لَمْ يُصَالح؟! وَقَدْ ترَاكمَت هَـذِه الأَسْبَاب: عَـدوّ لاَ يَردَعه وَازع مِنْ دِين أَو ضَمِير؛ يَمْكر وَيُكِيد وَيغتَال، وَيُسَاوم عَلىٰ بنَاته... وَقَوم مُتخَاذلُون لاَ شَأنَّ لهُم إِلاَّ العِصيَان وَالمُعَارضة.... وَجَيش خَائن يَتَسلل مِنْ قَلب المَعركَة بعُدَته وَعَدده إِلَىٰ العَدوّ... مَاذَا يَـصْنع الحَسـن إِذَا لَـمْ يُـصَالح؟! وَقَـدْ عَاكَسته الظُّروف، وَتَحالفَت عَلَيه الفِتْن وَالدَّسَائس، وَانْحَرفت عَـنْهُ القِـوىٰ... مَاذَا يَصْنع؟! وَهُو لاَ يَعْمل إِلاَّ للهِ وَالآخرة، مَع قَوم لاَ يَعْملُون إِلاَّ للدُّنيا وَالشَّيطان، إِلاَّ لأَموَال مُعَاوِيَة وَبنَات مُعَاوِيَة...

---

(١) تَقدَّم إِسْتخرَاج ذَلِكَ.

وَبَعْد، فَإِنَّ الَّذِين يُؤاخذُون الحَسن عَلىٰ الصُّلح، يُؤاخذُونه، وهُم معَافُون مِنْ العوَاصف والأَعَاصرير الَّتي أَحَاطت بِالحَسن مِنْ كلِّ جَانب وَيحكمُون عَلَيه دُون أَي اَعتبَار للظّروف والحَوَادِث شَأن أكثر النَّاس تَأْتِي أَحكامهُم بِمَعزل عَن أَسبَابهَا وَمَصادرهُم. أَنَّ الظُّروف والحَوَادِث عنَاصر فعَّالة فِيمَا يَحدث مِنْ عوَاقب، فمُحال عَلىٰ الإِنْسَان، أَي إِنْسَان، أَنْ يُحقق رَغبَاته وَأَغرَاضه مُنْفَصلة عَن الظُّروف، فَعَلىٰ الَّذِين يُريدُون مَعرِفة صُلح الحَسن عَلىٰ حَقِيقَته أَنْ يَدرسُوا أَوَّلاً مُلاَبسَات هَذَا الصُّلح وَأَسبَابه القَرِيبة وَالبَعِيدة، عَلَيهم أَنْ لاَ يَحكمُوا بِالوَهم وَالخيَال، وَمَا رَأيتُ شَبيهاً للَّذِين يَلومُون الحَسن إِلاَّ مَنْ يُؤاخذ الفَرد عَلىٰ خُلق اَكْتَسبه مِنْ المُجْتَمع.

صُلح الحَسن عليه السلام واستشهاد الحُسَين عليه السلام:

كَثِيراً مَا يَتَساءل: لِمَاذَا آثرَ الحَسن الصُّلح عَلىٰ الإِستشهَاد، وَآثرَ الحُسَيْن الإِسْتشهَاد عَلىٰ الصُّلح؟ وَمَا هُو وَجه الجَمع بَيْنَ المَوقفَين وَالتَّفْسِير الصَّحِيح لكلّ مِنْهُما؟.

وَقَدْ أُجِيب عَن هَذَا التَّساؤل بِأَجوبَة شَتىٰ، وَقَدْ أَدَّىٰ بِنَا البَحث المُجَرد، وَمَنطق الحَوَادِث إِلَىٰ الجَوَاب التَّالي:

وَهُو أَنَّ العدَاء الأُمُوي لله وَرَسُوله، وَالحِقد المُتَغلغل، المُتأَصل فِي قُلوب الأُمَوِيين عَلىٰ مُحمَّد رَسُول الله، وعَليّ وَلّي الله لاَ يَشفِيه شَيء، وَلاَ يُرضِيه الصُّلح وَالإِستسلاَم، لاَ يُشفي تِلْكَ الخِسَّة وَالغِلّة إِلاَّ الدَّم وَالقَتل مَع التَّنكِيل وَالتَّمثِيل بِالأَموَات، فَقَد قُتل حَمْزَة عَمّ النَّبيّ، فَلَم يَشف القَتل غَلِيل أُمّ مُعَاوِيَة وَجَدَّة يَزِيد،

حتَّىٰ أكلَت مِنْ كَبده، وحتَّىٰ قَطَعَت أَنْفه وَأُذنيَه، وَآتَّخذت مِنْهَا قِلاَدة؛ وَقُتل الحُسَيْن، فَلَم يَشتَف يَزِيد، حَتَّىٰ وَطَأَ الخَيل ظَهرَه وَصَدرَه، وحَتَّىٰ نَقر فَمَه بِالقَضِيب بَعْد حزّ الرَّأس؛ وَقُتل زَيد بن عَليّ، فَلَم يَبرد غَلِيل الأُمَويِين، حَتَّىٰ نَبشُوا قَبرَه، وَآستَخرجوا جُثَته وَقطعوا رَأسه وَصَلبُوه بَعْد المَوت وَالدَّفن، وَألقُوا بِرَأسه فِي عَرصَة الدَّار، تَطأه الأَقدَام، وَتَنْقر الدَّجَاج دَمَاغه.

مُعَاوِيَة هُو أَبُو يَزِيد، وآبْن هِند، فَكَيف يَرضىٰ مِنْ سِبط النَّبيّ، وآبْن عَليّ بِالصُّلح وَالإِسْتسلاَم؟... كَيف يَرضىٰ آبْن أَبي سُفْيَان مِنْ آبْن مُحَمَّد بِدُون القَتل؟! وإِذَا كَان أَبُو يَزِيد يُرِيد الصُّلح حَقَّاً، وَالإِسْتسلاَم فَقط، فَلِمَاذَا دَسَّ السُّم للحَسَن السِّبط بَعْد أَنْ صَالحه، وَسَلم إِلَيه الأَمْر؟! وإِنْ كَان آبْن هِند يُرِيد السُّلطَان بدُون مُعَارض فَلِمَاذَا دَأب عَلىٰ سبّ سيِّد الكَونَين بَعْد مَوته وَبَعْد أَنْ أَصْبح أَخُو زِيَاد الإِمبرَاطور الأَوحَد؟! كَلاَّ، وَأَلف كَلاَّ، أَنَّ مُعَاوِيَة وَوَلدَه يَزِيد لاَ يُرِيدَان الصُّلح وَلاَ المُبَايعة مِنْ الحَسن والحُسَيْن، أَنَّ أَهدَاف مُعَاوِيَة وَوَلده يَزِيد ورَاء ذَلِكَ، إِنَّها الإِنتقَام مِنْ دِين الله ورَسُول الله بِدمَاء الحَسن والحُسَيْن رَيحَانتي رَسُول الله.

وَكُلّنا يَعلم أَنَّ مُعَاوِيَة أَمْكَر وأَخْبَث وأَعْرف بِالعوَاقب مِنْ وَلَده يَزِيد، فَلقَد أَرَاد قَتل الحَسن، وَسَعىٰ لهُ سَعيه، وَبَذل جُهده، وَلَكنَّه أَرَاد فِي نَفْس الوَقت أَنْ لاَ يُتّهم بِقَتله، وأَنْ لاَ يَكُون مَسؤولاً أَمَام النَّاس والتَّأرِيخ عَن دَمه، أَرَاد أَنْ لاَ يَحتَج عَلَيه بدمَاء آبْن بِنْت الرَّسُول، فَدَّس إِلَىٰ جَمَاعَة كَانُوا مَع الحَسن، ليَحملُوه عَلىٰ الحَرب، وَيغرّوه بِهَا، حَتَّىٰ إِذَا فَعل فَتَكوا بِهِ، وَلمَّا أَحسَّ الإِمَام بِهَذِهِ المَكيدَة فَوَّتها عَلىٰ مُعَاوِيَة وَعُملاَئه بطَرِيق الصُّلح، وَلَو بَقي الحَسن مُصَمماً عَلىٰ الحَرْب لقُتل هُو وَأَهْله، وَالمُخلصُون مِنْ أَصحَابه عَلىٰ يَد جَيْشه الَّذي أَعدَّه لمُحَارَبة

عَدوّه، وَتمَّ لمُعَاوية مَا أَرَاد.

لَو اَستَمَر الحَسن فِي طَرِيق الحَرب لقَتَلهُ الخونة مِنْ عَسكَره دُون أَنْ يُسأل مُعَاوِيَة عَن شَيء، وَمَا كَان لأَحد أَنْ يَحتج عَلَيه بدَم الحَسن الزَّكي، كَمَا اُحتَّج عَلىٰ وَلَده يَزِيد بدَم الحُسَيْن، بَل لَو تَحقق قَتل الحَسن عَلىٰ يَد جَيْشه لإِنْتحل مُعَاوِيَة دِمَاء الحَسن، وَاَقتَّص مِنْ قَاتلِه، وَاَتَّخذ بذَلك يَداً عِند المُسْلِمين، لأَنَّه ثأر للرَّسول وَأَبْنَاء الرَّسُول، تَمَاماً كَمَا فَعل مَع قَريبهُ عُثْمَان، حَرَّض عَلىٰ قَتْله، ثُمَّ اَنْتَحل دَمه وَطَلَب الثَّأر مِنْ قَاتلِيه!...

أَجْل، لَقَد صَالح الحَسن، وَلَكن مُعَاوِيَة لاَ يُرِيد الصُّلح وَلاَ المُبَايعَة مِنْ الحَسن، وَإِنَّما يُرِيد كَبد الحَسن، كَمَا أَرَادت أُمّه مِنْ قَبل كَبد الحَمْزَة، يُرِيد دمَاء أَبْنَاء الرَّسُول لِيَشفي غِلّته مِنْ الإِسْلاَم وَنَبيّ الإِسْلاَم، وإِلاَّ لِمَاذَا اَغتَال الحَسن بَعْد الصُّلح؟! مَات الحَسن بِسم مُعَاوِيَة، فَسَجل عَلَيه التَّأرِيخ الخِزي وَالعَار. وَالكُفْر والجحُود، وَالمَظالم، وَالمَآثم، وَسَجل للحسَن الكرَامة وَالعِظمة، والإِخْلاَص لدِين الله، وَأُمَّة جدَّه رَسُول الله. لَقَد كَان الصُّلح رَحمَة وَنعمَة للحَسن وَشِيعَة أَبي الحَسن، وَلَعنة عَلىٰ مُعَاوِيَة إِلىٰ يَوْم يُبعثُون، وَالفَضل فِي ذَلِكَ لحِكمَة الحَسن وَمَعرفته وَبُعْد نَظرَه.

وأَرَاد يَزِيد قَتل الحُسَيْن، صَالح أَو لَمْ يُصَالح، بَايع أَو لَمْ يُبَايع، تَمَاماً كَمَا أَرَاد مُعَاوِيَة مِنْ الحَسن، وَلاَ شيء أَدل عَلىٰ ذَلِكَ مِنْ التَّمثِيل بِالحُسَيْن وَأَصحَابه بَعْد القَتل، وَمِنْ السَّلب وَالنَّهب وَحَرق الخيَام، وَمِنْ ذَبح الأَطفَال وَسَبي النِّسَاء، وَمِنْ وَضع السَّلاَسل وَالأَغلاَل فِي أَعنَاق المَرضىٰ وَأَرجلهُم، وَمِنْ رَفع الرُّؤوس عَلىٰ الرِّمَاح، وَمِنْ تَرك الجُثث فِي العرَاء للشَّمس والرِّيَاح، وَمِنْ مُرُور الثَّاكلاَت

حوَاسر عَلىٰ قَتلاَهُنَّ، وَمِنَ العَبث بِالرَّأس الشَّريف، وَهُو مَفصُول عَن الجَسد الطَّاهر. وَمِنْ وَمِنْ إلَىٰ مَا لاَ نهَاية.

أَنَّ الَّذي ظَهر مِنْ يَزِيد يَدل بوضُوح عَلىٰ أَنَّ المَسأَلة لَيسَت مَسأَلة حُكم، وَتَهالك عَلىٰ السُّلطَان فَحَسب، وَلاَ مَسأَلَة مُصَالحَة وَمُبَايعَة، إِنَّها أَبعَد وَأَعمَق مِنْ كلّ ذَلِكَ، إِنَّها إِشفَاء غَلِيل وَقَلب مُلتَهب مِنْ دِين الله ومُحَمَّد بن عَبدالله، وَقَدْ جَاء قَتل الحُسَيْن بِلَعنَة الدَّهر عَلىٰ يَزِيد، كَمَا جَاء سُم الحَسن بِلَعنَة الأَبد عَلىٰ مُعَاوِيَة، وَهَذَا هُو هَدف أَهْل البَيْت، لَقَد أَرَادوا عَلَيهِم أفضَل الصَّلاَة وَالسَّلاَم أَنْ يفْتَضح المُنَافقُون الَّذِين كَادوا للإِسْلاَم، ثُمَّ تَستَروا بِاْسمه، فَإِنَّ تَكُن الوَسِيلة إِلَىٰ هَذِه الغَاية الصُّلح صَالحوا، وأَنْ تَكُن الإِسْتشهَاد اْستُشهدُوا غَير مُبَالين بِالقَتل مَا دَام لإِظهَار الحَقّ، وَاْفتضَاح البَاطِل.

وَبالتَالي، فَإِنَّ مَنْطق الحَوَادِث لاَ يَفصل بَيْنَ مَوْقِف الحَسن ومَوْقِف الحُسَيْن فكلّ مِنْهُما جَاهد، وَاْستُشهد فِي سَبِيل الله، وَأَلقىٰ الحُجَّة البَالغة عَلىٰ أَعدَاء الله، وَالفَرْق فِي الأُسلُوب فَقط، هَذَا قُتل بِالسَّيف، وذَاك قُتل بِالسُّم، وَلعَل مَوْقِف الحَسن أبلَغ فِي الحُجَّة عَلىٰ مُعَاوِيَة، لأَنَّه صَالح وَسَالَم، ومَع ذَلِكَ لَمْ يَسْلَم.

إِذَن لاَ مَعْنَىٰ أَبداً للتَّساؤل: «لِمَاذَا صَالح الحَسن وَقُتل الحُسَيْن؟»؛ لأَنَّ كُلاً مِنْهُما قُتل وَاْستُشهد فِي سَبِيل الله، وَأَثار النِّقمَة وَاللَّعنة عَلىٰ أَعدَاء الله وَأَعدَاء رَسُوله، وَعَجل بدَولة البُغَاة الفُجَّار إِلَىٰ الهَلاَك وَالدَّمَار.

وَمِنْ الخَيْر أَنْ نَختم هَذَا الفَصل بمَا جَاء فِي كتَاب العِقد الفَرِيد:

«سَأل مُعَاوِيَة جُلسَاءه: مَنْ أَكرَم النَّاس أَبَاً وَأُمَّاً، وَجداً وَجدَّة، وَعَمَّاً وَعَمَّةً، وَخَالاً وَخَالةً؟ قَالُوا: أَنتَ أَعْلَم، فَأَخذ بِيد الحَسن بن عَليّ، وقَالَ: هَذَا أَبُوه عَليّ

ٱبن أَبي طَالب، وَأُمّه فَاطِمَة بِنْت رَسُول الله، وَجدّه رَسُول الله، وَجَدَّته خَدِيجَة زوّجة رَسُول الله، وَعمَّه جَعْفَر، وَعَمَّته هَالة بِنْت أَبي طَالب، وَخَالهُ القاسم ٱبْن رَسُول الله، وَخَالته زَيْنَب بِنْت رَسُول اللهﷺ »[1].

وَهَذَا هُو ذَنْب الحَسنَين الَّذي ٱستَوجبا مِنْ أَجْلِهِ القَـتل عِـند مُـعَاوِيَة وَوَلدَه يَزِيد!...

(١) أنـظر، كـتَاب العِـقد الفَـريد: ٥ / ٣١٣ طَـبعَة ١٩٥٣م. (مِـنْهُ ﷺ). و: ٥ / ٨٧، وَتَـرجَـمة الإمَـام الحَـسن ﷺ، لِابن عَسَاكر: ١٣٨ رَقم « ٢٢٩ ».

الشّيعَة وَمُعَاوِيَة

بَعْد الإِمَام

لَحِق أَمِير المُؤْمِنِين بِأَخِيه المُصْطَفىٰ ، وَٱعْتَزل الإِمَام الحَسن فِي بَيْتَه ، وَحَكم مُعَاوِيَة جَمِيع الأَقْطَار والأَمْصَار الإِسْلاَمِيَّة بِأَمره لاَ بِأَمر الله وَلاَ بِأَمـر الشَّـعب ، ومَاذَا كَان يَنْبَغي لهُ أَنْ يَفْعل بَعْد أَنْ أَصْبَح الإِمـبرَاطُـور الأَوحَـد دُون مُـزَاحـم وَرَقِيب ؟ هَل يَنْبَغي لهُ أَنْ يُنَكّل بِالضُّعفَاء المَغلوبِين ، وَيَنْشر الخَوف وَالذُّعر فِي قُلوب الموَاطِنِين ، أَو يَعْفُو وَيَصفح عَن أَعدَائه السِّيَاسِيِين ، وَيُعِيد إِلَـىٰ نـفُوسِهِم الهدُوء وَالطُّمأْنِينَة ، كَمَا يَفْعل اليَوْم السَّاسَة والحَاكمُون ؟ بَعْد أَنْ يَـنْتَصرُوا عَـلىٰ خُصومِهِم ، وَتَتسق لهُم الأُمُور .

أهل العفو

ولكن ٱلعَفْو عِند المَقدَرَة مِنْ شِيم الكِرَام ، وَسُنن المُرسَلِين وَالمُثَقفِين ، وَأَين مِنْهُم مُعَاوِيَة ؟ ! لَقَد عَفَا أَمِير المُؤْمِنِين عَن عَائِشَة وَمَرْوَان بن الحَكَم يَوْم الجَمْل ، وَعَن ٱبْن العَاص ، وبُسْر بن أَرْطَأة ، يَوْم صِفِّين ، وَسَقىٰ مُعَاوِيَة وَجَيشَه المَاء ؛ لأَنَّه

كَرِيم وَابْن كَرِيم، وَسبَّ مُعَاوِيَة عَليّاً عَلىٰ المنَابر بَعْد مَوته، وَنَكَّل بِشِيعَته شرّ تَنْكِيل، وَاقْتَرف أسوأ المَآثم؛ لأنّه خَسِيس لَئِيم يَغْدر وَيَفْجر، وإذَا أنْعَم الله عَلَيه بَدل نِعْمَته كُفراً وَجحُوداً، وَلأنّه فَاشل فِي خُلقه وَسِيرَته، فَلاَ مَنْقَبة وَلاَ سَابقَة يُذكر فِيهَا هُو وَلاَ أَبُوه، فرَاح يَنْتَقم لنَصَائِحه مِنْ أَصْحَاب المَنَاقب وَالفَضَائِل، وَيَسْتَجِيب لرَغْبَته المُلحَة فِي الجَرَائِم وَالمحَارم.

كَان مُعَاوِيَة فِي عَهْد الإِمَام يُجهزّ وحُوشه الضَّواري، كبُسْر بن أَرْطَأة، وَمُسْلم ابْن عُقْبَة، وَالضَّحَاك بن قَيْس وغَيْرهم، وَيَأمرهُم بِقَتل الأَطفَال وَالنِّسَاء وَالشّيوخ، فَيَقتلُون وَيَتسللُون كَاللصُوص وَالقرَاصنَة، وكَان يُظن أنّه يُرِيد مِنْ ورَاء ذَلِكَ أَنْ يُتْعب خَصْمه، وَيُثبت حُكمه بِكُل وَسَيلة؛ أَمَّا وَقَدْ مَات الإِمَام، وَصَالح الحَسن، وَاسْتَتب لهُ الأَمر، فَأي عُذر لهُ فِي المُغَالاة والتَّنْكِيل، وَالعُنف فِي قَمع الأَبريَاء؟! وَهَل مِنْ عُذر إِلاَّ اللُّؤم وَالحِقد عَلىٰ الحَق وَأَهله، وَالعَدْل وَأَنصَاره؟!.

المُسْلمُون عِنْد شرُوطِهم:

جَاء فِي الحَدِيث: «شُكر كلّ نِعمَة الوَرع عَن مَحَارم الله»[1]... «نِعْمَة لاَ تُشكَر كَسَيئَة لاَ تُغْفر»[2]. وَحِين دَخَل مُعَاوِيَة الكُوفَة صَعد عَلىٰ المِنْبر، وَخَطب يَشْكر الله عَلىٰ النَّصر، فَقَال: «يَا أَهْل الكُوفَة! أَتَرُونِ أَنّي قَاتَلتكم عَلىٰ

(١) أنظر، الخِصَال: ١٤ ح ٥٠، دستُور مَعَالم الحُكم: ٢٠.
(٢) أنظر، عُيون الحِكَم وَالموَاعظ: ٤٩٧، أعلاَم الدِّين: ٣٠٩، الدُّرة البَاهرَة: ٤٠، نُزهَة النَّاظر وَتَنْبيه الخَاطر: ١٣٧.

الصَّلاة، والزَّكَاة، والحَجّ، وقَد عَلِمتُ أنّكم تُصلُّون، وَتُزَكُون، وَتحجُون، ولكنّي قَاتلتكُم لأتئمر عَلَيْكُم، وَألي رِقَابكُم، وَقَد أتَاني الله ذَلِكَ وَأنْتُم كَارهُون. ألاَ إنّ كلّ دَم أُصِيب فِي هَذِه مَطلُول، وَكلّ شَرْط شَرَطتَه فَتَحت قَدَمي هَاتِين »[١].

يَقُول رَسُول الله ﷺ: « المُسْلمُون عِند شُرُوطهم »[٢]، ويَقُول مُعَاوِيَة كُلّ شَرط فهُو تَحتَ قَدَمي.

أَمَّا الشُّرُوط الَّتي اشترَطها الإِمَام الحَسن، وَأمضَاها مُعَاوِيَة، ثُمَّ دَاسهَا بِقَدَميه فَهي أنْ يَعْمل مُعَاوِيَة بكتَاب الله وَسُنَّة نَبِيّه، وأنْ لاَ يَعْهد لأحدٍ مِنْ بَعْده، بَل يَترك الأَمْر شُورىٰ بَيْنَ المُسْلِمِين، وأنْ يَكُون النَّاس آمنِين حَيْث كَانُوا، لهُم كلّ الحَقّ فِي صيَانة دمَائِهم وَأعراضِهم وَأموالِهم، وأنْ يَدع سبّ أَمِير المُؤْمِنِين. وَبالفِعل قَدْ دَاسها مُعَاوِيَة بِقَدَمية. وَإليكَ بَعْض الأَرقَام:

السّب:

رُوي أنَّ النَّبيّ رَأىٰ أَبا سُفْيَان عَلىٰ جَمَل أَحْمَر، يَسُوقه مُعَاوِيَة، وَيَقودَه

(١) أنظر، البِدَاية وَالنّهاية: ٦ / ٢٤٦، تَأريخ دِمَشق: ٥٢ / ٣٨٠، تَأريخ ابن كَثِير: ٨ / ١٢١، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٦ / ٢٢٠، مقَاتل الطَّالبِيين: ٧٠، شَرح النَّهج لِابن أبِي الحَدِيد: ٤ / ١٦ و: ١٦ / ١٥، المَعرفَة وَالرِّجال للبسوي: ٣ / ٣١٨، شَرح الأَخْبَار: ٢ / ١٥٧، مَنَاقب آل أبي طَالب: ٣ / ١٩٦، المُصنّف لِابن أبِي شَيبة الكُوفي: ٧ / ٣٥١ ح ٢٣، تَأرِيخ دِمشق: ٥٢ / ٣٨٠ و: ٥٩ / ١٥٠، البِدَاية والنّهاية: ٨ / ١٤٠.

(٢) أنظر، صَحِيح البُخَاري: ٣ / ٥٢، مَجْمَع الزَّوَائد: ٤ / ٢٠٥، كَنز العُمّال: ١٦ / ٥٠٤، السُّنن الكُبرىٰ: ٦ / ٧٩، مُسْتَدرك الحَاكم: ٢ / ٤٩، الكَافِي: ٥ / ٤٠٤، مَن لاَ يَحْضُره الفَقِيه: ٣ / ١٢٨، التَّهذِيب: ٧ / ٣٧١، المُصنّف لِابن أبِي شَيبَة: ٦ / ٥٦٨، المُغني: ٤ / ٣٥٤.

عُتْبه، فَقَال: «أَللّهُمَّ إِلعَن القَائِد وَالمَقُود»[١].. فَحَفظ مُعَاوِيَة هَذِه اللَّعنَة، وَعَمِلت عَمَلها فِي نَفْسه، وَأنْتَظر الفُرصَة السَّانحَة للإِنْتقَام مِنْ نَبي الرَّحمَة، حَتَّىٰ صَار الحَاكِم بِأَمره، فَلَم يَجرأ عَلَىٰ التَّصرِيح بِالإِسم العَظِيم، فَسبّ عَليَّاً، وَهُو لاَ يُرِيد إِلاَّ مُحَمَّداً، لأِنَّه يَعْلم حقّ العِلْم أَنَّ النَّبيّ قَالَ: «مَنْ سَبَّ عَلِيَّاً فَقَد سَبّني، وَمَن سَبّني فقَد سَبَّ الله، وَمَن سَبَّ الله أَكَبّهُ الله عَلَىٰ وَجْههِ فِي ٱلنَّار»[٢].

سَبّ مُعَاوِيَة عَليَّاً، وَكَتب إِلَىٰ البُلدان يَأمر عُمَّاله وَموَظفِية بِالسَّب، فَقَامت الخُطبَاء فِي كلّ كُورة، وعَلَىٰ كلّ مِنْبر يَلعنُون عَليَّاً، وَيَبرَأون مِنْهُ، وَيَقعُون فِيهِ وَفِي أَهْل بَيْته[٣]. وَبقِي السَّب سُنَّة بَعْد مُعَاوِيَة فِي سنِين طَويلَة. سَبّ أَهْل بَيْت الرَّسُول، وَأَمر بِسَبهم وَجَعل ذَلِكَ سُنَّة مُتَّبعة، وَدِيَانة مُقدَّسة، وَقَالُوا لاَ يَصّح الخرُوج عَلَيه، لاَ لشَيء إِلاَّ أَنَّ الله سُبْحَانهُ قَالَ فِي كتَابه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٤]. كَان الشُّعور بِالرَّهبَة وَالفَزع يُسيطر

---

(١) تَقدَّم إِستخرَاج ذَلِكَ.

(٢) أُنظر، مُسْتَدرَك الصَّحِيحَين: ١/١٢١، طَبْعَة حيدر آباد سَنَة ١٣٢٤ هـ. كِفَايَة الطَّالب: ٨٢ و ٨٣، فرَائد السِّمطَين: ١/٣٠٢ و ٣٠٣ ح ٢٤١، مُروج الذَّهب: ٢/ ٤٣٥، الصَّوَاعِق المحرِقَة: ٧٤ طَبْعَة المَيمنيَة و: ١٢١ المحمّديه بتفاوت، ذَخَائِر العُقْبَىٰ: ٦٦، المنَاقِب للخوَارزمِي: ١٣٧ ح ١٥٤، خصَائِص النَّسائي: ٢٤، كَنز العُمَّال: ٦ / ٤٠١، وَمشكَاة المَصَابِيح: ٥٦٥ و ٣/١٧٢٢ ح ٦٠٩٢ طَبْعَة أُخرىٰ، وتَأرِيخ الخُلَفَاء: ٦٧، والرِّيَاض النَّضرة: ٢/١٦٦ بأَلفَاظ مُتقَاربة، نُور الأَبصَار: ٩٩، فَضَائِل الخَمْسَة من الصِّحاح السِّتة: ٢/٢٢٣، الفَضَائِل لأَحْمَد: ٢/ ٥٩٤ ح ١٠١١، جَمع الزَّوائد: ٩/ ١٣٠، مُنْتَخَب كنز العُمَّال بهَامش مُسْنَد أحمَد: ٥ / ٣٠، يَنَابِيع المَوَدَّة: ١/ ١٥٢، و: ٢ / ١٠٢ و ٢٧٤ و ٢٧٧ طَبْعَة أُسوة، الجَامِع الصَّغِير: ٢/٦٠٨ ح ٨٧٣٦، مَوَدَّة القُربىٰ: ١٥.

(٣) أُنظر، شَرْح نَهج البَلاَغة لإبْن أَبِي الحَدِيد: ٣/١٥. (مِنْهُ ﷺ).

(٤) الأَحزَاب: ٣٣.

عَلَىٰ مُعَاوِيَة فِي عَهْد الإِمَام، فَيَغدر وَيَفجر، وَيَحتَال وَيَغتَال، وَلَهُ شَيء مِنْ العُذر عِند مَنْ يَرىٰ مُعَاوِيَة مِنْ الدُّهاة وَالسَّاسة الكِبار، وَلَكن أَي عُذر لهُ عِند هَـؤلاَء وَغَير هَؤلاَء فِي جوَابه لمَن قَالَ لهُ: لَقَد بَلَغت مَا أَمَّلتَ، فَلَو كَفَفت عَن سبّ عَليّ، فَأَجَاب: لاَ حَتَّىٰ يَربُو عَلَيه الصَّغِير، يَهْرَمُ عَلَيه الكَبِير[١]... بِهَذه الكَلمَة الصَّغِيرة: «حَتَّىٰ يَربُو الصَّغِير، وَيَهرم الكَبِير» عَبَّر مُعَاوِيَة عَن نَفْسه، وَأَبرزَها عَلَىٰ حَقِيقتهَا، فَلَيس مِنْ قَصده وَغَايته المُلك وَالسَّيطرة فَقط، بَل عُقدة فِي نَفْسه يُحَاول حلَّها، وَحِقد فِي قَلْبه يُغلي وَيَفور، وَلاَ يَجد مَخرجاً مِنْ لذَعَهِ وَأَلَمه إلاَّ السُّباب وَالتَّقتِيل، وهَذِه غَايَة الغَايَات عِند مُعَاوِيَة وَمَا عَدَاها وَسِيلة لإِشبَاع الحِـقد، وإلاَّ فَـليدُلنا الَّذِين وَصفوا مُعَاوِيَة بِالحِلم وَسِعة الصَّدر عَن مكَان هَذَا الحِلم فِي قَوله: «حَتَّىٰ يَربُو الصَّغِير، وَيَهرم الكَبِير»...

ولَمْ يَشف غَلَيل مُعَاوِيَة السَّب عَلَىٰ المَنَابر، وَالكتَابة بِهِ إِلَىٰ عُمَّاله، وَاتخَاده سُنَّة وَدِيَانه، حَتَّىٰ تَعمدَه فِي مَحْضر أَوْلاَد الإِمَام وَأَقَاربه، بَل كَان يَدعو أَحَدهم إِلَىٰ بَيْتَه، وَيَجمع حَوله شَيَاطِينه وَزبَانِيتَه، ثُمَّ يَشرعُون بِالسُّباب وَالشَّـتائم!... لَقَد سَمعنَا أَنَّ عدوّاً اغتَال عَدوّه، وَهُو سَائر فِي طَرِيقه، وَنَائم عَلَىٰ فرَاشه، أَمَّا أَنْ يَدعُوه إِلَىٰ بَيْتَه، ثُمَّ يَغْدر بِهِ، فَلَم نَعهَده إلاَّ مِنْ مُـعَاوِيَة وَأَمـثَاله. نَـادىٰ مُـنَادي الرَّسُول يَوْم الفَتْح: «مَنْ دَخَل دَار أَبي سُفْيَان فَهُو آمِنْ»[٢]. وأَرَاد مُعَاوِيَة أَنْ يَرد

(١) أنظر، شَرح نَهج البَلاَغة لِابن أَبي الحَدِيد: ٤/ ٥٧ و: ١٣/ ٢٢٢.

(٢) أنظر، صَحِيح مُسلم: ٣/ ١٤٠٨ ح ٨٦، سُنن أَبِي دَاود: ٣/ ١٦٣ ح ٣٠١٢. فَهَذَا أَبُو سُـفْيَان أَشـدّ عَدَاوة لرَّسُول الله ﷺ فِي مُحَاربته، وَغزوَاته تَشهَد بِذَلك. وَإِنّما أَسلَم عَلَىٰ يَد العَبَّاس الَّذي مَنَع النَّاس

لهُ هَذَا الإِحسَان فَدَعىٰ الحَسن سِبط الرَّسُول إِلَىٰ بَيْته، وَلبَّىٰ الحَسن الدَّعوَة، وَلمَّا دَخل عَلَىٰ مُعَاوِيَة وَجَد عِندَه عَمْرُو بن العَاص، وَالوَلِيد بن عُقْبَة[1]، وَعُقبَة بن أَبي

↩ مِن قَتله، وَجَاء بِهِ رَدِيفاً، شَرّفه النَّبيّ ﷺ، وَكَرّمه فكَانَ جَزَاء ذَلِك مِن بَنِيه أَنْ حَاربُوا عَلِيّاً ؑ وَسَمّوا الحَسن ؑ وَقَتلُوا الحُسَيْن ؑ وَحَملُوا النِّسَاء عَلىٰ الأَقْتَاب حوَاسِراً، وَقَيّدوا بِالحَدِيد زَين العَابِدِين ؑ الَّذي لمّا أَوْقَفُوه عَلىٰ مَدرج جَامع دِمشق فِي مَحلّ عَرض السَّبَايَا.

(١) قَالَ ٱبن أَبِي ٱلحَدِيد فِي شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة تَحت عُنوَان «أَخبَار الوَلِيد بن عُقْبَة»: ١٧ / ٢٢٧ ومَا بَعْدها، ومُسْنَد أحمَد: ١ / ١٤٤ و: ٥ / ٣٤٧، سُنن البَيْهَقِيّ: ٨ / ٣١٨، تَأرِيخ اليَعقوبي: ٢ / ١٤٢، الأَغَانِي: ٤ / ١٧٨ و: ٨ / ٣٢٤، الإِصَابَة: ٣ / ٦٣٨. (وَكَان زَانِياً سكيّراً، شَرَب الخَمْر، وصَلّىٰ بِالنَّاس جَمَاعَة صَلاَة الصُّبح أَرْبَع رُكْعَات، وقَاء الخَمْرَ فِي مِحرَاب المَسجِد، وتَلَىٰ فِي الصَّلاَة بَدَلاً من القُرآن:

عَلِقَ القَلْبُ الرَّبَابَا ... بَعدمَا شَابَت وشَاباً

أُنظر، قِصَّة الوَلِيد وَشُربه لِلخَمْر فِي الصَّلاَة، وقَوله أأزيدكُم، وقَول الحُطَيئَة فيهِ هَذِهِ الأَبْيَات....، مُلحَق ديوَان الحُطِيئَة: ١١٩، وَفِي الدِّيوَان: ١٧٩ طَبْعَة بَيرُوت دَار صَادر.

شَهِد الحُطَيئَة يَوم يَلقَىٰ رَبّه ... إِنَّ الوَلِيد أَحقّ بِالغَدْرِ
نَادىٰ وقَد نَفَدت (تَمّت) صَلاتهم ... أأزيدكُم؟ ثَمِلاً ومَا يَدرِي؟
لِيَزِيدهُم خَيراً ولَوْ قَبِلُوا ... مِنْهُ لزَادهُم عَلىٰ العَشرِ
فَأَبَوا أَبَا وَهبٍ! وَلَو فَعلُوا ... لَقَرَنْتَ بَيْنَ الشَّفع والوَترِ
حَبَسُوا عِنَانَك إِذْ جَرِيت وَلَو ... خَلوا عِنَانَك لَمْ تَزل تَجرِي
تَكَلَّمَ فِي الصَّلاَة وزَاد فِيها ... عَلاَنِيَة وجَاهر بِالنِّفَاقِ
ومَجّ الخَمْر فِي سُنن المُصَلّي ... ونَادىٰ والجَمِيع إِلىٰ افتِرَاقِ
أَزِيدكُم؟ عَلىٰ أَنْ تَحمَدُونِي ... فَمَالكُم ومَالِي مِن خَلاقِ

أُنظر، تَأرِيخ الطَّبَرِي: ٥ / ٩٠، الإِسْتِيعَاب المَطبُوع بِهَامش الإِصَابَة: ١ / ٢١٨، الجَرح والتَّعدِيل: ٩ / ١٢، تَهذِيب الكَمَال: ٣١ / ١٦، فَتح البَاري: ٧ / ٤٦، زَاد المَسِير لِابْن الجوزي: ١ / ٩٩، جَامع البَيَان لِابْن جُرِير الطَّبَرِي: ١ / ٥٩١، تَفْسِير القُرطُبي: ٢ / ٣٠، تَأرِيخ دِمشق: ٦٣ / ٢٢٠، نَسب قُرِيش: ١٣٨، تَأرِيخ المَدِينَة: ٣ / ٩٧٥، جوَاهر المطَالب فِي مَنَاقب الإِمَام عَليّ لِابْن الدِّمَشْقِي: ٢ / ١٧٨، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٦ / ٢٤.

سُفْيَان، وَالمُغِيرة بن شُعْبة، وَمَا أَنْ رَأوا الحَسن حَتَّىٰ أَرغُوا وأَزبَدوا، وَشَتمُوا وَعَابوا، وَنَالوا مِنْ سَيِّد الكَونَين بمَا هُم أولىٰ بِهِ، وأَهْل لأكثر مِنْهُ.

فَالتَفت الإِمَام الحَسن إِلَىٰ مُعَاوِيَة وقَالَ فِيمَا قَالَ:

«أَمَّا بَعْد يَا مُعَاوِيَة، فمَا هَؤلاَءِ شَتمُوني، وَلكنَّك شَتَمتَني فُحشاً أَلِفته، وسُوء رَأي عُرفتَ بِهِ، وَخُلقاً سَيئاً ثَبتَ عَلَيك، وَبَغياً عَلينَا عَدَاوة مِنْك لمُحَمَّد وَأَهْله... وَأَنشدكُم الله أَيُّها الرَّهط، أَتعلمُون أَنَّ الَّذي شَتمتمُوه صَلَّىٰ القِبلتِين، وَأَنتَ يَا مُعَاوِيَة بِهِما كَافر، تَرىٰ الصَّلاَة ضلاَلة، وَتَعبد اللاَّت وَالعُزىٰ غوَاية؟ هَل تعلمُون أَنَّ الَّذي شَتَمتمُوه بَايع البَيعَتِين: بَيْعَة الفَتح، وَبَيعَة الرِّضوان؟ وَأَنْتَ يَا مُعَاوِيَة بِأَحدهمَا كَافر، وَبالأُخرىٰ نَاكث؟ هَل تَعلمُون أَنَّه أَوَّل النَّاس إِيمَاناً، وَأَنْت يَا مُعَاوِيَة وأَبُوك مِنْ المُؤلفَة قلُوبهُم تَسرُون الكُفْر، وَتُظهرُون الإِسْلاَم؟.

أَلَستُم تَعلمُون أَنَّه صَاحب رَاية رَسُول الله يَوْم بَدْر، وأَنَّ رَاية المُشركِين مَع مُعَاوِيَة وَأَبِيه؟ ويَوْم أُحد، ويَوْم الأَحزَاب، ويَوْم خَيْبَر.... إلخ.

أَلَستُم تَعلمُون أَنَّ رَسُول الله لعَن أَبا سُفْيَان فِي سَبعَة مَوَاطن:

١ ـ يَوْم خَرَج رَسُول الله مِنْ مَكَّة إِلَىٰ الطَّائف يَدعو أَهلهَا إِلَىٰ الإِسْلاَم، فَلقِيه أَبُو سُفْيَان فَشَتمهُ، وَكَذَّبه، وَتَوعَده، فَلَعنه الله وَرَسُوله.

٢ ـ يَوْم بَدْر.

٣ ـ يَوْم أُحد حَيْث نَادىٰ أَبُو سُفْيَان أُعل «هُبل» فَلَعنَه الرَّسُول، وَلَعن «هُبل».

٤ ـ يَوْم الأَحزَاب.

٥ ـ يَوْم الحُدَيبيَة.

٦ ـ يَوْم العَقَبَة.

٧ ـ يَوْم رَآه الرَّسُول يَركَب الجَمَل الأَحمَر.

وقَوْل الحَسن لمُعَاويَة: «عَدَاوة مِنْك لمُحَمَّد وَأَهْله» يُثبت مَا أَسلفنَاه أَنَّ المُلك والسُّلطَان عِند مُعَاوِيَة وَسِيلة للإِنتقَام مِنْ الحَقّ وَأَهْلَه[1].

وَدَخل عَبدالله بن جَعْفَر يَوْمَاً عَلىٰ مُعَاوِيَة، فَوجد عِندَه ٱبْن العَاص، وَمَا ٱستَقر الجُلوس بعَبد الله، حَتَّىٰ نَال ٱبْن العَاص مِنْ أَمِير المُؤْمِنِين عَلىٰ مَسمَع مِنْ عَبدالله وَمُعَا بَة، فَالتَمع لَون عَبدالله، وأعْترَاه أفْكل، حَتَّىٰ أَرعَدت خصَائِله، ثُمَّ حَسَر عَن ذرَاعِهِ، وقَالَ:

حتَام يَا مُعَاوِيَة نَتَجرع غَيظك؟! وإِلَىٰ كَم الصَّبْر عَلىٰ مَكرُوه قَولك، وَسيء أَدبَك، وَذَمِيم أَخلاَقك؟ هَبَلَتك الهبُول أَفَلا يَدعُونك تَصوِيب مَا فَرَّط مِنْ خَطَئك فِي سَفك دمَاء المُسْلِمِين، وَمُحَاربة أَمِير المُؤْمِنِين إِلَىٰ التَّمادي فِيمَا قَدْ وَضح لَك الصَّواب فِي خِلاَفَه؟ فَأقْصد لمَنهَج الحَقّ، فَقَد طَال عَمَهُك عَن سَبِيل الرُّشد، وَخَبْطُك فِي دَيجُور ظُلمَة الغَي، فَإِنْ أَبَيت إِلاَّ أَنْ تُتَابعنَا فِي قَبِيح ٱختيَارك لِنَفْسك، فَأعفنَا عَن سُوء القَالة فِينا إِذَا ضَمنَّا وَإِيَّاك النَّدىٰ، وَشأنك مَا تُرِيد إِذَا خَلوت؛ والله حَسِيبك[2].

أَرَاد مُعَاوِيَة أَنْ يُطفيء نُور الله بِالأَفوَاه بِالسَّب وَالثَّلب، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[3].

لَقَد ذَهَب الإِمَام إِلَىٰ رَحمَة رَبّه، وَبَقي مُعَاوِيَة يَسبّ وَيَلعن، ثُمَّ أَقدَم عَلىٰ مَا

---

(١) أنظر. شَرح نَهج البَلاَغة لِابن أَبي الحَدِيد: ٦/ ٢٨٨. جوَاهر المطَالب فِي منَاقب الإِمَام عَليّ. لِابن الدِمَشقي: ٢/ ٢٢٢. جَمْهَرة الخُطب: ١/ ٤٢٨. تَذكرَة الخوَاص: ١١٥.

(٢) أنظر. شَرح نَهج البَلاَغة لِابن أَبي الحَدِيد: ٦/ ٢٩٦.

(٣) ٱلتَّوبَة: ٣٢.

قَدِم، وجَاء دَور التَّأرِيخ فرَفع الإِمَام إِلَىٰ مصَاف الأَنبيَاء عِند النَّـاس أَجـمَعِين، وإِلَىٰ مقَام الآلهَة عِند البَعض، وسُجل اسم مُعَاوِيَة مَع جَلاَّدي الشُّعوب، وَسفَاكي الدِّمَاء.

قَالَ الحَسن البَصْري: «أَربَع خِصَال كُنّ فِي مُعَاوِيَة وَلَو لَمْ يَكُن فِيهِ مِنهُنّ إِلاَّ وَاحدَة لكَانَت مُوبقَة:

١ ـ انتزَاؤه عَلىٰ هَذِه الأُمَّة بِالسُّفهاء حتَّىٰ ابتَزّها أَمرهَا بِغَير مَشورَة وَفِـيهم بَقَايا وَذَوو الفَضِيلَة.

٢ ـ استخلاَفه ابنَه بَعده سِكيِّراً، خمِيِّراً، يَلْبَس الحَرِير، وَيَضرب الطَّنابِير.

٣ ـ ادعَاؤه زِيَاداً وَقَد قَال رَسُول الله ﷺ: الوَلد لِلفرَاش وَلِلعَاهر الحَجَر.

٤ ـ قَتله حِجراً وَأَصحَابه، وَيلٌ لهُ مِن حِجر وَأَصحَابه، وَيلٌ لهُ مِـن حِـجر وَأَصحَابه[1].

وقَالَ الشَّافِعي عَن الإِمَام: «أَسرَّ أَولِيَاؤه مَنَاقبهُ تَقِيَّة، وَكَتمهَا أَعدَاؤه حِـنقَاً، ومَع ذَلِكَ قَدْ شَاع مِنْ فَضَائله مَا مَلأالخَافقَين. وكَان مُعَاوِيَة يَشْعر بِنقَائِصه، وأَنَّه خَلو مِنْ كلّ فَضِيلة، فكَان إِذَا افتَخر عَلَيه هَاشمي، يَقُول: وَلَكـنَّ عُـثمَان قُـتل مَظلُوماً[2]!...

(١) انظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤ / ٢٠٢ و: ١١ / ٣٧٥، وَالنُّبلاء: ١ / ٢٣٧، وَمُسند أَحمَد: ٤ / ٤٢١، وَوَقعَة صِفِّين لنَصر بن مزَاحم: ٢٤٦، وَالمعجَم الكَبِير للطَّبراني: ١ / ٤٢٧، وَالعِقد الفَرِيد: ٤ / ٣٤٥، وَالإِستِيعَاب: ٤١٢، وَأُسد الغَابة: ٣ / ١٠٦، وَتهذِيب ابن عسَاكر: ٧ / ٢٠٦، وَالإِصَابة: ٢ / ٢٦٠، وَالطَّبقَات الكُبرىٰ: ٤ / ٢٢٢، وَصَفوة الصَّفوة: ١ / ٢٣٨، وَسِيرة ابن هِشَام: ٤ / ١٧٩.

(٢) انظر، السَّيِّدة فَاطمَة: ٦٧.

إنَّ مُعَاوِيَة مَرَّ يَوْمَاً بِحَلقة مِنْ قُرَيْش، فَلَمَّا رَآوهُ قَاموا لهُ غَير عَبدالله بن عَبَّاس، فَقَال لهُ مُعَاوِيَة:

مَا مَنَعك مِن القِيَام كمَا قَام أَصحَابك، وَمَا ذَاك إلاَّ لمُوجِدة، إنّي قَاتَلتكُم بصفِّين، فَلاَ تَجد مِن ذَلكَ يَا ٱبن عبَّاس؛ فَإنَّ ٱبْن عَمّي عُثمَان قُتل مَظلُوماً.

فَقَال ٱبْن عَبَّاس: وَعُمَر بن الخطَّاب قُتل مَظلُوماً.

قَالَ مُعَاوِيَة: إنَّ عُمَر قَتَله كَافر.

قَالَ ٱبْن عَبَّاس: وَمَنْ قَتل عُثْمَان ؟.

قَالَ مُعَاوِيَة: قَتَله المُسْلمُون.

قَالَ ٱبْن عَبَّاس: ذَلِكَ أَدْحَض لحُجَتك[1].

التنكيل والتقتيل:

جَاء فِي تَحدِيد الإيمَان أَنَّه: «الإِيمَانُ مَعْرِفَة بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ»[2]. وَهَكذا كَان عَدَاء مُعَاوِيَة للإِسْلاَم ونَبِيّه وَأَهْله، حِقد فِي قَلْبه يَغلي وَيَفور، وَسُبَاب «يَربُو عَلَيه الصَّغِير، يَهْرَمُ عَلَيه الكَبِير» وَإِمعَان فِي التَّنْكِيل وَالتَّقتِيل.

قَالَ ٱبْن أَبي الحَدِيد: «ٱستَعمل مُعَاوِيَة زيَاد بن سُمَيَّة عَلىٰ العِرَاق، فكَان يَتَتبع الشِّيعَة، وَهُو بِهم عَارِف، لأَنَّه كَان مِنْهُم، فَقَتلهُم تَحت كُلّ حَجَر وَمَدر، وَأَخَافهُم، وَقَطع الأَيدِي وَالأَرجُل، وَسمَل العُيون، وَصَلبهُم عَلىٰ جُذوع النَّخل،

---

(١) أُنظر، أَخبَار الدَّولَة العبَّاسيَة: ٤٦. كَشف الغُمّة: ٢ / ٥٣. الإِحتجَاج: ٢ / ١٥.

(٢) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكمَة (٢٢٦)، مُسْنَد زيد: ٤٤٣. كَنز العُمَّال: ١ / ٢٧٤ ح ١٣٦٢.

وَطَردهُم وَشَرَّدهُم عَن العرَاق، فَلَم يَبق بِهَا مَعرُوف مِنْهُم، وَكَتب مُعَاوِيَة إِلَىٰ عُمَّاله فِي جَمِيع الآفَاق أَنْ لاَ يَجيزُوا لأحد مِنْ شِيعَة عَليّ وأَهْل بَيْته شَهَادة، وَكَتب إِلَيهم أَنْ أنظُروا مِنْ قَبلكُم مِنْ شِيعَة عُثْمَان وَمُحبيه وأَهْل وَلاَيَته، والَّذِين يُرَددُون فَضَائله، فَأدنُوا مَجَالسهُم وَأكرمُوهُم، وَأكتبُوا لِي بِكُل مَا يَروي رَجُلاً مِنهُم وَأسمه وَأسم أَبِيه، فَفعلوا حَتَّىٰ أَكثرُوا فِي فَضَائِل عُثْمَان، لمَا كَان يَبْعَثه إِلَيهِم مُعَاوِيَة مِنْ المَال، وَالحبَاء، وَالقَطَائع، وَيُفِيضه العَرب وَالموَالي، فَكَثر ذَلِكَ فِي كلّ مَصْر، وَتَنافَسوا فِي المنَازل والدُّنْيَا، وَلَبثُوا بِذَلك، ثُمَّ كَتَب مُعَاوِيَة إِلَىٰ عُمَّاله أَنَّ الحَدِيث فِي عُثْمَان قَدْ كَثر فِي كلّ مَصر، وَفِي كلّ وَجْه وَنَاحِية، فَإذَا جَاءَكُم كتَابي هَذَا فَأدعُوا النَّاس إِلَىٰ الرّوَاية فِي فَضَائِل الصَّحَابَة مُفْتَعلة، فَإِنَّ هَذَا أَحَبّ إِليّ، وَأَقرّ لعَيني »[1]. قَتل، وَسَجن، وَنَهب، وَهَدم، وَكَذب علىٰ الله وَرَسُوله، كلّ ذَلِكَ أَحبّ إِلَىٰ قَلب مُعَاوِيَة وَأَقرّ لعَينَه مِنْ العَدْل، وَالصّدق عَلَىٰ الله وَرَسُوله، وَلاَ سَبب لِذَلِك إلاَّ وَاحد مِنْ أمرَين:

إِمَّا حبُّ الشَّر للشَّر، وَالكِذب لِلكَذب.

وَإِمَّا البُغضّ لنبوّته، وَالكُره لأهل البَيْت، لأَنَّهم أَهْل البَيْت.

يَقفُون جَمِيعاً ضِدّ التَّمييز العُنصري فِي أَمرِيكا وَجنُوب أَفْرِيقيَا، لإِنَّه يَتنَافىٰ مَع أَبسط المَبَاديء الإِنْسَانِيَّة، وَهَذَا التَّمييز الَّذي أستَنكرَه العَالم لَمْ يَتعد التَّمييز بِالمرَاتب وَالدَّرجَات، يُحْذر عَلَىٰ المُلَوّنين التَّزويج مِنْ البِيض، وَالإختلاَط مَعَهُم فِي المعَاهد وَالأندِية، أَمَّا سنّ قوَانِين القَتل وَالسِّجن، وَنَهب الأَموَال، وَهَدم

(١) أُنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لإبن أَبي الحَدِيد: ١١/ ٤٥.

الدُّور ، وَهَتك الأَعرَاض فَلَم يُؤثر إِلاَّ عَن مُعَاوِيَة مَع شِيعَة عَليّ ، وَلاَ ذَنب لَهُم إِلاَّ أَنَّهُم يُوَالون النَّبيّ وأَهْل بَيْتِه ، وَكَفىٰ بِهِ ذَنبَاً عِند عدوّ الله والرَّسُول .

وَمِنْ وَالخَير أَنْ نَنقُل مَا ذَكَرَه الشَّيخ يُوسف البَحرَاني فِي كتَاب « الدُّرر النَّجفِيَة » . فَبَعد أَنْ نَقل كَلاَم ٱبْن أَبِي الحَدِيد بكَامله ، وَمَا جَاء فِيهِ مِنْ تَنكِيل مُعَاوِيَة بِالشِّيعَة ، وَأَمرَه بِوَضع الأَحَادِيث فِي فَضَائِل الصَّحَابَة قَالَ : مَا نَقَله ٱبْن أَبِي الحَدِيد مُتَفق عَلَيه بَيْنَ الفَرِيقَين ، وَلاَ مَجَال للطَّعن فِيهِ ، وَنَسْتَخلص مِنْهُ أُمُوراً :

« مِنْهَا » : أَنَّ فِيهِ رَدَّاً صَرِيحاً عَلىٰ مَنْ قَالَ : أَنَّ مَذْهَب الشِّيعَة لاَ أَصل لهُ قَدْيماً ، وَإِنَّما أَحدَثه ٱبْن الرَّاوندي وَهِشَام بن الحَكَم وَغَيرهُما مِنْ المُتَأخرِين عَن العَصر الأَوَّل . . « فَإِنَّ تَنْكِيل مُعَاوِيَة بِالشِّيعَة دَلِيل عَلىٰ وجُودهُم فِي عَصرِه ، وَقَبل عَصره أَيضَاً » .

وَ « مِنْهَا » : الدّلاَلَة عَلىٰ مَا كَان عَلَيه مُعَاوِيَة وَالأُمويُون مِنْ بُغض عَليّ وأَهْل بَيْت الرَّسُول رُغم مَا وَرَد فِي حَقّهم مِنْ الرِّوَايَات المُتَفق عَلَيهَا عِند السُّنَّة ، وأَنَّ حبُّ عَليّ إِيمَان ، وَبُغْضه كُفر وَنفَاق .

وَ « مِنْهَا » : مَا كُشف عَن أَحوَال السُّنَّة يُومئذٍ مِنْ العُلمَاء ، وَالقُضَاة ، والخُطبَاء ، وأَصْحَاب النُّسك ، وَالوَرع والوَلاَة فَضلاً عَن العَامَّة مِنْ أَنَّهُم بَاعوا دِينهُم لمُعَاوِيَة بِأَبخَس الأَثمَان ، فَسَارعوا إِلَىٰ التَّزوِير ، وَالكَذب عَلىٰ الله والرَّسُول . . كلّ ذَلِكَ طَمَعاً فِي الدُّنيَا . . . فَهذهِ أَحوَال السَّلف مِنْ السُّنَّة الَّذِين قَدْ ٱتَّفق مِنْ تَأخر مِنْهُم عَلىٰ الأَخذ عَنْهُم ، وَمَنعُوا الطَّعن فِيهم ، وَجَعلوا أَقوَالهُم وَأَفعَالهُم حُجَجاً شَرعِية يَتعبدُون بِهَا ، وَيُقَابلون بِهَا الله عزَّوجلَّ .

وَ « مِنْهَا » : أَنَّه إِذَا كَانَتْ هَذِه الأَخبَار المَوضُوعَة فِي حقّ الخُلفَاء الثَّلاَثَة وَالصَّحَابَة قَدْ بَلَغت هَذَا المَبلغ فِي الكَثْرَة، وَشَاعَت هَذَا الشَّيَاع، حَتَّىٰ ٱنْتَقلت إِلَىٰ الَّذِين لاَ يَسْتَحلون الكَذب، فَتدَينُوا بِهَا، وَصَنفُوها فِي كُتبِهِم، وَضَبطُوها وَأَفتُوا بِهَا، وَٱستَمرت هَذِه الحَال فِي جَمِيع الأَعصَار خَلفَاً بَعْد سَلف....

وَلَو قَالَ لهُم قَائل: أَنَّ فَضَائِل أُولَئك الخُلفَاء وَالأَصحاب مِنْ هَذَا النَّوع لعَجزوا عَن الجَوَاب المُقنع... وَلَو ٱدعوا أَنَّ تَزوِير الأُمَويين لبَعض الفَضَائل لاَ يَسْتَدعي أَنْ لاَ يَكُون للخُلفاء والصَّحَابَة فَضَائِل سوَاها لقِيل لهُم مَيزُوا الصَّادق مِنْهَا مِنْ الكَاذب، ليتُم لَكُم الإِستدلاَل بِهَا عَلَىٰ مَا أَرَدتُم.

هَذَا مَا أَردنَا نَقله مِنْ كتَاب «الدُّرر النَّجفِية». وَنَعود إِلَىٰ مُعَاوِيَة، فَقَد كَان يَعرض عَلَىٰ شِيعَة الإِمَام البَرَاءة مِنْ دِين عَليّ وَلَعنه، وَتَولي عُثمَان، فَمَن ٱستجَاب نَجا بحَشَاشَته، وإِلاَّ قُتل، هَذَا مَع العِلْم بِأَنَّ دِين عَليّ هُو دِين ابْن عمَّه مُحَمَّد، إِذَن كَان مُعَاوِيَة يُقتل وَيُنكل بِالمُسْلِمين لاَ لشَيء إِلاَّ لأَنَّهم مُسْلمُون، فَمِن هَؤلاَء حِجر بن عَديّ وَأَصحَابه، وَعُمَر بن الحُمق، وَرُشَيد الهجْري وغَيْرِهم. وَنَترك الكَلاَم للأَرقَام تُثبت هَذِه الحَقِيقَة.

حِجْر بن عَدِيّ:

كَان حِجر بن عَدِيّ مِنْ أَصْحَاب رَسُول الله، وأَصْحَاب عَليّ وَالحَسن وَكَان زَاهِداً عَابداً، وَقَدْ وَصَفه صَاحب المُسْتَدرك بِأَنَّه رَاهب مِن أَصْحَاب مُحَمَّد[1].

---

(١) أُنظر، صُلح الإِمَام الحَسن، آل يَس: ٣٢٤. (مِنْهُ ﷺ).

وَكَان بَطَلاً شجَاعاً، حَارب فِي الجَيش الَّذي فَتَح الشَّام، وَالجَيش الَّذي فَتَح القَادسِيَة، وَشَهد مَع الإِمَام يَوْم الجَمَل، وصِفِّين، وَالنَّهروَان، وَقَدْ بَايع مُعَاوِيَة، ولَمْ يَخرج مِنْ طَاعَته، وَلَكنَّه أَبىٰ أَنْ يَشتُم عَليّاً، وَأَنكر شَتمَه عَلىٰ المنَابر[1].

٢وَهَذَا هُو الجُرم الَّذي اَستَحق بِهِ القَتْل هُو وَأَصحَابه. كَان صَيفي بن فَسِيل مِنْ أَصْحَاب حِجر، فَجيء بِهِ إِلَىٰ زيَاد فَقَال لهُ:

يَا عَدوّ الله مَا تَقُول فِي أَبي تُرَاب؟

قَالَ صَيفِي: مَا أعرف أَبا تُرَاب.

قَالَ زيَاد: مَا أعرَفك بِهِ.

قَالَ: مَا أعرفَه.

(١) هُو حِجر بن عديّ الأَبرَد الكِندي المُلقَّب بحِجر الخَيْر، وكَان مِن فُضلاء الصَّحَابَة، وَفَد إِلىٰ النَّبيّ وشَهد القَادسِية، وقَد قَتله مُعَاوِيَة صَبراً، ويُقَال: إِنَه أَوَّل مَن قُتل صَبراً فِي الإِسْلَام، قُتل مَعه سِتة من أَصْحَابه، وهُم: شُريك بن شدّاد الحَضرمي، وصَيفي بن فَسِيل الشَّيباني، وقَبِيصة بن ضبيعة العَبسي، ومحرز بن شِهاب السَّعدي، وكِدَام بن حيّان العَنزي، وعبدالرَّحمن بن حسّان العنزي. وكَان حِجر ثِقة عَيناً ولَم يَرو عَن غَيْر عَليّ شَيْئاً، وهُو الَّذي اَفتَتح مُرج عَذراء، وكَان شرِيفاً فِي قَوْمَه مُطاعاً، آمِراً بِالمَعْرُوفِ، صَالحاً عَابداً يُلازم الوضُوء، وبَاراً بأُمّه، كَثِير الصَّلاة والصِّيام.

أَنظر، تَرجَمته فِي شَرح نَهج البَلَاغَة: ١٥ / ١٠٠، طَبقَات اَبن سَعد: ٦ / ١٥١ و ١٥٤، المُستَدرَك: ٣ / ٤٦٨، الاِستِيعَاب: ١ / ١٣٤ الرَّقم ٥٤٨، طَبْعَة حَيدرآباد، أُسد الغَابَة: ١ / ٣٨٥، سِير أَعْلَام النُّبلاء: ٣ / ٣٠٥ التَّرجمة رقم ٣١٤، تَأريخ الذَّهبي: ٣ / ٢٧٦، تَأريخ اَبن كَثِير: ٨ / ٥٠، الإِصَابَة: ١ / ٣١٥، تَأريخ الطَّبَريّ: ٢ / ١١١ ـ ١٤٩ و ٥ / ٢٧٧، تَأريخ اَبن الأَثِير: ٣ / ٤٠٣ و ٤٠٤، وَقعَة صِفِّين: ١٠٣، مُروج الذَّهب: ٣ / ٣ ـ ٤، تهذِيب الكَمَال: ٥ / ٤٨٥ الرَّقم ١١٤١، المعَارف لِاَبن قُتَيْبَة: ٣٣٤، الأَغَاني: ١٦ / ١٠، تَأريخ دِمَشق: ٢ / ٣٧٩، مُسْنَد أَحْمد: ٤ / ٤٢١، والمُعْجَم الكَبِير للطَّبراني: ١ / ٤٢٧، والعِقد الفرِيد: ٤ / ٣٤٥، وتَهذِيب اَبن عَسَاكر: ٧ / ٢٠٦، وَصفوة الصَّفوة: ١ / ٢٣٨، وسِيرة اَبن هِشَام: ٤ / ١٧٩.

قَالَ زِيَاد: أَمَا تَعرف عَليّ بن طَالب؟

قَالَ: بَلىٰ.

قَالَ زِيَاد: فَذَاك أَبُو تُرَاب.

قَالَ: كَلاَّ، ذَاك أَبُو الحَسن وَالحُسَيْن.

قَالَ زِيَاد لجَلاَوزته: عَلَيَّ بِالعصَا، فَأُتي بِهَا، فَالتَفت إِلَىٰ صَيفي، وقَالَ: مَا قَولك؟.

قَالَ: أَحسَن قَوْل أَنَّه قَائله فِي عَبدٍ مِنْ عبَاد الله المُؤْمِنِين.

فَقَال زِيَاد: أَضربُوه حَتَّىٰ يَلصَق بِالأَرض، فَضَربُوه حَتَّىٰ لَزم الأَرْض. وَعِنْدَها قَالَ لهُ زِيَاد: مَا تَقول فِي عَليّ؟.

قَالَ: وَالله لَو شَرحتَني بِالمُوسىٰ وَالمُدي مَا قُلت إِلاَّ مَا سَمِعتَ مِنّي.

قَالَ زِيَاد: لتَلْعَننه... أَو لأَضرِبن عُنُقك.

قَالَ: إِذَن والله لتَضرِبهَا قَبل ذَلِكَ[1].

قَالَ الدُّكتُور طَه حُسين:

«كَان حِجر رَجُلاً مِنْ صَالحي الإِسْلاَم، وَفَد عَلىٰ النَّبيّ ﷺ مَع أَخيهِ هَاني فِيمَن وَفَد عَلَيهِم مِنْ قَومهُما. ثُمَّ شَارك فِي حَرْب الشَّام، وَأَحسَن فِيهَا البَلاَء، وَكَأَنَّه كَان فِي مُقَدَّمة الجَيْش الَّذي دَخَل مُرج عَذرَاء قَرِيباً مِنْ دِمَشق ـ وَهُو المَكَان الَّـذي قُتل ودُفن فِيهِ ـ ثُمَّ تَحول إِلَىٰ العرَاق، فشَارك فِي غَزو بِلاَد الفُرس وَأَبلىٰ أَحسَن

(١) أَنظر، ذَخِيرة الدَّارَين: ٣. (مِنْهُ ﷺ). أَنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٤/ ١٩٨، و: ٦/ ١٤٩، الكَامِل فِي التَّأريخ لِابن الأَثير: ٣/ ٢٠٤ و ٤٧٧، وَالأَغَاني: ١٦/ ٧، تَأرِيخ ابن عَسَاكر: ٦/ ٤٥٩ و: ٢٤/ ٢٢٨.

البَلاَء فِي نهَاوند، ورَابط فِي الكُوفَة مَع المُرَابطِين بَعْد الفَتح، وكَان رَجُـلاً حـرّاً صَادق الدِّين، يَأْمُر بِالمَعرُوف وَيَنهىٰ عَن المُنْكَر، وَيَرضىٰ عَن السُّلطَان إِنْ أَحسَن، وَيَسخط عَلَيه إِنْ أَسَاء... ولَمْ يَخلع يَداً مِنْ طَاعَة، وَلَكنَّه يُنكر أَشَدّ الإِنْكار سُنَّة بَني أُميَّة فِي شَتم عَليّ عَلىٰ المَنَابر، ولَمْ يَكُن يَخفىٰ إِنْكَاره[1].

وَأَلقىٰ زيَاد بن سُميَّة القَبض عَلىٰ حِجر وَسِجنه مَع ثَلاَثة عَشر مِنْ أَصحَابه، ثُمَّ أَرسلهُم إِلَىٰ مُعَاوِيَة... فَأَمر مُعَاوِيَة أَنْ يُحبسُوا بـمُرج عَـذرَاء، وهِـي قَـرية بضوَاحي الشَّام ـوَلمَا عَرف حِجر أَنَّه بِهَذِه القَريَة قَالَ: وَالله إِنّي لأَوَّل مُسْلم نَبحَته كِلاَبهَا، وأَوَّل مُسْلم كبَّر بوَاديهَا ـيُشِير إِلَىٰ أَنَّه كَان أَوَّل مُسْلم جَاهد وَحَارب عَلىٰ أَرْض هَذِه القَريَة ـوَأَمر مُعَاوِيَة أَنْ يَعرض عَلىٰ حِجر وَأَصحَابه البَرَاءَة مِنْ عَليّ وَلَعنَه، وَتَولي عُثْمَان، فمَن فَعل ذَلِكَ مِنْهُم أَمِن، وَمَن أَبىٰ قُتل. وَشَفع جَمَاعَة مِنْ أَهْل الشَّام عِند مُعَاوِيَة فِي بَعْض هَؤُلاَء الرَّهط، وَقَبِل شفَاعتهُم، ولَمْ يَبق مِنْهُم إِلاَّ ثَمَانيَة، فعُرِضت عَلَيهِم البَرَاءَة فَأَبوا إِلاَّ اثنَان طَلبَا أَنْ يَحملا إِلَىٰ مُعَاوِيَة، وَأَظهَرا أَنَّهُما عَلىٰ رَأي مُعَاوِيَة، فَأُجيبَا إِلَىٰ طَلَبهُما وَقتل الآخرُون، وهُم سِتَة، وَكَـانُوا أَوَّل مَنْ قُتل صَبراً مِنْ المُسْلِمين. وَحُمل الرَّجُلاَن إِلَىٰ مُـعَاوِيَة، فَأَمَّـا أَحَـدهُما فَأَظهر البَرَاءَة عَلىٰ لسَانه، وَأَمَّا الآخر فَأَبىٰ أَنْ يَتَبرأ مِنْ عَليّ، وَأَسمع مُعَاوِيَة فِي نَفْسه وَفِي عُثْمَان مَا يَكره، فَردَّه مُعَاوِيَة إِلَىٰ زيَاد، وَأَمرَه أَنْ يَقتله شرّ قَتلَه، فَدَفَنه زيَاد حيّاً[2].

---

(١) أُنظر، كتَاب علي وبنوه، الدُّكتُور طَه حُسين: فَصْل (٥١). (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أُنظر، الغَارَات: ٢ / ٨١٢، تَأْرِيخ مَدِينة دِمزشق لِابن عَسَاكر: ٨ / ٢٣ و: ٥٧ / ٨٠، جَمهَرة العَرب لِابن حَزم ٣٩٢، الإِصَابة: ٢ [illegible]، المُسْتَدرك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٣ / ٦٨[illegible].

وكَذَلِك ٱنْتَهت هَذِه المَأْسَاة المُنْكَرة الَّتي ٱستبَاح فِيهَا أَمِير مِنْ أُمرَاء المُسْلِمين أَنْ يُعَاقب النَّاس عَلىٰ مُعَارضة لاَ إِثم فِيهَا، وَٱستَحل هَذِه البِدع، وَٱستبَاح «إِمَام» مِنْ أَئِمَّة المُسْلِمين لنَفْسه أَنْ يَقضي بِالمَوت عَلىٰ نَفر مِنْ الَّذِين عَصَم الله دمَاءهم، دُون أَنْ يَراهُم، أَو يَسْمع لهُم، أَو يَأذن لهُم فِي الدّفَاع عَن أَنْفُسِهم، وَمَا أَكْثر مَا ٱرسلُوا إِلَيه أَنَّهُم عَلىٰ بَيْعتهُم لاَ يَقيلُونها وَلاَ يَسْتَقِيلُونها».

وَتَرك مَقْتل حِجر أَسوَأ الأَثر فِي النّفُوس، فمَات الرَّبيّع بن زيَاد غمَّاً حِين سَمع بِذَلك، وقِيلَ لأَبي إِسحق السَّبيعي: مَتىٰ ذُلّ النَّاس؟ قَالَ: حِين مَات الحَسَن، وَأُدعي زيَاد، وَقُتل حِجر بن عَدِيّ[1]. وقَالَ مُعَاوِيَة بن حُدَيْج[2]: أَلاَ تَرون إِنَّا نُقَاتل لقُرَيش، وَنَقتل أَنفسنَا لتُثبت مُلكهَا، وأَنَّهُم يَثبُون عَلىٰ بَني عَمّنا فَيقتلُونهُم؟! وَقَالت عَائِشَة: سَمِعتُ رَسُول الله يَقُول: سَيُقتَل بِعَذرَاء أُنَاس يَغْضب الله لهُم وأَهْل السَّماء... وَهَممت أَنْ أَثور مِنْ أَجل حِجر، وَلَكن خِفت أَنْ تَتَجدد وَقْعَة الجَمَل[3].

وقَالَ الدُّكتُور طَه حُسَين:

«كَان قَتل حِجر حَدَثاً مِنْ الأَحدَاث الكبَار، ولَمْ يَشك أَحَد مِنْ الأَخيَار الَّذِين عَاصرُوا مُعَاوِيَة فِي أَنَّه كَان صَدعاً فِي الإِسْلاَم، بَل لَمْ يَشك مُعَاوِيَة نَفْسه فِي أَنَّه

(١) أنظر، شَرْح نَهج البَلاَغة لإِبن أَبي الحَدِيد: ١٦ / ٥١، مقَاتل الطَّالبِيين: ٥٠، شَرْح الأَخبَار: ٣ / ١٣١.

(٢) هُو أَبُو نَعِيم مُعَاوِيَة بن حُدَيْج بن جَفنَة بن قَنبر، صحَابِي، شَهد صِفِّين فِي جَيش مُعَاوِيَة، تُوفي فِي مَصْر سَنَة (٥٢ هـ). أنظر، تَرجَمته فِي تَهذِيب التَّهذِيب: ١٠ / ٢٠٣، المحبر: ٢٩٥، شَذرَات الذَّهب: ١ / ٥٨، الأَعْلاَم: ١٧١.

(٣) أنظر، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٢٣١، البدَاية والنّهاية: ٨ / ١٤٣، كَنز العُمّال: ٥٨٨١٣، كتَاب الجن: ١ / ١١٩.

كَان كَذَلِك »[١].

عَمْرو بن الحَمق:

كَان عَمْرُو بن الحَمق مِنْ أَصْحَاب رَسُول الله، وَقَدْ أَسلَم قَبل الفَتْح، وكَان مُقَرباً لَدىٰ النَّبيّ، وَقَدْ دَعَا لهُ أَنْ يُمتعه الله بِشبَابه. فَبَلغ الثَّمانِين مِنْ العُمر، ولَمْ تَبيض لهُ شَعرَة وَاحدة. وَدَعا لهُ أَمِير المُؤْمِنِين بِقَوله: « أَللَّهُمَّ نَوِّر قَلْبَه بِاليَقِين، وَاْهدَه إِلَىٰ صرَاطَك المُسْتَقِيم، لَيْت فِي جُنْدِي ـ شِيعَتي ـ مِئَة مِثلُك »[٢].

وَحِين تَولىٰ زيَاد أَمَارة الكُوفَة مِنْ قِبل مُعَاوِيَة طَلب عَمرَاً، فَهَرب مِنْهُ، فَاْعْتَقل زَوّجته آمِنَة بِنْت الشَّرِيد وَسَجنهَا، ثُمَّ تَعقب عَمرَاً حَتَّىٰ ظَفَر بِهِ جَلاَوزَة زيَاد، وَقَطعوا رَأسَه، فَبَعث بِهِ زيَاد إِلَىٰ مُعَاوِيَة، وَهُو أَوَّل رَأس طِيفَ بِهِ فِي الإِسْلاَم، وكَان مِنْ حِلم مُعَاوِيَة وَرِقَّته وَكَرمه أَنْ بَعثَ بِالرَّأس إِلَىٰ زَوّجَته السَّجِينة، وَأُلقي فِي حِجرهَا، فَوَضعت كَفَّها عَلىٰ جَبْهَته، وَلَثَمت فَمه، وَقَالت غَيبتمُوه عَنِّي طَوِيلاً، ثُمَّ أَهدَيتمُوه لِي قَتِيلاً، فَأَهلاً بِهِ مِنْ هَدِيه غَير قَالِية وَلاَ مُقلية[٣].

وَبَعْد، فَهل مِنْ رَيب فِي شَبه يَزيد بِأَبِيه مُعَاوِيَة ؟ ! . . . قَطع يَزِيد رَأس الحُسَيْن

---

(١) أُنظر، كتَاب عَليّ وَبَنُوه، الدُّكتُور طَه حُسين: ٥٥.

(٢) أُنظر، وَقعَة صِفِّين: ١٠٣، شَرح نَهج البَلاَغة لاِبْن أَبِي الحَدِيد: ٣ / ١٨١، المعيَار وَالموَازنَة: ١٣٠.

(٣) أُنظر، تأرِيخ الطَّبريّ: ٥ / ٩٠ و: ٣ / ٢٢٢ طَبعَة بَيرُوت، تَأرِيخ مَدِينَة دِمَشق: ٦٩ / ٤٠، البدَاية والنِّهاية: ٨ / ٥٢، أُسد الغَابة: ٤ / ١٠١، التَّأرِيخ الصَّغِير: ١ / ١٠٥، الإِصَابة: ١ / ٢١٥٩ و: ٣ / ٢٥٩، و: ٤ / ٢٩٤ و ٢٣٦، ٥ / ٣٢٥.

وَطَاف بِهِ أَمَام نسَائه وَأَطفَاله، لِيَكُون أَوْجع لقُلوبهِنَّ، وَقَطع مُعَاوِيَة رَأس عَمْرُو، وَطَاف بِهِ، وَأهدَاه إِلَىٰ زَوّجَته السَّجِينَة، وَوَضَعه فِي حِجرها كِي لاَ يُفوّت عَلَيهَا الحَسرَة وَاللَّوعة!... وَهَكذا الشَّجرة المُرَّة لاَ تَحْمل إلاَّ مُرّاً!...

رُشَيد الهجْرِي:

كَان مِنْ تَلاَمِيذ الإمَام وَخوَاصّه، عَرَض عَلَيه زيَاد البَرَاءَة وَاللَّعن، فَأَبىٰ، فَقَطع يَدَيه، وَرِجلَيه، وَلسَانه، وَصَلْبهُ خَنقاً فِي عُنُقهِ[1].

جُوَيرِيَة بن مِسْهر العَبْدِي:

أَخَذهُ زيَاد، فَقَطع يَدَيه وَرِجلَيه، وَصَلبه عَلىٰ جِذع نَخْلة، وَغَير هَؤُلاَء كُثر لاَ يُحصىٰ عَدِيدهُم[2].

فِي السّجن:

وإِلَىٰ جَانب قَطع الرُّؤوس، وَالأَيدي، وَالأَرجُل، وَالصَّلب، وَدَفن الأَحـيَاء، فَقَد كَان سُجن مُعَاوِيَة يَغص بِالشّيعَة رِجَالاً وَنِسَاءً، وكَان مُعَاوِيَة يـزُور هـؤُلاَء السُّجنَاء يُبَرد مِن غِلتهِ، وَيُخَفف عَنْهُ أَلَم الحِقد وَاللُّؤم، وَلَكن سُجناء الشّيعَة كَانُوا

(١) أنظر، سِير أعلاَم النُّبلاء: ٤ / ٣١٠، تَذكرَة الحُفَاظ: ١ / ٨٤، مِيزَان الإِعتدَال: ٢ / ٨٠، لسَان المِيزَان: ٢ / ٤٦٠، الهدَاية الكُبرىٰ: ١٣٢.

(٢) أنظر، شَرْح الأَخبَار: ٢ / ٤٥٠، مُعجَم رِجَال الحَدِيث: ٥ / ١٥١ رَقم «٢٤٢٠»، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ٢ / ٢٩٠.

يُسْمِعُونه مَا يُزِيدَه حُرقةً وَألَماً، قَالَ المَسْعُودِي:

«حَبَس مُعَاوِيَة صَعْصَعَة بن صُوحَان، وَعَبدالله بن الكَواء، وَرِجَالاً مِنْ أَصْحَاب عَليّ مَع رِجَال مِنْ قُرَيْش، فَدَخل عَلَيهِم مُعَاوِيَة، وَقَالَ: أي الخُلفَاء رَأيتمُوني؟ فَقَال لهُ ٱبْن الكوَاء: إِنَّك وَاسع الدُّنْيا ضَيق الآخرة... تَجْعل الظُّلمَات نُوراً، وَالنُّور ظُلمَات. وقَالَ لهُ صَعْصَعَة[1]: «أَنَّىٰ يكُون الخَلِيفَة مِنْ مُلك النَّاس قَهراً، وَدَانَهُم كِبراً، وَٱستَولىٰ بِالبَاطل كَذباً وَمَكراً! أَمَا والله مَالكَ فِي يَوْم بَدْر مَضرب وَلاَ مَرمىٰ... وَكُنتَ أَنت وأَبُوك فِي العِير وَالنَّفِير مِمَّن أَجلَب عَلىٰ رَسُول الله ﷺ، وَمَا أَنْتَ إِلاَّ طَلِيق وٱبْن طَلِيق، فَأَنَّىٰ تَصلح الخِلاَفَة للطَّلِيق؟!»[2].

مُعَاوِيَة يَقْتل الأَبريَاء صَبراً، وَيُدفنهُم أَحيَاء، وَيَقطع رُؤوس الرِّجَال وَيُهديهَا إِلَىٰ نِسَائهِم المَسجُونات، وَيُشرد بِالطَّيبين، وَيَسجنهُم تَحت الأَرْض، وَيَقطع الأَيدي وَالأَرجُل، فَعل هَذَا وَأَكثَر مِنْ هَذَا بِشيعَة عَليّ بَعْد أَنْ بَايعُوه وَٱنقَادوا لهُ لاَ يَخرجُون مِنْ طَاعَة وَلاَ يُفَارقُون الجَمَاعة، ومَع ذَلِكَ قَالَ قَائل: «كَان مُعَاوِيَة رَقِيقاً حَلِيماً كَرِيماً»[3]. وَقَدْ أَجَاب الأُسْتَاذ جُورج جردَاق هَذَا القَائِل:

«كَان حِلم مُعَاوِيَة يَتَسع، حَتَّىٰ لَيَهب عَمْرُو بن العَاص مَصر وَأَهلهَا.

وَكَان يَضِيق حَتَّىٰ يَحرم النَّاس حَقَّهم فِي الحَيَاة... وإِذَا كَان هَذَا هُو الحِلم فكلّ سفَّاح حَلِيم!... والَّذي يُمعن النَّظر فِي سيَاسة مُعَاوِيَة يَهوله هَذَا المقدَار مِنْ

(١) أنظر، الإِصَابة: ١/٢١٥٩ و: ٤/٢٩٤ و٢٣٦ و: ٣/٢٥٩ و: ٥/٣٢٥، تأرِيخ الطَّبريّ: ٥/٩٠.

(٢) أنظر، مُروج الذَّهب: ٣/ ٤٩، وَمَا بَعْدها، طَبعَة ١٩٤٨م (مِنْهُ ﷺ). و: ٢/٧٨، شَيخ المُضِيرة أَبُو هُريرة لمَحمُود أَبُو رِيَّة: ١٩٧.

(٣) أنظر، شَرْح الأَخبَار: ٢/١٦٩، البدَاية وَالنِّهاية: ٨/١٣٩.

قَوىٰ الشَّر وَالْإِحتيَال الَّتي تَأَلَّف مِنْهَا أُسلُوبه فِي أَخذ النَّاس. فَالنَّهب، وَالتَّرويع، وَالتَّقتِيل مِنْ سيَاسة مُعَاوِيَة المَدرُوسة:

مِنْهَا الوَعَد والوَعِيد، ومِنْهَا الفَتك بِالأَحرَار، وَمِنْهَا أصطنَاع الخَونة، وَمِنْهَا تَمثِيل السَّماء أَرضاً، والأَرْض سَمَاء، وَمِنْهَا الإِحتيَال عَلىٰ كلّ قِيمَة إِنْسَانيَة، وَمِنْهَا مُسَاومة أَصْحَاب الضَّمائِر السُّود، وَمِنْهَا الإِستئنَاس بمَعُونة السَّفَّاحِين... وَلاَ يَكُون مُعَاوِيَة إِلاَّ كَذَلِك بِحُكم تَولده مِنْ أَبي سُفْيَان وَهِند آكلَة الأَكبَاد»[1].

مُعَاوِيَة يَخْدِم التَّشَيُّع:

أَستَدل الشِّيعَة بآيَات مِنْ القُرْآن الكَرِيم، وَبأَحَاديث مِنْ السُّنَّة، وَالنُّبوَّة، وَبأَدلة مِنْ العَقْل عَلىٰ وجُوب المَوالاَة لأَهل البَيْت، وَالإِقتدَاء بِهم، وَالتَّمسك بِحَبلِهِم، والبَرَاءَة مِنْ أَعدَائِهم، وَوَضعُوا العَدِيد مِنْ الكُتُب فِي فضَائِلِهم وَمَنَاقبِهم، وَلَكن هَذِه الكُتُب، وتِلْكَ الأَدلة لَمْ يَكُن لهَا مِنْ التَّأْثِير فِي تَثبِيت مَذْهَب التَّشيُّع وَأنتشَاره مَاكَان لِسياسَة مُعَاوِيَة وَخُلفَائه الأُمَويِين. أَنَّ مَظالم أُمَيَّة كَانَتْ خَيراً مِنْ أَلف كتَاب وكتَاب، وَأَبْلَغ مِنْ أَلف دَلِيل وَدَلِيل عَلىٰ مكَانة أَمِير المُؤْمِنِين وَحقّه الإِلهي فِي الخِلاَفَة.

أَنَّ العبَارَات الكَلاَمِيَة، وَالأَقيِسَة المَنْطِقِية، وإِنْ أَستَوفت الشُّرُوط، وَوصِفَت بِالصِّدق إِلاَّ أَنَّها لاَ تُعطي النَّتيجَة الَّتي تُعطِيها الوَقَائع وَالحَوَادِث أَنَّ الوَاقعَة تَمَاماً كَالآلة فِي المُخْتَبر لاَ تقبل نَتِيجتهَا التَّشكِيك وَالتَّأْوِيل، وَأَيَّام مُعَاوِيَة فِي الحُكم

(١) أنظر، صفحَات مِنْ كتَاب «الإِمَام عَليّ» فَصل (٤): «مُعَاوِيَة وَخُلفَاؤه». (مِنْهُ ﷺ).

كلّها وَقَائع مَادِية تُثبت أنَّ عليّاً هُو الإِمَام الحَقّ، وَقَديماً قِيلَ: وَالضّد يَظْهر حَسَنه الضّد[١]. أنَّ شهَادة مُعَاوِيَة عَلىٰ نَفْسه بِأنَّه لَمْ يُقَاتل أهْل الكُوفَة مِنْ أجْل الصَّلاَة وَالزَّكَاة وَالحَجّ، بَل مِنْ أجل التَّأمر عَلَيهِم وَالتَّحكم بِأنفسِهِم وَأموالِهِم، أنَّ هَـذِه الشَّهادة لاَ تُظهر بَجمِيع مسَاوئها إلاَّ إِذَا قُورنَت بقَول الإِمَام، قَالَ الشَّرِيف الرَّضِي نَقلاً عَن أبن عَبَّاس: «دَخَلْتُ عَلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِذِي قَارٍ ـ بَلد قُرب البَصْرَة ـ وَهُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ ـ أَي يَخرزُهَا ـ فَقَالَ لِي مَا قِيمَةُ هَذَا النَّعْلِ؟ فَقُلْتُ: لاَ قِيمَةَ لَهَا. فَقَالَ عليه السلام: وَاللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلاَّ أَنْ أُقِيمَ حَقّاً، أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً»[٢].

حَاول مُعَاوِيَة أنْ يُمحي ذِكر الإِمَام وَأولاَده مِنْ الوجُود، وأنْ يَحْمل النَّاس عَلىٰ حُبّ عُثْمَان وَالأُمَويين، وَلكنْ بِالإِضطهَاد وَالإِستبدَاد، وَالإِسَاءة إِلـىٰ النَّـاس ـ وَهَذَا مِنْ دهَائهِ وَمهَارته فِي السِّيَاسة!... فجَاءت النَّتِيجَة عَلىٰ عَكس مَـا أَرَاد، وكَان كَالبَحث عَن حَتْفه بِظُلفه، حَيْث أَصْبح اسم أُمَـيَّة رَمـزاً للـفجُور وَالظُّـلم وَالفَساد، وَالاِسم العَلوي عَلَماً للهدَاية وَالحَقّ وَالفدَاء.

قَالَ عَبدالله بن عُروَة بن الزُّبَيْر لوَلده: «يَا وَلدي عَلَيك بِالدِّين، فَإِنَّ الدُّنْيا مَا بَنَت شَيئاً إلاَّ هَدَّمهُ الدِّين، وإِذَا بَنىٰ الدِّين شَيئاً لَمْ تَسْتَطع الدُّنْيَا هَدمَه، أَلاَ تَـرىٰ عَليّ بن أَبي طَالب وَمَا يَقُول فِيهِ خُطبَاء بَني أُمَيَّة مِنْ ذَمهِ، وَعَيبه، وَغيبَته، والله لكَأنَّما يَأخذُون بنَاصِيَته إِلَىٰ السَّماء، أَلاَ تَرَاهُم كَيف يَندبُون مَوتَاهُم، وَيُـرثِيهم شُعرَاؤهُم، فوَالله كَأنَّهم يَندبُون جِيف الحُمر»[٣].

---

(١) أنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لابن أَبي الحَدِيد: ١٨ / ٧٦.

(٢) أنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطبَة (٣٣).

(٣) أنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لابن أَبي الحَدِيد: ٩ / ٦٤.

وقَالَ الدُّكتور طَه حُسين فِي كتَاب «عَليّ وَبَنُوه»:

«وَلَيْس شِيء مِنْ سيَاسَة النَّاس يُروج للآرَاء، وَيُغري النَّاس بِإِتّبَاعهُما كَالإِستبدَاد الَّذي يَعطف القُلوب عَلىٰ الَّذِين تَلم بِهم المِحَن، وَتُصب عَلَيهم الكوَارث، وَتبسط عَلَيهم يَد السُّلطَان، والَّذي يَصرف القُلوب عَن هَذَا السُّلطَان الَّذي يَدفع إِلَىٰ الظُّلم، وَيُمعن فِيهِ، وَيُرهق النَّاس فِي أَمرهِم عُسراً. لِذَلِك عَظُم أَمر الشِّيعَة فِي الأَعوَام العَشرَة الأَخِيرة مِنْ حُكم مُعَاوِيَة، وَأَنْتَشرَت دَعوتهُم أَي أَنْتشَار فِي شَرق البِلاَد الإِسْلاَمِيَّة، وَفِي جنُوب بِلاَد العَرب، وَمَات مُعَاوِيَة حِين مَات، وكَثِير مِنْ النَّاس، وَعَامَّة أَهْل العِرَاق بنَوع خَاصّ يَرون بُغض بَني أُمَيَّة، وَحُبّ أَهْل البَيْت لأَنفسهِم دِيناً»[1].

هَذَا هُو مَذْهَب التَّشيُّع بِعَينهِ: حُبّ أَهْل البَيْت وَبُغض بَني أُمَيَّة، وَهَذَا مَا عَمَل لهُ مُعَاوِيَة بِنَفْسه، وَنَشره فِي كلّ قُطر مِنْ حَيْث أَرَاد القَضَاء عَلَيه!... مَات مُعَاوِيَة، وَبَقي التَّشيُّع لِعَليّ وَأَبْنَاء عَليّ؛ وَسَيَبقىٰ إِلَىٰ أَبد الآبدِين. وَلَو جَاز الشُّكر عَلىٰ الإِسَاءة لحَمدنَا مُعَاوِيَة عَلىٰ مَا أَسدَاه لمَذهب التَّشيُّع مِنْ خَدمَات.

مَن المَسؤول عَن إِنشقَاق المُسلمِين:

وَبَعْد أَنْ قَدَّمنا أَمثلَة وَنمَاذج مِنْ سِيَاسة مُعَاوِيَة مَع شِيعَة عَليّ نَتَساءَل: مَنْ المَسؤول عَن إِنْشقَاق المُسْلِمين؟ وَمَنْ السَّبَب فِي تَقسِيمهِم إِلَىٰ شِيعَة وَسُنَّة؟ هَل الشِّيعَة أَو شيُوخ السُّنَّة، أَو الَّذي تَحَكم فِي مَصِير النَّاس، وَسَلبهُم حُرِّيتهُم،

(١) أنظر، الفِتْنَة الكُبْرَىٰ ـ ٢ ـ عليّ وبَنُوه للدّكتور، طَه حُسين: ٦٠. طَبْعَة سَنَة ١٩٦٤م.

وَاَستَحل دمَاءهُم، وَأَسَّس لِمن جَاء بَعْده مِنْ الحَاكِمِين أَسَاس الظُّلم وَالجَور عَلَىٰ أَهْل البَيْت وَشِيعتهُم؟ وَمَن الَّذي سَبق إِلَىٰ سبّ الصَّحَابَة وَشَتمهُم عَلَىٰ المَنَابر، وَجَعل لعَنهُم وَالنَّيل مِنْ كرَامتِهم سُنَّة يَربو عَلَيهَا الصَّغِير، وَيَهرم الكَبِير، وَدَفع الأَموَال وَالجوَائز للشَّتَّامِين وَاللاَّعنِين، وَقَتل وَشَرد وَزَلزل الأَرْض بِمَن اَمْتَنع عَن السَّب وَاللَّعن، مَنْ فَعل ذَلِكَ كلّه؟ هَل الشِّيعَة؟!...

وَقَالَ قَائِلٌ: مَا لنَا وَلهَذه الأَبحَاث؟ وَلِمَاذَا نَتَساءل عَن السَّبَب بَعْد أَنْ أَصْبحت عِظَام الأَولين رَمِيمة؟! فَلنَدع هَذِه السَّفَاسف، وَنَدفُن المَاضِي، وَنَتعَاون عَلَىٰ الحَاضر.

قُلنَا فِي جوَابه: أَجَل: يَجْب دَفن المَاضِي، وأَنْ نَتْحد وَنَتعَاون، وَلَكن آثَار تِلْكَ العِظَام الرَّمِيمة مَا زَالت بَاقِية فِي قُلوب الكَثِيرِين تَعْمل عَمَلهَا؛ وَتَتخذ مِنْهَا دَلِيلاً وَحُجَّة.

وَغَرِيب الغَرَائب أَنَّ بَعْض أَتبَاع تِلْكَ العِظَام الرَّمِيمَة لاَ يَدعُون إِلَىٰ الإتحَاد إِلاَّ فِي ظُرُوف خَاصَّة، حَيْث يَعُوزهُم الدَّلِيل وَالبُرهَان!... أَمَّا إِذَا وَجَدوا سَبِيلاً للثَّلب فَإِنَّهم يَتنَاسون الوحدَة وَالتَّعَاون، وإِذَا كَانَتْ هُنَاكَ غَنِيمَة اَستَأثرُوا وَاَحتَكروا. أَنَّ مَعْنَىٰ التَّعَاون أَنْ يَعْمل الإِخوَان لخَير الإِثنَين، أَمَّا إِذَا اَغتَصب أَحَدهُما حقّ الآخر، وَاَتَّخذ مِنْه أدَاة لغَايَاته فهُو لُوم وَعدَاء، لاَ تَعَاون وَإِخَاء.

لاَ جَدِيد عِنْدَ يَزِيد!!!

حَدَثَني أَيَّام دِرَاستي فِي النَّجف طَالب تُركي مِنْ أَذَرْبَايجَان، قَـالَ: إِنَّ أَبـي عَالم دِيني فِي مَدِينَة أَردَبِيل، وإِمَام لأَعظم مسَاجدهَا، وَلَهُ أَتبَاع كُثر يَثقُون بِهِ، وَيَرجعُون إِلَيه فِي أُمُور دِينهم. وَفِي ذَات يَوْم، والنَّاس جُلوس بَيْنَ يَدَيه فِي أَدَب وَخشُوع، وَأَنا مَعَهُم إِذَا ٱستَفتَاه أَحَدهُم فِي مَسْأَلَة دِينِية، فَأَجَابه أَبـي بـجوَاب إِعتَقده صوَاباً، وَكُنت أَدرُس عند أَبي فِي كتَاب «القوَانِين».

وَٱغْتَنَمتُ الفُرصَة لإِظهَار مَقدرَتي، وَقُلت لأَبي أَمَام النَّاس: أَنَّ الحَقّ بِعَكس مَا قُلت، والجَوَاب الصَّحِيح هُو كَذا. فَٱغتَاظ أَبي مِنْ هَذِهِ المُفَاجَأة، ورَآها سُوء أَدب، حَيْث أَعْلَنت خَطَأه أَمَام أَتبَاعه الَّذِين يَرونه فَوق الجَمِيع. فَٱنْتَهرني بشدَّة، وقَالَ أُسكت يَا حمَار. فَتَركتهُ وَأَسرعتُ إِلَىٰ المَكْتَبة، وَٱستَخرجتُ الجَوَاب مِنْ الكِتَاب، وَأَتَيته بِهِ، وَهُو مَا زَال فِي مكَانه مَع جمَاعَته وَٱتبَاعه، وَقُلت بمَشهدهُم قَوْل الظَّافر المُنْتَصر: الكِتَاب هُو الجَوَاب، لاَ قَولك: حمَار، وكَانَتْ هَذِه أَشَدّ مِنْ الأُولىٰ.

وَلَكن أَبي تَمَالك، وَأَخذ الكِتَاب مِني بهدُوء، وَنَظر فِيهِ، وَمَا لَبث أَنْ التَفَت إِلَىٰ

الحَاضرين، وقَالَ مُبْتَسماً: لَو أنْتصر عَليَّ غَير وَلدي لفَضلتُ الإنتحَار عَلىٰ الحيَاه. أمَّا وَإنّي مَغلُوب لوَلدي فَأنَا أَشعُر بِالغِبطَة وَالسُّرور. أنَّ الإنْسَان لاَ يُحب أنْ يُنْتَصر عَلَيه أحد أيَاًكَان إلاَّ وَلَده.

وَلَو كَان مُعَاوِيَة حَيّاً فِي السَّنوَات الثَّلاَث الَّتي حَكَم فِيهَا وَلَده يَزِيد، وَرَأىٰ مَا فَعَله فِي السَّنَة الأُولىٰ مِنْ قَتل الحُسَيْن، وَذَبح أطفَاله وَأنصَاره، وَسَبي نسَائه، وَفِي السَّنَة الثَّانِيَة مِنْ إبَاحة مَدِينَة الرَّسُول، وَانتهَاك حُرمة ألف عَذرَاء أو يَزِيد[1]، وَقَتل أحَد عَشَر ألفاً مِنْ أهلهَا بَيْنَهُم سَبعمِئَة مِنْ المُهَاجرِين وَالأنْصَار أصْحَاب النَّبيّ وَفِي السَّنَة الثَّالثَة مِنْ رَمي الكَعبَة فِي المَنْجَنِيق. لَو رَأىٰ مُعَاوِيَة هَـذِه المُخزيَات مِنْ وَلده يَزِيد لقبَّل مَا بَيْنَ عَينِيه، وقَالَ لهُ: أنْت مِنّي وَأنا مِنْك، وَكلاَنا مِنْ هِند آكلَة الأكبَاد!...

ولَمْ يَكْتفِ بمَا أحَدَثه فِي كَربلاَء المُقَدَّسة والمَدِينَة المُنَورَة، ومَكَّة المُكَرّمَة، حَتَّىٰ وَلّىٰ عُبيد الله بن زيَاد عَلىٰ الكُوفَة؛ ليُمثل الدَّور الَّذي مَثلهُ أبُوه زيَاد مَع البَقِية البَاقية مِنْ الشّيعَة، فَسَجن وَشَرَّد وَقَتل وَصَلب وَقَطع الأَيدي، وَالأرجُل، وَالصَّلب، وَدَفن الأحيَاء.

---

(١) قَتل وَلَده ـ أي مُعَاوِيَة ـ يَزِيد الإمَامَ الحُسَيْن ﷺ. قَد شَرحنا ذَلِكَ مُفصلاً فِي تَحقِيقنا لكتَاب الفُصُول المُهمَّة فِي مَعْرِفَة الأئِمَّة لابن الصَّباغ المَالكي: ٢ / ١٣١ وَمَا بَعدها.

وَضَرب الكَعْبَة بالمَنْجَنِيق. أنظر، مُروج الذَّهب: ٣ / ٧٩.

أبَاح المَدِينَة. أنظر، تَأرِيخ الخُلَفَاء: ٢٠٩.

حَاصر عَبدالمَلك مَكَّة، وهَدم الكَعْبَة، وَأطلق يَد الحَجَّاج فِي دمَاء المُسْلِمِين. وَبعَبد المَلك اقْتدىٰ أوْلاَده، وَأحفَاده، وزَادوا عَلَيْهِ أضْعَافاً مُضَاعفة. أنظر، الإمَامَة وَالسِّيَاسَة: ٢ / ٣٢، مُروج الذَّهب للمَسعُودي: ٣ / ١٧٥، العِقد الفَرِيد: ٣ / ٢١٤.

قَالَ لمِيثَم التَّمار تِلمِيذ الإِمَام وَصَاحبه: لتَبرَأنَّ مِنْ عَـلِيّ أو لأُقَـطعنَّ يَـدَيك وَرِجْلَيك وَأصلبنَّك. فَمَا كَان مِنْ مِـيثَم إلاَّ أنْ آمـتَدح عَـليّاً، وَلَـعن آبْـن زيَـاد وَالأُمَويين، فَقَطع يَدَيه، وَرجْلَيه، وَلسَانه، وَصَلبه مَيتاً[١]!...

وَأي شَيء أفظَع مِنْ الخُطة الَّتي رَسَمها لوَقعَة الطَّف، كَتَب لعَـمِيله عُـمَر بـن سَعد: «أَمَّا بَعد، فَإنِّي لَم أبْعثك إلَىٰ الحُسَيْن لتَكف عَنهُ، وَلاَ تُطَاوله، وَلاَ لُتمنِيه السَّلاَمة وَالبَقَاء، وَلاَ لتَقعُد لهُ عِندِي شَافعاً، أُنظر، فَإنْ نَزَل حُسين وأصحَابه عَلَىٰ الحُكم، وَآسْتَسلمُوا فَآبْعَث بِهم سِلمَاً، وَإنْ أبَوا فَآزْحف إلَيهم حَتَّىٰ تَقْتلهُم وَتُمثل بِهم فَإنَّهُم لذَلِكَ مُسْتحقُون، فَإنْ قُتل الحُسَيْن فَأوطيء الخَيل صَدرَه وَظَهره، فَإنَّه عَاق مُشَاق، قَاطع ظَلُوم وليْس فِي هَذَا أنْ يَضر بَعد المَوْت شَيئاً، وَلَكـن عَـليَّ قَول، لَو قَد قَتَلته فَعَلت هَذَا بِهِ؛ فَإنْ أنتَ مَضَيت لأمرنا فِيهِ جَزينَاك جزَاء السَّامع المُطِيع، وإلاَّ فَسَلم الأَمْر إلَىٰ شِمر بن ذِي الجَوش، فَقَد أمرْنَاه بِأمرنا.»[٢]...

وَكَان مِمَّا أمرَ بِهِ شِمر أنْ يَذبح أوْلاَد الحُسَيْن حَتَّىٰ الرَّضِيع، وَلاَ يُبقي مِنْ نَسْل عَليّ بَاقية وَقَدْ فَصَّلنا ذَلِكَ فِي كتَاب «المَجَالس الحُسَينِيَّة».

لَقَد كَان الشَّبه تَامَاً مِنْ جَمِيع الجِهَات بَيْنَ يَزِيد وَأَبِيه مُعَاوِيَة، وبَيْنَ عُـبيد الله وَأَبِيه زيَاد؛ لأنَّ المَبدَأ وَاحد، وَهُو الحَرب وَالعدَاء لله وَرَسُوله يُـنفذه كُـل مِـنْهُم حَسَب مَقدَرته وَمَوهبته، وَالعوَامل وَاحدة وهِي الحِقد وَاللُّؤم، وَالأشخَاص هُم أنْفُسهم لاَ تَغْيير وَلاَ تَبدِيل إلاَّ فِي الأَسمَاء وَالأَسَاليب.

كَانَتْ أيَّام يَزِيد فِي الحُكْم ثَلاَث سنِين وَثمَانية أشهُر إلاَّ ثمَاني ليَالٍ، وَعَلَىٰ

---

(١) أنظر، الغَارَات: ٢ / ٧٩٦، الإصَابة: ٦ / ٢٤٩، شَرح نَهج البَلاَغة لابن أبي الحَدِيد: ٢ / ٢٩١.

(٢) أنظر. تَأريخ الطَّبري: ٤ / ٣١٤، وَالكَامِل فِي التَّأريخ: ٣ / ٢٨٤.

كَثرة مَا مرَّ بِالتَّأرِيخ مِنْ المَظَالم المُخزيَات فَإِنَّها لَمْ تَترُك مِنْ الذّكريَات الرَّهِيبة مَا تَرَكته أَيَّام يَزِيد، فَإِنَّها وَصمَة عَار فِي تَأرِيخ المُسْلمِين، إِلَىٰ يَوْم يُبعثُون، وَهل يَنْسىٰ الدَّهر دمَاء الحُسَيْن الَّذي مَا أَنْ يزَال يَسِيل طَرِياً عَلىٰ مرّ الأَيَّام وَكرّ العصُور والَّذي هُو طَعنَة نَجلاَء فِي صَمِيم الإِسْلاَم، كَمَا قَالَ الشَّيخ العُبيدي مُفتي المُوصل، وَصَدق المُغِيرة بن شُعبة حِين أَشَار عَلىٰ مُعَاوِيَة بِأَخذ البَيْعَة لِيَزِيد[1]، صَدَق حَيْث قَالَ: «لَقَد وضِعَت رجِل مُعَاوِيَة فِي غَرز بَعِيد الغَايَة عَلىٰ أُمَّة مُحَمَّد، وَفتَقت عَلَيهم فتقاً لاَ يُرتَق أَبداً».

مُعَاوِيَة الثَّانِي:

وَقَبل أَنْ يَموت يَزِيد أَخذ البَيْعَة عَلىٰ النَّاس لوَلَده مُعَاوِيَة، وَلَكن مُعَاوِيَة اَستقَال مِنْهَا بَعْد وَفَاة أَبِيه، قَالَ أَبُو المَحَاسن: «خَطَب مُعَاوِيَة بن يَزِيد النَّاس، وَقَالَ: أَيُّها النَّاس أَنَّ جَدّي مُعَاوِيَة نَازع الأَمْر أَهْله، وَمَنْ هُو أَحقّ بِهِ لقَرَابَته مِنْ

---

(١) أُنظر، الإِمَامَة والسِّيَاسَة: ١/ ٢٠٠، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٣/ ٢٥٢، المقَاتل: ٤٣، أَنسَاب الأَشرَاف: ١/ ٤٠٤، شَرح النَّهج لإِبن أَبي الحَدِيد: ٤/ ١١ و١٧:... وَأَرَاد مُعَاوِيَة البَيْعَة لإِبنه يَزِيد، فَلَم يَكُن شَيء أَثقَل عَلَيه مِن أَمر الحَسن بن عَليّ، وَسَعد بن أَبي وقّاص فَدسّ إِليهمَا سُمّاً فمَاتا مِنْهُ.

وَسَبب ثُقل أَمر الحَسن وَسَعد عَلَيه هُو: أَنّ سَعداً كَان البَاقي مِن السّت أَهْل الشُّورَىٰ الَّذين رَشّحهم عُمر للخلاَفَة مِن بَعده، وَأَمّا الحَسن فَلَمّا جَاء فِي مُعَاهدة الصّلح بَيْنهُمَا: أَنْ يَكُون الأَمر للحَسن مِن بَعده، وَلَيس لمُعَاوِيَة أَنْ يَعْهد بِهِ إِلىٰ أَحد. أُنظر، أَبن كَثِير: ٨/ ٤١، تأرِيخ الخُلفَاء: ١٣٨، الإِصَابة الصّوَاعق المحرقَة: ٨١.

أُنظر، مروج الذّهب بهَامش الكَامل: ٢/ ٣٥٣، ٦/ ٥٥، تَهذِيب تأرِيخ دِمشق لإِبن عَسَاكر: ٤/ ٢٢٦، وَأَنسَاب المُغتَالِين مِن الأَشرَاف: ٤٤، تأرِيخ اليَعقُوبي: ٢/ ٢٢٥، أَبن شُحنة بهَامش أَبن الأَثِير: ١١/ ١٣٢.

رَسُول الله ﷺ وَهُو عَليّ بن أَبي طَالب، وَرَكب لَكُم مَا تَعْلمُون حَتَّىٰ أَتته مَنيّته، فصَار فِي قَبْرِهِ رَهَيناً بذنُوبه، وَأَسِير بخطَايَاه، ثُمَّ تَقَلد أَبي الأَمر، فكَان غير أَهْل لِذَلِك، وَرَكب هوَاه، وَأَخْلَفه الأَمل، وَقصُر بِهِ الأَجل، وَصَار فِي قَبرِهِ رَهِيناً بذنُوبه، وَأَسِيراً بُجرمِهِ.

ثُمَّ بَكىٰ مُعَاوِيَة بن يَزِيد حَتَّىٰ جرَت دمُوعه عَلىٰ خدَيه، وقَالَ: إِنَّ مِنْ أَعْظَم الأُمُور عَلَينا علمُنَا بسُوء مَصْرَعه، وَبِئس مُنْقَلَبه، وَقَدْ قَتَل عِتْرَة رَسُول الله، وَأَبَاح الحَرَم، وَحرَق الكَعبَة، وَمَا أَنا بِالمُتَقلد أُمُوركُم، وَلاَ بِالمُتحَمل تَبعَاتكُم، فَشَأنكُم أَمركُم»[1].

وَقَالت لهُ أُمّه: لَيتَك كُنتَ حَيضَة. قَالَ: يَا لَيت[2]. أَجْل أَنَّ الحَيضَة أَفضَل مِنْ الإنْتِساب إِلَىٰ يَزِيد بن مُعَاوِيَة بن أَبي سُفْيَان. وَمَات بَعْد أَيَّام قَصِيرَة، قِيلَ أَنْ الأُمَوِيين دَسّوا إِلَيه السُّم، لأَنّه عَلىٰ غَير شَاكِلَتهُم[3].

---

(١) أُنظر، كتَاب النّجُوم الزَّاهِرَة: ١ / ١٦٤ الطَّبعَة الأُولىٰ سَنَة ١٩٢٩م. (مِنْهُ ﷺ). وأُنظر، تأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٢٥٤ و ٢٤٠ طَبعَة الغَري، مُروج الذَّهب: ٣ / ٧٣، مُخْتَصر تَأرِيخ الدُّول لِابْن العِبري: ١١١، يَنَابِيع المَودَّة: ٣ / ٣٨.

(٢) هَذَا القَول مَأخُود مِن قَول السَّيِّدة عَائِشَة. أُنظر، الصَّوَاعق المُحرقَة: ٢٢٤، جوَاهر المطَالب فِي منَاقب الإمَام عَلي لِابْن الدِّمَشقي: ٢ / ٢٦٢، شَرْح الأَخبَار للقَاضِي النُّعمَان المَغربي: ٢ / ٦٩ رَقم «٤٣٠»، نَدم عَائِشَة، المُعْجَم الكَبِير: ٢٣ / ٦٧، تَفْسِير القُرطُبي: ٣ / ٨١، تَأرِيخ المَدِينَة: ١ / ٣٢١.

(٣) أُنظر، تَأرِيخ مَدِينَة دِمَشق لِابْن عَسَاكر: ٤٠ / ١٥، صَحِيح أبن حبَّان: ١٥ / ٣٩، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٦ / ١٥٢ و: ١٥ / ٢٦٣، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ٢٠٠، أَنسَاب الأَشرَاف: ٤ / ٦٢، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٤ / ١٦٩ و: ٥ / ٣٩، تَأرِيخ خَلِيفَة بن خَيَّاط: ١٩٦، الثُّقات لِابْن حبَّان: ٢ / ٣١٤، تَهذِيب الكمَال: ١٨ / ٤١٢، بِالإضَافة إِلىٰ المصَادر السَّابقَة.

بَنُو مَرْوَان

اَنْتَقَل الحُكْم مِنْ بَني سُفْيَان بَعْد هَلاَك يَزيد إِلَىٰ مَرْوَان بن الحَكَم[1]، وكَـانَتْ أَيَّامه تِسعَة أَشهُر، قَضَاها بِالمشَاكل، وَالحرُوب الدَّاخليّة مَع السُّفْيَانِيين مِنْ جِهَة وابْن الزُّبَيْر مِنْ جِهَة أُخرىٰ[2]، ولَمْ تَسْنَح الفُرصَة لإِبرَاز موَاهبه، وَتَفَننه بِالتَّعذِيب

(١) مَرْوَان بن الحَكَم الَّذي كَانَ مَحظُوراً عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أَبِيه أَنْ يَدخُلا الْمَدِينَة فِي زَمن رَسُول الله ﷺ، وزَمن أَبي بَكر، وَزَمن عُمَرَ أيضاً، إِلىٰ أَنْ آلت الْخِلاَفَة إلىٰ عُثْمان فأَدْخلَه مُعززاً مُكرماً، ثُمَّ طَلب ٱلخِلاَفَة وَطَالب فِعلاً بِالإِمَارة، وَلكن عُثْمان اتَّخذه وَزِيراً لهُ حَتَّىٰ قَالَ الإِمَام عليّ عليه السلام: «إِنَّا وَالله إِذَنْ لَنكسرنَّ رِمَاحنا وَلَنقطعنَّ سيُوفنا وَلاَ يَكُون فِي هَذَا الأَمر خَير لمَن بَعدنا». أُنظر، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة لِابن قُتَيْبَة: ١/ ٢٩، العِقد الفَرِيد: ٢/ ٢٧٢، نَقَله مُختصراً عَن ٱبن أَبي شَيبة عَن طَرِيق الأَعمش. وهُـو القَـائِل: «شَاهَت الوجُوه إِلاَّ مَن أُريد..». أُنظر، البدَاية والنّهاية: ٧/ ١٧٣، تَأرِيخ الطَّبريّ: ٥/ ١١٢.

(٢) أَنهَت نَهْضَة الإِمَام الحُسَيْن عليه السلام حُكم الفَرع السُّفيَاني مِن بَني أُميّة، كَذَلِك أَنْهَت نَهْضَة الإِمَام زَيد حُكم الفَرع الثَّانِي وَالأَخِير مِن بَني أُمَيّة، حُكم بَني مَروَان أَبن الحَكَم. هَاتَان الثَّورتَان سَتَبقيَان عَـلىٰ مَـرّ الزَّمن، بِمثَابَة الطَّلِيعة وَالقُدوة وَالهِدَاية لموَاكِب الجِهَاد حَتَّىٰ لاَ تَكُون فِتْنَة، وَيَكُون الدِّين لله....

أُنظر، البدَاية وَالنّهاية: ٨/ ٤١، تَأرِيخ الخُلَفَاء للسُّيوطي: ٦، الكَـامِل فِـي التَّأرِيـخ: ٤/ ٤٣، الأَخبَار الطِّوَال: ٢٧٤، تَأرِيخ بَغداد: ١٤/ ٣٠٥، أُسد الغَابَة: ١/ ٢٩٧، سِير أَعْلاَم النُّبلاء: ٢٢/ ٣٢٧. أُنظر، قَول أبن أَبي ٱلحدِيد: ١٨/ ٨٢، حَيْث قَالَ: أَيَّام الفِتْنَة هِي أَيَّام الخُصُومَة والـحَرْب بَـيْنَ

والتَّنْكِيل، وعَلَىٰ قُصر أَيَّامه فَقَد أنْتَهج سُنَّة مُعَاوِيَة وَيَزِيد مِنْ سبّ سَيِّد الكَونَين عَلَىٰ المَنَابر، وَإِيوَاء الجلاَّدِين أَمثَال عِبيدالله بـن زيـاد، وَالحُـصِين بـن نُـمير، وَشَرحبِيل بن ذِي الكِلاَع، آوَاهُم وَجَهزهُم لقتَال التَّوابِين[1]، وَفِيهم:

سُليمَان بن صُرد الخُزَاعي.

وَالمُسيب بن نَجية الفِزَاري.

وَعَبدالله بن سَعد بن نُفِيل الأَزدي.

وَعَبدالله بن وَائل التّمِيمي.

وَرفَاعة بن شدَّاد البَجَلي.

وغَيْرهم مِنْ رُؤوس الشِّيعَة، وَكَانُوا خَمْسَة آلاَف، وهُم أَوَّل خَلق الله نَـادىٰ بثَارَات الحُسَيْن عليه السلام، فَقَتلوهُم وَنَكلُّوا بِهِم، ولَمْ يَنج مِنْهُم إلاَّ قَلَيل[2].

وَأفضىٰ الأَمْر بَعْد مَرْوَان لوَلده عَبدالمَلك، وكَان يَحْكُم الشَّام، وَعَـبدالله بـن

← ضَالِين يَدعُون كِلاهُما إِلىٰ ضَلالة كَفِتْنَة عَبدالملك وأبن الزُّبَيْر. وفِتْنَة مَروان والضَّحاك. وفِتْنَة الحَجَّاج وأبن الأَشْعَث، ونَحو ذَلِكَ. أُنظر، دَعَـائِم الإِسْـلاَم: ١ / ٣٨٩ طَـبْعَة ١٣٨٣ هـ. طَـبقات أبـن سَـعد: ٤ / ١٤٩، فَتح البَاري: ١٣ / ٣٩، تَأْرِيخ أبن كَثِير: ٩ / ٥.

(١) أُنظر، مُروج الذَّهب: ٣ / ١٠٣. لَقِي التَّوابُون الهَزِيمة فِي مَوقعَة عَين الوَردَة عَلىٰ يَد الجَيش الأُموي بِقيَادة عُبيدالله أبن زيَاد سَنَة ٦٥ هـ. وأُنظر، البدَاية والنّهاية: ٨ / ٣٢٢، نُظم دُرر السّـمطَين: ٢١٩، المُعجم الكَبِير: ٣ / ١٢٥، مُسْنَد أَبِي يَعلىٰ: ٥ / ٥٤، مَجْمَع الزّوائـد: ٩ / ١٩٦، فِـرق الشّـيْعَة: ٢٤، تَأرِيخ أبن الأَثِير: ٤ / ٨٢ـ١٠٨، تَأرِيخ الطَّبري: ٧ / ١٤٦، الحُور العِين: ١٨٢، الأَخبَار الطّـوال: ٢٨٢، مُروج الذّهب: ٣ / ٩٨، تَأرِيخ الإِسلاَم للذَّهبي: ٢ / ٣٦٩، المُصنَّف للكوفِي: ٢ / ٥٥.

(٢) أُنظر، الصِّلة بَيْن التَّصوف وَالتَّشيُّع: ١ / ٢٢، وَتَأْرِيخ العِرَاق للـخَربُوطلي: ١٢٣، وتَأْرِيـخ العَـرَب فِيلِيب حَتِّى: ٢ / ٢٥٣، مُروج الذَّهـب: ٣ / ١٠٠، تَأرِيخ الطَّبري: ٧ / ٤٦، أبن الأَثِير فِـي الكَـامل: ٤ / ٥٨، البَلاَذري فِي أَنْسَاب الأَشْرَاف: ٥ / ٥١٠.

الزُّبَيْر يَحْكُم الحِجَاز، وَكَانا يَتنَازعَان العرَاق. وَقَام بَيْنَ الطَّرفَين حرُوب دَامِيَة، وعَلىٰ مَا بَيْنَهُما مِنْ العِدَاء وَالقتَال، فَقَد ٱتفقَا عَلىٰ التَّنْكِيل بِشِيعَة عَلِيّ، فعَبد المَلك وَوَالدَه مَرْوَان أَعَانا عُبيدالله بن زيَاد عَلىٰ قَتل التَّوابِين، وٱبْن الزُّبَيْر قَتل المُختَار وَجمَاعَته[1].

ابن الزُّبَير:

قَالَ المَسْعُودِي:

«قَتَل مُصْعَب المُختَار وَجمَاعته، وهُم سَبعَة آلاف رَجُل، كلّ هَؤلاَء طَالبُوا بِدَم الحُسَيْن، فَقَتلهُم مُصْعَب... وَأتىٰ بِنسَاء المُختَار فَدَعاهُنَّ إِلَىٰ البَرَاءَة مِنْهُ، فَفَعلن إِلاَّ ٱثنَتين قَالتَا: كَيف نَتبرأ مِنْ رَجُل يَقُول: رَبّي الله، كَان صَائِمَاً نهَاره، قَائمَاً لِيلَه، بَذَل دَمه لله وَلرَسُوله فِي قَتلة ٱبْن رَسُول الله ﷺ وَأَهْله وَشِيعَته، فَأَمْكَنه الله مِنْهُم حَتَّىٰ شَفىٰ النُّفوس... فَكَتَب مُصْعَب إِلَىٰ أَخِيه عَبدالله بِخَبرهُما، وَمَا قَالتَاه، فَكَتب إِلَيه: إِنْ هُما رَجَعتا عمَّا هُما عَلَيه، وَتَبرَأتا مِنْهُ، وإِلاَّ فَٱقْتلهُما، فَعَرضهُما مُصْعَب عَلىٰ السَّيف، فَرَجعت إِحدَاهُما، وَأَبت الأُخرىٰ، وَقَالت: كَلاَّ هَذِه شهَادة أَرزُقها، فَكَيف أَترُكها؟! إِنَّها مَوتة، ثُمَّ الجنَّة، والقدُوم عَلىٰ رَسُول الله وأَهْل بَيْتَه، والله لاَ آتي مَع ٱبْن هِند، وَأَترك عَليّ بن أَبي طَالب... أَللَّهُمَّ ٱشْهد أَنّي مُتَّبعة لنَبيك وٱبْن بِنْته وأَهْل بَيْتَه وَشِيعَته. ثُمَّ قَدَّمها مُصْعَب، فَقُتلت صَبرَاً، وَفِي ذَلِكَ يَقُول الشَّاعر[2]:

(١) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري، «ثورَة المُختَار»: ٤ / ٤٨٧ ـ ٥٧٧.

(٢) الشَّاعر هُو عُمر بن أَبي رَبيعَة، وَالمَرأتَان هُما: أُمّ ثَابت بِنْت سُمْرَة بن جُندُب الفِزَارِيَة، وَهِي الَّتي

إنَّ مِنْ أَعْجَب الأَعَاجِيب عِندِي ... قَتْل بَيضَاء حُرَّة عُطبُول
قَتَلُوها ظُلماً عَلىٰ خَير جُرمٍ ... أَنَّ لله دَرّهَا مِنْ قَتِيل
كُتِبَ القَتل وَالقِتَال عَلَينا ... وعَلىٰ الغَانيَات جرّ الذُيُول

كَان ٱبْن الزُّبَيْر العَدوّ الأَكبر للأُمويين، وَلَكن عداءهُ لَمْ يَكُن للدِّين بَل للدُّنيَا، وَمِنْ أَجلهَا ٱشتَبكا فِي معَارك دَامِيَة، قُتل فِيهَا عَشرَات الأُلوف، لَقَد ٱختَلفا وَلَكن عَلىٰ السَّلب وَالنَّهب، وَالتَّحكُم بدمَاء النَّاس وَأَموَالهُم، أَمَّا الدِّين وَالمَبدأ فوَاحد، شتَم الأُمويُون أَخا الرَّسُول عَلىٰ المَنَابر، وَشَتمه ٱبْن الزُّبَيْر كَذَلِك فَلقَد خَطَب يَوْمَاً، وَنَال مِنْ أَمِير المُؤْمِنِين، تمَامَاً كَمَا فعَل الأُمويُون، فَبَلغ ذَلِكَ مُحَمَّد بن الحَنفِية، فجَاء إِلَيه، وَهُو يَخطب، فَقَطع خُطبته، وقَالَ: يَا مَعْشر العَرب شَاهَت الوجُوه، أَيُنْتَقص عَليّ، وَأَنتُم حضُور ؟!... إِنَّ عَليَّاً كَان يَد الله عَلىٰ أَعدَائه، وَصَاعقة مِنْ أَمرِهِ أَرْسَله عَلىٰ الكَافرِين بهِ، وَالجَاحدِين لِحقّه، فَقَتلهُم بِكُفرهُم وَشَنَئوه وَأَبغضُوه...»[1].

وَبَقي ٱبْن الزُّبَيْر أَرْبَعِين يَوْمَاً لاَ يُصلي عَلىٰ النَّبيّ فِي خُطْبَته، وَلمَّا عُوتب قَالَ: أَنَّ لهُ أَهْل بَيْت سُوء، إِذَا ذَكَرته ٱشرَأَبت نفُوسهُم، وَفرحوا بِذَلك، فَلاَ أُحبّ أَنْ أُقرّ عيُونهُم»[2]. وقَالَ الإِمَام: «مَا زَالَ الزُّبَيْر رَجُلاً مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ حَتَّىٰ نَشَأَ ٱبنُهُ

⇐ رَجَعت عَن قَولهَا، وَالثَّانِية عَمرَة بِنت النُّعمَان بن بَشِير الأَنصَارية وَهِي الَّتي قُتلَت صَبراً.

أنظر، تأرِيخ الطَّبري: ٣/ ٤٩٢، الفتُوح لِابن أَعثم: ٦/ ١٩٩، الأَخبَار الطّوال: ٣١٠، تَأرِيخ دِمَشق: ٦٩/ ٢٩٥، البدَاية والنّهاية: ٨/ ٣١٨، تأرِيخ اليَعقُوبي: ٢/ ٢٦٤، المَجمُوع للنَّووي: ١٩/ ٢٧٠.

(١) أنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ٤/ ٦٢.

(٢) أنظر، مقَاتل الطَّالبيين: ٣١٥.

الْمَشْؤُومُ عَبْدُالله »[١]. وَكَان الأُمويُون يَقتلُون الرِّجَال وَالنِّسَاء عَلىٰ التَّشيُّع لأَهل البَيْت، وَهَكذَا كَان يَفْعل ابْن الزُّبَيْر.

وَصَدق الَّذي قَالَ: مَا كَان حَقِيقَة مُنذ آلآف السِّنِين مَا زَال حَقِيقَة حَتَّىٰ اليَوْم، أَنَّ حَال ابْن الزُّبَيْر والأُمَويِين بِالقيَاس إِلَىٰ الشِّيعَة تَنطَبق تَمَاماً عَلىٰ حَال الدُّول الإِسْتعمَارية فِي هَذَا العَصر حَيْث يَخْتلفُون فِيمَا بَيْنَهُم عَلىٰ بِترُول الشَّرق، وَاحتكَار الأَسوَاق، وَاستغلاَل رُؤوس الأَموَال فِي البِلاَد الَّتي تَنْتج الطَّعَام وَالذَّهب، ويَتفقُون يَداً وَاحدة عَلىٰ التَّنكِيل بِالأَحرَار، وَيُقيمُون الأَحلاَف العَسكرِية هُنا وهُنَاك ضِدّ الشُّعوب المُسْتَضعفَة الَّتي تُريد الحَيَاة بحرّية وَسَلاَم.

نَحنُ الآن فِي الشَّهر الثَّانِي مِنْ سَنَة (١٩٦١م)، وفِيهِ بِالذَات تَقف دُول الإِسْتعمَار صَفاً وَاحداً، وَجَنباً إِلَىٰ جَنْب تُدَافع عَن كَازَافوبو، وَمُوبُوتو، وَتَشُومبي وَعُملاء الإِسْتعمَار البَلجِيكي، وَتُناصر الَّذِين قَتلوا الزَّعِيم الوَطني لومُومبا رَئِيس وزرَاء الكُونغو الشَّرعِي والَّذي هَدد مصَالح الإِسْتعمَار فِي القَارَّة السَّودَاء بكَاملهَا.

وَفِي جَمِيع المَوَاقف وَالمُنَاسبَات تَقف الدُّول الإِسْتعمَارية ـ عَلىٰ مَا بيْنهَا مِنْ التَّنَاقُضات ضِدّ العنَاصر الوَطنية. وَهَكذا كَانَتْ الحَال بَيْنَ عَبدالله بن الزُّبَير والأُمَويِين يَتَخاصمُون وَيَتنَافسُون عَلىٰ الحُكْم الإِستبدَادي، ويَتفقُون ضِدّ المُؤْمِنِين الأَحرَار، وَبخَاصَّة شِيعَة عَليّ.

---

(١) أنظر، خُطب نَهج البَلاَغَة: الخُطبَة (٤٥٣). تَأرِيخ الطَّبرِيّ: ٣/ ٥١٩. الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١/ ٥٥، شَرْح نَهْج البَلاَغَة لاِبْن أَبي الحَدِيد: ٤/ ٦١. الإِسْتِيعَاب: ٣/ ٩٠٦. تَحت عَبدالله رَقم (١٥٣٥)، تَأرِيخ دِمَشْق: ١٨/ ٦٦، أَنسَاب الأَشرَاف للبَلاَذرِي: ٢٥٥.

عبدالملك:

انتهت المعركة بين عبدالملك وابن الزبير بقتل الثاني وانتصار الأول، وحاول عبدالملك أن ينهج منهجاً جديداً مع أبناء علي يخالف نهج أسلافه، فكتب إلى عامله الحجاج: «أنظر دماء بني عبدالمطلب، فاحقنها واجتنبها، فإني رأيت آل أبي سفيان لمّا ولغوا فيها لم يلبثوا إلاّ قليلاً»[1].

أوصى عبدالملك جزّاره أن يجتنب دماء بني عبد المطلب فقط لا غير، لا حبّاً بالرسول، ولا خوفاً من الله، بل خوفاً على عرشه وسلطانه بعد أن رأى بعينه العبرة في آل أبي سفيان، أمّا غير آل عبدالمطلب، أمّا من آمن بالله والرسول، أمّا شيعة أهل البيت فدماؤهم حلال ما دامت لا تضر بالملك وتثبيت الحكم. ونسي عبدالملك أنّه لا فضل لعربي على أعجمي في الإسلام، وأنّ الأنظمة الإستبدادية تحطم أهلها عاجلاً أو آجلاً، وأنّ دماء الأحرار - من قريش أو غير قريش - تغذي شجرة الحرية وبها تنمو وتثمر.

نهى عبدالملك الحجّاج عن دماء بني عبدالمطلب، وفي نفس الوقت أباح له أن يحاصر مكّة ويهدم الكعبة[2]، وسلّطه على الحجاز والعراق، وأطلق يده في

---

(١) أنظر، الصواعق المحرقة: ٢٠٠، كفاية الطالب: ٤٤٨، حلية الأولياء: ٤ / ١٣٥، أنظر، كتاب «شرح شافية أبي فراس في مناقب آل الرسول ومثالب بني العبّاس»: ٢ ورقة ١٠٤، تأريخ دمشق: ١٤٨/٣٦، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ٢ / ٤٣ - ٤٤، بحر الأنساب، ورقة ٤٢، كشف الغمّة: ٢ / ٧٦، ينابيع المودّة: ٣ / ١٠٥ - ١٠٧.

(٢) أنظر، فتح الباري: ٣ / ٤٥٥ و: ٨ / ٣٢٧، المستدرك على الصحيحين: ٣ / ٦٣٦، التمهيد لابن عبد البر: ١٦ / ١٤٣، شرح الزرقاني: ٢ / ٣٩٧ و: ٣ / ١٥٩، تهذيب الأسماء: ١ / ٢٣٧، سبل السلام: ←

التَّقتِيل، وَالتَّعذِيب فِي أَبْشع الصُّور وَأَفظعهَا.

الحَجَّاج:

كَان الحَجَّاج سَفاكاً بِطَبعِهِ، يَقْتل النَّاس حَتَّىٰ الشّيوخ وَالصِّبيَان لاَ لشَيء إلاَ حُبَّاً بِالقَتل وَإِرَاقة الدِّمَاء[1]، وكَانَتْ تُهمَة التَّشيُّع المُبَرر الوَحِيد لضَرب الأَعنَاق، وَفِي عَهْده كَان أَحبّ إِلَىٰ الرَّجل أَنْ يُقَال لهُ: زِنـدِيق، وَكَـافر مِـنْ أَنْ يُـقَال لهُ: شِيعِي!...[2]

«قَالَ الإِمَام مُحمَّد البَاقِر: قُتِلَت شِيعَتنا بِكُلّ بَلد، وَقُطعَت الأَيدي وَالأَرجُل عَلىٰ الظُّنة، وكَان مَنْ يُذكر بِحُبّنا وَالإِنْقطاع إِلينَا سُجن أَو نُهب مَاله، أَو هُـدّمت دَارَه، ثُمَّ لَمْ يَزل البَلاَء يَشْتَد، وَيزدَاد إِلَىٰ زمَنْ عُبيدالله بن زيَاد قَاتل الحُسَيْن، ثُمَّ جَاء الحَجَّاج، فَقَتلهُم كلّ قَتْله، وَأَخذهُم بِكُلّ ظَنّة وَتُهمَة حتَّىٰ أَنَّ الرَّجل ليُـقَال لهُ: زندِيق أَو كَافر أَحبّ إِلَيه مِنْ أَنْ يُقَال شِيعَة عَليّ»[3].

↩ ٤ / ٥٤. المحلىٰ: ١١ / ٩٦ و ١١٦، نَصب الرَّاية: ٣ / ٣٨٢، تَهذِيب التَّهذِيب: ٢ / ١٨٥ و ٣٣٨ و: ٥ / ١٨٨، عَون المَعبُود: ١٢ / ١٦٦، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ٤ / ٣٤٣ و: ٢٢ / ٢١٨، أَخبَار مَكَّة: ٢ / ٣٦٠، تَعجِيل المَنفَعَة: ١ / ٤٥٢.

(١) يَقُول صَاحب مُروج الذَّهب، وَصَاحب العِقد الفَرِيد فِي أَقْوَال النَّاس فِي الحَجَّاج: (أُحصي مَن قَتلهُم الحَجَّاج صَبراً سِوَاء مَن قَتل فِي حُرُوبِه فكَانوا (١٢٠) أَلفاً، وكَانَ فِي حَبْسه (٥٠) أَلف رَجلاً، و(٣٠) أَلف إمْرَأَة سِتة عَشر مِنْهُن عَارِيَات، وكَانَ يُطعم المَسَاجِين كمَا يَقُول آبن الجَوزي فِي تَأرِيخه، الخُبز مَمزُوجاً بِالرَّماد). وَجَاء فِي العِقد الفَرِيد أَيضاً عَلىٰ لِسَان عُمَرَ بن العَزِيز: (لَو جَاء النَّاس يَوْم القِيَامَة بفسَاقهم، وَجِئنا بالحَجَّاج لزدُنا عَلَيْهِمْ).

(٢) أُنظر، شَرح النَّهج لِابن أَبي الحَدِيد: ٣ / ١٥. (مِنْهُ ﷺ).

(٣) أُنظر، شَرح النَّهج لِابن أَبي الحَدِيد: ١١ / ٤٤.

أتىٰ للحجّاج برجُلين مِنْ شِيعَة عَليّ، فقَال لأحدهُما: ٱبرأ مِنْ عَليّ. فقَال لهُ: ومَاذَا فعل حتّىٰ أبرأ مِنهُ؟. قَالَ: قتلني الله إنْ لَمْ أقتُلك، فاختر لنفسك قطع يَديك أو رِجلَيك. فقَال لهُ الرَّجُل: ٱختر أنتَ لنفسك أي قتلَة تُريد أنْ أقتُلك بهَا غداً، فإنَّ الله سُبْحَانهُ سَيَجعل لِي القِصَاص مِنْكَ، فأفعَل بكَ مَا تَفعَلهُ بيَّ الآن. فقَال لهُ الحَجّاج سَاخراً: أينَ رَبُّك؟! قَالَ: هُو بِالمرصَاد لكلّ ظَالِم. فأمر بقطع يَديه وَرِجلَيه وَصَلبه، ثُمَّ التفتَ إلَىٰ الآخر، وقَالَ لهُ: مَا تقول أنتَ؟ فقَال لهُ: أنَا عَلىٰ دِين صَاحبي الَّذي قتَلته. فأمر أنْ تُضرَب عُنقه وَيُصلب[1].

قنبر مولى أمير المؤمنين:

أصْبَح للحَجّاج ذَات، فقَال لجَلاوزَته: أُحبّ أنْ أُصِيب رَجُلاً مِنْ أَصْحَاب أبي تُرَاب. فقَالوا: مَا نَعْلم أحَداً كَان أطوَل صُحبَة لهُ مِنْ مَولاهُ قَنْبَر. فبَعث فِي طَلَبه، وقَالَ لهُ: أنْتَ قَنْبَر؟. قَالَ: نَعم. قَالَ لهُ: ابرَأ مِنْ دِين عَليّ. فقَال: هَل تَدُلني عَلىٰ دِين أفضَل مِنْ دِينه؟! قَالَ: إنّي قَاتُلك، فاختر أيّة قَتْلة أحبّ إلَيك. قَالَ: أخْبَرني أمِير المُؤمِنين أنَّ مِيتَتي تَكُون ذبحاً بِغَير حقّ. فأمر بِهِ فَذُبح كَمَا تُذبح الشَّاة[2].

كميل بن زياد:

كَان كُميل مِنْ خِيَار الشّيعَة وخَاصّة أمِير المُؤمِنين[3]. طَلَبهُ الحَجّاج، فهَرب

---

(١) أنظر، أمَالي الشّيخ الصّدوق: ٣٥٩.

(٢) أنظر، الإرشَاد للشّيخ المُفيد: ١/ ٣٢٨، كَشف الغُمّة: ١/ ٢٥٤.

(٣) هُو كُمَيْل بن زِيَاد بن سُهيل بن هِيثم بن سَعد بن مَالِك بن الحَارث بن صَهبَان بن سَعد بن مَالِك ابن

مِنْهُ، فحَرم قَومَه عَطَاءهُم، فَلَمَّا رَأىٰ كُمَيل ذَلِكَ قَالَ: أَنَا شَيخ كَبير، وَقَدْ نَفَذ عُمَري، وَلاَ يَنْبَغي أَنْ أَكُون سَبَباً فِي حِرمَان قَومي، فَأسْتَسلم للحَجَّاج، وَلمَّا رَآه قَالَ لهُ: كُنتَ أُحبّ أَنْ أَجد عَلَيك سَبِيلاً. فقَال لهُ كُمَيل: لاَ تَبرق وَلاَ تَرعد، فوَالله مَا بَقي مِنْ عُمَري إلاَّ مِثْل الغُبَار، فَأقضِ، فَإِنَّ المَوعد الله عزَّوجلّ، وَبَعْد القَتل الحسَاب، ولَقَد أَخبَرني أَمِير المُؤْمِنِين أَنَّك قَاتِلي. فقَال الحَجَّاج: الحُجَّة عَلَيك

↔ النَّخع بن عَمرو بن وَعلَة بن خَالد بن مَالِك بن أدد، كَان من أَصْحَاب الإِمَام عَليّ عليه السلام وشِيعتَه خَاصَّة، شَهد صِفِّين مَع الإِمَام عَليّ عليه السلام، وكَان شَريفاً، ثِقةً، عَابِداً، مُطَاعاً، ولِدَ سَنَة (١٢هـ)، وهُو المَنْسُوب إليهِ الدُّعَاء المشهُور لَيلَة الجُمُعَة، والمَشرُوح بعدّة شرُوح، قَتَله الحَجَّاج عَلىٰ المَذْهَب فِيمن قَتل مِن الشِّيعَة سَنَة (٨٢أو ٨٣هـ)، وإنَّما نَقم مِنهُ الحَجَّاج لأنَّه طَلَب ٱلقِصَاص مِن عُثْمان بن عفَّان مِن لَطمَة لَطمهَا أيَّاه، فَلَمَّا أَمكنَه عُثْمان مِن نَفْسَه عفَا عَنْه، فقَال لهُ الحَجَّاج: أومِثلك يَسْأله مِن أَمِير المُؤْمِنِين ٱلقِصَاص؟ أنظر، البدَاية والنّهاية: ٩ / ٤٩، الفصُول الفَخرِية فِي أصول البَرِية لِجَمَال الدِّين أحمَد بن عِنَبَة: ٥٦، الإشتقَاق لِابْن دُريد: ٤٠٤، تهذِيب التَّهذِيب: ٨ / ٤٤٧، تَأرِيخ دِمشق: ٤٦ / ١٥٨٨.

وجَه إليهِ مُعَاوِيَة، سُفْيَان بن عَوْف فِي سِتة آلآف وأمرَه أنْ يَقطع هِيت، ويَأتِي الأَنْبَار والمَدَائِن فَيُوقع بِأَهلها. فَأتىٰ سُفْيَان هِيت فَلم يَجد بِها أحداً، ثُمَّ أَتىٰ الأَنْبَار، وفِيها مَسلَحة لِعَليّ تَكُون خَمسِمئة رَجُل، وقَد تفرقُوا، ولَم يَبق مِنْهُم إلا مِئتَان لأَنَّه كَان عَليهم كُمَيْل، فَبلغه أنَّ قَوماً بِقِرْقِيسِيَا يُرِيدُون الغَارة عَلىٰ هِيت فَسار إِلَيهِمْ بِغَير أَمر عَليّ عليه السلام فَأتىٰ أَصْحَاب سُفْيَان، وكُمَيْل غَائب عَنْهَا، وخَلِيفَته أَشرس بن حَسَّان البَكري، فَطَمع سُفْيَان فِي أَصْحَاب عَليّ لِقلتهُم، فقَاتَلهُم فَصَبرُوا لهُ، وَقُتل صَاحبهُم أَشرَس وثَلاثُون رَجُلاً، وأحتَملوا مَا فِي الأَنْبَار مِن أَموَال أَهلَها ورَجعُوا إِلىٰ مُعَاوِيَة، وبَلغ الخَبَر عَلِيّاً، فَغَضِب عَلىٰ كُمَيْل، وكَتَب إليهِ يُنكر عَلَيْهِ فِعله. أَنظر، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٣ / ١٨٩.

وقَبر كُمَيْل عَلىٰ يَمِين الطَّرِيق مِن الكُوفَة إِلىٰ النَّجف الأَشرَف، وكَان كُمَيْل بن زِيَاد عَامِل الإِمَام عَليّ عَلىٰ هِيت، وكَان ضَعِيفاً يَمرّ عليه سَرَايا مُعَاوِيَة تَنْهب أَطرَاف العِرَاق ولاَ يَردهَا، ويُحَاول أنْ يَجبر مَا عِنده مِن الضَّعف بِأنْ يُغِير عَلىٰ أَطرَاف أَعْمَال مُعَاوِيَة مِثل قِرْقِيسِيَا ومَا يَجري مَجرَاها مِن القُرىٰ عَلىٰ الفُرَات، فَأَنْكَر عليه السلام ذَلِكَ مِن فِعلهِ، ولذَا قَالَ لهُ إنَّ مِن: «ٱلعَجْزُ حَاضِرٌ، وَرَأْيٌ مُتَبَّرٌ...». أُنظر، شَرح ٱلنَّهج لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٧ / ١٤٩.

إِذَن. فَقَال: ذَاك إِنْ كَان القَضَاء لَكَ. قَالَ: بَلىٰ آضربُوا عُنُقه[١].

سَعِيد بن جُبَير:

كَان سَعِيد بن جُبَير مِنْ التَّابِعِين، وكَان مَعرُوفاً بِالعِفَة، وَالزُّهد، وَالعبَادة، وَعِلم التَّفسِير، وكَان يُسمَّىٰ جَهبَذ العُلمَاء، وكَان يُصلِّي خَلف الإِمَام زَين العَابدِين، فَأَخذه خَالد بن عبدالله القَسري، وَأَرسَله إِلىٰ الحَجَّاج؛ فَلَمَّا رَآه قَالَ لهُ: أَنْتَ شَقي بن كُسَير. فقَال: أُمّي أَعرَف بِآسمي مِنْك. قَالَ لهُ الحَجَّاج: مَا تَقول فِي أَبي بَكْر، وَعُمَر، هُما فِي الجَنَّة أَو فِي النَّار؟ قَالَ: لَو دَخَلت الجَنَّة لعَلمتُ مَنْ فِيهَا وَلَو دَخَلتُ النَّار، وَرَأيت أَهلهَا لعَلِمتُ مَنْ فِيهَا. قَالَ: مَا تَقول فِـي الخُـلفَاء؟ قَـالَ: لَستَ عَلَيهم بوَكِيل. قَالَ: أَيُّهم أَحبّ إِلَيك؟ قَالَ: أَرضَاهُم لله. قَالَ: فَأَيُّهم أَرضىٰ الله؟ قَالَ: عِلم ذَلِكَ رَبّي يَعْلم سرّهم وَنجواهُم. قَالَ: أَبَيت أَنْ تَصدُقني. قَالَ: بَل لَمْ أُحبّ أَنْ أَكذب».

فَأَمر الحَجَّاج بِقَتله، فَقَال سَعِيد: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٢]. فَقَال الحَجَّاج: شُدُوه إِلىٰ غَير القِبلَة. فَقَال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[٣]. فَقَال: كُبّوه عَلىٰ وَجهه. قَالَ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[٤]. ثُمَّ ضُرِبَت عُنُقه[٥].

(١) أُنظر، الإِصَابة لِابن حَجر: ٥ / ٤٨٦ تحت رَقم «٧٥١٦»، الإِرشَاد للشَّيخ المُفِيد: ١ / ٣٢٧.

(٢) ٱلْأَنعَام: ٧٩.

(٣) ٱلْبَقَرَة: ١١٥.

(٤) سُورَة طٰه: ٥٥.

قَالَ ابْن الأَثِير : « لمَّا سَقَط رَأس سَعِيد إِلَىٰ الأَرْض هَلَلَ ثَلاَثاً ، أَفْصَح بِمرَّة ، ولَمْ يُفْصح بِمَرتَين ، وَلمَّا قُتل التَبس عَقل الحَجَّاج ، وكَان يَقُول : قَيودُنا قَيودُنا ، وإِذَا نَام يَرىٰ سَعِيداً فِي منَامه آخذاً بمَجَامع ثَوبه ، ويَقُول : يَا عَدوّالله فِيمَ قَتَلتني » ؟[٦] .

وقَالَ المَسْعُودِي : «كَان عَبدالله بن هَاني مِنْ خوَاصّ الحَجَّاج ، وكَان دَمِيمَاً شَدِيد الأَدمَة ، مَجدُوراً ، فِي رَأسه نتُوء ، وكَان مَائِل الشَّدق ، أَحوَل العَينين ، قَبِيح الوَجْه ، فَزَوَّجه الحَجَّاج بقوّة السَّيف بِنْت أَسْمَاء بن خَارجة سيِّد بَني فـزَارَة ؛ وَبِنْت سَعِيد بن قَيس الهَمدَاني رَئِيس اليَمَانيَة ، فَقَال الحَجَّاج لهُ يَوْماً فِيمَا قَـالَ : زَوَّجتك بِنْت سيِّد فزَارة ، وَبِنْت سيِّد اليَمَانيَة ، وَلَست هُنَاك ، فَقَال لهُ : لاَ تَقُل ذَلِك ، فَإِنَّ لنَا منَاقب لَيْسَت لأَحد مِنْ العَرب .

قَالَ الحَجَّاج : وَمَا هِي ؟ قَالَ : مَا سُبّ عُثْمَان فِي نَادينَا قَطّ . قَـالَ الحَـجَّاج : مَنْقبة والله . قَالَ : وَشَهد منَّا مَع مُعَاوِيَة فِي صِفِّين سبعُون رَجُلاً ، وَمَا شَهد منَّا مَع أَبي تُرَاب إِلاَّ وَاحد ، وكَان اْمرَأ سَوء . قَالَ الحَجَّاج : وهَذِه مَنْقَبة والله . قَالَ : وَمَا تَزَوَّج أَحَد منَّا اْمرَأة تُحبّ أَبا تُرَاب . قَالَ الحَجَّاج : مَنْقَبة والله . قَالَ : وَمَا منَّا اْمرَأة إِلاَّ نَذَرت أَنْ قُتل الحُسَيْن أَنْ تَنْحر عَشر جَزر . قَالَ الحَجَّاج : مَنْقَبة والله . قَـالَ : وَمَا منَّا رَجُل عُرض عَلَيه شَتم أَبي تُـرَاب إِلاَّ شَـتَمه وزَاد عَـلَيه شَـتم الحَسَـن

(٥) أنظر ، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة : ٢ / ٦١ ، الفُتُوح لِابن أَعثَم : ٧ / ١٦٢ ، حليَة الأَولِيَاء : ٤ / ٢٩١ .

(٦) أُنظر ، الكَامل فِي التَّأريخ لِابن الأَثِير : ٤ / ٥٨٠ ، البـدَايـة والنِّـهاية : ٩ / ١١٤ ، تأرِيـخ الطَّـبري : ٥ / ٢٦٢ ، وَفيَّات الأَعيَان : ٢ / ٣٧٢ ، الطَّبقَات الكُبرىٰ : ٦ / ٢٦٥ ، شَرْح الأَخبَار : ٢ / ١٨٥ ، تأرِيخ أَصبهَان : ١ / ٣٢٤ .

والحُسَيْن وَأُمّهُما فَاطِمَة. قَالَ الحَجّاج: مَنْقَبة والله »[١].

وقَالَ ٱبْن الأَثِير: « لمَّا فَرغ الحَجَّاج مِنْ ٱبْن الزُّبَيْر قَدِم المَدِينَة، وَأَسَاء إِلَىٰ أَهلهَا، وَخَتم أَيدِي جَمَاعَة مِنْ الصَّحَابَة بِالرَّصَاص ٱستخفَافاً بِهم، مِنْهُم جَابر بن عَبدالله الأَنْصَاري، وَسَهل بن سَعد »[٢]. وقَالَ الطَّبري: « بَل خَتَم أَعنَاقهُم »[٣].

وَقَالَ ٱبْن الأَثِير فِي: « أَنَّ الحَجَّاج كَان يُنْزل الجُند فِي بيُوت النَّاس، وَهُو أَوَّل مَنْ فَعَل ذَلِكَ، وَأَصْبح سُنَّة مِنْ بَعْده؛ وَمَنْ سنَّ سُنَّة سَيئَة كَان عَلَيه وزرَها وَوزِر مَنْ عَمَل بِهَا »[٤].

وَقَالَ المَسْعُودِي: « تَأَمَّر الحجَّاج عَلَىٰ النَّاس عشرِين سَنَة، وَأُحصي مَنْ قَتَله صَبرَاً سِوىٰ مَنْ قُتل فِي عَسَاكره وحرُوبه، فَوجد مِئَة وَعشرُون أَلفَاً، وَمَات الحَجَّاج، وَفِي حَبْسه خَمسُون أَلف رَجُل، وَثَلاثُون أَلف ٱمرَأة، مِنهُنَّ سِتَة عَشر أَلفَاً مُجرّدة ـ عَارِية مِنْ الثِّيَاب - وَكَان يَحْبس النِّسَاء والرِّجَال فِي مَوضع وَاحد، وَلَمْ يَكُن للحَبس سِتر يَسْتر النَّاس مِنْ الشَّمس فِي الصَّيف، وَلاَ مِنْ المَطر وَالبَرد فِي الشِّتَاء، وكَان لهُ غَير ذَلِكَ مِنْ العذَاب »[٥].

وَعَن تَأرِيخ ٱبْن الجَوزي: « أَنَّ سجن الحَجَّاج كَان مُجَرّد حَائط يَحُوط السُّجنَاء، وَيَمنعهُم مِنْ الخرُوج، وَلاَ سَقف لهُ، فَإِذَا آوىٰ المَسجُونُون إِلَىٰ الجُدرَان

(١) أنظر، مُروج الذَّهب، المَسْعُودِي: ٣/١٥٢، طَبْعَة ١٩٤٨م. (مِنْهُ). الغَارَات: ٢/٨٤٢.
(٢) أنظر، الكَامل فِي التَّأرِيخ لِابْن الأَثِير: ٤/٢٦ طَبْعَة ١٣٥٧هـ. (مِنْهُ). و: ٤/٣٦٥.
(٣) أنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٧/٢٠٦.
(٤) أنظر، الكَامل فِي التَّأرِيخ لِابْن الأَثِير: ٤/٨٦، طَبعَة ١٣٥٧هـ. (مِنْهُ).
(٥) أنظر، مُروج الذَّهب، المَسْعُودِي: ٣/١٧٥، طَبْعَة ١٩٤٨م. (مِنْهُ).

يَسْتَظِلون بِهَا مِنْ حرّ الشَّمس رَمَتهُم الحَرس بِـالحجَارة، وكَـان يُـطعمهُم خُـبز الشَّعِير مَخلُوطاً بِالمِلح وَالرَّمَاد، وكَان لاَ يَلْبث الرَّجل فِي سِجنِهِ إلاَّ يَسِيراً، حَتَّىٰ يَسْوَد وَيَصِير كَأَنَّه زِنجي، وَقَدْ حَبس فِيهِ غُلام، فَجَاءت أُمّه بَعْد أَيَّام تَتَفقدَه، فَلَمَّا قَدِم إِليهَا أَنْكَرته، وَقَالت: هَذَا لَيْس وَلدي، هَذَا زِنـجي، وَحَـيثُ تَأَكـدت أَنَّـه وَلَدها، شَهقت وَمَاتَت فِي مكَانها»[1].

هَذِه أَمْثِلة يَسِيرة مِنْ مَظَالم الحَجَّاج الكَثِيرة الَّتي ذَكَرها أَهْل السِّير والتَّأْرِيخ. وَمَا رَأيتُ نَظِيراً للحَجَّاج فِيمَا قَرَأتُ وَسَمعتُ إلاَّ نيرُون ـ وَصَدَّام المُجْرِم ـ الَّذي أَحرَق رُومَا، ثُمَّ جَلَس يُقَهقه، وَهُو يَنْظر إِلَىٰ أَلسِـنة النِّـيرَان، تَأكُـل النِّسَـاء، وَالشُّيُوخ، وَالأَطفَال، لَقَد كَان الحَجَّاج عدوّ الله وَالإِنْسَانِيَّة بِصفَة عَامَّة، وَعـدوّاً لمُحَمَّد وآل بَيْتَه بِصفَة خَاصَّة، فكَانَت أَيَّامه أَشَدّ هَولاً عَـلىٰ الشِّـيعَة مِـنْ أَيَّـام مُعَاوِيَة وَيَزِيد ـ بِإسْتِثنَاء يَوْم الطَّف ـ وإِذَا عَلمنَا أَنَّ فِي عَهْد الحَجَّاج كَان يُـفضّل الرَّجل أَنْ يُقَال لهُ: أَنْت زندِيق، وَكَافر عَلىٰ أَنْ يُقَال لهُ: أَنْت شِيعِي، إِذَا عَلمنَا ذَاكَ عَرَفنا مُقدَار الفَظَائع الَّتي اَرتَكبهَا الحَجَّاج بحقّ الشِّيعَة، لاَ لشَيء إلاَّ لأَنَّهم شِيعَة.

وَقَدْ اَعترَف هُو بِهَذه الحَقِيقَة أَكثَر مِنْ مرَّة، قَالَ يَوْماً لأَهل الكُوفَة: «يَا أَهْل الكُوفَة إِنِّي أُرِيد الحَجّ، وَقَدْ اَسْتَخلفتُ عَلَيكُم وَلَدي مُحَمَّداً، وَأَوصَيته أَنْ لاَ يَقْبل مِنْ مُحْسنكُم، وَلاَ يَتَجَاوز عَن مُسِيئكُم...»[2]. وَمِنْ المَعلُوم أَنَّ أَهْل الكُوفَة كلّهُم أَو جُلّهُم شِيعَة عَليّ، وَهَكذا تَرَاكمت الأَهوَال عَلىٰ الشِّيعَة مِنْ عَهْد مُعَاوِيَة وزِيَاد اَبن أَبِيه، إِلَىٰ يَزِيد، وَعُبيدالله اَبْن زِيَاد، إِلَىٰ عَبدالمَلك، وَالحجَّاج، إِلَىٰ مَـا هُـو

(١) أُنظر، مَجْمَع البَحرين: ٤ / ٤٨٥، تَاج العَرُوس: ٢ / ٢٤٦.

(٢) أُنظر، شَرح النَّهج لِابْن أَبي الحَدِيد: ١ / ١١٤. (مِنْهُ).

أذعىٰ وَأمر، كَمَا سَنَرىٰ.

آختَار عَبدالمَلك هَذَا السَّفَّاح، ليُوطد المُلك فِي العرَاق وَالحجَاز، فَأخذ يَقْتل النَّاس بِالجُملة، وَكَأنَّهُم ذُبَاب وَحَشـرَات، حَـتَّىٰ الَّـذِين خـلدُوا إِلَـىٰ الهُـدوء وَالسُّكون، بَل حَتَّىٰ الضُّعفَاء مِنْ النِّسَاء، وَالشّيوخ، وَالأَطفَال وَمِـنْ أَجـل هَـذِه الفَظَائع وَالفَجَائع الَّتِي رُوعت الوحُـوش كَـان الحَـجَّاج مُكَـرماً وَمُـعظَماً عِـند عَبدالمَلك وَأَشرَكه فِي الحُكْم فوَلاَه فَضلاً عَن العرَاق بِـلاَد فَـارس، وَكِـرمَان، وَسِجستَان، وَخُراسَان، ثُمَّ ضَمَّ إِليهَا بِلاَد عُمان، وَاليَمن وَسَـائر البِـلاَد العَـرَبيَّة وَأَكرَمه وَحَافظ عَلَيه فِي حيَاته؛ وأَوصىٰ بِهِ أَولاَده بَعْد مَمَاته، قَالَ آبْن الأَثِـير: «لمَّا شَعر عَبدالمَلك بهَلاَكه قَالَ لأَولاَده: وَأُوصِيكُم بِتَقوىٰ الله، وَإِكرَام الحَجَّاج فَإِنَّه الَّذي وَطَّد لَكُم المَنَابر، وَدَوخ البِلاَد، وَأَذَل الأَعدَاء»[1].

يَا لسُخرِية المَنْطق!... آتقوا الله وَأَكرمُوا الحَجَّاج، وأَي فَرق بَيْنَ قَوله هَذَا، وقَوْل القَائِل: «الظلُّمة نُور، وَالبَاطِل حقّ، وَالعَدْل جَور!؟... وَهَكَذا مَنطْق كلّ حَاكِم جَائر فِي كلّ زَمَان وَمَكان، فَالعَدل وَالتَّقوىٰ أَنْ يَقْتل، وَيَسلب، وَيَسجن، وَيَصلب، وَيُجوع، وَيَنهب فِي سَبِيل عَرشه، وَتَثبِيت حُكـمه، هَـذَا هُـو مَـنْطق الطَّاغية أَنْ يَحْكُم بِأَمره، وَيَستَبد برَأيه، وَمَن عَارض قُتل آمتثَالاً لأَمر الله وَعَملاً بِتقوَاه!... قَالَ صَاحب العِقد الفَرِيد:

«خَطَب يَوْمَاً عَبدالمَلك، فَقَال: أَيُّها النَّاس إِنِّي والله مَا أَنا بِالخَلِيفَة المُسْتَضعَف ـ يُرِيد عُثْمَان ـ وَلاَ بِالخَلِيفَة المُدَاهن ـ يُرِيد مُعَاوِيَة ـ وَلاَ بِالخَلِيفَة المَأْفُون ـ يُرِيد

(١) أنظر، التّعازي وَالمرَاثي للمُبرد: ١٢٣ ـ ١٢٥ وَصِيَّة عَبدالمَلك لأَولاَده، تَأْرِيخ دِمَشق: ٦٣ / ١٧١، تَأرِيخ آبن خُلدُون: ٣ / ٥٨، الإمَامَة وَالسّيَاسَة: ٢ / ٦٨، الأَخبَار الطّوَال: ٣٢٥.

يَزِيد ـ فَمَن قَالَ بِرَأسه كَذا ـ أَي لاَ ـ قُلنَا بِسَيفنا كَذَا ـ ضُرِبَت عُنقه ـ ثُمَّ نَزَل[١].

أَخذ عَبدالمَلك هَذَا الخِطَاب «البَلِيغ» مِنْ خَطَاب يَزِيد بن المُقَنع العُـذري، حَيْث قَالَ: «إِنْ هَلَك هَذَا ـ وَأَشَار إِلَىٰ مُعَاوِيَة ـ فَهَذا ـ وَأَشار إِلَىٰ يَزِيد ـ وَمَن أَبىٰ فَهَذا ـ وَأَشَار إِلَىٰ سَيفه ـ. عَلىٰ هَذَا الأَسَاس قَام حُكـم الأُمَـويين، عَـلىٰ القـوّة وَالعُنف، وَمِنْ هُنا كَان زوَالهُم وَمَحوهُم مِنْ الوجُود[٢].

وَقَدْ أَوحَىٰ بَغي الحَجَّاج وَقَسوَته بِأَسَاطِير طَرِيفة ذَكرهَا بَعْض المُؤرخِـين، وَحَفظها كَثِير مِنْ النَّاس:

مِنْهَا: أَنَّ يُوسف الثَّقفي وَالد الحَجَّاج دَخَل عَلىٰ أُمّ الحَـجَّاج، وَأَرادهَـا إِلَـىٰ فرَاشه. فَقَالت لهُ: أَنَّ عَهْدك بِذَاك السَّاعة، أَي قَارَبتَني مُنذ قَلِيل، فَذُعر مِنْ ذَلِك، لأِنَّه لَمْ يَكُن هُو الَّذي قَارَبهَا مُنذ سَاعة، وَأَخبَر بَعْض الصَّـالحِين، قَال لهُ: أَنَّ الشَّيطان قَدْ تَصور لهَا بصُورَتك، وَقَارَبهَا، وَحَمَلت مِنْهُ، فَلاَ تَقربهَا حَـتَّىٰ تَـلد، فَأَمْتَنع عَنْها فَأَتت بِالحجَّاج.

---

(١) أنظر، العِقد الفَرِيد: ٢ / ٢٦٣، أَحْكَام القُرآن للجَصَّاص: ١ / ٨٦، تأرِيخ دِمَشق: ٣٧ / ١٣٥، البِدَاية وَالنِّهاية: ٩ / ٧٧، النِّزَاع وَالتَّخاصم: ٤١، تأرِيخ الخُلفَاء للسُّيُوطي: ٢١٨، شَرْح نَهْج البَلاَغة لِابن أَبي الحَدِيد: ٦ / ١٧ و: ١٥ / ٢٥٧.

(٢) قَد أتَّضح ذَلِكَ عِندمَا أرسل إِلَيْهِمْ فِي أخذ الْبَيْعَة لِيَزِيد وَلِياً لِلْعَهد قَام يَزِيد بن المُقَنع فَلَخص المُوقف الأُموي مِن الخِلاَفَة بِعبَارة وَجِيزَه ولكنّها بَلِيغه قَال: «أَمِير المُؤْمِنِين هَذَا، وأشَار إِلىٰ مُعَاوِيَةَ... فإِنْ هَلك فهَذا، وأَشار إِلىٰ يَزِيد...: فَمَن أَبىٰ فهَذا، وأَشَار إِلىٰ سَيْفه!... فقَال لهُ مُعَاوِيَةَ: «إِجْلس فإِنّك سَيِّد الخُطَبَاء». أنظر، العِقد الفَرِيد: ٥ / ١١٢، طَبعة سَنَة ١٩٥٣م، دَار الكُتب العِلمِية بَيرُوت. و: ٢ / ٣٠٢ ـ ٣٠٤، الكَامِل لِابن الأَثِير: ٣ / ٢١٤ ـ ٢١٦ و ٥١١، الإِمَامَة والسِّيَاسَة تَحقِيق الشِّـيري: ١ / ١٩٣، البَيَان والتَّبيين: ١ / ٣٠٠.

وَمِنْهَا: أَنَّه وُلِد بِلاَ دُبر فَثقب عَن دُبرِهِ.

وَمِنْهَا: أَنَّه أَبىٰ أَنْ يَقْبل ثَدي اْمرَأة، فَتَصور الشَّيطَان بِصُورَة رَجُل، وقَالَ لأَهْله: إذْبَحُوا جَدياً أَسوَد، وَأَولغُوه مِنْ دَمه، فَفَعلوا، وكَانَتْ الدِّمَاء أَوَّل غذَائِهِ، وَمِنْ هُنا كَان لاَ يَصْبر عَن سَفك الدِّمَاء وَإِرَاقتها، وكَان يُخبر هُو عَن نَفْسه بِأَنَّ أَعظَم لذَّة عِندَه سَفك الدِّمَاء وَاْرتكَاب أُمُور لاَ يَقدم عَلَيهَا غَيْرَه وَلاَ سَبق إِلَيها سوَاه.

وسَوَاء أكَانَتْ هَذِهِ الحِكَايَات صَحِيحَة، أَو مِنْ نَسج الخَيَال فَإِنَّها تُعَبر عَن طَبِيعَة الحَجَّاج وَشذُوذَه[1].

وبَلَغ الحَجَّاج الرَّابعَة وَالخَمسِين، وَأُصِيب بِمَرض فِي مِعدَته عَذَّبه خَمسَة عَشر يَوْمَاً أَيقَن اْثنَاءها بِالهَلاَك، وَحِين رَآه الطَّبِيب أَخَذ لحَمَاً وَعَلّقه فِي خَيط، وَسرّحَه فِي حَلق الحَجَّاج سَاعة، ثُمَّ أَخرَجه وَقَدْ لصَق بِهِ دُود كَثِير كَمَا سَلَّط الله عَلَيه مَرض الزَّمهرِير، فكَانوا يُحِيطُونه بِمَوَاقد تَشع مِنْهَا النِّيرَان، لتَدفِئَته وكَانَتْ تُدنىٰ مِنْهُ، حَتَّىٰ تَحرق جِلدَه، وَهُو لاَ يَحْس بِهَا[2]؟...

وَشَكا الحَجَّاج مَرَضه إِلَىٰ الحَسن البَصري، فَقَال لهُ: «قَدْ كُنتُ نَهَيتُك أَنْ لاَ تَتعرض للصَّالِحِين، فَلَجَجتَ. فَقَال لهُ الحَجَّاج: أَنا لاَ أَسأَلك أَنْ تَطلب لِي مِنْ الله أَنْ يُفرّج عَنّي، وَلكنّي أَسأَلك أَنْ يُعَجل فِي قَبض رُوحِي. وَلمَّا مَات سَجَد

(١) أُنظر، مُروج الذَّهب: ٣/١٢٥ و ١٦٤، الفَائق فِي غَرِيب الحَدِيث لجَار الله الزَّمَخشري: ٣/٢٦٣، تَأْرِيخ دِمَشق: ١٢/١٠٩ و: ٤٠/٢٧٥، أُسد الغَابة: ١/٤٦٥، الإِستِيعَاب: ١/٢٤٥، مَجْمَع البَحرين: ١/٤٦٠.

(٢) أُنظر، مُروج الذَّهب: ٣/١٢٥ و ١٦٤، أُسد الغَابة: ١/٤٦٥، الإِستِيعَاب: ١/٢٤٥.

الحَسن البَصْري شُكراً لله، وقَالَ: «أَللَّهُمَّ إِنَّك قَدْ أَمَتهُ فأَمت عنَّا سُنَّته»[١]. وَدُفن فِي وَاسط، ثُمَّ أُعفي قَبره، وَأُجري عَلَيه المَاء.

وَجَلس الوَليد يَتَقبل التَّعَازي فِيهِ. وَمِنْ الخَيْر أَنْ نَخْتُم الكَلاَم عَن هَذَا الطَّاغِية بِقَول عُمَر بن عَبدالعَزِيز: «لَو جَاءت كلّ أُمَّة بِخَبِيثهَا، وَجِئنَا بِالحَجَّاج لغَلبنَاهُم»[٢].

الوَليد بن عَبدالمَلك:

مَات عَبدالمَلك سَنَة ستٍ وَثَمَانِين هـ، وكَانَتْ وَلاَيَته إِحَدىٰ وَعشرِين سَنَة، وَشَهراً وَنصفاً. وَتَولىٰ بَعْده ٱبْنَه الوَلِيد[٣].

قَالَ المَسْعُودِي: «كَان الوَلِيد جَبَّاراً عَنِيداً، ظَلُوماً غَشُوماً، وكَان قَدْ أَوصَاه أَبُوه أَنْ يُكرم الحَجَّاج، وَيَلْبس جِلد نِمر. وَيَضع سَيفه عَلىٰ عَاتقه، فَمَن أَبدَىٰ ذَات نَفْسه ضَرب عُنُقه. وَنَفَّذ الوَلِيد وَصِيَّة الوَالد، فَأَطلَق يَد الحَجَّاج بِالتَّقتِيل والتَّنْكِيل، تمَامَاً كَمَا فَعل أَبُوه، وَفِي أَيَّام الوَلَيد قَتل الحَجَّاج سَعِيد بن جُبَير[٤].

---

(١) أُنظر، تَفْسِير القُرطُبي: ٩/٣٤٣، تَأرِيخ دِمَشق: ١٢/١٩٦، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ١٩/٤٧٥.

(٢) أُنظر، تأرِيخ دِمَشق: ١٢/١٨٦، تَهذِيب التَّهذِيب: ٢/١٨٥، البِدَاية وَالنِّهاية: ٦/٢٦٧، شَذرَات الذَّهب: ١/١٠٦، تَهذِيب أبن عَسَاكر: ٤/٨٣، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٤/٥٨٧.

(٣) أُنظر، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ٥/٣٣١، تأرِيخ اليَعقُوبي: ٢/٢٨٠، البِدَاية وَالنِّهاية: ٦/١٧٩، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٥/٢٨٨، تَأرِيخ خَلِيفَة بن خَياط: ٢٨٩، تَأرِيخ دِمشق: ٢٧/١١٨.

(٤) أُنظر، مُرُوج الذَّهب: ٤/٢٥٧ ـ ٢٦١، طَبعَة بَارِيس، الإِصَابَة تَحت رَقم «٩١٤٩»، أُسد الغَابَة: ٥/٩١، تأرِيخ دِمَشق: ٤٧/٢٣٣، شَرح نَهج البَلاَغة لِابن أَبي الحَدِيد: ١٧/٢٣٠، البِدَاية وَالنِّهاية:

وَرَوىٰ ٱبْن الأَثِير حكَاية تَدل عَلىٰ مكَانة الحَجَّاج عِند الوَلِيد، وَقُرب مَـنزِلَه مِنهُ، قَالَ: مَرض الوَلَيد مَرضَة أُغمي عَلَيه يَوْماً، وَظنّوا أَنَّه قَدْ مَات، وَلمَّـا بَـلَغ الخَبر إِلَىٰ الحَجَّاج شدّ فِي يَده حَبلاً إِلَىٰ أُسْطُوَانة، وقَالَ: أَللَّهُمَّ طَالمَا سَأَلتُك أَنْ تَجْعل مَنيَتي قَبل الوَلِيد. وَحِين أَفَاق الوَلِيد قَالَ: مَا أَجد أَشَدّ سرُوراً بعَافِيَتي مِنْ الحَجَّاج!..[1].

وكَان عُمَر بن عَبدالعَزِيز وَالِيَاً عَلىٰ المَدِينَة مِنْ قِبل الوَلِيد، وكَان مَلجاً لكـلّ مَظلُوم، يَأوي إِلَيه الهَاربُون مِنْ ظُلم الحَجَّاج فِي العرَاق، فَكَتب كتَاباً إِلَىٰ الوَلِيد يَشكو عَسف الحَجَّاج وَٱعْتدَاءه عَلىٰ أَهْل العرَاق، فَعَزله الوَلِيد إرضَاء للحَجَّاج، ولَمْ يَكتفِ بِذَلك، بَل طَلَب مِنْ الحَجَّاج أَنْ يُسمي مَنْ يَشَاء لتَولِية الحِجَاز، فَأَشَار عَلَيه بِالجلاَّد خَالد بن عَبدالله القَسري، فولاَه عَلىٰ مَكَّة المُكَرَّمَة[2].

قَالَ ٱبْن الأَثِير فِي حوَادث سَنَة تِسع وَثمَانِين: فِي هَذِه السُّنَّة ولّي خَالد بـن عَبدالله القَسْري مَكَّة، فَخَطب أَهلهَا، وقَالَ: «أَيُّها النَّـاس أَيُّـهُما أَعْـظم خَـلِيفَة الرَّجل عَلىٰ أَهْله ـ أَي الوَلِيد ـ أَو رَسُوله إِلَيهِم ـ أَي إِبرَاهِيم ـ؟!. والله لَمْ تَعلمُوا فَضل الخَلِيفَة... إِنَّ إِبرَاهِيم خَلِيل الرَّحـمن ٱسـتَسقَاه، فَسـقَاه مِـلحَاً أُجَـاجاً، وَٱستَقىٰ الخَلِيفَة فَسَقاه عَذبَاً فُرَاتاً ـ يَعْني بِالمِلح زَمزَم، وَبـالفُرَات بِـئر حَـفَرها

⟵ ٩ / ١١٤ و ١٥٣، الكَامل فِي التَّأريخ لِابن الأَثِير: ٤ / ٥٨٠، تأرِيخ الطَّبري: ٥ / ٢٦٢، وَفيَّات الأَعيَان: ٢ / ٣٧٢، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٦ / ٢٦٥، شَرح الأَخبَار: ٢ / ١٨٥، تأرِيخ أَصبهَان: ١ / ٣٢٤.

(١) أَنظر، تأرِيخ الطَّبري: ٥ / ٢٦٦.

(٢) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٨ / ١٦ و ٢٧٩، العِرَاق فِي العَصْر الأُموي: ١٦١، الأَخبَار الطّوَال: ٣٣٩ و ٣٤٤، العِرَاق فِي ظِلّ العَهد الأُموي: ١١٤.

الوَليد ـ وكَان خَالد يَنْقُل مَاء البِئر الَّتي حَفَرها الوَلِيد، وَيَضعهَا فِـي حَـوض إلىٰ جَنْب زَمزَم ليَعرف فَضْله عَلىٰ زَمْزَم، فغَارَت البِئر، وَذَهب مَاؤهَا»(١).

وقَالَ صَاحب الأَغَاني: «إنَّ خَالداً هَذَا كَان يُسَمي مَاء زَمزَم أُمّ الجَعلاَن، وإنَّه صَعد المَنْبَر، وقَالَ: إلىٰ كَم يَغلب بَاطلنَا حَقكُم ؟!... أمَا آنَ لرَّبكُـم أنْ يَـغْضب لَكُم... لَو أمرَني أَمِير المُؤْمِنِين نَقَضتُ الكَعبَة حَجراً حَجراً، وَنَقلتهَا إلىٰ الشَّام... وَالله لأَمِير المُؤْمِنِين أكرَم عَلىٰ الله مِنْ أَنبِيَائه»(٢). ثُمَّ قَالَ صَاحب الأَغَانِي: «كَان خَالد زِندِيقاً، وَإنَّ أُمّ خَالد كَانَت نَصرَانِيَة، وَقَد بَنىٰ لهَا كَنِيسَة، وَيُـقَال أنَّـه كَـان للنَّصارىٰ فِي عَهدِه شَيء مِن النُّفوذ مِمَّا أغْضَب المُسلِمين، فكَان يُولي النَّصارىٰ وَالمَجُوس عَلىٰ المُسْلِمين، وَيَأمرهُم بإمتهَانِهم وَضَربِهم، وَقَدْ أَبَاح للنَّصارىٰ أَنْ يَشتَروا الجوَاري المُسْلمَات وَيَنكحُوهنَّ»(٣).

وَقَالَ المُسْتَشرق الأَلمَاني فُلهَوزن: «أَنَّ خَالداً حِين أَصبَح وَالياً بِالكُوفة بَنىٰ لأُمّه كَنِيسة فِي ظَهْر قِبلَة المَسْجد»(٤).

وَحُكِيت عَنْهُ فضَائح تَقْشَعر مِنْهَا الأَبدَان، وَكَان فِي حدَاثَته يَتَخَنث، وَيَسعىٰ بَيْنَ الشَّباب وَالنِّسَاء، وأنَّه نَال مِنْ كرَامة الكَعْبة، والنَّبيّ، وأَهْل بَيْتَه، والقُـرآن، وقَالَ: «لاَ يُوجد رَجُل عَاقِل يَحفظ القُرْآن عَن ظَهر قَلب». ثُمَّ قَالَ فُلهَوزن: وإنَّه

(١) أنظر، الكَامل فَي التَّأرِيخ لِابن الأَثِير: ٤/ ٢٠٥ و ٥٣٦، البِدَايـة وَالنِّـهاية: ٩/ ٩٢ و: ١٩/ ١٣١، العِقد الفَرِيد: ٣/ ٣٥٤ و: ٥/ ٥١، تَهذِيب تَأرِيخ أبن عَسَاكر: ٤/ ٧٢، تَأرِيخ الطَّبري: ٥/ ٦٧.
(٢) أنظر، الأَغَاني لأَبِي الفَرج الإِصفهَاني: ١٩/ ٥٩. (مِنْهُ ﷺ). تَهْذِيب تَأرِيخ أبن عَسَاكر: ٥/ ٨٢.
(٣) أنظر، الأَغَاني لأَبِي الفَرج الإِصفهَاني: ١٩/ ٥٩. (مِنْهُ ﷺ).
(٤) أنظر، تَأرِيخ الدَّولَة العَرَبِيَّة وَسقُوطها لهَاوزن: ٣١٩. (مِنْهُ ﷺ).

زَنديق كَافر فَاسق[1].

وَمَا كَان الأُمويُون يَركنُون إلىٰ أَحَد، أَو يُولون أَحداً إلاَّ إذَا كَان كَافراً عَلىٰ شَاكلتِهم، يُفَضلهُم عَلىٰ مُحَمَّد وجَمِيع الأَنبيَاء وَالمُرسَلِين.

وَبالتَالي، فَلاَ شَيء أَصدَق فِي الدَّلاَلة عَلىٰ طُغيَان الوَلِيد مِنْ اَعتمَاده عَلىٰ الحَجَّاج، وَإقرَاره عَلىٰ مَا كَان عَلَيه أَيَّام أَبِيه عَبدالمَلك، سَأَل سُليمَان بن عَبدالملك يَزِيد بن مُسْلم عَن الحَجَّاج، وَحَاله يَوْم القِيَام. فَقَال لهُ: «يَأتي غَداً عَن يَمِين أَبِيك عَبدالمَلك، وَيَسار أَخِيكَ الوَلِيد، فَاَجْعَله حَيْث شِئت»[2].

سليمان بن عبدالملك:

مَات الوَلِيد سَنَة سِت وَتِسعِين، وكَانَتْ أَيَّامه تِسع سِنِين وَشَهراً، وَقَام مَكَانه أَخُوه سُليمَان، وكَان رَجُل طعَام وَنِكَاح، قَالَ المَسْعُودِي:

«كَان سُليمَان صَاحب أَكل كَثِير يَجوز المُقدَار... يَأكل فِي كلّ يَوْم مِئَة رَطل بِالعرَاق، وكَان رِبَّما أَتَاه الطَّباخُون بِالسَّفَافِيد ـ حَدِيد يُشوىٰ عَلَيه اللَّحم (الشَّوَاء المُضطَهر) ـ الَّتي فِيهَا الدَّجَاج المَشوِية، فَيَلتَهمها، وكَان يَقبض عَلىٰ الدَّجَاجَة بِكُمه، وهِي حَارَّة فَيَفصلها!... وَخَرج يَوْمَاً مِنْ الحمَام، فَاَسْتَعجل الطَّعَام فَقُدم لهُ عُشرُون خَرُوفاً، فَأَكل أَجوَافها كلّها مَع أَرْبَعِين رقَاقة، ثُمَّ قرَّب بَعْد ذَلِكَ الطَّعَام، فَأَكل مَع نُدمَائه، كَأَنَّه لَمْ يَأكل شَيْئاً!... وَكَان يَتَّخذ سِلال الحَلوىٰ، وَيَجعلهَا

(١) أنظر، تَأرِيخ الدَّولَة العَرَبيَّة وَسقُوطها لِهَاوزن: ٣٢٠.

(٢) أُنظر، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٢٩٥، تَأرِيخ مَدِينَة دِمَشق لِاَبن عَسَاكر: ٦٥ / ٣٩١.

حَول مَرقَدْه؛ فَإِذَا أَفَاق مِنْ نَومه يَمد يَدَه، فَلاَ تَقع إِلاَّ عَلىٰ سَلَّة يَأكل مِنْهَا »[١].

وَبَقي سُليمَان فِي الحُكْم سَنتِين وَأشهراً، وَلَو أمتَدت بِهِ الحَيَاة لفَعل مِثْل مَا فَعلوا... ومَع ذَلِكَ فَقَد أَقرَّ وِلاَيَة خَالد بن عَبدالله القَسري خَلِيفَة الحَجَّاج فِي القَسوَة وَالبَغي[٢].

قَالَ صَاحب العِقد الفَريد: صَعَد خَالد المِنْبر يَوْم الجمُعَة، وَهُو وَالي مَكَّة فِي عَهْد سُليمَان، فَذزكر الحَجَّاج وَأثنىٰ عَلَيه »[٣].

وَقَتل سُليمَان الفَاتح العَربي الكَبِير مُوسىٰ بن نُصير الَّذي فَتح بلاَد المَغرب كلّها وَالأُندلس، اسبَانيا وَالبُرتغال اليَوْم، قَتَله لأِنَّه أَعطىٰ الغَنَائم للوَليد، ولَمْ يُؤخرها إِلَىٰ أَنْ يَتَولىٰ سُليمَان الحُكْم[٤]، وَقَتل قُتَيْبَة بن مُسْلم الَّذي أمتَدت فتُوحَاته مِنْ بِلاَد فَارس إِلَىٰ الصِّين، وَسَبب قَتله أنَّه وَافق الوَلِيد عَلىٰ خَلع سُليمَان مِنْ وِلاَيَة العَهْد[٥].

وَبالجُملة أَنَّ سُليمَان لاَ يَختَلف فِي شَيء عَمَّن تَقَدمه مِنْ حُكَام أُمَيَّة، غَير أَنَّ الظُّروف لَمْ تُمهلَه، حَتَّىٰ يَفْعل أَكثَر مِمَّا فَعل، وَيَدل عَلىٰ ذَلِكَ أَنَّ مُعَاوِيَة بن أَبي سُفْيَان ذُكر فِي مَجْلسه فَصلَّىٰ عَلىٰ رُوحه، وَأَروَاح مَنْ سَلف مِنْ آبَائه، وَقَالَ:

---

(١) أنظر، مُروج الذَّهب: ٣ / ٢١٤، أبن خِلكَان: ٢ / ٤٢٢، العِقد الفَرِيد: ٢ / ٢٧٧، البِدَايـة وَالنّـهايَة: ٩ / ٢٠٥.

(٢) أنظر، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ٥ / ١١٣.

(٣) أُنظر، العِقد الفَريد: ٤ / ١٩١ طَبعَة ١٩٥٣ م. (مِنْهُ ﷺ).

(٤) أُنظر، وَفيَات الأَعيَان: ٥ / ٣١٨، تَأرِيخ عُلمَاء الأُندلس: ٢ / ١٨، سِير أَعـلاَم النُّـبلاَء: ٤ / ٤٩٦، شَذرَات الذَّهب: ١ / ١١٢.

(٥) أُنظر، شَرْح نَهج البَلاَغة لِابن أَبي الحَدِيد: ٣ / ٢٧١، تَأرِيخ خَلِيفَة: ٢٣٢، تَأرِيخ بَغدَاد: ٩ / ٧٦.

وَالله مَا رُئي مِثْل مُعَاوِيَة!... تَرَحم سُليمَان عَلىٰ مُعَاوِيَة، وَصلَّىٰ عَلىٰ رُوحه[1]، لإنَّه لَمْ يَر أَحَداً أَقدَر مِنْهُ عَلىٰ المَكر وَالخيَانة، وَلاَ أجرأ عَلىٰ العَسف وَالظُّلم، هَذِه هِي الرُّوح الحَقِيقِية للأُموِيين لاَ يُعجبها شَيء إلاَّ الخدَاع وَالبُهتان، وَالجَور وَالطُّغيَان.

عُمَر بن عَبدالعَزِيز:

قَالَ المَسْعُودِي: اَستُخلف عُمَر بن عَبدالعَزِيز يَوْم الجمُعة لعَشر بَقينَّ مِنْ صَفر سَنَة تِسع وَتِسعِين، وَهُو اليَوْم الَّذي مَات فِيهِ سُليمَان، وَتُوفِي بِدَير سَمعَان مِنْ أَعمَال حِمْص يَوْم الجمُعَة لخَمس بَقينَّ مِنْ رَجَب سَنَة إِحَدىٰ وَمِئَة، فَكَانت خِلاَفته سَنتَين وَخَمسَة أَشهُر، وَخَمسَة أَيَّام، وكَان لهُ مِنْ العُمر تِسع وَثَلاثُون سَنَة، وَقَبره مَشهُور بِدَير سَمعَان ـ أَحد أَكَابر النَّصارىٰ، يَقولُون أَنَّه شَمعُون الصَّفا ـ، وَهُو مُعَظَّم يَغشَاه كَثِير مِنْ النَّاس مِنْ الحَاضِرَة وَالبَادية، ولَمْ يَتَعرض لنَبشه فِيمَا سَلف مِنْ الزَّمَان، كَمَا تَعَرض لقبُور غَيْرَه مِنْ بَني أُمَيَّة[2].

وَلاَ عَجَب أَنْ يَعلَن النَّاس بَني أُمَيَّة، وَيَنبشُوا قبُورهُم، وَيَحرقُوا أَجسَامهُم بَعْد المَوت، وَيَترحمُوا عَلىٰ عُمَر بن عَبدالعَزِيز، وَيُعظمُوه، وَيَزورُوا قَبْرَه، وَيَتبركُوا

---

(١) هَذَا لَيس بِغَرِيب عَلىٰ سُليمَان بن عَبدالمَلك، لأَنَّ أَسلاَفه قَد تَرحمُوا عَلىٰ مُعَاوِية وَأَسلاَفه، كمَا فِي الفَصل فِي الأَهوَاء وَالمِلل وَالنّحل: ٤ / ٨٩ و ١٦١، السُّنن الكُبرىٰ للبَيهقي: ٨ / ٣٢٠، وَكتَاب الجِهَاد لعَبدالله بن المُبَارك: ١٧٦، وَالطَّبرَاني فِي المُعجَم الكَبِير: ١ / ٢٣٨، وَغَيرهُم كَثِير وَكَثِير.

(٢) أُنظر، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٥ / ٣٣٠، التَّأرِيخ الكَبِير، البُخَاري: ٦ / ١٧٤ (٢٠٧٩)، مَشَاهِير عُلمَاء الأَمصَار لِابن حبَّان: ٢٨٤ (١٤١١)، الثُّقَات لِابن حبَّان: ٢ / ٣١٨، تَأرِيخ دِمَشق: ٤٥ / ١٢٨، تَقرِيب التَّهذِيب: ١ / ٧٣٢.

بتُرَابه. فَإِنَّهم إِذْ يَفعلُون ذَلِكَ يُجَازون كُلاًّ بأَعمَاله[1].

أَشرنَا فِيما سَبق أَنَّ مُعَاوِيَة بن أَبي سُفْيَان، لعَن عَليَّاً عَلىٰ المِنْبر، وَأَمر النَّاس بِلَعنِه، والبَرَاءَة مِنْهُ، وَقَدْ صَار ذَلِكَ سُنَّة فِي أَيَّام بَني أُمَيَّة، فَأَعلَن السَّب يَـزِيد، ومَرْوَان، وَعَبدالمَلك، وَالوَلِيد، وَمِنْ الطَّرِيف أَنَّ الوَلِيد، ذَكَر عَليَّاً، فَقَال لعَنَه الله بِالجرِ، كَان لصّ ٱبْن لصّ[2] ـ وَالعِيَاذ بِالله ـ، فَعَجب النَّاس مِنْ لحْنه فِيمَا لاَ يُلحن فِيهِ أَحَد، وَمِنْ نِسبَته الإِمَام إِلَىٰ اللُّصُوصيَة وَقَالُوا: مَا نَدري أَيَّهُما أَعْـجَب؟!..

وَكَان خَالد بن عَبدالله القَسري أَحَد عُملاَء الأُمَويين يَقُول عَلىٰ المِنْبَر وَفِي مَكَّة المُكَرَّمَة: أَللَّهُمَّ أَلعَن[3] ـ وَالعِيَاذ بِالله ـ عَليّ بن أَبي طَالب بن عَبدالمُـطلب بـن هَاشم صِهر رَسُول الله عَلىٰ ٱبْنَته، وَأَبا الحَسن والحُسَيْن، ثُمَّ يُقبل عَلىٰ النَّـاس، ويَقُول: هَل كَنيت؟! ثُمَّ يَتبع سبّ عَليّ بِسَبّ الحَسن والحُسَيْن. فَـقَال عُـبيدالله السَّهمي يَهجُوه[4]:

---

(١) أُنظر، مُروج الذَّهب: ٣/ ٢٧١، التَّأْريخ العبَّاسيّ وَالفَاطميّ الدُّكتور أَحمَد مُختَار العبَاديّ: ٤٣، دَار النَّهضَة العَرَبيَّة بيرُوت، تأرِيخ الخُلفَاء: ٢٥٩.

وَكَان يُقَال لِعُمر بن عَبدالعَزِيز بن مَروان: السَّعِيد ٱبن الشَّقيّ، وَذَلِكَ أَنَّ عَبدالعَزيز بن مَروان مَلَك ضِيَاعاً كَثِيرَة بِمصر، وَالشَّام، وَالعرَاق، وَالمَدِينة مِن غَيْر طَاعة الله، بَل بِسُلطَان أَخِـيه عَـبدالمـلك، وَبِولاَية عَبدالعَزِيز نَفْسه بِمصر وَغَيْرها، ثُمَّ تَركها لإِبنه عُمر، فَكَان يُنْفِقُها فِي طَاعة الله سُبْحَانه وَتَعَالىٰ، وَفِي وجُوه البِّر وَالقُربات، إِلىٰ أَنْ أَفضَت الخِلاَفَةُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا أَفضَت إِلَيْهِ أَخرَج سِجِلاَّت عَبدالملك بِها لِعَبدالعَزِيز فَمزَّقها بمَحضَر مِن النَّاس، وَقَال: هَذِه كُتِبتْ مِن غَيْر أَصل شَرعيّ، وَقَد أَعدتُها إِلىٰ بَـيْت المَال. أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ٢٠ / ٧٤.

(٢) أُنظر، الغَارَات: ٢ / ٨٤٣، شَرح نَهج البَلاَغة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٤ /٥٨.

(٣) أُنظر، شَرح نَهج البَلاَغة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٤ /٥٧، الكَامل فِي التَّأْرِيخ: ٤١٤ طَبعَة أُوربا.

(٤) أُنظر، ٱبْن أَبي الحَدِيد: ٣/ ٤٧٦، و: ١ /٣٦٦. (مِنْهُ ﷺ). وأُنظر، تَأرِيخ دِمَشق: ١٩ /٤٦٧، شَرح

لَــعَن الله مَــنْ يَسبّ عَــليّاً | وَحُســيناً مِنْ سَوقةٍ وَإمَـام
أَيُسَبّ المُــطَهّرُون جُــدُوداً | وَالكــرَام الآبَــاء وَالأعــمَام
وَيَأمَــن الطَّــير وَالحَــمَام وَلاَ | يَأمَن آل الرَّسُول عِند المُـقَام!
طِبتَ بَيْتاً وَطَاب أَهــلُك أَهــلاً | أَهْــل بَـيْت النَّـبيّ وَالإسْـلاَم!
رَحْــمَة الله وَالسَّــلام عَــلَيهم | كُــلّما قَــام قَــائِم بِسَــلاَم!

وَبَقيت هَذِه السُّنَّة المَلعُونة إلَىٰ أَنْ قَام عُمَر بن عَبدالعَزِيز فَأَزَالهَا وَمَنع عَـنْهَا، أَمَّا السَّبَب لِذَلِك فَيُحدثنا عَنْهُ عُمَر نَفْسه، قَالَ: «وَكُنت أَقْرَأْ القُرآن عَلَىٰ بَـعْض وُلد عُتْبَة بن مَسعُود، فَمرَّ بِي يَوْماً، وَأَنا أَلعَب مَع الصّبيَان، وَنَحنُ نَـلعن عَـليّاً ـ وَالعِيَاذ بِالله ـ، فَكَره ذَلِكَ، وَدَخل المَسْجِد، فَـتَركتُ الصّـبيَان، وَجِـئتُ إلَـيه، لأدرُس عَلَيه، فَلَمَّا رَآني قَام فَصلَّىٰ، وَأَطَال فِي الصَّلاَة شُبه المُعرض عَنّي، حَتَّىٰ أَحسَستُ مِنْهُ ذَلِكَ، فَلَمَّا انْفَتل مِنْ صلاَته كَلَح فِي وَجْـهي، فَـقُلتُ لهُ: مَـا بَـال الشَّيخ؟ فَقَال: أَنتَ اللاَّعن عَليّاً مُنذ اليَوْم؟! قُلتُ: نعم... قَالَ: مَتىٰ عَلِمت أَنَّ الله سَخَط عَلَىٰ أَهْل بَدْر، وَبَيعَة الرُّضوان بَعْد أَنْ رَضي عَنْهُم؟! فَقُلت: هَل كَان عَليّ مِنْ أَهْل بَدْر؟ قَالَ: وَيْحك، وَهَل كَانَتْ بَدْر كلّها إلاَّ لهُ؟! فَقلتُ: لاَ أَعود. فَقَال: تُعطِيني عَهْد الله أَنَّك لاَ تَعود. قُلتُ: نَعْم، فَلَم أَلعنَه بَعْدها»[1].

↩ نَهج البَلاَغة لِابْن أَبي الحَدِيد: ١٥ / ٢٥٦، مناَقب آل أَبي طَالب: ٢ / ٥٤ وَلَكن يَنسبهَا إلَىٰ كُثَير عَزَّة، البَيَان وَالتَّبيين: ٣ / ٢٠٣ و ٣٥٩، مُعْجم المرزبَاني: ٣٤٨، كتَاب الحَيوَان للجَاحظ: ٣ / ١٩٤.

(١) أُنظر، سِيرَة عُمر بن عَبدالعَزِيز لِابْن الجَـوزي: ١٣ ـ ١٤، سِـير أَعـلاَم النُّـبلاء: ٥ / ١١٦، تَأرِيـخ الإسلاَم (١٨٨)، البِدَاية وَالنّهَاية: ٩ / ٢١٨، شَرح نَهج البَلاَغة لِابْن أَبـي الحَـدِيد: ٤ / ٥٩، تَأرِيـخ دِمَشق: ٤٥ / ١٣٦، المَعرفَة وَالتَّأرِيخ: ١ / ٥٦٨.

وقَالَ عُمَر بن عَبدالعَزِيز : ثُمَّ كُنتُ أَحضَر تَحتَ مِنْبر المَدِينَة ، وأَبي يَخْطُب يَوْم الجمُعَة ، فَكنتُ أَرَاه يَهدر فِي خُطْبَته ، حَتَّىٰ يَأتي إِلَىٰ لعَن عَليّ ـ وَالعِيَاذ بِالله ـ فَيُجَمجم ، وَيَتَلعثَم ، وَيُفَهفه ، وَيُحصر ، فَكنتُ أَعجَب مِنْ ذَلِكَ ، فَقُلت لهُ يَوْماً : أَنتَ أَخطَب النَّاس وَأَفْصحهُم ، وَلكنَّك إِذَا مَرَرت بِلَعن هَذَا الرَّجل صُرت أَلْكَن عَيِياً . فَقَال لِي : أَفطنتَ لِذَلِك ؟ قُلتُ : نَعم . قَالَ يَا بُني لَو عَلِم أَهْل الشَّام وغَيْرِهم مِنْ فَضل عَليّ مَا نَعْلمه لَمْ يَتبعنَا مِنْهُم وَاحد ، وَتَفرقُوا عنَّا إِلَىٰ أَوْلاَد عَليّ . فَبَقِيت كَلِمتهُ فِي صَدري مَع مَا كَان قَاله مُعَلمي أَيَّام صُغري ، فَأَعطيتُ الله عَهْداً ، لإِنْ كَان لِي هَذَا الأَمْر لأُغيّرَنه[1] .

وَفَّىٰ عُمَر بِعَهده ، فَأَسقَط اللَّعن ، وَجَعل مكَانه : ﴿إِنَّ ٱللَّـهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2] . وَكَتب بِذَلك إِلىٰ الآفَاق ، فَصَار سُنَّة ، فَحلَّ هَذَا الفِعْل عِند النَّاس مَحلاً حَسَناً ، وَأَكثرُوا مَدح ٱبْن عَبدالعَزِيز بِسَببه[3] .

نَشَأ عُمَر فِي بَيْت أُموي ، يُبغض عَليّاً ، وَيُعلن سَبّه عَلىٰ المَنَابر ، وكَان أُستَاذه ، وَهُو عُبيدالله بن عَبد بن عُتبَة بن مَسعُود[4] مُؤمِناً يَكتُم إِيمَانه بِاللهِ وَرَسُوله وأَهْل

(١) أنظر ، شَرح نَهج البَلاَغَة لاِبْن أَبي الحَدِيد : ٤ / ٥٩ و : ١٣ / ٢٢١ .

(٢) النَّحْل : ٩٠ .

(٣) أنظر ، ٱبْن الأَثِير حوَادث سَنَة تَسع وَستِين ، وٱبْن أَبي الحَدِيد : ١ / ٣٥٦ . (مِنْهُ ﷺ) .

(٤) هُو أَبُو عَبدالله الهُذلي المَدني ، مِن أَعلاَم التَّابعِين ، وَأَحد فُقهَاء السَّبعَة بِالمَدِينَة ، لَقي خَلقاً كَثِيراً مِن الصَّحَابة ، رَوىٰ عَن ٱبن عبَّاس ، وَأَبي هُرِيرَة ، وَعَائِشَة ، وَسَهل بن حُنَيف ، وَعَنْهُ أَبُو الزِّنَاد ، وَالزُّهري وَغَيرهم ، تُوفّي بِالمَدِينَة سَنَة ٩٨ هـ ، أنظر ، وَفيَّات الأَعيَان : ٣ / ١١٥ ، الطَّبقَات الكُبرىٰ : ٥ / ٢٥٠ ، سِير أَعلاَم النُّبلاء : ٤ / ٤٧٥ ، تَهذِيب التَّهذِيب : ٧ / ٢٣ ، شَذرَات الذَّهب : ١ / ١١٤ .

بَيْته خوفاً عَلىٰ حيَاته، وَقَدْ ٱغتنم الفُرصة، وَأَبَان لِتلمِيذه مزكَانه عَلِيّ عِند الله والرَّسُول، ثُمَّ رَأىٰ عُمَر، مِنْ فهَاهة أَبيهِ عِند ذِكر عَليّ مَا أَكد قَوْل أُستَاذه، وَصَارحه أَبُوه بِالحقّ، ولَمْ يُخفف عَنْهُ شَيئاً. فَشَعر عُمَر مِنْ سَاعتِهِ أَنَّ الإِمَام مُحقّ، وَالأُمويين عَلىٰ ظَلاَلة. فَٱستجَاب ضَمِيره لندَاء الحَقّ، وَعَاهد الله عَلىٰ العَمَل بِهِ، وَوَفىٰ بِعَهده، وكلّ عَمَل يَبدأ أَوَّل مَا يَبدأ بِالشّعور وَالإِحسَاس، ثُمَّ يَنضُج وَيَنمو، حَتَّىٰ إِذَا سَنَحت الفُرصَة، وَتَهيأ الظَّرف تَجَسم الشُّعور عَمَلاً مَلمُوساً.

وَالفضل الأَوَّل فِي هدَاية ٱبْن عَبدالعَزِيز يَعود إِلَىٰ أُستَاذه، حَيْث أَنَار لهُ الطَّريق، وَأَرشَده إِلَىٰ الحَقّ. وقِيلَ: أَنَّ مُعَاوِيَة بن يَزِيد ٱعتَزل الحُكْم، وَخَطأ جَدَّه وَأَبَاه؛ لأَنَّه تَتَلمذ عَلىٰ أُستَاذ يَكتُم إِيمَانه وَموَالاَته لأَهل البَيْت، وأَنَّ الأُمَويين دَفَنوا هَذَا الأُسْتَاذ حيَّاً بَعْد أَنْ تَبَين لهُم أَمرَه بِإِعتزَال مُعَاوِيَة، وَخُطبَته، وَثنَائه عَلىٰ عَليّ وَعترَته.

وَردَّ عُمَر بن عَبدالعَزِيز فَدزكاً عَلىٰ أَولاَد فَاطِمَة، وَسَلَّمها إِلَىٰ الإِمَام مُحَمَّد البَاقر عليه السلام، فَٱجْتَمع عِندَه قُرَيْش وَمَشايخ السُّوء مِنْ أَهْل الشَّام، وَقَالُوا: لَقَد طَعَنت بِفعلكَ هَذَا عَلىٰ أَبي بَكْر، وَعُمَر اللَّذين مَنعَا فَاطِمَة فَدَكاً، وَنَسبتهُما إِلَىٰ الظُّلم وَالغَصب. قَالَ: صَحَّ عِندي أَنَّ فَاطِمَة ٱدَّعت فَدكاً، وكَانَتْ فِي يَدهَا، وَمَا كَانَتْ لتَكذب عَلىٰ رَسُول الله، وهِي سَيِّدة نِسَاء أَهْل الجَنَّة، وَإِنِّي بِفعلِي هَذَا أَتقَرب إِلَىٰ الله وَرَسُوله، وَأَرجُو شفَاعة فَاطِمَة والحَسن والحُسَيْن، وَلَو كُنتُ مكَان أَبي بَكْر لصَدَّقتُ فَاطِمَة، ولَمْ أُكذبهَا فِي دَعوَاها[1].

(١) أُنظر، سَفِينَة البِحَار: ٢ / ٢٧٢ طَبعَة ١٣٥٥ هـ. (مِنهُ رحمه الله). وأُنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لابْن أَبي الحَدِيد: ١٦ / ٢٧٧، كَشف الغُمَّة: ٢ / ١١٧.

عليّ خير هذه الأمّة:

قَالَ ٱبْن أَبي الحَدِيد فِي شَرح النَّهج:

« قَالَ أَصحَابنا ـ أَي المُعْتَزلَة ـ: أَنَّ عَليّاً أَفضَل الخَلق فِي الآخرَة، وأَعْـلاَهُم مَنْزلَة فِي الجَنَّة، وَأَفضَل الخَلق فِي الدُّنْيَا، وَأَكثرهُم خَصَائص ومزَايَا وَمنَاقب، وَكلّ مَنْ عَادَاه أَو حَاربه أَو بَغَضه؛ فإنَّه عدوّ الله سُبْحَانهُ. وَخَالد فِـي النَّـار مَـع الكُفَّار وَالمُنَافقِين إلاَّ أَنْ يَكُون مِمَّن قَدْ ثَبت تَوبَته، وَمَات عَلىٰ تَولِيته وَحُبّه، فَأَمَّا الأَفَاضل مِنْ المُهَاجِرين والأَنْصَار الَّذِين وَلّو الإِمَامَة قَبْله فَلو أَنَّه أَنْكَر إِمَامتهُم، وَغَضب عَلَيهِم وَسَخط فِعْلهُم، فَضلاً أَنْ يَشهر عَلَيهِم السَّيف، أَو يَدعو إِلَىٰ نَفْسه للقُنا: أَنَّهُم مِنْ الهَالكِين، كَمَا لَو غَضب عَلَيهِم رَسُول الله ﷺ؛ لأِنَّه قَدْ ثَبت أَنَّ رَسُول الله قَالَ لهُ: « يَا عَليّ حَرْبُك حَرْبِي وَسِلمُك سِلمِي »[١]. وأَنَّه قَالَ: « أَللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَه، وَعَادِ مَنْ عَادَاه »[٢]. وقَالَ: « يَـا عَـلِيُّ، لاَ يُـبْغِضُكَ مُـؤْمِنٌ، وَلاَ يُـحِبُّكَ مُنَافِقٌ »[٣]. وَلكنَّا رَأَينَاه رَضي إِمَامتهُم وَبَايعهُم[٤]، وَصلَّىٰ خَلفهُم وَأَنْكحهُم، وَأَكل مِنْ فَيئهِم، فَلَم يَكُن لنَا أَنْ نَتَعدىٰ فِعله، وَلاَ نَتجَاوز مَا أُشتُهر عَنْهُ »[٥].

أَلاَ تَرىٰ أَنَّه لمَّا بريء مِنْ مُعَاوِيَة بَرئنَا مِنْهُ، وَلمَّا لعَنَه لعنَّاه، وَلمَّا حَكَم بضَلاَل أَهْل الشَّام، وَمَنْ كَان فِيهِم مِنْ بقَايا الصَّحَابَة، كعَمْرُو بن العَاص، وَعَـبدالله ٱبْـنه

---

(١) تَقدَّم إِستخرَاج ذَلِكَ.

(٢) أُنظر، مُسنَد أَحمَد: ١ / ١١٨ و ١١٩ و: ٤ / ٢٨١، تَذكرَة الخوَاص للسِّبط الجَـوزِي الحَـنفِي: ٣٠، السِّيرَة الحَلبِية: ٣ / ٢٥٧، السِّيرَة النَّبوِيَّة لزَينِي دَحلاَن بهَامِش الحَلَبِية: ٣ / ٣.

(٣) تَقدَّم إِستخرَاج ذَلِكَ.

(٤) وَقَد رَوىٰ كَثِير مِن أَئمَّة الزَّيدِيَّة بِالإِضَافة إِلىٰ الإِمَامِيَّة ـ أَنَّ عَلِيّاً ﷺ، لَمْ يُبَايع أَبَا بَكْر قَطّ. وَأَثبتنا ذَلِكَ.

(٥) أُنظر، شَرح النَّهج لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٤ / ٥٢٠ الطَّبعَة القَدِيمَة. (مِنْهُ ﷺ).

وَغَيرهما حَكَمنا أَيضاً بِضَلاَلِهِم.

وَالحَاصل إِنَّا نَجعل بَيْنه وبَيْنَ رَسُول الله ﷺ إِلاَّ رُتبَة النُّبوَّة، وَأَعطَيناه كلّ مَا عَدا ذَلِكَ ـ أَي مَا عَدَا النُّبوَّة ـ مِنْ الفَضل المُشْتَرك بَيْنَه وَبَيْنه، وَلَمْ نَطعن فِي أَكَابر الصَّحَابَة الَّذِين لَمْ يَصح عِندَنا أَنَّه طَعَن فِيهِم، وَعَاملنَاهُم بمَا عَاملهُم هُوَ ﷺ بِهِ. وَالقَول بِالتَّفضِيل ـ أَي تَفضِيل عَليّ عَلىٰ جَمِيع الصَّحَابَة ـ قَوْل قَدْيم قَالَ بِهِ كَثِير مِنْ أَصْحَاب رَسُول الله، وَالتَّابعِين، فَمِن الصَّحَابَة عمَّار، وَالمُقدَاد، وأَبُو ذرّ، وَسَلمَان، وَجَابر بن عَبدالله، وأبي بن كَعب، وَحُذِيفة، وَبُرِيدَة، وأَبُو أَيُّوب، وَسَهل بن حُنيف، وعُثْمَان بن حُنيف، وأَبُو الهَيثم بن التَّيهَان، وَخُزيمة بن ثَابت، وأَبُو الطُّفيل عَامر بن وَائلة[١]، والعَبَّاس بن عَبدالمُطلب، وَبَنوه، وَبَنو هَاشم كَافَة[٢]، وَبَنو عَبدالمُطلب كَافة.

وكَان قَوم مِنْ بَني أُمَيَّة يَقُولون بِذَلك، مِنْهُم خَالد بن سَعيد بن العَاص، ومِنْهُم عُمَر بن عَبدالعَزيز[٣]. وَنَذكر هُنا الخَبر المَروي المَشهُور عَن عُمَر، وَهُو مِنْ روَاية ابْن الكَلبي، قَالَ: بَينَا عُمَر بن عَبدالعَزِيز جَالسَاً فِي مَجْلسِهِ إِذْ دَخَل حَاجبه ومَعَهُ امرَأة أَدمَاء[٤] طَوِيلة حَسَنة الجِسم وَالقَامة، وَرَجُلاَن مُتعلقَان بِهَا، ومَعَهُم كِتَاب مِنْ مَيمُون بن مَهْرَان إِلَىٰ عُمَر، فَدَفعوا إِلَيه الكِتَاب، فَفَضه فَإِذَا فِيهِ:

---

(١) أنظر، الإفَادة فِي تَأريخ الأَئِمَّة السَّادَة: ٢٣.

(٢) أنظر، الرِّيَاض النَّضرة: ١/ ١٦٧، الإستِيعَاب: ٢/ ١٨ و ٣٥، الإصَابة فِي تَميِّيز الصَّحابة: ٢/ ٣٠ و ٣٢، تَأريخ الخَميس: ١/ ١٨٨، أبن عَبد رَبّه: ٣/ ٦٤ و: ٤/ ٢٥٩ الطَّبعَة الثَّانِية بِمَصر، تَأريخ أَبي الفِدَاء: ١/ ١٥٦، أبن شِحْنَة بهَامش الكَامل: ١١/ ١١٢، مُروج الذَّهب: ٢/ ٣٠١ طَبْعَة بَيروت.

(٣) أنظر، الإصْبَاح عَلىٰ المصبَاح فِي مَعرفَة المَلك الفَتَّاح: ١٦٧.

(٤) أي سَمرَاء. (مِنْهُ ﷺ).

بِسْم الله الرَّحمَن الرَّحِيم، إِلَىٰ أَمِير المُؤْمِنِين عُمَر بن عَبدالعَزِيز، سَلاَم عَلَيك وَرَحمَة الله وَبَركَاته.

أَمَّا بَعْد، فَإِنَّه وَرَد عَلَينا أَمرٌ ضَاقت بِهِ الصّدُور، وَعَجزت عَنْهُ الأَوسَاع، وَهَربنا بِأَنفسنَا عَنهُ، وَوَكلنَاه إِلَىٰ عَالمِهِ، لقَول الله عزَّوجلّ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[1]، وهَذِه المَرأَة وَالرَّجُلان: أَحَدهُما زوجهَا، وَالآخر أَبُوهَا، وأَنَّ أَبَاها يَا أَمِير المُؤْمِنِين زَعَمَ أَنَّ زَوجهَا حَلَف بِطلاَقها أَنَّ عَليّ بن طَالبﷺ خَير هَذِه الأُمَّة، وَأَولاَها بَرسُول الله، وأَنَّه يَزعَمّ أَنَّ ٱبنَته قَدْ طُلقت مِنْهُ، وَلاَ يَجوز لهُ فِي دِينهِ أَنْ يُتَخذ صِهراً، وَهُو يَعْلم أَنَّه حَرَام عَلَيه كَأُمّه، وأَنَّ الزَّوج يَقُول لهُ: كَذبتَ وَأَثمتَ، لَقَد بَرّ قَسمي، وَصَدقت مَقَالتي، وَإِنَّها ٱمرَأَتي عَلىٰ رَغم أَنْفك، وَغَيظ قَلبُك، فَٱجْتمعُوا إِلَيّ يَختَصمُون فِي ذَلِكَ، فَسَأَلت الرَّجُل عَن يَمِينه فَقَال: نَعْم، قَدْكَان ذَلِكَ، وَقَدْ حَلفتُ بِطلاَقها أَنَّ عَليّاً خَير هَذِه الأُمّة[2]، وَأَولاَهَا برَسُول الله، عَرَفه مَنْ عَرَفه، وَأَنْكَره مَنْ أَنْكَره، فَليغضَب مَنْ غَضب، وَليَرضىٰ مَنْ رَضىٰ، وَتَسَامح النَّاس بِذَلك، فَٱجْتمعُوا لهُ، وكَانَتْ الأَلسُنة مُجْتَمعة فَالقُلوب شَتىٰ، وَقَدْ عَلِمت يَا أَمِير المُؤْمِنِين ٱختلاَف النَّاس فِي أَهْوائهِم وَتَسرعهم إِلَىٰ مَا فِيهِ الفِتْنَة فَأَحجَمنا عَن الحُكْم، لتَحكُم بمَا أَرَاك الله، وَإِنَّهُما تَعلقا بِهَا، وَأَقسَم أَبُوها أَنْ لاَ يَدعهَا مَعَهُ. وَأَقْسَم زوجهَا أَنْ لاَ يُفَارقها وَلَو ضُربت عُنُقه إِلاَّ أَنْ يَحْكُم عَلَيه حَاكِم لاَ يَسْتَطِيع مُخَالَفته وَالإِمتنَاع مِنْهُ، فَرفعنَاهُم إِلَيك، أَحسَن الله تَوفِيقَكَ وَأَرْشَدك.

---

(١) ٱلنِّسَاء، ٨٣.

(٢) أُنظر. مَجْمع الزَّوَائد: ٩ / ١١٣.

فَجَمع عُمَر بن عَبدالعَزيز بَني هَاشِم، وَبَني أُمَيَّة، وَأَفخَاذ قُرَيْش، ثُمَّ قَالَ لأَبي المَرأَة: مَا تَقول أيُّها الشَّيخ؟

فَحَكَىٰ القُصة كَمَا أسلفنَا.

ثُمَّ قَالَ عُمَر للزَّوج: مَا تَقول؟ قَالَ: نَعْم.

وَلمَّا أَجَاب الزَّوج (نَعْم) كَاد المَجْلس يَرتَّج بِأَهلهِ، وَبنُو أُمَيَّة يَنْظرُون إِلَيه شَزْرَاً، لَكنَّهُم لَمْ يَنْطقُوا بِشَيء، كُلٌّ يَنْظر إِلَىٰ وَجْه عُمَر، فَأَكب عُمَر مَليَّاً يَنْكث الأَرْض بِيَده... ثُمَّ ٱلتَفت إِلَىٰ القَوم.

فَقَالَ: مَا تَقُولُون فِي يَمِين هَذَا الرَّجُل؟.

فَسَكتُوا.

فَقَال: سُبحَان الله، قُولوا.

فَقَال رَجُل مِنْ بَني أُمَيَّة: هَذَا حُكْم فَرج، وَلَسنَا نَجتَريء عَلىٰ القَول فِيهِ، وَأَنْتَ أَعْلم بِالقَول.

فَقَال لهُ عُمَر: قُل مَا عِندَك؛ فَإِنَّ القَول إِذَا لَمْ يُحق بَاطلاً، أَو يُبطل حَقَّاً كَان جَائِراً عَليَّ، وَفِي مَجْلسيّ.

قَالَ الأُمَوي: لاَ أَقوْل شَيئَاً.

فَالتَفت عُمَر إِلَىٰ رَجُل مِنْ وُلد عَقِيل بن أَبي طَالب. وقَالَ لهُ: مَا تَقول؟ فَاْغْتَنمها العَقِيلي.

وَقَالَ: إِنْ جَعَلت قَولي حُكمَاً قُلتُ، وإِلاَّ فَالسّكُوت أَوسَع لِي، وَأَبقىٰ للمَودَّة.

قَالَ لهُ عُمَر: قُل وَقَولكَ حُكم، وَحُكمُك مَاضٍ.

فَلَمَّا سَمع ذَلِكَ بنُو أُمَيَّة قَالُوا لعُمر: مَا أَنْصَفتنا إِذْ جَعَلت الحُكْم إِلَىٰ غَيرنَا.

فَقَال لهُم عُمَر : اَسكتُوا عَجزاً أَو لُوماً ، عَرَضتُ عَلَيكُم آنفاً فَأَبَيتُم ، أَتـدرُون مَـا مَثَلكُم ؟ .

قَالُوا : لاَ ندري .

فَقَال : وَلَكنَّ العَقِيلي يَدري ، ثُمَّ قَالَ للعَقِيلي : مَا مَثَلهُم ؟ .

قَالَ : مَثَلهُم كَمَا قَالَ الأَوَّل :

دُعِـيتُم إِلَـىٰ أَمـرٍ فَـلَمَّا عَـجَزتُم تَـنَاوَلَهُ مَـنْ لاَ يُـدَاخـله عَـجْز
فَلَمَّا رَأيـتُم ذَاكَ أُبـدَت نـفُوسكُم نَدَاماً وَهَل يُغني مِنْ الحَذر الحَرز

قَالَ عُمَر : أَحْسَنت وَأَصَبتَ ، فَقُل مَا سَأَلتُك عَنْهُ .

قَالَ : أَنَّ الزَّوج بَر قَسَمه ، ولَمْ تُطلق اَمـرَأته ثُـمَّ قَـالَ : نَشَـدتُك الله يَـا أَمِـير المُؤْمِنِين أَنَّ رَسُول الله قَالَ لفَاطِمَة ، وَهُو عَائد لهَا : « يَا بُنَية مَا عَلَيكِ ؟

قَالت : الوَعك يَا أَبتَاه ، وكَان عَليّ غَائبَاً فِي بَعْض حوَائج النَّـبيّ ، فَـقَال لهَـا : أَتشتَهِين شَيئاً ؟ .

قَالت : أَشتَهي عِنبَاً وَأَنَا أَعلم أَنَّه عَزِيز ، ولَيْس الوَقت وَقت عِنب .

قَالَ النَّبيّ ﷺ : أَنَّ الله قَادر عَلىٰ أَنْ يَجِيئنَا بِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَللَّهُمَّ إِئتنَا بِهِ مَع أَفضل أُمّتي عِندك مَنْزِلَة . فَطَرق عَليّ البَاب ، ومَعَهُ مَكْتَل قَدْ أَلقىٰ عَلَيه طَرف رِدَائه .

فَقَال النَّبيّ : مَا هَذَا يَا عَليّ ؟ .

قَالَ : عِنَب التَّمستَه لفَاطِمَة .

فَقَال النَّبيّ : الله أَكبَر ، كَمَا سَرَرتني بِأَنْ خَصَصْت عَليَّاً بِدَعوَتي ، فَاَجعَل فِـيهِ شفَاء اَبْنَتي ثُمَّ قَالَ : كُلي عَلىٰ اَسم الله ، وَمَا خَرَج النَّبيّ حَتَّىٰ برأَت .

فَقَال عُمَر : صَدَقت وَبَرَرت ، أَشهد لَقَد سَمِعته وَوَعَيته .

يَا رَجُل خُذ بِيَد امرَأتك، فَإِنْ عَرضَ لَك أَبُوها، فَاْهشم أَنْفه.

ثُمَّ قَالَ: يَا بَني عَبد مُناف: وَاللهِ مَا نَجْهل مَا يَعْلم غَيرنا، وَلاَ بنَا عِمىً فِي دِيننَا، وَلكنَّا كَمَا قَالَ الأَوَّل:

تَــصيَّدت الدُّنــيَا رِجَــالاً بِـفَخِّها فَلَم يُدْركُوا خَيراً بَل اَسْتَقبحُوا شـرّا
وَأَعــمَاهُم حُبّ الغِــنىٰ وَأَصَــمهُم فَـلَم يُـدْركُوا إِلاَّ الخَسَـارة وَالوِزرَا

وَكَأنَّما أُلِقم بَني أُمَيَّة حَجَراً، وَمَضىٰ الرَّجُل بِأمرَأته»[1].

وكَان مِنْ نَتِيجَة هَذِه الحَادثة وَغَيرها أَنْ دَسَّ الأُمويُون السُّم لعُـمر بـن عَـبد العَزِيز، كَمَا فَعَلوا مِنْ قَبل بمُعَاوية الثَّانِي، لأَنَّهُم لاَ يُطِيقُون أَنْ يَكُون بَـيْنَهُم مَـنْ يُنَاصر الحَقّ وَأَهْله، لَقَد تَعجلوا عَلَيه خِشيَة أَنْ يَعْرف النَّاس مِنْ فَضل عَليّ مَـا يَعْرف الأُمويُون، فَيَتفرقُوا عَنْهُم إِلَىٰ أَولاَد أَمِير المُؤْمِنِين، وَهُو الخَطِيب البَـلِيغ، خَاف الأُمويُون مِنْ الحَقّ، لأَنَّه يَسلبهُم المُلك والسُّلطَان، وَهَابوا العَـدْل، لأَنَّـه يَقضي عَلَيهِم بِالمَوت، لذَا حَاوَلوا إِخفَاء الحَقّ قَبل أَنْ يَقضي عَلَيهِم، وَلَكن مَهمَا حَاول المُشعوذُون وَالمُنحرفُون إِخفَاءه فَلا بُدَّ أَنْ يَظْهر وَيَنْتَصر، وَيُكشـف أَمـر المُبطِلِين.

وقَالَ قَائِل: أَنَّ عُمَر بن عَبدالعَزِيز رَجُل عَادي، وَإِنَّما عَظُم أَمرَه لأِنَّه أَعوَر بَيْنَ عميَان كَمَا قَالَ المَنْصُور، قَام عُمَر بَعْد قَوم بَدَّلوا شَرِيعة الدِّين وَسُنن النَّبيّ، وكَان النَّاس قَبله مِنْ الظُّلمِ، وَالجَور، وَالتَّهاون بِالإِسْلاَم مَا لَمْ يُسبق بِـمَثِيل، أَو يَـجر بِحُسبان، وَحَسبك مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُم كَانُوا يُعلنُون سبّ عَليّ عَلىٰ المَنَابر، فمَا نَـهىٰ

---

(١) أنظر، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ٤ / ٥٢٠ الطَّبعَة القَدِيمَة. (مِنْهُ). و: ٢٠ / ٢٢٢.

عَنْهُ عُمَر عدَّ مُحسناً، بَل جُعل فِي عدَاد الأَئِمَّة الرَّاشدِين، وَيَشهد لِذَلِك قَوْل كُثَير عَزَّة[1].

وُلِّيتَ ولَمْ تَشْتُم عَليًّا ولَمْ تَـخف بَـرِياً ولَـمْ تَـتَبع مَـقَالة مُـجْرِم

وَبِكَلمَة أَنَّ عُمَر آستَمد حَسَناته مِنْ سَيئَات غَيْرِه.

وَالجَوَاب: أَنَّ هَذَا القَائِل أَرَاد أَنْ يَحطَّ مِنْ مكَانة عُمَر فَدل كَلاَمه عَلىٰ عَكْس مَا أَرَاد. لَقَد عَرفنَا وَعَرف التَّأرِيخ كَثِيرِين نَشَأُوا فِي بَيْت صَلاَح وَتُـقىٰ، وَأَفْـنَوا حَيَاتهم فِي درَاسَة عُلوم الإِسْلاَم والقُرْآن، ومَع ذَلِكَ رَأينَاهُم يَنْحرفُون عَن طَرِيق الدِّين، وَلاَ يَصمدُون أَمَام المُغريَات الشَّيطَانِية، وَالشَّهوَات الدُّنيوِيَة. أَمَّا عُمَر فَقَد تَمَرد عَلىٰ بِيئَته وَقَومه، وَتَعالت نَفْسه عَن عَادَاتِهم وَتَقاليدهِم، ولَمْ يَغْتَرّ بِشَـهَوة الحُكْم وَفِتنَة السُّلطَان، وَهُنا مكَان عَظَمته وسرّ عَبقرِيته، نَقم عُـمَر عَـلىٰ آبَـائه وَأَجدَاده، وَشَهد عَلَيهِم بِالفِعل قَبل القَول بِأَنَّهم ضَالُون مُضلّون، ولَمْ يَكْتَرِث بِمَا تَجره هَذِه الشَّهادة عَلَيه مِنْ المَتَاعب وَالمصَاعب.

لِذَلِك نَحنُ نُكبرَه وَنُعظم فِيهِ يَقظَة الضَّمِير، وقوَّة الإِيمَان، وَالجهَاد فِي سَـبِيل الحَقّ، وَالتَّمرد عَلىٰ البَاطِل، بَاطِل أَهْله وبِيْئَته. وَالسَّلاَم عَلىٰ رُوحه الطَّيب، وَبَدنه الطَّاهر. لَقَد كَانَتْ سِيرة آبْن عَبدالعَزِيز إِنقلاَباً فِي السِّيَاسَة الأُمَـوِية، وَإِصـلاَحاً جَذرِياً لمَا أَفسَد الأُمويُون، وهَذِه فَضِيلة لاَ يُدَانيهَا شَيء، وَمَكرَمة لاَ يُعَادلهَا إِلاَّ الجِهَاد بَيْنَ يَدي الرَّسُول الكَرِيم.

---

(١) أُنظر. الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٥ / ٣٩٤، تَأْرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٣٠٥، البِدَايَة وَالنّهَايَة: ٩ / ٢٨٠، الأَغَاني: ٩ / ٢٥٨، تَأرِيخ دِمَشق: ٥ / ٩٢، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٥ / ١٤٧، شَرْح نَهْج البَلاَغِة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٤ / ٥٩ و: ١٥ / ٢٥٦.

يزيد بن عبدالملك:

ذَهَب عُمَر بن عَبدالعَزيز إِلَىٰ رَبّـه رَاضيـاً مَـرضيَاً، وَقَـام مكَـانه يَـزِيد ٱبْـن عَبدالمَلك، وَٱفْتَتح عَهْده بكتَاب أَرسَله إِلَىٰ عُمّاله، قَالَ لهُم فِيهِ:

أَمَّا بَعْد، فَإِنَّ عُمَر بن عَبدالعَزِيز كَان مَغرُوراً، غَرَرتمُوه أَنتُم وَأَصحَابكُم، وَقَدْ رَأَيتُ كُتبكُم إِلَيه فِي إِنْكسَار الخرَاج وَضَرِيبَته، فَإِذَا أَتاكُم كتَابي هَذِه فَدعوا مَا كُنتُم تَعرفُون مِنْ عَهْده، وَأَعيدُوا النَّاس إِلَىٰ طَبَقتهِم الأُولىٰ، أَخصبُوا أَم أَجدبُوا، أَحبُوا أَم كَرهوا، حَيوا أَم مَاتوا!... وَالسَّلاَم[1].

وَٱنْتَزع يَزِيد فَدَكاً مِنْ أَبْنَاء فَاطِمَة بَعْد أَنْ رَدها عَلَيهِم عُمَر بن عَبدالعَزِيز.

وَقَدْ ٱشتَهر يَزِيد فِي اللَّهو، وَالخَلاَعة، وَالفجُور، وَالسُّكر، وَالتَّشبِيب بِالنِّسـاء، تَمَاماً كَمَا كَان سَميّه يَزِيد بن مُعَاوِيَة، وَهُو جَدّه لأُمّه وَلاَ أَدري: هَل لِي فِي هَذَا الاِسم سرّ يَجْعل مِنْ صَاحبِهِ أَوضَح مِثَال للفَسَاد وَالإِجرَام؟!. وَغلَب عَلىٰ يَزِيد بن عَبدالمَلك جَاريتَان: سَلاَّمة القِس، وَحبَّابة، فكَان يَجْلس بَيْنهُما إِحـدَاهُـما تَسقِيه، وَالأُخرىٰ تُغنِيه، وَٱنْتَشىٰ يَوْمَاً، وَهُو بَيْنَ هَاتَين.

فَقَال: دَعُوني أَطِير.

فَقَالت لهُ حَبَّابة: أَنَّ لنَا فِيكَ حَاجَة.

فَقَال: وَالله لأَطيرَنَّ.

فَقَالت: عَلىٰ مَن تَخلف الأُمَّة؟.

قَالَ: عَلِيك والله، وَقبَّل يَدَها. وَخَرجت مَعَهُ حبَّابة إِلَىٰ نَاحيَة الأُردُن يَتْنزهَان، فَرَماهَا بِحَبة عِنْب فِي حَلقهَا، فَشَرقت وَمَاتت، فَٱنْكَّب عَلَيهَا يَشـمُها وَيُـقبلهَا،

(١) أَنظر، العِقد الفَرِيد: ٥ / ١٧٦ طَبعَة ١٩٥٣م). (مِنْهُ ﷺ). و: ٤ / ٤٤٢، الإِمَامة وَالسِّيَاسَة: ٢ / ١٤١.

وَيَنظر إِليهَا وَيَبكي، وَأَبىٰ أَنْ يَدفنهَا إِلاَّ بَعْد ثَلاَثة أَيَّام[١].

وَنَقل صَاحب العِقد الفَرِيد: أَنَّ أَبَا حَمزَة وَصَف يَزِيد، فَقَال: « أَقْعَد حبَّابة عَن يَمِينه، وَسلاَّمة عَن يَسَاره، فَقَال: يَا حَبَّابة غَنِّيني، وَيَا سَلاَّمة ٱسْقني، فَإِذَا ٱمتَلأ سُكرَاً، وَٱزْدهىٰ طَرَباً، شَقَّ ثَوبه، وقَالَ: أَلاَ أَطِير؟ فَطُر إِلَىٰ جَهنّم وَبِئس المَصِير.

وَأَثنىٰ يَوْماً عَليّ أَبي لهَب، فَقِيل لهُ: أَنَّه مَات كَافراً، وكَان يُؤذِي رَسُول الله!... فَقَال: قَدْ عَلِمت ذَلِكَ، وَلكنْ دَخَلتني رِقَة لهُ، لأَنَّه كَان يُجِيد الغنَاء[٢].

لَقَد عَلِم « الخَلِيفَة » الأُمُوي أَنَّ أَبا لهَب كَان كَافراً مُؤذِياً للرَّسُول، وَلَكنَّ الكُفْر بِالله والرَّسُول لاَ يُعد ذَنَباً بِالقيَاس إِلَىٰ إِجَادة الغنَاء!... أَنَّ الأُمُوي لاَ يَغْفر إِلاَّ لمَن يُجِيد الزِّنا، وَالسُّكر، والغنَاء. وَيَغفر مَا دُون ذَلِكَ لمَن يَشَاء حَتَّىٰ الشِّرك!.. وَلَو كَان يَزِيد بن عَبدالمَلك فِي هَذَا العَصر لكَانَت لهُ المكَانة الأُولىٰ عِند كَثِير مِنْ الشَّباب « المُتحرر المُتَدين » الَّذي لاَ يُعْجبه شَيء إِلاَّ الفُسُوق وَالفُجور، وَإِلاَّ الإِلحَاد وَالزَّندَقة. وعَلىٰ هَذَا الأَسَاس، أَسَاس الجَور والظُّلم، قَامت الدَّولَة الأُموِية، وَمِنْ أَجل ذَلِكَ كَان مَآلهَا إِلَىٰ البوَار وَالدَّمَار.

هشام بن عبدالملك:

هَلَك يَزِيد بن عَبدالمَلك سَنَة إِحدَىٰ وَمِئَة، وَهُو ٱبْن سَبع وَثَلاثِين سَنَة، وَٱمتَد حُكمَه أَرْبع سَنوَات وَشَهر أَو يَومِين، وَتَولىٰ بَعْده هِشَام بن عَبدالمَلك[٣]، وكَان

(١) أُنظر، ٱبْن الأَثِير حوَادث سَنَة خَمس وَمِئَة. (مِنْهُ). وأُنظر، الكَامل فِي التَّأرِيخ أَيضاً: ٥ / ١٢١، تَأرِيخ الطَّبري: ٥ / ٣٧٥، العِقد الفَرِيد: ٦ / ٦١، دُرر السِّمط فِي خَبر السِّبط: ١٢٣.

(٢) أُنظر، العِقد الفَرِيد: ٤ / ٢٠٢ طَبعَة ١٩٥٣م. (مِنْهُ).

(٣) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٧ / ٢٠٠، البِدَايَة وَالنِّهايَة: ٩ / ٣٥١، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٣ / ٥٧، النُّجوم

كلّ شَيء يُنبيء بِالثّورَة وَالإنفجَار، فَقَد تَرَاكم الإستيَاء وَأنصبّ اللّعن وَالطّعن عَلىٰ الأُمَويين وَسيَاستهُم مِنْ جَمِيع الجِهَات، لاَ مِنْ الشّيعَة فَحَسب، ولَمْ يَقُم هِشَام بِأَيَّة خُطوة لتَصْحِيح الأَوضَاع، وَإِصلاَح الفَاسد، بَل غَذّىٰ أَخطَاء الأُمَويين، وَأَضَاف ظُلماً إِلَىٰ ظُلمهِم، وَطُغيَاناً إِلَىٰ طُغيَانهِم، فَكَتب إِلَىٰ عُمّاله بِالتّشدِيد وَالتّضييق عَلىٰ الشّيعَة، وَحَبْسهِم وَمَحو آثَارهم وَالفَتك بِهم، وَحرمَانهِم مِنْ العَطَاء. وَهَدم دَار الكُمَيْت شَاعر أَهْل البَيْت، وَأَمر عَاملَه بِالكُوفة، بن عُمَر الثّقفِي أَنْ يَقْطع لسَانه، لأِنّه مَدح آل الرَّسُولﷺ[1]، وَكَتب إِلَىٰ عَامله بِالمَدِينَة خَالد ابن عَبدالمَلك أَنْ يَحْبس بَني هَاشم، وَيَمنعهُم مِنْ الخرُوج مِنْهَا، ونَفَذَّ خَالد أَمر هِشَام، وَاشتَد عَلىٰ الهَاشميين[2]، وَأَسمع زَيد بن الإِمَام زَين العَابدِين مَا يَكرَه، فَذَهب زَيد إِلَىٰ الشّام ليَشكُو خَالداً إِلَىٰ هِشَام بن عَبدالمَلك، فَتَنكر لهُ هِشَام، وَأَبىٰ أَنْ يَأذَن لهُ، فَأَرسَل إِلَيه وَرَقة بِهَا طَلَب الإِذن، فَكَتب هِشَام فِي أَسفلهَا ارْجع إِلَىٰ المَدِينَة، فَقَال زَيد: وَالله لاَ أَرجع إِلَىٰ خَالد أَبداً.

وَأَخِيراً أَذِن هِشَام لزَيدﷺ وَأَمر خَادماً أَنْ يَتْبَعه، وَيُحصي مَا يَقُول، فَسَمعه يَقُول: «إِنّه لَمْ يَكرَه قَوم قَطّ (حَرّ) السَّيف إِلاَّ ذَلّوا»[3]. وَأَمر هِشَام أَهْل الشّام أَنْ يَتضَايقُوا فِي المَجْلس، حَتّىٰ لاَ يَتمكن مِنْ الوصُول إِلَىٰ قُربه، فَلَمّا دَخَل زَيد لَمْ يَجد مَوضعَاً يَقعد فِيهِ، فَعَلم أَنْ ذَلِكَ فِعل عَلىٰ عَمد، فَقَال لهِشَام: «إِنّه لَيس مِن

↩ الزّاهِرَة: ١ / ٢٩٦، مُروج الذّهب: ٢ / ١٤٢، الكَامل فِي التّأريخ: ٥ / ٢٦١، تَأريخ الخُلفَاء: ٢٦٩.

(١) أُنظر، الهَاشمِيَات وَالعَلويَات، قَصَائِد الكُمَيْت، وَابن أَبي الحَدِيد: ١٦١.

(٢) أُنظر، أَنسَاب الأَشرَاف: ٣ / ٢٣٨.

(٣) أُنظر، عيُون الأَخبَار لاِبن قُتيبَة: ١ / ٢١٢، شَرح النّهج لاِبن أَبي الحَدِيد: ٣ / ٢٨٦.

عبَاد الله أَحد فَوق أَنْ يُوصِي بِتَقوىٰ الله ، وَلاَ مِن عِبَاده أَحد دُونَ أَنْ يُوصىٰ بِتَقوىٰ الله ، وَأَنا أُوصِيك بِتَقوىٰ الله يَا أَمِير المُؤمِنِين فَاتّقه » [1].

قَالَ ٱبْن أَبي الحَدِيد ، قَال هِشَام لزَيد بن عَليّ : « أَنْتَ المُؤهّل نَفْسك لِلخلاَفة ، الرّاجي لهَا ! ؟ وَمَا أَنْتَ وَذَاك ، لاَ أُمّ لَكَ ، وَإِنّما أَنْت ٱبن أَمة ! » فَقَالَ لهُ زَيد : « إِنّي لاَ أَعْلم أَحَداً أَعْظَم مَنزِلة عِند الله مِن نَبيّ بَعَثه ، وَهُو ٱبن أَمَة ، فَلَو كَان ذَلِكَ يَقصُر عَن مُنْتَهىٰ غَايَة لَم يَبْعَث ، وَهُو إِسْمَاعِيل بن إِبْرَاهِيمعليهما السلام ، فَالنُّبوّة أَعْظَم مَنزِلة (عِندالله) أَمْ الخِلاَفة يَا هِشَام ؟ وَبَعد فَمَا يَقصُر بِرَجُل أَبُوه رَسُول اللهصلى الله عليه وآله وسلم وَهُو ٱبن عَليّ بن أَبِي طَالبعليه السلام » [2] ! ؟ .

قَال هِشَام لزَيد بن عَليّ : « مَا يَصْنَع أَخُوك ٱلْبَقَرَة ؟ » فَغَضِب زَيد حَتّىٰ كَاد أَنْ يَخرُج مِن إِهَابه ، وَقَالَ : « سَمّاه رَسُول اللهصلى الله عليه وآله وسلم البَاقِر ، وَأَنتَ تُسمّيه ٱلْبَقَرَة ! لِشدّ مَا ٱخْتَلفتُما ، لتُخَالفنَه فِي ٱلْأَخِرَة كمَا خَالفتَه فِي الدُّنيَا ، فَيَرد الجَنّة وَتَرد النَّار » [3].

فَٱنْقَطع هِشَام عَن الجوَاب ، وَبَان عَليهِ العَجز ، وَلَم يَسْتَطع دُونَ أَنْ صَاح بِغُلمَانه : « أُخرِجُوا هَذَا الأَحمَق المَائِق ! » [4].

وَتَوجه زَيد مِنْ وَقتِهِ إِلَىٰ الكُوفَة ، قَالَ أَبُو الفَرج الإِصْفهَاني فِي مقَاتل الطَّالبيين : « أَنَّ الّذين كَانوا يَخْتَلفُون إِلىٰ الإِمَام زَيد وَيُبَايعُونه عَلىٰ النَّهْضَة مِن

---

(١) أُنظر ، تَأرِيخ الطَّبري : ٨ / ٢٦٠ .

(٢) أُنظر ، تَأرِيخ اليَعقُوبي : ٢ / ٣٩٠ ، شَرح نَهج البَلاَغة لِابن أَبي الحَدِيد : ١ / ٣٥١ .

(٣) أُنظر ، تَأرِيخ الطَّبري : ٧ / ١٦٦ ، البَيَان وَالتّبيين للجَاحظ : ١ / ٣٠٩ ، الكَامل للمُبرد : ٤٢ ، زَهر الآدَاب : ١ / ٧٨ ، شَرح النَّهج لِابن أَبِي ٱلْحَدِيد : ١ / ٣١٥ ، الكَامِل فِي التَّأْرِيخ : ٥ / ٨٥ ، العِقد الفَرِيد : ٤ / ٣٢ .

(٤) أُنظر ، شَرح النَّهج لِابن أَبِي ٱلْحَدِيد : ١ / ٣١٦ ، الكَامِل فِي التَّأْرِيخ : ٥ / ٨٥ ، العِقد الفَرِيد : ٤ / ٣٢ .

مُخْتَلف المَذَاهب، أي مِن الشِّيْعَة وَغَيرهم»[١]. حَتَّىٰ أُحصي عَدد الَّذِين بَايعُوه مِن الكُوفَة وَحدَها بَلَغ خَمْسَة عَشر أَلفاً. سِوىٰ المَدَائن، وَوَاسط، وَالمُوصل، وَخرَاسَان، وَالرَّي، وَجُرجَان»[٢].

وكَان فِي الَّذِين اتبعُوا زَيداً خلق كَثِير مِنْ الأَشرَاف وَالعُلماء، وَدَارت المَعْرَكة بَيْنه وبَيْنَ يُوسف بن عُمَر الثَّقفي أَمِير العرَاقَين يُومذَاك مِنْ قِبل هِشَام، فَانْهزم أَصْحَاب زَيد، ولَمْ يَبق مَعَهُ إلاَّ قَلِيل مِنْهُم، فَقَاتلهُم أَشد قِتَال، وَحَال المَسَاء بَيْنَ الفَرِيقَين.

قَالَ الشَّيخ أَبو زُهرَة:

«وَتَقدم زَيد عُترة النَّبيّ، وَحَفيد عَليّ إِلَىٰ المَيدَان، ومَعَهُ عَدَد دُون عَدَد أَهْل بَدْر أَو نَحوه، وَجَيش عَدوّه كَثِيف قَوي يَجِيئه المَدد فِي كلّ وَقت، وَقَاتل بِهَذا العَدد الضَّئيل فِي الحسَاب، وَلَكنَّه كَان أَقوىٰ فِي المِيزَان، رَاجح الكَفَّة فِي المَيدَان، فَاقتتَلوا وَهَزمُوا جنَاح جَيش الأُمَويين، وَقَتلوا مِنْهُم أَكثَر مِنْ سَبعِين رَجُلاً، وَعَجز العَدوّ بِكَثرته عَن قتَال أُولَئك المُؤمِنِين الصَّابرِين بِالسَّيف، فَاستعَان جَيْش الأُمَويين بِالرَّمي. يَرمُون بِسهَامِهم أَصْحَاب زَيدعليه السلام وَعَنْهُم، وَلَم يَنَالوا مِنْهُم إلاَّ بِالسِّهام، وَنَال زَيد سَهم فِي جَبهَته، وَعِند انتزَاعه كَانَتْ مَنيَته؛ وَبِذَلك لَمْ يَسْتَطيعُوا أَنْ يَنَالوا مِنْهُ إلاَّ بِالطَّرِيق الَّتي نَالوا بِهَا جَدَّه الحُسَيْنعليه السلام وَعَنْهُم؛ لأَنَّ

---

(١) أنظر، الرَّوْض النَّضِير شَرْح مَجْمُوع الفِقْه الكَبِير: ١ / ١٣٠، مقَاتل الطَّالبِيين: ١٣٥ طَبعَة ١٩٤٩م.

(٢) فِي المَصْدَر السَّابق أَكثَر مِن إثنىٰ عَشر أَلفاً وَفِي الطَّبري: ٨ / ٢٧٥، وابن الأثِير: ٥ / ٩٧ بِلَفظ خَمْسَة عَشر أَلفاً، الإِفَادة فِي تَأرِيخ الأَئِمَّة السَّادَة: ٤٦ و ٥٢.

أحفَاد عَليّ لاَ يُلاَقيهم أَحَد إلاَّ صَرعُوه»[١].

ولَقَد كَان صَنيع هِشَام فِي جُثَّته هُو عَيْن صَنِيع يَزِيد، وأبْـن زيَـاد فِـي جَـدّه الحُسَيْن ﷺ، فَقَد مُثل بجُثَّته، بَعْد أَنْ دُفن، وكَانَ أبْن زَيد يَحْيَىٰ، حَرِيصاً عَلىٰ أَنْ يُدفن أَبَاه بِحَيث لاَ يَعْلم بِقَبره أَحد، فَدَفَنه بِمَوضع مِن دَار الجوَارِين فِي سَاقِية، وَرَدَّمهَا، وَوضَع عَلَيها النَّبَات[٢]... وَقَـالَ بَـعْضهُم إنَّ أَصـحَابه آنْـطَلقوا بِـهِ إِلىٰ العَبَّاسِية[٣]. ولكنّ أَحد الَّذِين عَلمُوا بِمَكان الدَّفـن[٤]، أَنـبَأ الأُمـويّين، وَمَـثّلوا بصَاحِبها، وَنَصبُوه مَصلُوباً فِي كُنَاسَة الكُوفة[٥] مَع نَصر بن خُزَيْمَة، وَمُعَاوِية بن إِسحَاق الأَنْصَاري، وَزِيَاد النَّهدي[٦]، بِأَمر هِشَام بن عَبدالمَلك.

لَمْ يَكْتَف الأُمويُون بِقَتل زَيد، حَتَّىٰ أَخرجُوه مِنْ قَبرهِ، وَمَـثلوا بِـهِ، فَـقَطعوا رَأسه، وَصَلبُوه عَلىٰ خَشبَة، وَبَقي خَمْس سنوَات مَصلُوباً عُريَاناً إِلَـىٰ أَنْ جَـاء الوَلِيد بن يَزِيد كَتَب إِلىٰ يُوسُف أبن عُمَر قَائِلاً: «إذَا أَتَاك كتَابي هَذَا فأنْظر عِجل أَهْل العِرَاق فَأَحْرقهُ وَآنسفهُ فِي اليَّم نَسْفاً»[٧] فأَحْرَقوا الجُثّة، وَذَرّوا رَمَادها فِي

(١) أنظر، الإمَام زَيد، الشَّيخ أَبُو زُهرَة: ٥٩ الطَّبعَة الأُولىٰ. (مِنْهُ ﷺ).
(٢) أنظر، أَنسَاب الأَشْرَاف: ٣/ ٢٠٣.
(٣) أنظر، المَصَابِيح، لأَحمَد بن إبْرَاهِيم: ٣٩٨، مقَاتل الطَّالبيين: ١٤٢.
(٤) أُنظر، الفُتُوح لِابن أَعْثَم: ٨/ ١٣٢، تَأرِيخ الطَّبري: ٥/ ٥٠٣، مقَاتل الطَّالبِيين: ١٣٨.
(٥) الكُنَاسَة: مَحَلة بِالكُوفة، أُنظر، مُعْجَم البُلدان: ٤/ ٤٨١، النّهايَة فِـي غَـرِيب الحَـدِيث: ٤/ ١٤٦. وأُنظر، مُسْنَد الإِمَام زَيد بن عَليّ، روَايَة أَبِي خَالد الوَاسِطي، بَيرُوت مَنْشورَات دَار مَكْتَبة الحَيَاة سَنَة ١٩٦٦م: ١١، سِر السّلسلة العَلوِية لأَبِي نَصر البُخَاري: ٥٩، تَأرِيخ أبن مُعِين للدُّوري: ١/ ٢٢٩.
(٦) أُنظر، المَصَابِيح، لأَحمَد بن إِبْرَاهِيم: ٣٩٨، تَأرِيخ الطَّبري: ٨/ ٢٧٦، مقَاتل الطَّالبِيين: ١٤٢.
(٧) أنظر، مقَاتل الطَّالبِيين: ١٤٧.

الفرَات، وَقَال: «وَالله يَاأَهْل الكُوفَة لأَدَعنَكُم تَأكلُونه فِي طعَامكُم وَتَشربُونه فِي مَائكُم»[١]. وَقِيل تَمَّ حَرْقَه فِي خِلاَفة هِشَام بن عَبدالمَلك[٢].

وأَنَّ الحَرب مِنْ جَانب الأُمَويين كَانَتْ حَرباً فَاجرَة، لَيْس فِيهَا شَيء مِنَ القِيم الإِسْلاَمِيَّة بِمُحترَم، فَإِنَّه ليُذكر أَنَّ رَجُلا مِنْ جُند الأُمَويين عَلىٰ فَرسٍ رَائع أَخَذ يَشْتم فَاطِمَة الزَّهرَاء بِنْت رَسُول الله، شَتماً قَبيحاً، لعَنَه الله، وَلَعن مَنْ أَيدُوه وَأَرسلُوه، فَبَكىٰ الإِمَام زَيد، حَتَّىٰ ٱبْتَلت لِحيَته، وَجَعل يَقُول: «أَمَا أَحَد يَغضَب لفَاطِمَة بِنْت رَسُول الله ؟! أَمَا أَحَد يَغْضب لرَسُول الله ؟! فَٱستَتر أَحَد رِجَال زَيد، وَسَار وَرَاءه وَقَتله وَرَمَاه مِنْ فَوق فَرسَه الرَّائع، وَرَكبه القَاتل، فَشَدد الأُمويُون عَلىٰ ذَلِكَ القَاتل، الفَاضل، فكَبَّرَ أَصْحَاب زَيد وَحَملوا عَلَيهم حَملَة شَدِيدَة، فَٱستَنقذُوا الرَّجُل الَّذي ثَأر لكرَامَة بِنْت رَسُول الله، ولَقَد طَابت نَفْس زَيد عليه السلام بِهَذا، فَجَعل يُقبّل مَا بَيْن عَيني الرَّجُل الَّذي ثَأر لكرَامة الرَّسُول وَكرَامة الإِسْلاَم، ويَقُول: أَدرَكت وَالله ثَأرنا، أَدرَكت وَالله ثَأرنا، أَدرَكت وَالله شَرف الدُّنْيَا وَالآخرَة وَذُخرهَا»[٣].

وَكَانَتْ العَنكبُوت تَنْسج عَلىٰ عَورَته، فَتَستُرها، وكَان جُنُود الأُمَويين يَهتكُون النَّسِيج بِالرِّمَاح، فَإِذَا جَاء اللَّيل عَادت العَنكبُوت إِلَىٰ النَّسِيج، وَعَادوا هُم فِي الصَّباح إِلَىٰ الهَتك. ولَمَّا تَكَرر ذَلِكَ إِرْتخىٰ لحَم جَسَده عَلىٰ بَطنِهِ مِنْ قُدَامه وَظَهره مِنْ خَلفِهِ، فَسَتر العَورَة مِنْ القُبل وَالدُّبر، وكَانَتْ الخَشَبة تُضيء بِاللَّيل،

---

(١) أُنظر، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٣٩١.
(٢) أُنظر، مقَاتل الطَّالبِين: ١٤٤.
(٣) أُنظر، مقَاتل الطَّالبِيين: ٩٦.

فَيسِير الرُّكبَان عَلىٰ ضَوئهَا، وكَانَتْ تَفوح مِنْهَا رَائحَة المِسك، وكَانَتْ هَذِه الكرَامة مِنْ أَقوىٰ أَسْبَاب الدّعَاية لإنْتشَار مَذْهَب التَّشيُّع وَتَثبِيته، وَفشىٰ الحَدِيث بَيْنَ النَّاس، وَظَهر فَضل أَهْل البَيْت، وَظُلم الأُمَويين لهُم، وَكَان النَّاس يُؤمّون خَشبَة زَيد للتَّبرك، قَالَ ابْن تَيمِية فِي مِنْهَاج السُّنَّة: لمَّا صُلب زَيد كَان أَهْل الكُوفَة يَأْتُون الخَشَبة لَيلاً يَتعبدُون عِنْدَها[1].

وَبُعث بِرَأسه إِلىٰ هُشَام بن عَبدالمَلك فَأَمر بِهِ فَنُصب عَلىٰ بَاب دِمشق[2]، ثُمَّ أُرسل إِلىٰ المَدِينَة[3]، حَيثُ نُصب عِند قَبر النَّبيّ يَوْمَاً وَلَيلَة[4].

كَان العَامل عَلىٰ المَدِينَة مُحَمَّد إِبرَاهِيم بن هِشَام المَخزُومي، فَطَلب مِنْهُ أَهْل المَدِينَة أَنْ يُنزل الرَّأس فَأبىٰ، فَضَجّت المَدِينَة بِالبُكاء، وكَان كَيَوم الحُسَيْن عليه السلام، وكَان الوَالي يَجْمَع النَّاس، وَيَأمر الخُطبَاء فَيلعنُون عَليَّاً، وَحُسَيناً، وَزَيداً وَأَشيَاعهم، وَبَقي عَلىٰ ذَلِكَ سَبعَة أَيَّام. ثُمَّ أُرسل رَأسَه إِلىٰ مَصْر حَيث طِيف بِهِ هُناك بَعد تَعلِيقه بِالجَامع[5]. فَسَرقه أَهْل مَصر وَدَفنُوه بِالقُرب مِنْ جَامَع ابْن طُولُون، وَغَير بَعِيد أَنْ يَكُون المَسْجد المَعرُوف اليَوْم بِمَسجد الحُسَيْن هُو مَدفَن رَأس حَفِيدَه زَيد بن عَليّ بن أَبي طَالب عليه السلام.

هَذِي هِي سُنّة الأُمَويين، وَسِيرة أَوَّلهُم وآخرهُم: شَتْم عَليّ، وفَاطِمَة،

(١) أنظر، مَشَاهِير عُلمَاء الأَمصَار لابن حبَّان: ١٠٥ ح ٤٢٥.
(٢) أُنظر، الإِفَادة فِي تَأرِيخ الأَئمّة السَّادَة: ٦٦.
(٣) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٨ / ٢٧٧.
(٤) أُنظر، عُمدَة الطَّالب: ٢٥٨.
(٥) أُنظر، النُّجُوم الزَّاهِرة فِي أَخبَار مَصْر وَالقَاهِرة: ١ / ٢٨١.

والحَسن، والحُسَيْن، وَقَتل أَبْنَاء الرَّسُول، والتَّنْكِيل بِهم، وَالسَّير برُؤوسِهِم مِن بَلدٍ إِلَىٰ بَلد. وَالذَّنب الأَوَّل وَالأَخِير أَنَّ أَبْنَاء عَليّ، وَأَحفَاده لاَ يُطيقُون أَنْ يَعْبث أَحَد بدِين جَدّهم رَسُول الله، وَيَتلاَعب بمُقدرَات النَّاس وحقُوقهُم، وَقَدْ ظَهَرَت هَذِه الحَقِيقَة للقَرِيب وَالبَعِيد، وكَان مِنْ أَثَرها الكُره وَالمَقت للأُمَـوِيين، والحُبّ وَالوَلاَء لأَهل البَيْت، أَنَّ النُّور الَّذي شَع مِنْ خَشبَة زَيد، وَالمِسك الَّـذي تَـضوع مِنْهَا قَدْ جَعلا النَّاس فِي كلّ جِيل يَحسُون وَيَلمسُون مَنْ هُم الأُمويُون، وَمَنْ هُم العَلويُون ؟ وَالَّذي لاَ شَك فِيهِ أَنَّ الأُمَوِيين قَدْ سَاهمُوا مُسَاهمَة فعَّالة فِي ٱنْتشَار مَذْهَب التَّشيُّع وَتَوطِيدَه.

عبقة نبوّية، ومجة علوية:

وَمِنْ الخَيْر أَنْ نَقْتَطف الكَلمَات التَّالِية مِنْ كتَاب «الإِمَام زَيد» لفَضِيلة الشَّيخ مُحَمَّد «أَبُو زُهرَة».

«ٱستُشهد زَيد فِي المَعرَكة، وَمَات فِي المَـيدَان، وَفِـي مُشْـتَجر السُّـيُوف، وَمَرمىٰ السِّهام، فمَات شُجَاعاً حرّاً أَبيّاً، لَمْ يَرض بِالدَّنيَة فِي دِينه، ولَمْ يَرض بِأَنْ يَرىٰ بَاطلاً يَرتفع، وحَقّاً يَنْخَفض، وَسُنَّة تَموت، وَبِدعَة تَـحيا، وَشَـرعاً يُـهدَم، وَظُلماً يَقوم، لَمْ يَرض بِأَنْ يَرىٰ ٱستبدَاداً يُرهق النّفوس وَيَرمُض القُلوب.

مَات ذَلِكَ المَوت الكَرِيم الَّذي إِرتضَاه لنَفْسه وَلدِينه، وَنَال الدَّرجَـة الرَّفـيعَة الَّتي لاَ يَنَالهَا إِلاَّ الصِّديقُون، وَالشُّهدَاء المُقربُون، وَلكن فِي النَّفس حَسرَة، بَل أَنَّ نَفس المُؤمِنْ لتَذهب حَسرَات عَلىٰ عِترَة الرَّسُول وَمَا نَزل بِهم؛ وَلاَ نَدري لِمَاذَا كَتَب فِي لوَحهِ المَحفُوظ وَفِي قَدْره المَقدُور أَنْ يَكُون هَذَا مَآل الَّذِين يُـطَالبُون

بالحقّ مِنْ أَبْنَاء الحَسنين رَضي الله عَنهُما، وَهُما سَيّدا شبَاب أَهْل الجنَّة، كَمَا جَاء فِي الحَدِيث عَن الرَّسُول الكَرِيم[١].

وأَنَّ العَقْل ليَلتَمس فِي ذَلِكَ عِبرَة يَعْتبر بِهَا، وَلاَ يَجد فِي ذَلِكَ إِلاَّ أَنْ يَضرب المَثْل للإستشهَاد فِي سَبِيل الحَقّ، وَالنُّطق بِكَلمة الحَقّ، ولَقَد قَالَ النَّبيّ الكَرِيم: «سيّد الشُّهدَاء عَمّي الحَمزَة بن عَبدالمُطلب»[٢]، «وَرَجُل قَالَ كَلْمَة حقّ أَمَام سُلطَان جَائر»[٣]. ولَقَد ضرب الله سُبْحَانهُ مَثلاً فِي الإِستشهَاد يُقتَدىٰ بهِ، وَيَهتدىٰ بنُوره فِي هَؤُلاَء الأَبرَار، فَقَد فَدوا الإِسْلاَم بِأَنفسِهم، والحَقّ بِأروَاحِهِم، وكَان حَقّاً عَلىٰ كلّ مُؤْمِن أَنْ يُطَالب بمَا يُطَالبُون بهِ، ويَقُول كَلْمَة الحَقّ فِي كلّ مقَام، وَحَسبه أَنْ يَنَال شَرف الشَّهادَة كَهؤلاَء.

وَقَدْ يَقُول قَائل: وَهَل أَفَادت كَلْمَة الحَقّ الَّتي قَالُوها ؟!... لَقَد كَانَتْ الفَائِدَة لَو أنتَصروا وَسَادوا. وَنَقول فِي جوَابه: أَنَّ كَلْمَة الحَقّ الَّتي قَالُوها، وَذَهَبت أَروَاحهم الطَّاهرة فِي سَبِيلها أَفَادت الحَقّ فِي ذَاته، وَحَركت الضَّمائر المُؤمنَة، وَحَسبُك أَنْ تَعلم أَنَّ مَقْتل الحُسَيْن ذَهب بِالدَّولة السُّفيَانِيَة، وأَنَّ مَقتل زَيد ذَهب بِالدَّولة المَرْوَانية، وَأَزَال الله حُكمها، وحقَّت كَلمَة الله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[٤].

وَقَدْ أَجمَع أَهْل العِلْم عَلىٰ أَنَّ زَيداً كَان عَالِمَاً غَزِير العِلْم، وَاسع الأُفق،

(١) أنظر، الإمَام زَيد، الشَّيخ أَبو زُهرَة: ٥٩ الطَّبعَة الأُولىٰ. (مِنهُ).

(٢) أُنظر، ذَخَائر العُقبىٰ، المُحبّ الطَّبري: ١٧٦ طَبعَة ١٣٥٦ هـ.

(٣) أُنظر، غُرر الحِكَم: ٨٩٥٧.

(٤) آل عِمْرَان: ١٤٠.

مُستَبحر المِعرفَة، عَلم آرَاء الفُقهَاء مَا بَيْنَ حجَازيِّن وَعـرَاقـيِّين، ولَـمْ يَـجْتَمع العُلمَاء عَلىٰ تَقدِير عَالم، كتَقدِير زَيـد، فَأَهـل السُّـنَّة، والشِّـيعَة، والمُـرجـئَة، والمُعْتَزلَة قَدْ أَجمعُوا عَلىٰ إمَامته فِي العِلْم، وأَنَّه كَان حَجَّة فِي الفِقْه، ولَقَد اَعْتَبر العُلماء ثَورَة زَيد عَلىٰ الطُّغيَان ثَورة أَهْل العِلْم وَالزُّهد، وَذكر بَعْض المُؤرخِين أَنَّ الَّذِين قَاتلوا مَع زَيد كَانُوا مِنْ الفُقهَاء وَالقُراء[1]. وَقَـدْ تَـتَلمذ عَـلَيه أَبُـو حَـنِيفَة سَنتَين[2]، وقَالَ: «شَاهَدتُ زَيداً، فمَا رَأَيتُ فِي زَمَانه أَفْقَه مِنْهُ، وَلاَ أَعلَم، وَلاَ أَسرَع جوَاباً، وَلاَ أَبيَن قَولاً»[3]، لَقَد كَان مُنْقَطع النَّظِير[4].

وَذكَر اَبن البَزّاز أَنَّ زَيداً قَد أَرْسَل إِلىٰ أَبِي حَنِيفَة (يَدعُوه إِلىٰ البَيْعَة، فَقَال: لَو عَلِمتَ أَنَّ اَلنَّاس لاَ يَخذلُونه كمَا خَذَلوا أَبَاه، لجَاهَدتُ مَعَه لأَنَّه إِمَام بِحقّ، وَلَكنْ أُعِينَه بِمَالي. فَبَعث إِليه بِعَشرة آلاَف درهَم، وَقَالَ للرَّسُول: أَبْسط عُذرِي عِندَه. وَفِي روَاية: اَعتَذر إِليهِ بِمَرض يَعْتَرِيه...)[5].

وَسُئل عَن خرُوجه، فَقَال: (يُضَاهِي خرُوج رَسُول الله ﷺ يوم بَدر[6]، فَقِيل لهُ: لِمَ تَخَلّفتَ عَنهُ؟ فَقَالَ: حَبَسنِي عَنهُ وَدَائع اَلنَّاس، عَرضتهَا عَلىٰ اَبن أَبِي لَيلَىٰ، فَلَم يَقْبَل، فَخِفتُ أَنْ أَموت مَجْهُولاً، وَكَان كُلّما ذَكَر خرُوجه بَكَىٰ)[7].

---

(١) أُنظر، الحُور العِين: ١٨٥، الرَّوْض النَّضِير شَرْح مَجْمُوع الفِقْه الكَبِير: ١ / ١٣٠، مَقَاتل الطَّالبِيين: ١٣٥.

(٢) أُنظر، الإِفَادة فِي تَأرِيخ الأَئِمّة السَّادَة: ٤٦، الرَّوْض النَّضِير شَرْح مَجْمُوع الفِقْه الكَبِير: ١ / ١١٤.

(٣) أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٨ / ٢٦٠، تَهذِيب التَّهْذِيب: ٧ / ٣٠٥، غَايَة الإِخْتصَار: ٨٥.

(٤) أُنظر، الخُطَط للمَقرِيزي: ٤ / ٣٠٧.

(٥) أُنظر، المصَادر السَّابقة، وَالمَصَابِيح، لأَحمَد بن إِبْرَاهِيم: ٤٠١. وَلَكن بِلَفظ (ثَلاَثِين أَلف درهَم).

(٦) أُنظر، مَنَاقب الإِمَام الأَعظم أَبِي حَنِيفَة لِاَبن البَزّاز الكَردي: ١ / ٢٥٥.

(٧) أُنظر، الحَدَائِق الوَردِيّة فِي مَنَاقِب الأَئِمّة الزَّيدِيّة: ١ / ٣١٨، مَنَاقب أَبِي حَنِيفَة: ١ / ٢٥٥.

وَقَد أَخَذ أَبُو حَنِيفَة يُشَجع ٱلنَّاس، وَيَحثهُم عَلَىٰ الخُرُوج مَع النَّفس الزَّكِية بَعد أَنْ بَايَعه، بَل أَنَّه أَفتىٰ بِأَنَّ الخُرُوج مَعَه أَفضَل مِن الحَجّ النَّفل خَمسِين أَو سَبعِين مَرَّة[١]. وَهَكذا نَرىٰ ثَورَة الفُقهَاء وَالقُرَّاء وَالمُحدثِين وأَهْل التُّقىٰ.

وَقَدْ تَحلىٰ زَيد بن عَليّ بصفَات شَخصيَة تَنزع بِهِ إِلَىٰ العِلْم النَّقي الصَّافِي، وأَنَّ تِلْكَ صفَات الصَّفوة مِنْ آل عَلي بن أَبي طَالب، فَكأَنَّ السَّجايا العِلميّة، وَالخُلِيقَة الكَرِيمة مِيرَاث يَتوَارثه أُولئك العَلِية الأَكرمُون مِنْ آل النَّبيّ ﷺ وَكَأَنَّه تَجري فِي نفُوسِهم الأَخْلاَق النَّبوِيَّة، كَمَا تَجري فِي عرُوقِهم الدِّمَاء النَّبوِيَّة الطَّاهرة الزَّكية، وَمَا مِنْ صِفة مِنْ أَي إِمَام مِنْ أَئِمَّة آل البَيْت إِلاَّ وجدَت فِيهَا عَبْقة نَبوّية، وَهِمَّة عَلوية، ولِذَلِك كَان أَئِمَّة آل البَيْت مَوضع إجلاَل كلّ مُعَاصريهِم، لاَ فَرق بَيْنَ شِيعِي وَغَير شِيعِي وَيَرون فِيهم سجَايَا وَموَاهب لَيست فِي سَائر النَّاس، فَأَبو حَنِيفة لاَ يَرىٰ فِي جَعْفَر الصَّادق إِلاَّ عَلمَاً عَاليَاً وَخُلقَاً سَاميَاً، وَلاَ يَعدل بِهِ وَبِأَبِيهِ مُحَمَّد البَاقر أَحَد، وَمَالك كَان يُجل جَعْفَر بن مُحَمَّد، وَلاَ يَرىٰ فِي المَدِينَة مَنْ يُسَاويه.

وَفِي الجُملة لَمْ يَكُن فِي آل البَيْت فِي القَرن الأَوَّل والثَّانِي إِلاَّ كلّ نَبيل وَخَلِيل كَرِيم، بخَاصَّة زَيداً وَإِخوَته، لأَنَّ الَّذي ربَّاهم، وَنَشأَهُم التَّنشئَة الأُولىٰ هُو زَين العَابدِين، وَقَدْ عَلمت مَكَانته وَسَابقَاته فِي الخُلق الكَرِيم، وَالفَضل، والسَّمَاحة وَالمُروءَة، وَلذَا ٱتصَف زَيد بصفَات جَلِيلة سَاميَة جعَلت مِنْهُ ذَلِكَ العَالَمْ العَظِيم، وَالمُجَاهد الَّذي جَاد بِأَقصىٰ مَا يَملك، وَهُو نَفْسه»[٢].

---

(١) أُنظر، المُعَارضَة فِي الفِكر السِّيَاسي الإِسْلاَميّ، الدُّكتُورة نِيفِين عَبدالخَالق مُصطَفىٰ: ٣٩٣، التَّجدِيد فِي فِكر الإِمَامة عِند الزَّيدِيَّة فِي اليَمَن لأَشوَاق أَحْمَد مَهدي غَليس: ٦١.

(٢) أُنظر، الإِمَام زَيد بن عَليّ، الشَّيخ مُحَمَّد أَبُو زُهرَة. (مِنْهُ ﷺ).

الوليد بن يزيد بن عبدالملك:

هَلَك هِشَام بَعْد أَنْ حَكَم تِسع عَشرَة سَنَة وَأَشهُراً، وَتَولىٰ بَعْده الوَليد بن يَزِيد آبن عَبدالمَلك، وَآسم أُمّه أُمّ الحجَّاج، وهِي بِنْت مُحَمَّد بـن يُـوسف الثَّـقفي، فَالحجَّاج بن يُوسف عَمّ وَالدَته[١]. وَآتّفق المُؤرخُون عَلىٰ أَنَّ الوَلِيد عَكَف عَلىٰ حلّ البَطَالة، وَالصَّيد، وَالمَلاَهي، وَالشَّراب، وَمُعَاشقة النِّسَاء، وَهُو أَوَّل مَنْ حَمَل المُغنِين مِنْ البُلدَان إِلَيه، وكَان خَلِيعاً مُتَهتكاً وَمِنْ شِعرِهِ[٢]:

إِنَّما الكَأس رَبِيع بَاكر ... فَإِذَا لَمْ نَذقهَا لَمْ نَعش

وَكَان بِالشَّام مُغنٍ يُقَال لهُ أَبُو كَامل[٣]، فَقَال فِيهِ الوَلِيد:

مَنْ مُـبْلغ عَـني أَبَـا كَـامل ... إِنّي إِذَا مَـا غَـاب كَـالهَابَل

قَالَ المَسْعُودِي فِي مُروج الذَّهب، وَهُو يُتَرجم لهُ: «غَنَّاه آبْن عَائِشَة[٤] صَوتاً فطَرِب، فَقَال لهُ الوَلِيد: أَحْسَنت وَالله يَا أمري، أَعد بِحَق عَبد شَـمس، فَأَعَـاد، فَقَال: أَعد بِحَق أُمَيَّة، فَأَعَاد... فقَام الوَليد إِلىٰ المُغني، فَأَكب عَلَيه، ولَـمْ يَـبق عُضو مِنْ أَعضَائه إِلاَّ قَبْله، وَأَهوىٰ إِلىٰ إِحلِيله لِيُقبله، فَضَمَّه المُغني بَيْنَ فُخذَيه، فَقَال لهُ الوَلِيد: لاَ والله حَتَّىٰ أُقبّله، وَمَا زَال بِهِ حَتَّىٰ قَبّله، وَأَعـطَاه أَلف دِيـنَار، وَأَركَبه بَغله، وقَالَ: مَرَّ بِهَا عَلىٰ بسَاطي، فَفَعل، وَصَنع حَوضاً فِي بُستَان وَمَـلأه

---

(١) أنظر، تَأرِيخ الطَّبري: / ٥٢٠، البِدَاية وَالنّهاية: ٩ / ٣٨٦، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٣٣١، الكَامل فِـي التَّأرِيخ: ٥ / ١٢١، التَّنبِيه وَالإِشرَاف: ٢٨٠، تَأرِيخ خَلِيفَة: ٢٨٢، تَأرِيخ مَدِينَة دِمَشق: ٦٣ / ٣٢٠.

(٢) أنظر، أَمَالي السَّيّد المُرتَضىٰ: ٢ / ٨٣.

(٣) أُنظر، ترجمته في تهذيب الكمال: ٢٣ / ٣٢٠، إِكمَال الكَمَال، لاِبن مَاكُولا: ٤ / ١٤٦.

(٤) هُو أَوَّل عبّاسي صُلب فِي الإِسلاَم، كمَا جَاء فِي الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٦ / ١٣٢، تأرِيخ الطَّـبري: ١٠ / ٢٦٩ ـ ٢٧٠، تأرِيخ دِمَشق: ٥٦ / ٤٥١.

خَمراً، فكَان يَسْبح فِيهِ مَع الفوَاحش، وَيَشرب مِنْهُ حَتَّىٰ يُبين فِيهِ النَّقص، وَنَزل يَوْمَاً عَلىٰ آبْنته، وقَالَ: مَنْ رَاقب النَّاس مَات غمَّاً»[1].

وقَالَ المَسْعُودِي: قَرَأ الوَليد ذَات يَوْم قَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾[2] فَدَعا بِالمُصحف، وَنَصَبه غَرضَاً للنّشَاب، وَأَقبَل يَرمِيه، ويَقُول[3]:

أَتُـــوعد كُـلّ جبَّار عَـنيد فَـهَا أَنـا ذَاك جَـبّار عَـنِيد
إِذَا مَا جِئتَ رَبُّك يَوْم حَشر فَقُل يَا رَبّ خَرقَنّي الوَلِـيد

وَقَدْ ذَكر النَّبيّ فِي شِعرِهِ، وأَنَّ الوَحي لَمْ يَأته مِنْ رَبّه.

هَؤُلاَء هُم حُكَام الأُمويُون يَشـربُون وَيَـزنُون، وَيَـتلهُون بِـالصَّيد وَالقُـرُود، وَيُقبلُون عَورَات المُغنِين، وَيَشتمُون النَّبيّ الأَعْظَم، وعَليَّاً، وفَاطِمَة، والحَسن، والحُسَيْن، وَيَقتلُون الصُّلحَاء وَالأَوليَاء، وَيَهدمُون الدُّور عَلىٰ أَهلهَا، وَيَـقطعُون الأَيدي والأَرجُل، وَيَنبشُون القبُور، وَيَصلبُون الأَموَات.

إِنَّ الزّنا، وَالشَّراب، وَاللّهو، وَالغِناء، وَمَا إِلَىٰ ذَلِكَ مِنْ المُوبقَات لَمْ تَمنع الوَلِيد

---

(١) أنظر، مُروج الذَّهب: ٣ / ٢٢٠. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) إِبْرَاهِيم: ١٤ ـ ١٦.

(٣) أنظر، الشّعر فِي شَذرَات الذّهب: ١ / ١٦٨، البدء والتّأريخ: ٦ / ٥٣، تأرِيخ الخَـمِيس: ٢ / ٢٢٠، تأريخ آبن الأثِير: ٥ / ١٣٧، الحُور العِين لِابن نَشوَان الحِميَري: ١٩٠، تَفْسِير الطّبري: ٩ / ٣٥٠. ثُمّ لَم يَلبَث الوَلِيد إلاّ أَيّاماً حَتَّىٰ قُتل شرّ قَتلَة، وَطِيف بِرَأسِهِ فِي أَزقة دِمَشق، ثُمّ صُلب جَسَده عَلىٰ قَصرِهِ، ثُمّ عَلىٰ سُور بَلدِهِ.

وأُنظر، المُحلىٰ: ١١ / ٢٠٠، مقَاتل الطَّالبِيين: ١٠٣، عُمدَة الطَّالب: ٢٥٩، البِـدَايـة وَالنّـهاية: ١٠ / ٥، الكَامل لِابن الأثِير: ٥ / ٢٧١، تأرِيخ الطّبري: ٨ / ٢٩٩، تأرِيخ الإسلاَم للذَّهبي: ٥ / ١٨١.

وتصرفه عن الظلم، وتتبع أولاد الأنبياء، فقد أمر أن تحرق جثة زيد وخشبته، ويذرى رماده في الهواء، وفي أيامه ظهر يحيى بن زيد بالجوزجان[1] وأتت يحيى نشابة في جبهته من قبل رجل من موالي عنزه يقال له: عيسى ـ لعنه الله ـ مولى لعيسى بن سليمان من بني مرة، واستشهد على أثرها، ثم جاء سورة ابن محمد بن عزيز الكندي فاحتز رأس يحيى، وحمله إلى مروان الحمار[2]، وأخذ عيسى العنزي قميصه، وغلبه سورة على الرأس فانطلق به إلى نصر بن سيار[3]، وكان ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة من عام (١٢٦ هـ) وقيل (١٢٥ هـ)[4].

وتكررت المأساة إذ احتز رأسه، وبعث به إلى الوليد فبعثه إلى المدينة، ووضع، في حجر أمه، فنظرت إليه قائلة: «شردتموه عني طويلاً، وأهديتموه إلي قتيلاً، صلوات الله عليه بكرة وأصيلا»[5]. أما الجسم فقد بقي مصلوباً على باب الجوزجان، بقرية أرغويه[6]. حتى ظهرت المسودة في خراسان بقيادة

(١) اسم كورة من كور بلخ بين مرو الروذ وبلخ، ويقال لقصبتها اليهودية، وهي التي عناها دعبل في قصيدته:

وأخرى بأرض الجوزجان محلها ‏ ‏ ‏ وقبر بباخمرا لدى الغربات

انظر، مراصد الاطلاع، معجم البلدان: ٣ / ٢٢٣.

(٢) انظر، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة: ٥٤.

(٣) انظر، تاريخ الطبري: ٥ / ٥٣٧.

(٤) انظر، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة: ٥٤، الشافي للإمام عبدالله بن حمزة: ١ / ١ / ١٩٠، تاريخ الطبري: ٥ / ٥٣٦.

(٥) انظر، عمدة الطالب لابن عنبة: ٢٦٠، سر السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري: ٦١.

(٦) انظر، مقاتل الطالبيين: ١٤٩، تاريخ الطبري: ٥ / ٥٣٦، الكامل في التاريخ: ٤ / ٢٤٧.

الخُرَاسَاني، فَأنْزَلُوه مِن خَشَبتِهِ، وَغَسَّلوه، وَحَنطُوه، وَكَفَّنُوه، وَدَفنُوه فِي (أَنْبِيْر)[١].

وَكَان لِيَحيىٰ مَكَانه عَظِيمَة عِند الإِمَام الصَّادقعليه السلام، وَلِذا عِندَما سَمِع بِشَهادَته عليه السلام، وَصَلبه حَزَن الإِمَامعليه السلام عَلَيه حُزناً عَظِيماً.

وَقَالَ فِي حَقِّهِ: «إِنَّ آل أَبِي سُفيَان قَتَلوا الحُسَيْن بن عَليّعليهما السلام فَنَزَع الله مُلكهم، وَقَتل هِشَام زَيد بن عَليّ فَنَزع الله مُلكه، وَقَتل الوَلِيد يَحْيَىٰ بن زَيد رَحِمه الله فَنَزع الله مُلكه»[٢].

وَأَظهَر أَهْل خرَاسَان النِّيَاحة عَلىٰ يَحيىٰ سَبعَة أَيَّام فِي سَائر أَعمالهَا، ولَمْ يُولد فِي تِلْكَ السَّنَة بخرَاسَان مَولُود إِلاَّ سُمي بِيَحيىٰ أَو يَزِيد. وَقَبرَه الآن مَشهُور مَزُور إِلَىٰ هَذِه الغَاية[٣].

هَذِي هِي حَقِيقة الأُمَويين وَسيَاستهُم كَمَا صَورهَا المُؤرخُون، فَلاَ بَدع إِذَن أَنْ يَحدث الإِنفجَار، وَتَهب العَاصِفَة، تُدمر مُلكهُم، وَتَسحق كلّ مَا فِيهِ مِنْ آثَارهم. لَقَد عَاث الأُمويُون فِي الأَرْض الفَسَاد، وَاستَعملوا جَمِيع وَسَائِل العُنف، وَالإِرهَاب، وَالمَكر، وَالخُدَاع، ولَمْ يَحسبُوا حسَاباً لأَمر الله، وَغَضبة الشُّعوب الَّتي تَنْتَصر دَائِمَاً عَلىٰ الطُّغَاة. وفِيمَا يَأتي مِنْ الصَّفحَات نَرىٰ كَيف انْتَهىٰ أَمر الأُمَويِين.

---

(١) أُنظر، الإِفَادة فِي تَأرِيخ الأَئِمَّة السَّادَة: ٥٤، مَوسُوعة الفِرق الإِسلاَمِيّة: ٤٧٠.

(٢) أُنظر، ثوَاب الأَعمَال للشَّيخ الصَّدوق: ٢٢٠، بحَار الأَنوَار: ٤٦ / ١٨٢، رِيَاض السَّالكِين للسَّيد عَليّ خَان المَدني: ١ / ٦٩.

(٣) أُنظر، مُروج الذَّهب: ٣ / ٢٢٥ طَبعَة سَنَة ١٩٤٨م. (مِنهُ رحمه الله).

الكُمَيْت

كَان مِنْ أَثَر سِيَاسة أُمَيَّة الغَاشمَة ضِدّ الإسْلاَم وَالإِنْسَانِيَّة ثَورَة الإِمَـام سـيِّد الشُّهدَاء الحُسَيْن بن عَليّ عليه السلام ، وَثورَة التَّوابِين بقيَادة سُليمَان بن صَرد الخُزَاعي[1] ، وَثورَة المُختَار للأخذ بِالثَّأر ، وَثورَة زَيد بن عَليّ ، وَثورَة وَلَده يَـحيىٰ ، وَأَخِـيراً ثَورَة عَبدالله بن مُعَاوِيَة بن عَبدالله بن جَعْفَر الَّذي قُتل أَيَّام مَرْوَان الحِـمَار آخـر مُلُوك بَني أُمَيَّة .

اَستُشهد أَبْنَاء عَليّ وفَاطِمَة ، ليُحَققوا العَدَالة ، وَالحُرّية ، وَالمُسَاوَاة بَيْنَ النَّاس ، وَسَقط الشَّهِيد مِنْهُم تُلو الشَّهِيد ، ليُغذوا هَذِه المُثْل بِـدمَائِهم الزَّكـيّة وَأَروَاحـهم الطَّاهرة ، ولَقَد خَلقت هَذِه الدِّمَاء شَاعراً لَمْ تَعرف الدُّنْيَا ، وَلَن تَعرف أَصدَق مِنْهُ ، وَلاَ أَكثَر جِهاداً وَإِخلاَصاً ، وَلاَ أَعظَم جُرأة وَشجَاعَته ؛ وَلاَ أَشَدّ عُنفاً عَلىٰ البَاطِل وَأَهْله ، وَلاَ أَقوَىٰ دفَاعَاً عَن الحَقّ وَأَنصَاره ، وَلاَ أَعْلَم ، بِهِ وَبِهم ، شَاعراً ثَـائراً لاَ يَبْتَغي مِنْ ورَاء ثَورَته مَـالاً ، وَلاَ شُـهرة ، وَلاَ مَـنصباً ، لاَ شَـيء إِلاَّ الله وَالحَـقّ ، وَالإِنْتصار للنَّبيّ وَأَبنَائه ، وإِلاَّ القَضَاء عَلىٰ الطُّغَاة وَالأَنذَال ، وإِلاَّ تَحطِيم القـيُود ،

---

(١) أُنظر ، مُروج الذَّهب : ٣ / ١٠٣ .

وَالأغلاَل، هذَا الشَّاعر هُو الكُمَيْت بن زَيد الأَسديِ[1]، قَالَ المَسْعُودِي:

«لمَّا قَالَ الكُمَيْت الهَاشميَات قَدِم البَصرَة، فَأَتىٰ الفَرَزْدَق، وقَالَ لهُ: يَا أَبَا فِرَاس، أَنا ٱبْن أَخِيكَ، قَالَ: وَمَن أَنتَ؟ فَٱنْتَسب لهُ، فَقَال: صَدَقت، فمَا حَاجتك؟ قَالَ: نَفَث عَلىٰ لسَاني، وَأَنتَ شَيخ مُضر وَشَاعرهَا، وَأَحببت أَنْ أَعرض مَا قُلتُ، فَإنْ كَان حَسَناً أَمرتَني بِإذَاعته، وَإلاَّ أَمرتَني بِستره.

فَقَال: هَات، فَأَنْشَدَه[2]:

طَرَبتُ وَمَا شَوقاً إِلَىٰ البِيْض أَطرِبُ ... وَلاَ لَعباً مِني وذُو الشَّيب يَلعبُ؟

قَالَ: بَلىٰ فَالعَب. قَالَ:

وَلَمْ يُلهِني دَارٌ وَلاَ رَسمُ مَنْزِلٍ ... ولَمْ يَتَطرَّبني بنَانٌ مُخَضَّبُ

قَالَ: فمَا يَطربُك إِذَن؟ قَالَ:

وَلاَ أَنَا مِمَّن يَزجرُ الطَّير هَمّه ... أَصَاح غُرَابٌ أَو تَعَرَّض ثَعْلبُ

فَقَال: وَإلىٰ مَنْ تَسمُو؟ قَالَ:

وَمَا السَّانحَات البَارحَات عَشِية ... أَمرّ سَلِيمُ القَرن أَم مرّ أَعْضَبُ

قَالَ: أَمَّا هَذَا فَقَد أَحْسَنت فِيهِ، فَقَال:

---

(١) هُو الكُمَيْت بن زَيد بن خنَس الأَسدي، أَبُو المُسْتَهل، شَاعر الهَاشميين، مِن أَهْل الكُوفَة، أشتُهر بِالعَصر الأُموي، شِعرَه يُقَارب أَكثر مِن خمسَة آلاَف بيْت. أُنظر، تَرجَمته فِي الشّعر وَالشُّعرَاء: ٥٦٢، خُزَانة الأَدب للبَغدَادي: ١ - ٦٩، جَمهَرة أَنْسَاب العَرب: ١٨٧.

(٢) أُنظر، مُروج الذَّهب: ٣/٢٤٢ طَبعَة ١٩٤٨م. (مِنْهُ ﷺ). وأُنظر، الأَغَاني: ١٥/١٢٤ و: ١٧/٢٨، شَرح هَاشميَات الكُمَيْت لأَبي رِيَاش القَيسي: ٦٦، الهَاشمِيَات وَالعَلويَات، قَصَائِد الكُمَيْت، وَابن أَبي الحَدِيد: ٢٦. أَمَالي السَّيِّد المُرتَضىٰ: ١/٢٨، تأرِيخ دِمَشق: ٥/٢٣٣، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ٥/٣٨٨، شَرح الشَّرِيف الرَّضي عَلىٰ الكَافِية: ٢/٢٤١.

وَلَكن إِلَىٰ أَهْلِ الفَضَائِلِ وَالنُّهىٰ وَخَيرِ بَني حوّاء وَالخَيْر يُطلبُ

قَالَ: مَنْ هُم ؟ قَالَ:

إِلَىٰ النَّفرِ البِيض الَّذين بِحُبّهم إِلَىٰ الله فِيمَا نَابَني أَتقرَّبُ

قَالَ: أَرْحنِي مَنْ هَؤُلاَء ؟ قَالَ:

بَني هَاشم رُهط النَّبيّ فَإنَّني بِهِم وَلهُم أَرضىٰ مِراراً وَأَغْضَبُ

قَالَ: لله دَرُّك، أَحْسنَت وَأَحْسنت، إذْ عَدلت عَن الزَّعَانف وَالأَوبَاش، إِذَن لاَ يَصرد سَهمك، وَلاَ يَكذب قَولَك، ثُمَّ مَرّ الكُمَيْت فِي قَصِيدَته، فَقَال الفَرَزْدَق: أظْهر ثُمَّ أظْهر، وَكد الأَعدَاء، فَأَنت والله أَشعَر مَنْ مَضىٰ، وَأَشعَر مَنْ بَقىٰ[1].

فَحِينئذٍ قَدِم الكُمَيْت المَدِينَة، وَأَنْشَد الإِمَام مُحَمَّد البَاقر بن عَليّ بن الحُسَيْن، فَلَمَّا بَلَغ مِنْ المِيمِية قَوله:

وَقَتِيل بِالطَّف غُودر مِنْهُم بَيْنَ غَوغَاء أُمّة وَطُغَام

بَكىٰ الإِمَام؛ ثُمَّ قَالَ يَا كُمَيت، لَو كَان عِندَنا مَال لأَعطينَاك، وَلَكن لكَ مَا قَالَ الرَّسُول ﷺ لحَسَّان بن ثَابت: «لاَ زلتَ مُؤيداً بِرُوح القُدس مَا ذَببت عنَّا أَهْل البَيْت».

وَأَتىٰ الكُمَيْت عَبدالله بن الحَسن بن عَليّ، فَأَنشَده، فَقَال: يَا أَبَا المُسْتهل أَنَّ لِي ضَيعَة أُعطِيت بِهَا أَرْبَعة آلآف دِينَار، وَهَذَا كتَابهَا، وَقَدْ أَشهدتُ لكَ بِذَلك شهُوداً، ونَاوَلَهُ إِيَّاه. فَقَال لهُ: بِأَبي أَنتَ وَأُمّي، إِنّي كُنت أَقول الشّعر فِي غَيركُم، أُرِيد بِهِ الدُّنْيا وَالمَال، وَلاَ وَالله مَا قُلت فِيكُم إِلاَّ لله وَمَا كُنت لآخذ عَلىٰ شَيء جَعَلته لله مَالاً وَلاَ ثَمناً، فَأَلح عَلَيه عَبدالله، وَأَبىٰ مِنْ إِعفَائه. فَأَخذ الكُمَيْت

(١) أنظر، مُروج الذَّهب: ٢ / ١٩٤، مَعَاهد التَّنصِيص، العَبَّاسي: ٢ / ٢٦.

الكِتَاب وَمَضىٰ، فَمَكث أَيَّاماً، ثُمَّ جَاء إِلَىٰ عَبدالله، وقَالَ لهُ: بِأَبي أَنْتَ وَأُمّي يَا ٱبْن رَسُول الله، أَنَّ لِي حَاجة؛ قَالَ: مَا هِي؟ وَكلّ حَاجة لكَ مَقضِية. قَالَ: كَائِنة مَا كَانَت؟ قَالَ: نَعْم. قَالَ: هَذَا الكِتَاب تَقبلَه وَتَرجع الضّيعه، ووَضع الكِتَاب بَيْنَ يَدَيه، فَقَبله عَبدالله.

وَنَهض عَبدالله بن مُعَاوِيَة بن جَعْفَر، وَجَعل يَدخل دُور بَني هَاشم، ويَقُول: يَا بَني هَاشم، هَذَا الكُمَيْت قَالَ فِيكُم الشّعر حِين صَمَت النَّاس عَن فَضلكُم، وَعرّض دَمه لبَني أُمَيَّة، فَأَثيبُوه بمَا قَدَرتُم، فَجَمعُوا لهُ الدَّراهم وَالدَّنانِير، وكَانَتْ المَرأَة تَنْزع الحُلي عَن جَسَدها، وَتَهبه للكُمَيت حَتَّىٰ ٱجْتَمع مَا قِيمَة مِئَة أَلف دِرهم، وَحِين رَآها الكُمَيْت قَالَ: مَا أَرَدت بمَدحِي لَكُم إِلاَّ الله وَرَسُوله، وَلاَ أَكُ لآخذ ثَمناً مِنْ الدُّنْيَا، فَردُوا المَال إِلَىٰ أَهله، فَجَهد عَبدالله أَنْ يَقبَله بِكُل حِيلَة، فَأَبىٰ[1].

هَجَا الكُمَيْت الأُمَويين، وَشَهرَّ بِهم، وَبمسَاوئِهم؛ وَأَعلَن أَنَّهُم الطُّردَاء، الطُّلقَاء، اللُّعنَاء عَلىٰ لسَان النَّبيّ ﷺ، وَمَدح العَلويين، وَٱنْتَصر لهُم، وَأَشَاد بِفَضلِهم مُعلنَاً أَنَّهُم الهُدَاة، وَسُبل النَّجَاة، وأَنَّ السَّعَادة فِي هَذِه الدَّار لاَ تنَال إِلاَّ بِطَاعتِهم وَالإِنقيَاد لهُم، وأَنَّ الفَوز غَداً لمَن تَمَسك بِحَبلهم ووَلاَئِهم، هَجَا أُولئِك، وَمَدح هَؤلاَء لله وَفَاء لدِينه وَعَقيدَته فِي وَقت يُعلن فِيهِ شَتم عَليّ عَلىٰ المَنَابر، وكَان الإِتهَام بِالزَّندَقة، والكُفْر أَهوَن مِنْ تُهمَة التَّشيُّع لِعَليّ وَأَبْنَاء النَّبيّ، وكَان جَزَاء المُحبِين لهُم قَطع الأَيدِي، وَالأَرجُل، وَالأَلسُن، وَالصَّلب، أَو الدَّفن حيَّاً.

---

(١) أُنظر، مُروج الذَّهب: ٢ / ١٩٥، الأَغَاني: ١١٩ و ١٢٦.

طَعن الكُمَيْت بالأُمَويين، وَرَمَاهم بِالفَسَاد وَالإِستبدَاد، وبِكُلّ نَـقِيصة تَـتَنزَه عَنها اللُّصوص وَالقرَاصنة، وَٱستَشهد بِسِيرتهُم وَقَدَّم الأَرقَام مِنْ أفعالِهِم، فَـمِن أَقوَاله الَّتي لاَ يَبلغهَا الإِحصَاء!.

أَلاَ هَـل عَمٌ فِـي رَأيـهِ مُـتَأمل ... وَهَـل مُـدبر بَـعْد الإِسَـاءة مُـقبل
وَهَل أُمَّـة مُسْتَيقظُون لِرُشـدِهم ... فَـيَكشف عَـنْهُ النَّـعسَة المُـتَزمل
رَضِـينا بِـدُنيا لاَ نُـريد فـرَاقـها ... عَـلىٰ أننَا فِـيهَا نَـموت وَنُـقتَل
أرَانا عَـلىٰ حبّ الحَـيَاة وَطـولهَا ... يَجد بِنا فِـي كـلّ حِـين وَنُـهزل
فَتِلك أُمُور النَّاس أَضحَت كَأنَّـها ... أُمُــور مُـضَيع آثـر النَّـوم بُـهل
فَيَا سَاسَة هَاتوا لنَا مِنْ جـوَابكُـم ... فَفِيكُم لعَـمري ذُو أَفـانِين مُـقول
فَكَيف وَمَنْ أَنّىٰ وَإذْ نَـحن خَـلفَه ... فَـريقَان شَـتىٰ تُسـمنُون وَنُـهزل
فَيا رَبّ هَل إلاَّ بكَ النَّصر يُـرتجىٰ ... وَيَا ربّ هَـل إلاَّ عَـلَيك المُـعول

تَسمنُون وَيُهزل صَرخه مِنْ أَعمَاق القَلب المَصدُوع تـهزّ المَشَـاعر، وَتُـلهب الأَفئِدة، تَسمنُون مِنْ دِمَائنا أَيُّها الطُّغَاة، وَتَعيشُون عِيشَة التَّرف وَالبَذخ، وَنَعِيش عِيشَة الفقْر وَالبُؤس!....

وقَالَ:

تَـحل دِمَـاء المُسْـلِمِين لدَيـهُم ... وَيَـحرم طَـلع النَّـخلَة المُـتَهدل
فَيا رَبّ عَـجل مَـا نُـؤمل فِـيهُم ... لِيَــدفأ مَـقرُور وَيَشـبع مُـرمل

سَجَّل فِي قَوله هَذَا شعُور النَّاس نَحو الأُمَويين، وأنَّه لاَ أَحَد فِيهم يُؤمَن شرّه، وَيُرجىٰ خَيره، فَيُدفَع بَرداً عَن عَارٍ، وجُوعاً عَن جَائعٍ، وإذَا لَمْ يَكُـن مِـنْ أَمـل يُرجىٰ فَعَلاَم السّكوت، وَالنَّوم عَلىٰ الضَّيم والطُّغيَان؟! وإلَىٰ مَـتىٰ الصَّـبْر عَـلىٰ

الإذلال والهون ؟ ! وقال :

فقل لبني أميّة حيث حلّوا وإن خفت المهند والقطيعا
أجاع الله من أشبعتموه وأشبع من بجوركم أجيعا

هذه هي كلمة الحقّ الّتي أخوف ما يخافها الأمويون ، وأضرابهم ، والّتي لا جزاء لقائلها عندهم إلاّ السّيف أو الجوع ، لأنّها تنكر التّمييز وتقسيم النّاس إلى فئتين : فئة قليلة أكولة شرهة تستكبر ، وتستعلي ، وتجور ، فتفترس الأرواح ، وتشرب الدّماء ، وتداوي البطون من التّخمة والبشم ، وأخرى هي الأكثرية تلقى في الطّريق كالقمامة ، تقاسي ألم النّزع والموت البطيء ، وقد كانت هذه الموازنة والمقابلة بين الجائعين والمترفين وما زالت تعمل عملها في تحطيم التّيجان ودك العروش ، وقلب الأنظمة والأوضاع ، هذه الكلمة الّتي يتغنى بها المصلحون اليوم ، ويجعلها الكتّاب الأحرار هدفاً للأدب والفن ، ويكتبون حولها المقالات والمؤلفات ، ومئات القصص والرّوايات ، هذه الكلمة كانت الطّابع الأصيل في شعر شعراء الشّيعة ، وفي طليعتهم الشّاعر الأسدي الكميت بن زيد ، قال الأستاذ جورج جرداق :

« يثور الأدب الشّيعي على الخلفاء الّذين لا فرق عندهم بين البشر والسّائمة : ويقول عنهم على لسان الكميت[1] :

ساسة لا كمن يرى رعية النّا س سواء ورعية الأنعام
لا كعبد المليك ولا كوليد أو سليمان بعد أو كهشام

(١) أنظر ، عليّ والقوميّة العربيّة : ٥ / ١١٩٠ الطّبعة الأولى . (منهُ رحمه الله) .

ويَقُول الكُمَيْت فِي هِشَام وَبَني مَرْوَان الَّذِين يُخَاطبُون النَّاس عَلىٰ المَنَابر بِالعَدل وَيَنزلُون عَنهَا، فَيَعملُون بِالجَور:

مُصِيب عَلىٰ الأَعوَاد يَوْم ركُوبِهَا　　بِمَا قَالَ حَقَّاً مُخطيء حِين يَنزل

كَلاَم النَّبِيين الهُدَاة كَلاَمنا　　وَأَفعَال أَهْل الجَاهلِيَّة نَفْعل

وَيُمعن الأُمويُون فِي اضطهَاد هَذَا الشَّاعر الثَّائر: فَيَسجنُونه، وَيُعَذبُونه وَيُنكلُون بِهِ، فمَا يُبَادرهُم إلاَّ بِمثل هَذَا القَول[1]:

مَا أُبَالي وَلَن أُبَالي فِيهم　　أَبَداً رَغم سَاخطِين رُغَام

إنْ أُمُت لاَ أُمت وَنَفسي نَفسَان　　مِنْ الشَّك فِي عَمَىٰ أَو تَعامىٰ

وَهَدَده الأُمويُون بِالقَتل، وَرَعدُوا وَأَبرقُوا، فَقَال[2]:

اَرْعَد وَاَبْرق يَا يَز　　يد هُما وَعِيدك لِي بضَائر

وَظلَّ الكُمَيْت يُحَارب الأُمَويين، حَتَّىٰ قُتل، ولَمْ يَتهَيب شُعرَاء الشِّيعَة أَنْ يَتوجهُوا إلَىٰ الأُمَويين بِلَهجة العُنف لإِغفَالهُم شُؤون النَّاس، وَانصرَافهُم إلَىٰ أَنْفُسهِم، فَهذَا هَمَّام بن عَبدالله يَبعث إِلَىٰ يَزِيد بِقَصِيدة يَقُول فِيهَا[3]:

حَشَينا الغَيظ حَتَّىٰ لَو شَربنَا[4]　　دِمَاء بَني أُمَيَّة مَا رَوينَا

لَقَد ضَاعَت رَعِيَتكُم وَأَنتُم　　تَصيدُون الأَرَانب غَافلِينا

---

(١) أُنظر، الفُصُول المُختَارة، الشَّيخ المُفِيد: ٤١.

(٢) أُنظر، أَمَالي القَالي: ١/ ٩٦، شَرح نَهج البَلاَغة لِإبن أَبي الحَدِيد: ١/ ٢٣٧، تَرتِيب إِصلاَح المَنطق لِإبن السِّكِيّت: ٧٦، لسَان العَرب لِإبن مَنظُور: ٣/ ١٨٠.

(٣) أُنظر، المَجَازات النَّبوِية، الشَّرِيف الرَّضي: ١٥٣، تأرِيخ مَدِينَة دِمَشق: ٣٢/ ٣٥١، تَأرِيخ الإِسلاَم، الذَّهبي: ٤٧٠ حوَادث سَنَة ٦١ ـ ٨٠، البِدَايَة وَالنِّهَايَة: ٨/ ٣٦٢.

(٤) وَرَد فِي بَعض المصَادر السَّابقة هَكَذا: (شَرِبنَا الغَيظ حَتَّىٰ لَو سُقِينا).

وَمِنْ جُرأة شُعراء الشّيعَة عَلىٰ مُلُوك بَني أُميّة قَوْل الفَرَزْدَق فِي هِشَام ابْن عَبدالمَلك(١):

يُقلّب رَأساً لَم يَكُن رَأس سَيّد   وَعَيناً لهُ حَولاء بَاد عيُوبهَا

وَيَدلنا شِعر الكُمَيْت أنَّ للشّاعر مَنهَجاً مُعيناً يَسير عَلَيه، وَلاَ يَتعدّاه، وَهَدفاً خَاصّاً يَعْمل لهُ، وَيَتحمل مِنْ أجلِهِ الإضطهَاد وَالعنَاء، وَيُعرّض نَفْسه للمُوت وَالهَلاك، وَالهَدف الَّذي يَعْمل لهُ الشّاعر هُو أَنْ يَكُون الحُكْم والسُّلطَان للعَلويين دُون سوَاهُم، فهُم الَّذِين يَسبغُون عَلىٰ الرَّعيّة وَالخَيْرَات وَالبَركَات، وَيُجنبُونهَا الشُّرور وَالوَيلاَت، وَيُحققُون لهَا الغِبطَة وَالسّعَادة، وَبِهم يَنجُو الإنْسَان غَداً مِنْ عذَاب الله وَغَضبه، وَيَسْتَشهد الشّاعر عَلىٰ ذَلِكَ بِالقُرآن، والحَدِيث، وَالبرَاهِين العَقليّة، يَسُوقها فِي شِعره يَدعَم بِهَا رَأيه، وَيُؤيد مَذْهَبه.

قَالَ الجَاحظ: «مَا فَتح للشّيعَة بَاب الحِجَاج إلاّ الكُمَيْت» حَيْث يَقُول(٢):

(١) انظر، تَأريخ دِمَشق: ٣٦/ ١٦١، و: ٤١/ ٤٠٢، دِيوَان الفَرَزْدَق: ٢/ ٧٨، طَبعَة بَيرُوت، تَهذِيب الكمَال: ٢/ ٤٠٢، شَرْح الأخبَار: ٣/ ٢٦٤، وَفيَات الأعيَان: ٥/ ١٤٥، صَفوة الصّفوة: ٢/ ٥٤، تَذكرة الخوَاصّ: ١٨٦، تأرِيخ المُلوك للقَرماني: ١١٠، ينَابِيع المَودّة: ٣٧٩، مطَالب السّؤول: ٧٩، شَرح الحمَاسَة للتّبرِيزي: ٤/ ١٦٧ طَبعَة سَنَة (١٣٥٨م)، نهَاية الإرب: ٢١/ ٣٢٧ ـ ٣٣١، و: ٣/ ١٠٧ ـ ١٠٩، زُهر الآدَاب: ١/ ١٠٣، سرح العُيون لإبْن نَبَاتة: ٣٩٠، البِدَاية وَالنّهَاية: ٩/ ١٢٨، سِير أعلاَم النّبلاَء: ٤/ ٢٩٩، الطّبقَات الكُبرىٰ لإبْن سَعد: ٥/ ٢١١.

ذَكر الجَاحظ فِي رَسَائلِهِ (٨٩) أنّ هِشَام بن عَبدالمَلك كَان يُقَال لهُ: الأحول السّراق، وَقَد أنشَده أبُو النّجم العِجلي أرجُوزَته الَّتي يَقول فِيهَا: الحَمد لله الوَهُوب المُجزل.

فَأخذ يُصَفق بِيَدَيه أستحسَاناً لهَا حتّىٰ صَار إلىٰ ذِكر الشّمس قَالَ: وَالشّمس فِي الأرْض كَعين الأحوَل، فَأمر بُوج عُنُقه وَإخرَاجه، وَعَلّق الجَاحظ عَلىٰ ذَلِك بِقوله: وَهَذا ضَعف شَدِيد، وَجَهل عَظِيم.

(٢) أنظر، تَأرِيخ مَدِينَة دِمَشق: ٥٠/ ٢٣٩، الفُصُول المُختَارة: ٢٨٦، شَرح هَاشمِيَات الكُمَيت لأبي

فَإنْ هِي لَمْ تَصلح لحَـي سـوَاهُـم فَـإنَّ ذَوو القُـربىٰ أَحَـق وَأَرجَبُ
يَقولون لَمْ يُـورث وَلَـولا تُـرَاثـه لَقَد شَـركت فِـيهِ بِكَـيل وَأَرْجبُ

وَبِكَيل وَأَرجب قَبيلتَان مِنْ العَرب، وقَالَ فِي العَلوِيين[1]:

فَـهُم الأَقـربُون مِـنْ كـلّ خَـير وهُــم الأَبـعَدُون مِـنْ كـلّ ذَام
وَهُم الأَوفُون بِـالنَّاس فِـي الرَّأ فـة وَالأَحـلمُون فِـي الأَحـلاَم
بَسَــطوا أَيـدي النَّـوال وَكـفُوا أَيــدي البَــغي عَـنْهُم وَالعـرَام
أَخذُوا القَصد فَأَسـتقَاموا عَـلَيه حِـين مَـالت زوَامـل الأَيَّـام
خَير حِـي وَمَـيت مِـنْ بَـني آدَ م طُــــراً مَأمُــومهُم والإِمَــام

فَبَنوا هَاشم جَمِيعَاً إِمَامهُم وَمَأمُومهُم خَير النَّاس طُراً الأَحيَاء مِنْهُم وَالأَموَات، قَالَ[2]:

بَـني هَـاشم رُهـط النَّـبيّ وَإِنَّـني بِهم وَلهُـم أَرض مـرَاراً وَأَغـضَب
خَفَضت لهُم مِنّي جـنَاحي مَـودَّة إِلَىٰ كَـنف عَـطفَاه أَهْـل وَمَـرحَب
فـمَا لِــي إِلاَّ آل أَحْــمَد شِـيعَة وَمَالي إِلاَّ مَـذْهَب الحَـقّ مَـذْهَب
وَمِنْ غَيْرِهم أَرضىٰ لنَفسي شِـيعَة وَمِنْ بَعْدَهُم لاَ مِنْ أَجـل وَأَرحَب

وَإِننَا لنُلمح فِي هَذَا القَول إِخلاَصاً لاَ يَتزعزَع، وَإِيمَاناً يَزدَاد قوّة كُلّما إِزدَادت

⇐ ريَاش القَيــي: ٦٥. الهَاشِميَات وَالعَلويَات. قَصَائِد الكُمَيْت. وَأبن أَبي الحَدِيد: ١٦٠.

(١) أُنظر. العُمدَة لِإبن البطريق: ٩. شَرح هَاشمِيَات الكُمَيْت لأَبي ريَـاش القَيــي: ٦٦. الهَـاشِميَات وَالعَلويَات. قَصَائِد الكُمَيْت. وَأبن أَبي الحَدِيد: ٢٦.

(٢) أُنظر. شَرح هَاشميَات الكُمَيْت لأَبي ريَاش القَيــي: ٦٦. الهَاشِميَات وَالعَلويَات. قَصَائِد الكُمَيْت. وَأبن أَبي الحَدِيد: ٢٦.

الخطُوب وَالنَّكبات فِي سَبِيل حبّ أَهْل البَيْت ومَودَّتهُم. وَقَدْ جُمع شِعر الكُمَيْت الَّذي مَدح فِيهِ العَلويين، وَفَضلهم فِيهِ عَلىٰ النَّاس أَجمعِين، وَطُبع فِي دِيوَان خَاص أُطلِق عَلَيه أَسم (الهَاشمِيَات) وَعَدد أَبيَاتها خَمْسمِئَة وَسِتَة وَثَلاثُون بَيتاً، طُبِعت فِي أُوروبَا، ثُمَّ فِي مَصر، وَأهتَّم بِشَرحهَا العُلمَاء وَالأُدبَاء مِنْ العَرب وَالمُسْتَشرِقِين.

وَفِي ذَات يَوْم، وَالكُمَيْت فِي مَجْلس وَالي الأُمَويين يُوسف بن عُمَر الثَّقفي أَنْقَضَّ عَلَيه ثمَانِية مِنْ حَرس الوَالي، وَتَنَاوَلوه بِسيُوفِهم، ولَمْ يَتركُوه إِلاَّ بَعْد أَنْ يَئسوا مِنْ حيَاته، وَفِي آخر لحَظة مِنْهَا فَترح عَينَيه، وقَالَ: أَللَّهُمَّ آل مُحَمَّد، أَللَّهُمَّ آل مُحَمَّد[1].

مَات الكُمَيْت، وَلَكن عَقِيدَته الَّتي أَستُشهد مِنْ أَجلهَا مَا زَالت حَيَّة تُدِين بِهَا المَلاَيين فِي شَرق الأَرْض وَغَربهَا، وَسَتَبقىٰ مَا بَقِي الإِسْلاَم والقُرْآن.

وَبالتَالي، فَإِنَّ رِسَالة الكُمَيْت، وَسِيَاسَته، وَعَقِيدَته تُعَبر عَن مَعْنىً وَاحِد يَتَلخص فِي الوَلاَء للعَلويين، وَالإِعتمَاد عَلَيهم فِي أُمُور الدُّنْيَا وَالآخِرَة لأَنَّهُم المَثْل الأَعَلىٰ للحَقّ، وَالعَدْل، والمُسَاوَاة، وَمِنْ أَجل ذَلِكَ جَاهد وَكَافح، وَفِي سَبِيله قُتل وَأسْتُشهد. رِضوَان الله عَلَيهِ وَرَحمَته وَبَركَاته[2].

---

(١) أنظر، الأَغَاني: ٢ / ٢١١ و: ١٥ / ١٢١ و ١٣٠. مَعَاهد التَّنصِيص، العبَّاسي: ٢ / ١٣١.

(٢) أُنظر، المصَادر السَّابقَة، بِالإِضَافة إلىٰ خُزَانة الأَدب، البَغدَادي: ١ / ٨٧. ثمَار القُلوب، الثَّعَالبي: ١٧١، مُروج الذَّهب: ٢ / ١٩٥.

بَنُو العَبَّاس

قَامَت الثَّورَات ضِدَّ الأُمَويين مُنذ اليَوْم الأَوَّل لحُكمِهِم، وَٱمتَدت إِلَىٰ اليَوْم الأَخِير، وَلكنَّها كَانَتْ فِي بدَايتهَا ثورَات ضَيقَة مَحدُودة يَقْضِي عَلَيهَا الولاَة فِي يَوْم أَو أَيَّام، أَمَّا الثَّورَة الكُبرىٰ الَّتي عَجزَت أُمَيَّة عَن مُقَاومتهَا وَالقَضَاء عَلَيهَا فَقد جَاءت فِي عَهْد مَرْوَان الحمَار آخر مُلُوك الأُمَويين[1]، حَيْث تَمَردت عَلَيه القَبَائِل وَخَرج الجَيْش وَالشُّرطة عَن طَاعتهِ، وَتَخلف النَّاس عَن نُصرَته، وَهَان عَلىٰ كلِّ إِنْسَان، وَٱنْفضَّ أَنصَاره مِنْ حَوله، حَتَّىٰ ضَاقت الدُّنْيَا فِي وَجْهه، ولَمْ يَجده بَذل الأَموَال وَالإِغرَاء بِالمنَاصب.

وكَان يَفر مِنْ الجيُوش الزَّاحفَة فِي أَثَره، وَيَنْتَقل مِنْ بلدٍ إِلَىٰ بَلد، وكُلَّما وَصَل إِلَىٰ مكَان لَقيَه أَهْله شرّ لقَاء، قَصد المُوصل فَشَتمه سُكانهَا، وَأَغلقُوا أَبْوَاب

---

(١) عُرف بِالحمَار لقِلة عَقْله، أَو مَأخُوذ مَن مَوت العَزيز ﷺ هُو مِئَة عَام، ثُمَّ بَعثهُما الله تَعَالىٰ فَالحُكم الأُموي أَستَمر مِئة عَام. أنظر، الثّقَات لِابْن حَبَّان: ٢ / ٣٢٢، تَأرِيخ دِمَشق ٥٧ / ٣٢٠، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ٦ / ٧٦ و ١٠٤، لسَان المِيزان: ٥ / ٣٧٥، مَنَاقب آل أَبِي طَالب: ٣ / ٣٩٩، فَتح البَاري: ١٣ / ١٨٣، الفَائِق فِي غَرِيب الحَدِيث للزَّمخشري: ٢ / ٢٨، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٩ / ٢٨٤.

مَدِينتهُم فِي وَجْهه، ذَهَب إِلَىٰ قِنَّسرِين[١] فَوَثب أَهلهَا عَلَىٰ جُندَه، فَتَركها إِلَىٰ حمَاة فَاَعْتَدوا عَلَيه. رَجع الشَّام فَرَّد عَنْها، اتَّجه إِلَىٰ فَلسْطِين فَولوا وجُوههُم عَنْهُ، وَهَكذا تَتَبعه العبَّاسيُون، وَهُو يَفر أَمَامهُم مِنْ بلدٍ إِلَىٰ بَلد حَتَّىٰ وَصل إِلَىٰ قَريَة بُوصِير مِنْ أَعمَال مَصر، فَقُتل بِهَا فِي آخر سَنَة (١٣٢ هـ)[٢]، وَبِقَتله اَنْتَهت خِلاَفَة بَني أُمَيَّة[٣]، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤].

خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ:

قَالَ المَسْعُودِي:

«كَان جَمِيع مُلك بَني أُمَيَّة، إِلَىٰ أَنْ بُويع أَبُو العَبَّاس السَّفَّاح، أَلف شَهْر كَامِلَة، لاَ تَزِيد وَلاَ تَنقُص، لأَنَّهم مَلكُوا تِسعِين سَنَة، وَاحد عَشر شَهراً، وَثَلاَثة عَشر يَوْمَاً»[٥].

(١) هِي مَدِينَة بَيْنهَا وَبَيْن حَلَب مَرحَلة، كَانت عَامرَة، آهلَة، فَلَمَّا غَلب الرُّوم عَلَىٰ حَلب سَنَة (٣٥١هـ) خَاف أَهْلهَا، فَهَربوا وَجَلوا مِنْهَا كمَا جَاء فِي مرَاصد الإِطلاَع: ٣/ ١١٢٦، الغَارَات: ٢/ ٤٧٦.

(٢) أُنظر، التَّنْبِيه وَالإِشرَاف، المَسْعُودِي: ٢٨٤.

(٣) أُنظر، تَأرِيخ مَدِينَة دِمَشق: ١٨/ ٣٠٣، تَهذِيب الكمَال: ١٧/ ٣٥٢، تَأرِيخ خَلِيفَة: ٣٢٥، إِكمَال الكَمَال، لِابْن مَاكُولا: ٢/ ٧٧، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٦/ ٥٧، شَرْح نَهج البَلاَغة لِابن أَبي الحَدِيد: ٧/ ١٦٠. وَمِمَّا يُذكر أَنَّ مِن عِبر الدُّنيَا أَنْ رَأينَا رَأس مَروَان فِي فَم كَلْب: وَذَلِك لمَّا قُطع لسَانه وَأُلقِي مَع لَحم عُنقه، فَجَاء كَلْب فَأَخذ اللِّسَان. شَرْح نَهج البَلاَغة لِابْن أَبي الحَدِيد: ٧/ ١٦١.

(٤) الأَنْعَام: ٤٥.

(٥) أُنظر، التَّنْبِيه وَالإِشرَاف، المَسْعُودِي: ٢٨٤، ومُروج الذَّهب وَمَعادن الجَوهر، تَفسِير الطَّبري: ٣٠/ ٢٦٠، تُحفَة الأَحوذي: ٩/ ١٩٧، تَأرِيخ الطَّبري: ٥/ ٦٢٢.

وَجَاء فِي تَفْسِير الرَّازي عَن القَاسم بن فَضل عَن الإِمَام الحَسن عليه السلام : أَنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وآله رَأىٰ فِي منَامه بَني أُمَيَّة يَنزُون عَلىٰ مِنبَره نَزو القُرُود، فَشَق ذَلِكَ عَلَيه فَأَنزَل الله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[1] إِلَىٰ قَولِهِ: ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[2] يَعْني مُلك بَني أُمَيَّة.

قَالَ القَاسم: فَحَسبنَا مُلك بَني أُمَيَّة، فَإِذَا هُو أَلف شَهر[3].

العَبَّاسيُّون يستَغلُون الظَّرف:

كَان العَالم الإِسْلاَمي فِي إِلتَهاب عَام، وَسَخط شَامل ضِدّ الأُمَويين، وَكَان المُسْلمُون مُتجهُون بِعقُولِهِم وَقُلوبهم إِلَىٰ أَبْنَاء عَليّ دُون غَيْرِهم، لأُمُور:

١ ـ أَنَّهُم أَهْل البَيْت، وَقَدْ أختَارهُم الله لِرسَالَته وَوَحيه، فَبالأَحرىٰ أَنْ يَختَارهُم النَّاس لقِيَادتهُم وَتَدبِير شُؤونهُم، بِخَاصَّة أَنَّ الثَّورة عَلىٰ الأُمَويين قَامت بِأسم الدِّين، وَالخَوف عَلىٰ شَريعَة سَيِّد المُرسَلِين، وَأَبنَاؤه، هُم الأُمنَاء عَلىٰ شَرِيعَته، وَالمُحَافظُون عَلىٰ سُنَّته، فَإِذَا حَكمُوا عَملوا بِسِيرَته مِنْ إِقَامة العَدْل، وَإِحقَاق الحَقّ.

٢ ـ أَنَّهُم أَوَّل مَنْ ثَار عَلىٰ الأُمَويين وَأستبدَادهُم، وأَوَّل مَنْ عَبَّر عَن رَأْي

(١) القَدْر: ١.

(٢) القَدْر: ٣.

(٣) أنظر، تفسير القُرطُبي: ١٠ / ٢٨٢، تفسير الطَّبري: ١٥ / ١١٢، تفسير أبن كَثِير: ٣ / ٥٠، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٤ / ٥٢٧ ح ٨٤٨١، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ١١ / ٣٤٨ ح ٦٤٦١، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٢ / ١٠٨، مَجْمَع الزَّوَائد: ٥ / ٢٤٤، العِلل المُتنَاهِيَة: ٢ / ٧٠١ ح ١١٦٨، تأرِيخ الطَّبري: ٥ / ٦٢٢.

المَظلُومِين، وَطَالبوا بِحقُوقِهِم، وأَوَّل مَنْ آستُشهد مِنْ أَجلِهِم، وَمَنْ دَفَع الغُرم فَلَهُ الغنم.

٣ ـ أَنَّ شِيعَة عَليّ وَأَبْنَاءه، كَانُوا الحِزب القَوي المُعَارض الَّذي عَمَل فِي السّر وَالخفَاء ضِدّ الحُكْم الأُموي، وَبَذل فِي هَذَا السَّبِيل النَّفس وَالنَّفِيس، وَلاَقىٰ رِجَال الشّيعَة مَا لاَقَاه الأَئِمَّة الأَطهَار مِنْ التَّقتِيل والتَّنْكِيل.

وَيُعزز هَذِه الأَسْبَاب مَا قَاله آبْن الأَثِير: «مِنْ أَنَّ النَّاس كَانُوا يَقُولُون للأُموِيين بَعْد أَنْ زَال مُلكهُم: الحَمد لله الَّذي أَتَانا بِأَهلِ لبَيْت نَبِينا، وأَنَّ العَبَّاسِيين كَانُوا يَتَذرعُون بثَأر الحُسَيْن، وَزَيد وَوَلده يَحيىٰ»[1]!....

لَقَد آستَغل بنُو العَبَّاس سَخط الرَّعيَة عَلىٰ بَني أُمَيَّة، وَمُعَارضة الشّيعَة لحُكمِهِم، وَتَعلق النَّاس بِالعَلوِيين، وَأَظهرُوا أَنَّ غَايتهُم الأُولىٰ إِسقَاط الأُموِيين، وَأرَاحة النَّاس مِن ظُلمِهِم، ثُمَّ يَختَارون مَنْ تَتفق عَليه الكَلمَة مِنْ آل بَيْت الرَّسُول، فَالعبَّاسيُون لَمْ يُقدموا فِي بُدء الأَمْر أَشخَاصاً مِنْهُم وَلاَ مِنْ غَيْرِهم، وَإِنَّما قَدَموا المَبدأ الَّذي يُدَافعُون عَنْهُ، تَمَاماً كَمَا فَعَلت فَرنسَا، وَأنجلتَرا حِين حَارَبت الأَترَاك، وَزَعمتَا أَنَّهما يَبتغيَان تَحرِير البِلاَد العَرَبِيَّة مِنْ الظُّلم، ثُمَّ تدعَان البِلاَد لأَهلهَا يُقررُون مَصيرهُم بِأَنفسِهِم، حَتَّىٰ إِذَا زَالت دَولة الأَترَاك آستَبدت فَرنسَا بسُورية، وَلُبنَان، وَتَحكمت أنجلتَرا بِالعرَاق، وَالأُردن، وَقَدَّمت فَلسطِين لإِسرَائيل.

قَالَ فَلهَوزن: «كَان العَبَّاسيُون يَعملُون مَا آستطَاعوا عَلىٰ أَنْ يُخفُوا عَن النَّاس أَنَّهُم كَانُوا يُرِيدُون تَنحِيَة بَني فَاطِمَة، بَل كَانُوا يُظهرُون أَنَّهُم يَعمَلُون مِنْ أَجل بَني

---

(١) أنظر، الكَامل فِي التَّأرِيخ لاِبْن الأَثِير: ٤ / ٣٣٠ و ٣٣٢. (مِنْهُ رحمه الله).

فَاطِمَة، وَظَهروا فِي خرَاسَان وَغَيرها بِدَعوىٰ أَنَّهُم يُرِيدُون أَنْ يَثأرُوا الشُّهدَاء أَبْنَاء فَاطِمَة... وكَان لاَ بُدّ لهُم أَنْ يَتَخذوا حِزب الشِّيعَة عمَاداً لهُم آزاء بَني فَاطِمَة، فَأَمَّا أَنْ يَعْتقد الشِّيعَة مَا يَشَاءون، وأَنْ تَكُون سِيرَتهُم فِي الحَيَاة كَمَا يُحبُون، فكَان العَبَّاسيُون يَعتَبرُون ذَٰلِكَ مَسْأَلَة يُمكن حَلّها فِيمَا بَعْد[1].

اَرْتَفع العَبَّاسيُون بِاَسم العَلويِين، وعَلىٰ أَكتَاف شِيعَتهُم، ثُمَّ تَنكرُوا لهُم، وَاَشتَدوا عَلَيهِم قَسْوَةً وَعُنفاً، وَقَبل أَنْ نَدخل فِي التَّفاصِيل نُمَهد بِكَلمَة تُظْهِر حَقِيقَة بَني العَبَّاس بِوَجه عَام.

مَنْ هُمْ بَنُو العَبَّاس؟:

لاَ يَفْتَرق العَبَّاسيُون عَن بَني أُمَيَّة فِي شَيء، لاَ فِي الظُّلم، وَالقَسْوَة، وَلاَ فِي الفسُوق، وَالفجُور، وَلاَ فِي الإِستهتَار وَالزَّندَقة، فَالغَاية وَاحدَة عِند الجَمِيع، وهِي الإِنْتفَاع وَالإِستغلاَل، فَالمَبدأ وَاحد، وَهُو اللاَّمُبَالاَة بِالدِّين؛ فَالكلّ رَكَب متُون الأَهوَاء، وَسَلك طَرِيق الضَّلال، مِنْ قَطع الرُّؤوس، ونَصّب المَشَانق، وَهَدم الدُّور عَلىٰ الأَحيَاء، وَمَا إبرَاهِيم وَأَخُوه السَّفَّاح إِلاَّ كمُعَاوِية، وَمَا المَنْصُور وَالرَّشِيد إلا كهِشَام، وَمَا المُتوكل إِلاَّ يَزِيد بن مُعَاوِيَة، فَلقَد عَرفنَا حَاكمِين يَتخذُون مِنْ القَتل وَسِيلَة لتَوطِيد سُلطَانهم، أَو لحِفظ الأَمن بِزَعمِهم، أَمَّا مِنْ ذَكرنَاه مِنْ الأُمَويِين، وَسَنذكرهُ مِنْ العَبَّاسِيين فَقَدكَان يَقْتل لاَ لسَبب إِلاَّ بدَافع مِنْ الغَدْر، وَالإِسرَاف فِي القَتل.

---

(١) أُنظر، تَأْرِيخ الدَّولَة العَرَبِيَّة وَسقُوطها لهَاوزن: ٤٨٩ طَبعَة ١٩٥٨م. (مِنْهُ رحمه الله).

حِين ضَاق النَّاس ذرعاً بالأُمويين، وبلَغ الإستيَاء ذروته مِنْ سيَاسَتهم أرسَل إبرَاهِيم الإمَام[١] ـ أخو السَّفَّاح ـ أبَا مُسْلم الخرَاسَاني إلَىٰ خرَاسَان، وقَالَ لهُ فِيمَا قَالَ: احفظ وَصِيَتي: انظر هَذَا الحَي مِنْ اليَمن، فأكرمهُم وَأسكُن بَيْنَ أظهرهم، فَإِنَّ الله لاَ يُتم هَذَا الأمْر إلاَّ بِهم، وأنَّهُم رَبيعة فِي أمرهِم، وَأمَّا مُضر فَإِنَّهم العَدوّ القَرِيب الدَّار، وَاقتُل مَنْ شككت فِيهِ، وإنْ استَطعت أنْ لاَ تَدع بخرَاسَان مَنْ يَتَكلم بِالعَرَبِيَّة فَافعَل، وَأيّما غُلام بَلَغ خَمسَة أشبَار تَتهمه فَاقْتله[٢]!...

وَبَعْد أنْ نَقل المَقرِيزي هَذَا الكَلاَم مِنْ كتَاب (النّزاع وَالتَّخاصم) قَالَ مُعقباً: «فَأين أعزَك الله هَذِه الوَصِية مِنْ وَصَايا الخُلفاء الرَّاشدِين لعُمَالهِم، وَتَالله لَو تَوجه أبُو مُسْلم إلَىٰ أرْض الحَرْب، ليَغزو أهْل الشِّرك بالله، لمَا جَاز أنْ يُوصي بِهَذا، فَكَيف وَإِنَّما تَوجه إلَىٰ دَار السَّلاَم، وَقتَال أبنَاء المُهَاجرِين والأنصَار، وغَيْرِهم مِنْ العَرب ليَنتَزع مِنْ أيديهِم مَا فَتَحَه آبَاؤهم مِنْ أرْض الشِّرك، ليَتخذُوا مَال الله دُولاً، وَعَبِيده خُولاً؟! وَقَدْ عَمَل أبُو مُسْلم بِوَصيَة إبرَاهِيم»[٣].

وَأي فَرق بَيْنَ قَوْل إبرَاهِيم العَبَّاسي: (وَاقْتُل مَنْ شَككت فِيهِ) وَقَوْل مُعَاوِيَة الأُموي حِين كَتَب إلَىٰ عُمَّاله: (انظرُوا مَنْ اتَّهمتمُوه بمُوَالاَة أهْل البَيْت فَنَكلوا بِهِ وَاهدمُوا دَارَه)[٤]؟!... وَأرسَل السَّفَّاح مُحَمَّد بن صَول وَالياً عَلَىٰ المُوصل[٥]،

---

(١) قَبَض مَرْوَان الحمَار عَلَىٰ إبرَاهِيم، وَمَات فِي حَبسِهِ مَقتُولاً أو مَسمُوماً. (مِنْهُ رحمه الله).

(٢) انظر، النّزاع وَالتَّخاصم: ١٣٥، تَأرِيخ الطَّبري: ٦ / ٢٢ ـ ٢٨، حوَادث سَنَة (١٢٩ و ١٣٧ هـ)، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٤ / ٢٩٥، البِدَايَة وَالنِّهَايَة: ١٠ / ٢٨ و ٦٤، الإمَامة وَالسِّيَاسة: ٢ / ١١٤، العِقد الفَرِيد: ٤ / ٤٧٩، شَرْح نَهج البَلاَغة لابن أبِي الحَدِيد: ٣ / ٢٦٧.

(٣) انظر، النّزاع وَالتَّخاصم: ١٣٥.

(٤) انظر، شَرْح نَهج البَلاَغة لابن أبِي الحَدِيد: ١١ / ٤٥، مَنَاقب أهْل البَيْت، حَيدَر الشّيروَاني: ٢٨.

فَٱمْتَنع أَهلهَا عَن طَاعته؛ وَسَألوا السَّفَّاح أَنْ يُولي عَلَيهم غَيْرَه، فَأَرسَل إِلَيهم أَخَاه يَحيىٰ فِي إِثني عَشر أَلف مقَاتل، فَخَافه أَهْل المُوصل، فنَادىٰ بِـالأَمَان «وَلمَّـا أَمنُوا عَلىٰ أَنْفُسِهم قَتَلهُم قَتلاً ذَريعاً، وَأَسرَف فِي التَّقتِيل حَتَّىٰ غَاصت الأَرجُـل فِي الدِّمَاء، فَلَمَّا كَان اللَّيل سَمع يَحيىٰ صُرَاخ النِّسَاء اللاَّتي قُتل رِجَالهُنَّ، فَأَمـر بِقَتل النِّسَاء وَالأَطفَال.....

وَٱستَمر التَّقتِيل ثَلاَثة أَيَّام[٦]!....

وإِذَا عَطَفنا هَذِه الحَادثَة عَلىٰ وَصيَّة إِبرَاهِيم عَلمنَا أَنَّ بَـني أُمَـيَّة لَـمْ يَسـبقُوا العَبَّاسِيين فِي الظُّلم وَالإِستبدَاد، وَلَو كُنَّا مِمَّن يُؤمِن بِالتَّنَاسخ لقُلنا أَنَّ رُوح مُعَاوِيَة تَقَمصَت فِي إِبرَاهِيم، وَرُوح الحَجَّاج فِي يَحيىٰ.

السَّفَّاح:

ٱسمه عَبدالله، وَكُنيته أَبُو العَبَّاس، وَلَقبهُ السَّفَّاح، وَهُو أَوَّل مَنْ تَولىٰ الحُكْـم مِنْ العَبَّاسِيين، بُويع سَنَة إِثنَتين وَثَلاَثين وَمِئَة، وَمَات سَنَة سِت وَثَلاَثين وَمِئَة، فكَانت أَيَّامه أَربع سِنِين وَأَشهُراً، قَضَاها فِي تَتَبُع الأُموِيين وَالقَضَاء عَلَيهم، وعَلىٰ أَتبَاعِهِم، وَمَنْ كَان قَدْ ٱتصَل بِهِم مِنْ قَرِيب أَو بَعِيد، فكَان السَّفَّاح لاَ يَسْكن وَلاَ يَهدأ مَا عَلم أَنَّ فِي أُموي عِرق يَنْبُض، وَفَوق ذَلِكَ لَمْ يَكُن لمَن يُشك في وَلاَئه،

(٥) أنظر، تَرجَمتهُ فِي تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢/ ٣٥٧، تَأرِيخ الطَّبري: ٦/ ٩٤، تَأرِيخ أبن خَلدُون: ٣/ ١٧٧.
(٦) أنظر، الكَامل فِي التَّأرِيخ لِابن الأثِير: ٤/ ٣٤٠ طَبعَة ١٣٥٧ هـ. (مِنْهُ). تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢/ ٣٥٧، تَأرِيخ الطَّبري: ٦/ ١١١، تَأرِيخ أبن خَلدُون: ٣/ ١٧٧.

أَو يَخشىٰ تَغييره فِي المُسْتَقبل إلاَّ حَد السَّيف[1]، كَمَا فَعل بِأَبي سَلمَة الخَلاَّل، وكَمَا صَنع عَاملهُ يَحيىٰ فِي المُوصل، وَعمَّه دَاود فِي الحِجَاز[2]، وَعمَّه سُليمان فِي البَصْرَة، وأَبُو مُسْلم فِي خرَاسَان[3]. فَقَد أَنْكَر فِي بخَارىٰ شُريك آبْن شَيخ المُهري عَلىٰ أَبي مُسْلم قَسوَته، وطَالب بِالحقّ وَالعَدْل، وقَالَ: لَمْ نُبَايع بَني العَبَّاس عَلىٰ سَفك الدِّمَاء وَقتل الأَنفس، فَقَتله أَبُو مُسْلم، وَنَكَّل بِرجَاله، وَكَانُوا ثلاَثِين أَلفاً[4].

آشتُهر السَّفَّاح بِهَذا اللَّقب، لكَثرَة مَا سَفَك الدِّمَاء، فَمِمَّا رَوَاه المُؤرخُون أَنَّه آستَدرج ثمَانِين مِنْ بَني أُمَيَّة، وَأَمرهُم أَنْ يَحضرُوا لأَخذ الجوَائز وَالعَطَايا، وَتَناول الطَّعَام، فَلَمَّا حَضروا أَمر بِقَتلهِم، ثُمَّ بَسَط عَلَيهم فرَاشاً، وَجَلس فَوقه يَأكل، وهُم يَضْطربُون تَحته وَيَصرخُون، فَلَمَّا فَرغ قَالَ: مَا أَكلت أَكلَة قَطّ أَهنَأ وَلاَ أَطيَب لنَفسي مِنْهَا. وإِذَا كَان الأُمويُون مُستحقُون للقَتل فَإِنَّ دَعوَتهُم إِلَىٰ وَلِيمَة، ثُمَّ قَتلهُم وَالأَكل عَلىٰ جُثَثِهِم تَجْعل القَاتل شَرِيكاً فِي الجَرَائم وَالرَّذَائل

(١) أنظر، تأرِيخ مَدِينَة دِمَشق: ٣١/٦٣ و: ٦٧/٣٠، تَهذِيب الكَمَال: ١٣/٥٠٦، تأرِيخ بَغدَاد: ٣/١٣٩، شَرح النَّهج لِابن أَبي الحَدِيد: ٧/١٥٣، فَتح البَاري: ١٣/١٨٤، تُحفَة الأَحوَذي: ٦/٣٩٢.

(٢) هُو عَمّ السَّفَّاح عَبد الله بن مُحَمَّد بن عَليّ بن عَبد الله بن العَبَّاس بن عَبدالمُطَّلب، آستَعمله عَلىٰ الكُوفة، وَكَان خَطِيباً، وَيُكنىٰ أَبَا سُليمَان، وَولي مَكّه وَالمَدِينَة أَيضاً، مَات سَنَة (١٨٣ هـ). أُنظر، المَعَارف لِابن قُتَيبَة: ٣٧٤.

(٣) أُنظر، الحُور العِين: ٢٧١، الكَامل لِابن الأَثِير: ٤/٢٧٠.

(٤) أُنظر، الكَامل فِي التَّأرِيخ لِابن الأَثِير: ٥/١٦٨ طَبعَة ١٣٥٧ هـ، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢/٣٥٤، تَأرِيخ الطَّبري: ٦/١١٣، تَأرِيخ آبن خَلدُون: ٣/١٧٧، البِدَاية وَالنِّهاية: ١/٦١، تَأرِيخ التَّمدن الإِسلاَمي: ٢/٤٠٢، الإِمَامة وَالسِّيَاسَة: ٢/١٣٩.

الَّتي اَتَّصف بِهَا الأُمويُون[1].

وكَان كَثِير مِنْ النَّاس، وَبـخَاصَّة الشُّـعرَاء، يَـغرُون العَـبَّاسِيِين بِـبَني أُمَـيَّة، وَيحثُونهُم عَلىٰ الفَتك، وَكَانُوا يَلتمسُون أَدْنىٰ المُنَاسبَات ليَذكرُوا الأُسرَة المَالكَة بشرّ مَا فَعَله الأُمويُون إلاّ أَبْنَاء عَليّ فَقَد كَانُوا يَنهُون العَبَّاسِيين عَن الإِسرَاف بِقَتل الأُمَويين، ويُوجدُون الأَعذَار لمَن بَقي مِنْهُم مَع أَنَّ أَكثَر مَظَالم الأُمَويين كَانَتْ تَقع عَلىٰ أَبْنَاء عَليّ، وَلَكن أَبْنَاء المُؤْمِنِين أَصْحَاب عَقِيدة وَمَبداً لاَ أَصْحَاب شَهوَات وَأَغرَاض، أَنَّهُم أَولاَد الَّذي عفَا عَن اَبْن العَاص فِي صِفِّين، وَعَـن مَـرْوَان يَـوْم الجَمْل، وَسَقىٰ مُعَاوِيَة المَاء بَعْد أَنْ مَنَعه مِنْهُ، وقَالَ: «إِذَا قَدَرت عَـلىٰ عَـدوّك فَاَجْعل اَلعَفو شُكرَاً للمَقدَرة عَلَيه»[2]، وَلاَ بَدع أَنَّهُم أَهْل بَيْت العَدْل وَالتَّقوىٰ.

قَالَ اَبْن الأَثِير: (لَمَّا أَرَاد دَاود قَتل مَنْ كَان مِنْ الأُمَويِين فِي مَكَّة وَالمَـدِينَة، قَالَ لَهُ عَبدالله بن الحَسن بن الحَسن: يَا أَخـي إِذَا قَـتَلت هَـؤُلاَء، فَـمَن تُـبَاهي بِالمُلك؟! أَمَا يَكفِيك أَنْ يَروك غَادِياً رَائحَاً فِيمَا يَذلهُم وَيَسوءهُم؟! فَـلَم يَـقبل مِنْهُ، وَقَتلهُم»[3].

وكَان مِنْ المُتوَقع أَنْ يُحَابي السَّفَّاح أَبْنَاء عَليّ وَشِيعَتهُم، وَيُقربهُم وَيُـفضلهُم عَلىٰ النَّاس أَجمَعين، لأَنَّهم كَانُوا وَالعبَّاسِيين حُلفَاء وَحِزبَاً وَاحداً ضِدّ الأُمَويين، وكَان العَبَّاسيُون يُموهُون عَلىٰ النَّاس بِأَنَّهم يَدعُون إِلَىٰ أَبْنَاء عَليّ، لأَنهُم أَقـرَب إِلَىٰ القُلوب مِنْ العَبَّاسِيين وَأَعظم شَأناً ومَنْزلَة عِند المُسْلمِين، وَلَكن بَني العَبَّاس

---

(١) أنظر، شَرح نَهج البَلاَغة لاِبن أَبي الحَدِيد: ٧ / ١٣٩، الأَغَاني: ٤ / ٣٤٦ طَبعَة الدَّار.

(٢) أُنظر، جواهر المطَالِب فِي مَنَاقب الإِمَام عَليّ لاِبن الدِّمَشقي: ٢ / ١٤٠ ح ٤.

(٣) أُنظر، الكَامل فِي التَّأرِيخ لاِبن الأَثِير: ١ / ٣٤. (مِنْهُ ﷺ).

غيروا سياستهم بعد أن أصبحت السيادة في أيديهم فتنكروا للعلويين وشيعتهم، وأوعزوا إلى الشعراء أن يعرضوا بأولاد علي، وينفوا عنهم حق الخلافة.

قال محمد أحمد براق:

«أن أصل الدعوة كان لآل علي، لأن أهل خراسان كان هواهم في آل علي لا آل العباس، لذلك كان السفاح، ومن جاء بعده مفتحة عيونهم لأهل خراسان، حتى لا يتزفشى فيهم التشيع لآل علي... وكانوا يستجلبون الشعراء ليمدحوهم، فيقدمون لهم الجوائز، وكان الشعراء يعرضون بأبناء علي وينفون عنهم حق الخلافة، لأنهم ينتسبون إلى النبي عن طريق ابنته فاطمة، أما بنو العباس فإنهم أبناء عمومة»[1].

هذا، إلى أن العباسيين تركوا مذهب أهل البيت، واعتنقوا مذهب التسنن، خوفاً أن ينتشر التشيع، وينتقل الحكم إلى العلويين، وبهذا سار العباسيون على نفس الطريق الذي سار فيه الأمويون سياسة، وعقيدة، وعملاً.

والخلاصة: أن السفاح لم يقتل أحداً من الشيعة، ولم ينكل بهم علناً كما فعل من جاء بعده من العباسيين؛ لأنه:

أولاً: كان مشغولاً بخصومه الأمويين واستئصالهم.

ثانياً: كان والشيعة بالأمس القريب يداً واحدة ضد بني أمية، وقد أدوا مهمتهم على أكمل الوجوه، وساعدوا على وصوله إلى الحكم.

ثالثاً: كان يقيم في الكوفة، واتخذها عاصمة له، وأهلها من شيعة علي، ولم

(١) انظر، كتاب أبو العباس السفاح، محمد أحمد براق: ٤٨ (منه ﷺ).

يَكُن لهُ مِنْ القوَّة مَا يُقَاومهُم بِهَا.

وَمهمَا يَكُن، فَإنَّ فِي هَذِه الفَترَة مِنْ أُخريَات الأُمَويين، وأَوَلِيَّات العَبَّاسيِين كَانَتْ فُرصَة مُوَاتية للإمَام مُحَمَّد البَاقر، وَوَلده الإمَام جَعْفَر الصَّادق إلَىٰ بَث عُلُوم أَهْل البَيْت، وَنَشرها عَلىٰ النَّاس، وكَان مِنْ أَثرهُما هَذِه الأَحَادِيث الَّتي أَغنَت المَكتَبة العَرَبيَّة فِي شَتىٰ العُلوم بخَاصَّة التَّشرِيع، وَالفَلسَفة، وَالتَّفسِير، والأَخْلاَق.

المَنصُور:

أسمهُ عَبدالله، وَكُنيَته أَبُو جَعْفَر، وَلَقَبهُ المَنْصُور، أَمَّا نَسَبه فهُو أبْن مُحَمَّد بن عَليّ بن عَبدالله بن العَبَّاس عَمّ النَّبيّ ﷺ وَأَخو أَبِيه مِنْ الأَب دُون الأُمّ، وبُويع المَنْصُور سَنَة سِت وَثَلاثِين وَمِئَة، وَمَات سَنَة ثمَان وَخَمسِين وَمِئة فكَانت أَيَّامه إثنتِين وَعشرِين سَنَة[1].

قَالَ المُؤرخُون: أَنَّ أخَاه السَّفَّاح كَان أَوَّل خُلفَاء البَيْت العَبَّاسي، وَلَكن المَنْصُور يُعد فِي الوَاقع المُؤسّس الحَقِيقي لِتلك الدَّولة، وَمُشيد مَجدهَا، وإلَيه يُعزىٰ تَمكِين الأُسرَة العَبَّاسِية مِنْ الحُكْم الَّذي زَاولَته طوَال هَذِه المُدَّة، وَالنُّفوذ الَّذي تَمَتعت بِهِ. وَأتَّفق المُؤرخُون عَلىٰ أَنَّ أَخلاَقه كَانَتْ مَزِيجاً مِنْ الخَيْر وَالشَّر.

وأنَّه كَان مُلمَاً بِطبَائع النَّاس.

وأنَّه أَلَّف هَيئَة قَوية مِنْ العُلمَاء يَتعَارفُون فِي شدّ أُزر العبَّاسِيين، وَيَخلصُون لهُم كلّ الإخْلاَص.

---

(١) أُنظر، تَأرِيخ مَدِينَة دِمَشق: ٣٢/٢٩٨، تَهذِيب الكَمَال: ٣/٩٩، تَأرِيخ بَغدَاد: ١٠/٦٦، شَرح النَّهج لِابن أَبي الحَدِيد: ٧/١٥٣، نَسَب قُرَيْش: ٣١، الثِّقات لِابن حبَّان: ٢/٢٢٤.

وأنَّه أوَّل مَنْ أحدث ثغرَة الخِلاَف بَيْنَ العبَّاسيين، وَالعَلويين بَعْد أنْ كَانا كُتلَة وَاحدَة.

أمَّا إلمَامه بِطبَائع النَّاس، وَتَأْلِيفه هَيئَة مِنْ العُلمَاء موَالية لهُ، وَأحدَاثة الثَّغرَة بَيْنَ العَبَّاسيين وَالعَلويين فَصحِيح، وَأمَّا القَول بِأنَّ أخلاَقه مَزيج مِنْ الخَيْر وَالشَّر فَبَعِيد عَن الوَاقع، بَل كَانَتْ أخلاَقه مَحض الشَّر، أجْل، أنَّه اَستطَاع بِمَا أُوتي مِنْ المَكْر، وَالخُداع أنْ يُموه عَلىٰ النَّاس بِأنَّ فِيهِ رَائحة الخَيْر، فَلقَد رَأىٰ تَعلق النَّاس بِالدِّين، وَتَأْثِيره عَلَيهِم، فَاَستمَالهُم عَن طَرِيقه وَألَّف هَيئَة دِينيَة تَواليه وَتُوازرَه، وَتَظاهرَ بِالخَوف مِنْ الله، وَفِي الوَقت نَفْسه نَشر المَظالم، وَالمَآثم، أي أنَّه جَمع بَيْنَ الإفسَاد فِي الأرْض، وَإظهَار التَّسبِيح بِحَمد الله، وَالتَّقدِيس لهُ، وَمِنْ هُنا قَالَ المُؤرخُون كَانَتْ أخلاَقه مَزِيج مِنْ الخَيْر وَالشَّر، وَلَكنَّهُم عَجزُوا أنْ يُقدموا دَليلاً وَاحداً عَلىٰ حُبَّه الخَيْر لِلخَيْر، أمَّا مَا تَرَاءىٰ لهُم أنَّه مِنْ الخَيْر فهُو نِفَاق وَرِيَاء.

جَاء فِي «العِقد الفَرِيد»: «أنَّ المَنْصُور كَان يَجْلس، ويُجلس إلَىٰ جَنْبه وَاعظاً، ثُمَّ تَأْتِي الجَلاَورزَة ـ الشُّرطَة ـ فِي أيدِيهِم السُّيوف، يَضربُون أعنَاق النَّاس، فَإذَا جرَت الدِّمَاء، حَتَّىٰ تَصل إلَىٰ ثيَابه يَلتَفت إلَىٰ الوَاعظ، وَيَقُول لهُ: عِظنِي!. فَإذَا ذكَّرهُ الوَاعظ بِاللهِ أطرَق المَنْصُور كَالمُنكَسر، ثُمَّ يَعود الجَلاَوزة إلَىٰ ضَرب الأعنَاق، فَإذَا مَا أصَابت الدِّمَاء ثيَاب المَنْصُور ثَانيَة قَالَ لوَاعظِهِ: عِظْنِي[1]!...

وَإنَّ قَوْل المَنْصُور لوَاعظِهِ، عِظْنِي، يَدل عَلىٰ وَاحد مِنْ اَثْنَيْن: إمَّا عَلىٰ

(١) أنظر، العِقد الفَرِيد: ١/ ٤١. (مِنْهُ رحمه الله).

ٱستهزائه بِالدِّين، وَسُخريته مِنْ القرْآن الَّذي نَهىٰ عَن قَتل النَّفس، وَسَفك الدِّمَاء، وَإِمَّا عَلىٰ أَنَّ النَّاس فِي عَهْده قَدْ بَلغوا مِنْ البَلاَهة حَداً يُلبس عَلَيهِم بِأَنَّ اللَّيل نَهَار وَالنَّهار لَيل، وَحَاول بَعْض المُؤلفِين الجُدد أَنْ يُفسر أَمثَال هَذِه الظَّاهرة بِٱزْدوَاج الشَّخصِيَّة، وأَنَّ المَنْصُور يَخضع فِي تَصَرْفَاته لأَمرَين: خُلق التَّدَيُن، وَحُبّ المُلك فهُو يَسْتَمع للوَاعظ بدَافع الإِيمَان، وَهُو يَسْفك الدِّمَاء بدَافع تَوطِيد الحُكْم. وَهَذَا التَّفسِير خَطَأ وَٱشتبَاه، فَلَيس فِي الوَاقع إِلاَّ شَيء وَاحد، وَهُو الذَّات الأَثِيمَة ظَهَرت فِي مَظهَرين: مَظْهر الظُّلم وَالقَتل، وَمَظْهر التَّموِيه وَالدَّجل، رَأىٰ المَنْصُور أَنَّ الرَّعيَة يُعجبهَا أَنْ يَتَصف الخَلِيفَة بِخَشية الله، وَالخَوف مِنْهُ، وأَنْ تَظُن بِهِ الرَّغبة فِي الإِستمَاع لإِرشَاد المُرشدِين، وَتَقرِيع الوَاعظِين، فَقرّبهُم مِنْهُ، وَٱسْتَمع إِلَيهِم بِأُذنه، وَأَعطَاهُم الأَموَال، لِيَنشرُوا بَيْنَ النَّاس أَنَّ خَلِيفتهُم يَخشع لذِكر الله، وَيَبكي إِذَا ذُكر اليَوْم الآخِر.

ولَمْ تُخف حَقِيقَته هَذِه عَلىٰ الوعَّاظ أَنْفسِهِم، فَٱبْتَعد عَنْهُ المُخلصُون مِنْهُم، وَتَقرَّب إِلَيه المُنَافقُون الَّذِين يُتَاجرُون بِالدِّين مَع كلّ مَنْ يَدفع الثَّمن، وَمِنْ الَّذِين ٱبْتَعدوا عَن المَنْصُور الإِمَام جَعْفَر الصَّادقﷺ عَلىٰ الرَّغم مِنْ جَمِيع المُحَاولاَت الَّتي بَذَلهَا لإِقنَاعه، وَمِنْهَا كتَابَهُ الَّذي أَرسَله إِلَىٰ الإِمَام، وقَالَ لهُ فِيهِ: «لِمَ لاَ تَغْشَانا كَمَا يَغشَانا النَّاس؟ فَأَجَابه الإِمَام: لَيْس لنَا مِنْ الدُّنْيَا مَا نخَافُك عَلَيه، وَلاَ عِندَكَ مِنْ الآخرة مَا نَرجُوك بِهِ، وَلاَ أَنْت فِي نِعْمَة فَنُهنِيك، وَلاَ فِي نِقْمة فَنُعزِيك. فَكَتَب إِلَيه المَنْصُور ثَانِية: تَصحبنَا لتَنصَحنا. فَأَجَابه الإِمَام: مَنْ أَرَاد الدُّنْيَا لاَ يَنْصحك، وَمَنْ أَرَاد الآخرة لاَ يَصحبك. فَقَال المَنْصُور: والله لَقَد مَيَّز عِندي مَنَازل النَّاس مَنْ

يُرِيد الدُّنْيَا مِمَّن يُرِيد الآخرَة لاَ الدُّنْيَا »[١].

وَإِلتَقىٰ المَنْصُور يَوْمَاً بسُفْيَان الثَّوري، فَقَال لهُ: عِظْني.

فَقَال سُفْيَان: وَمَا عَملتُ فِيمَا علمت، فَأَعظك فِيمَا جهلت. أَي أَنتَ تَعلم أَنَّ الظُّلم مُحَرم، وَالعَدْل وَاجب، ومَع ذَلِكَ تَظلم وَلاَ تَعدل، فَكَيف تَعمل فِي الأُمُور الَّتي تَجهلهَا حَتَّىٰ أَعِظَك ؟!...

فَقَال لهُ المَنْصُور: مَا يَمنعك أَنْ تَأْتِينا ؟

قَالَ: قَوْل الله سُبْحَانهُ: ﴿وَلَاتَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[٢].

قَالَ لهُ: سَل حَاجَتك.

قَالَ: حَاجَتي أَنْ لاَ تَدعُوني، حَتَّىٰ آتِيك، وَلاَ تُعطِيني، حَتَّىٰ أَسأَلك.

فَقَال المَنْصُور: أَلقينَا الحَبّ إِلَىٰ العُلمَاء، فَالتَقطوا إلاَّ مَا كَان مِنْ سُفْيَان؛ فَإِنَّه أَعيَانا فرَارَاً[٣].

وقَوْل المَنْصُور أَلقينَا الحَبّ يُؤيد مَا قُلنَاه مِنْ أَنَّه طَالب صَيد، يُحِيك الشّبَاك مِنْ الدِّين، ويُلقي فِيهَا الحَبّ، ليَجذب عُلمَاء السُّوء.

وَمِنْ أَطرَف مَا قَرَأت فِي هَذَا البَاب أَسطُورة روَاها المُؤرخُون، والَّذِين كَتبُوا فِي الأَخْلاَق، وَرَددهَا الشّيوخ، وَالخُطبَاء عَلىٰ المَنَابر، ولَمْ يَخطر لأَحد أَنْ يُنَاقشهَا وَيَفحصهَا، بَل تَلقَاها الجَمِيع، كَمَا يَتلقَون البَدِيهَات وهِي فِي إِعتقَادنا كَذب لَفقَّه المَنْصُور، لتَحقِيق غَايَاته وَمَآربه.

---

(١) تَقدَّم إِسْتخرَاج ذَلِك.

(٢) هُود: ١١٣.

(٣) أُنظر، الجَرح وَالتَّعدِيل، الرَّازي: ١ / ١١٢، تَأرِيخ مَدِينَة دِمَشق: ٥٣ / ٤٢٢.

وهَذِه خُلاَصَة الأُسطُورة:

كَان المَنْصُور يَطوف لَيلاً فِي بَيْت الله الحَرَام، فَسَمع قَائِلاً يَـقُول: أَللَّـهُمَّ إِنَّـا نَشكُوا إِلَيك ظهُور البَغي والفَسَاد، وَمَا يُحَال بَيْنَ الحَقّ وَأَهْله مِنْ الظُّلم.

فَاْستَدعَاه المَنْصُور، وقَالَ لهُ: مَا الَّذي سَمِعته مِنْك؟

قَالَ: هَل أَنا آمِنْ عَلىٰ نَفْسي؟.

قَالَ: نَعْم.

قَالَ: أَنَّ الله اْسترعَاك أُمُور المُسْلِمين، فَجَعلت بَيْنك وبَيْنَهُم حجَاباً وَحصُوناً، وَاْتَّخذت وزرَاء ظَلَمة، وَأَعوَاناً فَجرَة، قَـالُوا: هَـذَا قَـدْ خَـان الله، فَـمَا لنَـا إلاَّ نَخُونه؟! فَاْمتَلأَت بِلاَد الله فَسَاداً وَبَغياً... هَذَا وَأَنتَ مُؤْمِن بالله واْبْن عَمّ رَسُول الله، وَلاَ تَغلبُك رَأفَة بِالمُسْلِمين؟!

فَقَال المَنْصُور: أَللَّهُمَّ وَفِّقنِي للعَمل بمَا قَالَ هَذَا الرَّجل، ثُمَّ اْخْتَفي الوَاعـظ، ولَمْ يُعرَف مكَانه، وقِيلَ: أَنَّه الخُضر[1]!...

وَبِالرَّغم مِنْ أَنَّ هَذِه الأُسطُورة أَو القصَّة تَـتَضمن كَـثِيراً مِـنْ الحـقَائِق، وأَنَّ ظَاهرهَا عَلىٰ المَنْصُور فَإِنَّها مِنْ وَضْعه وَبِدَعه، وَإِلاَّ لِمَاذَا بَقِي هَذَا الوَاعظ مَجهُولاً إِلَىٰ آخر الزَّمَان؟!... وإِذَا كَان هُو الخُضر، فَلِمَاذَا ظَهر الخُضر لهُ دُون سوَاه مِنْ الطُّغَاة!.... إِذَن هُنَاك سرّ... أَرَاد المَنْصُور أَنْ يُفهِم النَّاس أَنَّه خَلِيفَة الله ويُؤمِنْ بالله واْبن عَمّ رَسُول الله وَرعَايَته. بِدَليل أَنَّ الخُضر ظَهر لهُ وإِنَّ الله يَتَفقدَه بَيْنَ وَقتٍ وآخر عَلىٰ حِين أَنَّ الله قَدْ أَهمَل غَيْرَه مِنْ الحُكَّام؛ لأَنَّهُم لاَ يُؤْمِنُون بالله وَلَيسُوا

(١) أُنظر، شَرْح نَهج البَلاَغة لِابْن أَبي الحَدِيد: ١٨ / ١٤٤ ـ ١٤٧، عيُون الأَخبَار: ٢ / ٣٣٣ ـ ٣٣٧.

أَبْنَاء عَمّ رَسُول الله، أَمَّا هُو فَإنَّه وإنْ مَلأ الأَرْض بَغياً وَفَساداً فَإنَّه يُؤمِنْ بالله وابْن عَمّ رَسُول الله، لِذَلِك فهُو خَلِيفَة الله!...

وَمَنْ اسْتَقرأ سِيرَة المَنْصُور يَرىٰ العَدِيد مِنْ هَذِه الأَسَاطِير الَّتي حَاكهَا بِنَفْسه حَول شَخصِيته.

مِنْهَا: مَا ذَكَرَه المَسْعُودِي: «أَنَّ المَنْصُور دَخَل مَنزلاً، فَرَأىٰ مَكتُوباً عَلىٰ الحَائِط[1]:

أَبَا جَعْفَر حَانَت وَفَاتك وَانْقَضت سنُوك وَأَمر الله لاَ بُدَّ نَازل

أَبَا جَعْفَر كَاهن أَو مُنَجم يَرد قَضَاء الله أَمْ أَنْتَ جَاهل

فَبعث إِلَىٰ وَزِيره الفَضل بن الرَّبيّع، وقَالَ لهُ: أَلَم أَنهَك أَنْ تَدع العَامَّة يَدخلُون هَذِه المَنَازل، فَيكتبُون عَلىٰ الحَائِط؟!.

فَقَال الوَزِير: وَمَا هُو؟.

قَالَ: أَمَّا تَرىٰ مَكتُوباً عَلىٰ الحَائِط، وَقَرأ البَيتَين.

فَقَال: وَالله مَا أَرىٰ عَلىٰ الحَائط شَيئاً!... وَمَا أَشبَه حَال المَنْصُور فِي هَذِه الحكَاية وَأَمثَالهَا بحَال العُملاء، يَنْتَقدون أَسيَادهُم المُسْتَعمرِين أَمَام النَّاس، وَيعملُون فِي الخفَاء لصَالح الإِسْتعمَار.

وَنَكتفي بِهَذِه الإِشَارة إِلَىٰ كِذب المَنْصُور وَحِيله، لأَنَّه لَيس مِنْ غَرضنَا أَنْ نُحلل شَخصِيته مِنْ زوَاية إِيمَانه وَنَفْسِيته، وَمَا أَردنَا إِلاَّ التَّمهِيد للكَلاَم عَلىٰ سِيَاسته مَع العَلويين وَشِيعَتهُم.

---

(١) أُنظر، مُروج الذّهب: ٣ / ٣٧٥، تَأْرِيخ الطَّبري: ٦ / ٣٤٥و: ٨ / ١٠٧، البِدَاية وَالنّهاية: ١٠ / ١٣٥، الفتُوح لِابْن أَعثَم: ٨ / ٢٣٧، تَأْرِيخ مَدينَة دِمَشق: ٣٢ / ٣٣٩ ـ ٣٤١، تَأْرِيخ بَغدَاد: ١٠ / ٦٠.

المَنْصُور وَالعَلويُون

كَان البَيْت العَبَّاسي بَيْت جَهْل وَخمُول بَعْد عَبدالله بن عَبَّاس وَلَولا إنْتَسابهم إلَىٰ عَمّ الرَّسُول لَمْ يَرد لأحد مِنْهُم ذِكر فِي التَّأريخ؛ أمَّا البَيْت العَلوي فكَان فِي جَمِيع الأدوَار بَيْت العِلْم والدِّين، وَمَهوىٰ أفئدَة المُسْلِمِين، فَمِن عَليّ أمِير المُؤمِنِين إلَىٰ وَلَدَيه الحَسنَين، ومِنْهُما إلَىٰ الإمَام زَين العَابدِين وَمِنْهُ إلَىٰ الصَّادقَين: مُحَمَّد البَاقر، وَجَعفَر الصَّادق... إلخ، وكَان العبَّاسيُون يَعتَزون بِقرَابتهم مِنْ عَليّ بن أبي طَالب وَأبنَائه، كَآعتزَازهم بِالنَّبي الكَرِيمﷺ، وَكَانُوا يَحضرُون مَجَالس أبْنَاء عَليّ مُتَأدبِين مُتَعلمِين، وكَان إذَا رَكب مُحَمَّد بن عَبدالله آبن الحَسن يَأخذ المَنْصُور بِركَابه، وَيُسوي ثيَابه عَلىٰ السَّرج[1].

وَحِين آضطَربت أمُور بَني أمَيَّة آجْتمع بنُو الحَسن وَبنُو العَبَّاس، وَعَقدُوا البَيْعَة لمُحَمَّد بن عَبدالله بن الحَسن، وكَان فِيمَن بَايَعه إبرَاهِيم والسَّفَّاح والمَنْصُور، وكَان المَنْصُور أشَدهُم حمَاسَاً لهَذه البَيْعَة وَأرسَل المُجتَمعُون إلَىٰ الإمَام جَعفَر الصَّادق، فَلَمَّا حَضر رَغبُوا إلَيه فِي أنْ يُبَايع مُحَمَّداً. فَقَال أنَّ هَذَا الأمْر لاَ يَتم إلاَّ

---

(١) أنظر، غَاية الإختصَار: ٢٧، الإفَادة فِي تَأرِيخ الأئِمَّة السَّادَة: ٧٠، مقَاتل الطَّالبِيين: ٣٠٩ و ٢٣٣.

لِهَذا، وَضَرب عَلىٰ ظَهر السَّفَّاح، ثُمَّ لِهَذا، وَأَشَار إِلَىٰ المَنْصُور. وقَالَ لعَبدالله آبْن الحَسن: أَنَّ وَلدَيك إِبرَاهيم ومُحَمَّداً سَيقتُلهُما المَنْصُور، ثُمَّ نَـهض وَخَـرج مِـنْ المَجْلس[1].

وَلمَّا دَارت الدَّوائِر عَلىٰ الأُمَويين، وَآستَخلف المَنْصُور آخْـتَفىٰ مُـحَمَّد بـن عَبدالله آبْن الحَسن خَوفاً عَلىٰ نَفْسه[2]. فَطَلبه المَنْصُور مِنْ أَبيه، وَحَـاول قَـتْله بِكُل وَسِيلة، ليَتَخلص مِنْ البَيْعَة الَّتي فِي عُنقه، وَاَجْتَهد فِي البَحث عَـنْهُ وَعَـن أَخِيه إِبرَاهِيم، ونَصَّب العيُون، وَبَذل الأَموَال، فَعَرف مكَانهُما ولَمْ يَعد أَمَامهُما إِلاَّ الإِستسلاَم أَو الخرُوج، فخَرج مُحَمَّد فِي المَدِينَة، وَإِبرَاهِيم فِي البَصْرَة، وَحَاربا حَتَّىٰ قُتلا، وكَان مُحَمَّد يُعْرف بصَاحب النَّفس الزَّكِية[3]. وَقُتل مَعَهُ خلق كَثِير مِنْ أَبْنَاء الأَنْصَار وَالمُهَاجرِين، وأَبْنَاء جَعْفَر بن أَبي طَالب، وَمِنْ أَبْنَاء الحُسَيْن قُـتل مَعَهُ الحُسَيْن وعَليّ أَبْنَاء زَيد بن عَليّ بن الحُسَيْن.

قَالَ المَسْعُودِي: «أَنَّ المَنْصُور أَكل عَجَّة مِنْ مُخّ وَسُكر، فَآستَطابَهَا، وقَالَ: أَرَاد إِبرَاهيم أَنْ يَمْنَعني مِنْ هَذَا وَأَشبَاهه. مِنْ أَجل هَذِه العَجَّة قَتل المَنْصُور أَبْنَاء الرَّسُول، وَالأُلُوف مِنْ الأَبريَاء»[4]!....

وَقَالَ المَسْعُودِي، وَالمقرِيزي:

---

(١) أُنظر، مقَاتل الطَّالبيين: ٢٠٦ و ٢٣٣ و ٢٥٤ و ٣٠٩، وَمَا بَعْدها طَبعَة ١٩٤٩م. (مِنْهُ ﷺ). أُنظر، غَاية الإِختصَار: ٢٧، الإِفَادة فِي تَأريخ الأَئِمَّة السَّادَة: ٧٠، نِهَاية الإِرَب فِي فنُون العَرَب، شِهَاب الدِّين أَحْمَد بن عَبدالرَّحمن النّويري: ٢٣ / وَرَقه (٢).

(٢) أُنظر، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٦ / ٢٦١، تَهذِيب التَّهذِيب لِابن حَجر: ٢ / ٢٨٧.

(٣) أُنظر، الحُور العِين: ٢٧١، الكَامل لِابن الأَثِير: ٤ / ٢٧٠.

(٤) أُنظر، مُروج الذَّهب: ٣ / ٢٩٨.

«جَمَع المَنْصُور أَبْنَاء الحَسن، وَأَمر بِجَعل القيُود وَالسَّلاَسل فِي أَرجُلِهِم وَأَعنَاقِهِم وَحَملهُم فِي مَحَامل مَكشُوفة وَبِغَير وِطَاء، تَمَاماً كَمَا فَعل يَزِيد بن مُعَاوِيَة بِعيَال الحُسَيْن، ثُمَّ أَودعهُم مَكَاناً تَحت الأَرْض لاَ يَعرفُون فِيهِ اللَّيل، مِنْ النَّهار، وَأَشكلَت أَوقَات الصَّلاَة عَلَيهِم، فَجزأوا القُرْآن خَمسَة أَجزَاء، فَكَانُوا يُصلُون عَلىٰ فرَاغ كلّ وَاحد مِنْ حِزبه، وَكَانُوا يَقضُون الحَاجة الضَّرورِية فِي موَاضعِهِم، فَاشتَدت عَلَيهِم الرَّائِحة، وَتَورَمت أَجسَادهم، وَلاَ يَزَال الوَرم يَصْعد مِنْ القَدَم حَتَّىٰ يَبْلغ الفُؤاد، فَيمُوت صَاحبه مَرضَاً، وَعَطشَاً، وجُوعَاً»[1].

وقَالَ ابْن الأَثِير فِي: «دَعَا المَنْصُور مُحَمَّد بن عَبدالله العُثمَاني وكَان أَخاً لأَبْنَاء الحَسن مِنْ أُمهِم، فَأَمر بِشَق ثِيَابه، حَتَّىٰ بَانَت عَورَته، ثُمَّ ضُرب مِئَة وَخَمسُون سَوطاً، فَأَصَاب سَوط مِنْهَا وَجْهَه فَقَال: وَيحَك أكفُف عَن وَجْهِي، فَقَال المَنْصُور للجَلاَّد: الرَّأس الرَّأس، فَضَربَه عَلىٰ رَأسَه ثَلاَثِين سَوطاً، وَأَصَاب إِحَدىٰ عَينِيه سَوط فَسَالت عَلىٰ وَجْهه، ثُمَّ قَتَله»[2].

وقَالَ ابْن الأَثِير أَيضاً: «وَأَحضَر المَنْصُور مُحَمَّد بن إِبرَاهِيم بن الحَسن، وكَان أَحسَن النَّاس صُورَة، فقَال لهُ: أَنْتَ الدِّيبَاج الأَصْفَر، لأَقتُلنك قَتلَة لَمْ أَقتُلهَا أَحَداً، ثُمَّ أَمرَ بِهِ فَبَنىٰ عَلَيه أُسْطُوَانة، وَهُو حَي، فَمَات فِيهَا[3]!...

(١) أنظر، مُروج الذَّهب: ٣ / ٣١٠ طَبعَة ١٩٤٨م، وَالنّزَاع وَالتَّخَاصم: ٧٤ المَطبَعَة الإِبرَاهِيمِيَة. (مِنْهُ‌ﷺ). أنظر، الحُور العِين: ٢٧٢، تَأرِيخ الطَّبري: ٦ / ١٦١، مقَاتل الطَّالِبِين: ٢١٤.

(٢) أنظر، النّزاع وَالتّخاصم: ٧٤، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٤ / ٣٧٥. (مِنْهُ‌ﷺ). مقَاتل الطَّالِبِين: ١٤٩، تَأرِيخ الطَّبري: ٦ / ١٧٦.

(٣) أنظر، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٤ / ٣٧٥. (مِنْهُ‌ﷺ). أنظر، تَأرِيخ الطَّبري فِي تَأرِيخ الرُّسل وَالمُلوك:

كَان مُعَاوِيَة بن أَبي سُفْيَان يدفن الأَحيَاء خنقاً تحت الأرض، وكَان المَنْصُور يُقِيم عَلَيهِم البِنَاء فَوق الأرض، وَهَذَا هُو الفَارق الوَحِيد بَيْنَ خَلِيفَة الشَّام، وخَلِيفَة العرَاق، بَيْنَ الأُموي والعَبَّاسيّ، عَلَىٰ أَننا لاَ نَعرف أُموياً وَاحداً سُجن جمَاعَة تَحت الأَرض؛ وَتَركهُم يَموت الوَاحد مِنْهُم بَعْد الآخر بَيْنَ الفَضلاَت وَالقَذَارَات، وَلِهَذَا قَالَ الشَّاعر[1]:

تَالله مَا فَعَلت أُمَيَّة فِيهُم مِعْشَار مَا فَعَلت بنُو العَبَّاس

وَفِي كِتَاب النّزاع وَالتَّخاصم: «أَنَّه كَان للقَاسم بن إِبرَاهِيم طَبَاطَبَا[2] ضَيعَة بالمَدِينَة يُقَال لهَا الرّس، فَلَم يَسْمَح لهُ المَنْصُور بِالمقَام بِهَا حَتَّىٰ طَلَبه، فَفَرَّ إِلَىٰ السِّند، وقَالَ[3]:

لَمْ يَروهِ مَا أَرَاق البَغي مِنْ دَمنَا فِي كلِّ أَرْض فَلَم يَقصر مِنْ الطَّلب
وَلَمْ يَشْفي غَلِيلاً فِي حَشَاه سِوىٰ أَنْ لاَ يَرَىٰ فَوقهَا اَبْن لبِنْت نَبي

وكَان يَفرّ مِنْ بَلدٍ إِلَىٰ بَلَد، يَسِير حَافياً، وَالدَّم يَسِيل مِنْ قَدَمَيه، وَمِنْ قَولِهِ،

⇐ ٨/ ٥٣٦، العُيُون وَالحدَائق فِي أَخبَار الحقَائِق المُؤلّف مَجهُول: ٣/ ٣٤٨، سِر السّلسلة العَلوية لأَبي نَصر البُخَاري: ٤٥، مقَالاَت الإِسلاَمِيين للأَشعري: ٨٢، البِدَاية وَالنّهاية: ١٠/ ٨٨.

(١) أنظر، كتَاب «شَرح شَافية أَبي فِرَاس فِي مَنَاقب آل الرَّسُول وَمَثالب بَني العَبَّاس»: ١١٩.

(٢) طَبَاطبَا لقب لإِبرَاهِيم بن إِسمَاعِيل بن إِبرَاهِيم بن الحَسَن بن الحَسَن بن عَليّ بن أَبي طَالب، أمَّا سَبب هَذَا اللّقب فَإِنَّه كَان يَلْثغ بِالقَاف، فَجَعلهَا طَاء، قَالَ يَوماً لغُلاَمه: هَات ثِيَابي، فَقَال الغُلاَم: أَجيء بدرَاعة. قَالَ: لاَ طَبَاطَبا، يُرِيد قَبَا قَبَا، فَبَقي لقبه عَلَيه، وَاشْتهر بِهِ. أُنظر، الإِفَادة فِي تَأرِيخ الأَئِمَّة السَّادَة: ١٠٨، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٦/ ٨٢.

(٣) أُنظر، النّزاع وَالتَّخاصم: ٧٤. (مِنْهُ ﷺ)، و: ١٤٤.

وَهُو مُشَرّد[١]:

عَسَىٰ جَابر العَظم الكَسِير بِلُطْفهِ   سَيرتَاح للعَظم الكَسِير فَيُجبَر
عَسَىٰ الله لاَ تَيأَس مِنْ الله أَنَّه   يُيَسر مِنْهُ مَا يَعزّ وَيُعسَر

وَمِنْ كتَاب «النّزاع وَالتّخاصم»:

«أَنَّ المَنْصُور دلَّ ٱمرَأة ٱبنَة المهدي وَولي عَهْده عَلىٰ بَيْت، وَٱستَحلفهَا أَنْ لاَ تَفْتَحه إلاّ بَعْد وَفَاته بحضُور زوْجهَا، وَبَعْد هَلاَكه فَتَحه المَهدي، وإذَا فِيهِ مِنْ قَتْلىٰ الطَّالبيين، وَفِي آذَانِهِم رُقَاع فِيهَا أَنْسَابهم، وَفِيهِم أَطفَال»[٢].

ثُمَّ قَالَ صَاحب النّزاع وَالتّخاصم: «أَين هَذَا الجَور والفَسَاد مِنْ عَدل الشَّرِيعَة المُحَمَدِية، وَسِيرَة أَئِمَّة الهُدىٰ؟! أَين هَذِه القَسوَة الشَّنِيعة مَع القَرَابة القَرِيبَة مِنْ رَحمَة النُّبوَّة، وَتَالله مَا هَذَا مِنْ الدِّين فِي شَيء، بَل هُو مِنْ بَاب قَوْل الله سُبْحَانهُ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾[٣].

هَذَا عَمَل مَنْ يَزعَم أَنَّه يُؤمِنْ بالله، واليَوْم الآخر، والكِتَاب المُنِير، وأَنَّه أَمِير المُؤمِنِين، وخَلِيفَة رَبّ العَالَمِين، وٱبْن عَمّ سَيِّد المُرسَلِين؟! وَهَكذا يَفْعل مَا لاَ تَفعَله الوحُوش، وَالذِّئَاب مَن يَنْتَحل الأَلقَاب، وَيَتوكأ عَلىٰ الأَنسَاب.

(١) أُنظر، الأَحكَام فِي الحَلاَل وَالحَرَام كتَاب السِّيرة (مَخطُوط) للإمَام يَحْيَىٰ بن الحُسين، وَمَطبُوع: ٢/ ٣٦، أَمَالي الشَّيخ المُفِيد: ٢٩٩، النّزاع وَالتّخاصم: ١٤٤.

(٢) أُنظر، النّزاع وَالتّخاصم: ٧٦. (مِنْهُ ﷺ). و: ١٤٤، تَأرِيخ الطَّبري: ٦/ ٣٤٤.

(٣) مُحَمَّد: ٢٣ ـ ٢١. أُنظر، النّزاع وَالتّخاصم: ٧٤. (مِنْهُ ﷺ). و: ١٤٥.

الإمَام جَعفَر الصَّادِق عليه السلام وَالمَنصُور:

أَوَّل مَنْ أَطلَق لقَب الصَّادق عَلىٰ الإِمَام جَعفَر بن مُحمَّد هُو المَنْصُور بَعْد أَنْ تَحقق قَوله بِأَنَّ المَنْصُور سَيَملك، وَيَقتل مُحَمَّداً وإِبرَاهِيم آبني عَبدالله بن الحَسن، كَمَا قَدْمنا[1]، وكَان الإِمَام الصَّادق فِي عَهْد المَنْصُور يُوصي شِيعَته، ويَقُول لهُم: «عَلَيكُم بِالطَّاعة وَالصَّمت، فَإِنَّكم فِي سُلطَان مِنْ مَكرهم لتَزول مِنْهُ الجبَال»[2]. وَلَكنَّ المَنْصُور لاَ يُرضِيه الصَّمت مِنْ الإِمَام، وَالطَّاعة مِنْ شِيعَته مَا دَام النَّاس يَعْتقدُون بِإِمَامَته، وَتَفْضِيله عَلىٰ المَنْصُور والنَّاس أَجْمَعِين.

قَالَ مُحمَّد الإِسْقَنطُوري[3]: «دَخَلت يَوْماً عَلىٰ الدَّوَانيقي، أَي المَنْصُور، فَوَجدته فِي فِكرٍ عَميق، فَقُلتُ لهُ: مَا هَذَا الفِكْر؟ قَالَ: قَتَلتُ مِنْ ذُرِّية فَاطِمَة بِنْت مُحمَّد أَلفَاً أَو يَزِيد، وَتَركتُ سَيِّدهُم وَمَولاَهُم. فَقُلتُ: وَمَنْ ذَاك؟ قَالَ: قَدْ عَرَفتُ أَنَّك تَقول بإِمَامَته، وأَنَّه إِمَامي وَإِمَامك، وإِمَام جَمِيع هَذَا الخَلق[4]، وَلَكن الآن أَفرَغ لهُ»[5].

---

(١) أنظر، مقَاتل الطَّالبِيين: ٨٦، رِيَاض العُلمَاء: ٢ / ٣١٩، المُجدي: ١٥٦، الكَامل لِابن الأَثِير: ٥ / ٢٢٩ وص: ٢٤٢، تَأْرِيخ الطَّبري: ٨ / ١٣٠، العِقد الفَرِيد: ٤ / ١٠١.

(٢) أُنظر، المَصَادر السَّابقَة.

(٣) هُو مُحَمَّد بن عَبدالله (عُبيدالله) الإِسْكندَري، كَان وَزِيراً «للدَّوَانِيقي»، وَأنَّه كَان مِمَّن يَقُول بِإِمَامَة جَعْفَر بن مُحَمَّد الصَّادق عليه السلام. أُنظر، الثَّاقب فِي المَنَاقب لِابن حَمْزَة الطُّوسي: ٢٠٨.

(٤) أُنظر، كتَاب «شَرح شَافِيَة أَبي فِرَاس فِي منَاقب آل الرَّسُول وَمَثَالب بَني العَبَّاس»: ١٧١. (مِنْهُ عليه السلام).

(٥) أُنظر، كتَاب «شَرح شَافِيَة أَبي فِرَاس فِي منَاقب آل الرَّسُول وَمَثَالب بَني العَبَّاس»: ١٥٩، الثَّاقب فِي المنَاقب لِابن حَمْزَة الطُّوسي: ٢٠٨، عيُون المُعجزَات، حُسَين بن عَبدالوَهَّاب مِن عُلمَاء القَرن الخَامس الهِجْري: ٨٠، الأَدَب فِي ظلّ التَّشيُّع: ٦٨

وَتَدلنا هَذِه الرّوَاية عَلىٰ ٱنْتشَار التّشيُّع لِـعَليّ وَلأولاَده حَـتَّىٰ بَـيْنَ حُـجّاب المَنْصُور وَحوَاشيه، بَل أَنَّ الرَّبِيّع وَزِير المَنْصُور كَان شِيعِيّاً.

وجَاء فِي العِقد الفَرِيد:

«حَدّث عَبدالله بن الفَضل بن الرَّبِيّع عَن أَبيهِ قَالَ: لمَّا حَجّ المَنْصُور فِي سَـنَة سَبع وَأَربَعِين وَمِئَة قَدِم المَدِينَة، قَال للرَّبِيع: ٱبْعَث إِلىٰ جَعْفر بن مُحَمَّد مَن يَأتِينَا بِهِ مُتعَباً سَرِيعاً، قَتَلني الله إِنْ لَمْ أَقْتلهُ، فَتَغَافل الرَّبِيّع عَنْهُ، وَنَاسَاه، فَأَعَاد عَلَيه فِي اليَوْم الثَّاني وَأَغْلَظ لهُ فِي القَول، فَأَرْسَل إِليهِ الرَّبِيّع فَلَمَّا حَضَر قَالَ لهُ الرَّبِيّع: يَا أَبَا عَبدالله أُذكر الله تَعَالىٰ؛ فَإِنّه قَد أَرسَل إِلَيك بِمَا لاَ دَافع لهُ غَير الله وَإِنّي أَتَـخوّف عَلَيك، فَقَال جَعْفَر: لاَ حَول وَلاَ قوّة إِلّا بِاللهِ العَليّ العَظِيم.

ثُمّ إِنَّ الرَّبِيّع دَخَل بِهِ عَلىٰ المَنْصُور فَلَمَّا رَآه المَنْصُور أَغلَظ لهُ بِالقَول فَقَال: يَا عَدوّ الله! ٱتّخذك أَهْل العرَاق إِمَاماً يُجبُون إِلَيك بزَكَاة أَموَالهم فَتُلحد فِي سُلطَاني، وَتَبتَغي إِليَّ الغوَائل، قَتَلني الله إِنْ لَم أَقتُلك.

فَقَالَ جَعْفر: يَا أَمِير المُؤمِنِين إِنّ سُليمَان أُعـطي فَشَكـر، وَإِنّ أَيُـوب ٱبـتُلي فَصَبر، وَإِنّ يُوسُف ظُلم فَغفر، فَهَؤلاَء أَنبيَاء الله، وَإِلَيهم يَرجع نَسبك، وَلَك فِـيهم أُسوَة حَسَنة.

فَقَالَ المَنْصُور: أَجْل لقَد صَدَقت يَا أَبا عَبدالله، ٱرْتَفع إِلىٰ هَاهُنا عِـندي، ثُـمّ قَالَ: يَا أَبا عَبدالله إِنّ فُلاَن الفُلاَني أَخبَرني عَنْك بمَا قُلت لكَ.

فَقَالَ: أَحْضرهُ يَا أَمِير المُؤمِنِين ليُواقفني عَلىٰ ذَلِك.

فأُحضر الرَّجل الّذي سَعىٰ بِهِ إِلىٰ المَنصُور.

فَقَالَ لهُ المَنْصُور: أَحقّاً مَا حَكَيت لِي عَن جَعْفَر؟.

فَقَالَ: نعم يَا أَمِير المُؤمِنِين.

قَالَ جَعْفَر: فَأستَحلِفه عَلىٰ ذَلِك، فَبَدر الرَّجُل وَقَال: وَالله العَظِيم الَّذي لاَ إِلٰه إِلاّ هُو عَالمُ الغَيب، وَالشَّهادَة، الوَاحد الأَحد، الفَرد الصَّمد الَّذي لَم يَلد وَلَم يُولد وَلَم يَكُن لهُ كُفواً أَحد... وَأَخذ يَعدّ فِي صفَات الله.

فَقَالَ جَعْفَر: يَا أَمِير المُؤمِنِين يَحْلف بِمَا أَسْتحَلفه بِهِ وَيَترك يَمِينه هَذَا.

فَقَالَ المَنْصُور: حَلِّفه بمَا تَختَار.

فَقَال جَعْفَر؈: قُل: بَرِئتُ مِن حَول الله وَقوّته وَالتجأت إِلىٰ حَولي وَقوّتي لقَد فَعَل جَعْفَر كَذَا وَكَذا، فَامْتَنع الرَّجل. فَنَظر إِلَيه المَنْصُور مُنكراً! فَحَلف بهَا، فمَاكَان بِأَسرَع مِن أَنْ ضَرب بِرِجله الأَرض وَخرَّ مَيِّتاً مكَانه في المَجْلس.

فَقَالَ المَنْصُور: جُرّوا بِرِجْله وَأَخرجُوه لعَنَه الله.

ثُمّ قَالَ: لاَ عَلَيك يَا أَبا عبدالله أَنتَ البَرِيء السَّاحة، السَّلِيم النَّاحيَة، المَأمُون الغَائِله، عَليَّ بِالطِّيب وَالغَالِية، فَأَتوا بالغَالِية فَجَعل يُغلف بهِ لِحيَته إِلىٰ أَنْ تَـركهَا تَقطُر، وَقَال: فِي حِفظ الله وَكلاءته، وَأَلحقَه الرَّبِيّع بجوَائز حَسَنة وَكسُوة سَنِيَة.

قَالَ الرَّبِيّع: فَلحقته بِذَلك؈، ثُمّ قُلتُ لهُ: يا أَبا عَبدالله إِنّي رَأَيتُ قَبلك مَا لَم تَره أَنتَ، وَرَأيتُ بَعد ذَلكَ مَا رَأيتَ وَرَأيتك تُحرّك شَفتَيك وَكلَّما حرّكتهُما سَكَن الغَضب، بِأيّ شَيء كُنتَ تُحرّكهُما جُعلتُ فدَاك؟

قَالَ: بدُعَاء جَدّي الحُسَيْن؈.

قُلتُ: وَمَا هُو يَا سيّدي؟

قَالَ: قُلت: أَللَّهُمَّ يَا عُدّتي عِند شدّتي، يَا غَوثي عِند كُربتي احرسنِي بِعَينك الّتي لاَ تنَام، وَاكنفْني بِركنك الّذي لاَ يُرَام، وَارحمنى بقُدرَتك عَليَّ فَلاَ أهـلَك

وَأَنتَ رَجَائي ، أَللَّهُمّ إِنّك أَكْبَر ، وَأَجلّ ، وَأَقدَر مِمّا أَخَاف وَأَحذر ، أَللَّهُمّ بِك أَدرَأ فِي نَحرِهِ ، وَأَستَعيذ بِكَ مِن شرّه ، إِنّك عَلىٰ كلّ شَيء قَدِير [١].

قَالَ الرَّبِيّع : فمَا نَزَلت بِي شدّة قطّ وَدَعوت بِهِ إِلّا فَرّج الله عَنّي [٢].

وكَان المُعلّىٰ بن خُنَيس [٣] مِنْ الشّيعَة المُقربين لدَىٰ الصَّادق ، وكَان مَولاَه وَوَكِيله ، فَكَتب المَنصُور إِلىٰ عَامله عَلىٰ المَدِينَة ، وَهُو دَاود بن عُروَة بِقَتله ، فَأستدعَاه دَاود ، وقَالَ لهُ : أُكتُب أَسمَاء الشّيعَة ، وإِلاّ ضَربتُ عُنقك .

فَقَال : أَبالقَتل تُهددني ؟ !.. وَالله لَو كَان أَسم أَحَدهم تحَت قَدَمي مَا رَفعتهَا . فَضَرب عُنقه وَصَلبه ، فَعَزّ ذَلِكَ عَلىٰ الإِمَام الصَّادق ، وَدَعا عَلىٰ دَاود ، وَمَا أَنتهىٰ

---

(١) أنظر ، أنظر ، العِقد الفَريد : ٥ / ١٥٩ طبَعَة ١٩٥٣ م . (مِنهُ ﷺ) و : ٢ / ٢٨ ، كَشف الغُمّة : ٢ / ١٥٨ ، المنَاقب لِابن شَهر آشوب : ٣ / ٣٥٨ ، الأَخبَار المُوفّقيات : ١٤٩ ، سِير أَعلاَم النُّبلاَء : ٦ / ٢٦٦ ، تذكرَة الخوَاصّ : ٣٥٣ ، و : ٣٤٤ طَبعَة آخر ، المُختَار للجَزري : ١٨ ، كفَاية الطَّالب : ٣٠٧ ، حليّة الأَوليَاء : ٣ / ١٩٢ ، مطَالب السّؤول : ٨٢ ، نُور الأَبصَار : ٢٩٥ ، و ٤٥٥ طَبعَة آخر ، الآيَات البَيّنات : ١٦٢ ، صَفوة الصَّفوة : ٢ / ١٧٦ ، رَوض الرَّيَاحِين : ٥٨ ، عَين الأَدب وَالسِّيَاسَة : ١٨٢ .

وَلاَ يَخفىٰ أَنَّ المَنصُور الدَّوَانيقي أَستَدعىٰ الإِمَام الصَّادق٧ مرَّات عَدِيدة . أُنظر ، دَلاَئل الإِمَامة للطَّبري : ١١٩ ، مَقتل الحُسَين للخوَارزمي : ٢ / ١١٣ ، تأَرِيخ دِمَشق تَرجمَة الإِمَام الصَّادق٧ ، إِثبَات الوَصيّة للمَسعُودي : ١٨٣ ، يَنَابِيع المَودّة للقُندوزي الحَنفي : ٣ / ١١٢ و ١١٣ طَبعَة أُسوة ، الصَّوَاعِق المُحرقة لِابن حَجر الهَيثَمي : ٢٠١ ـ ٢٠٢ .

(٢) أَنَّ هَذَا الدُّعَاء وغَيّرِه يُستَجَاب مِنْ الإِمَام وَمَنْ سَار فِي طَرِيقه . أَمَّا مَنْ غَرَق فِي الحَرَام إِلىٰ أُذنَيه فَلاَ يُقبل مِنهُ حَرف وَاحد مِنْ أَلف دُعَاء وَدُعَاء . (مِنهُ ﷺ) .

(٣) هُو المُعلّىٰ بن خُنيس مِن المَحمُودِين وهُو مِن قوّام أَبي عَبد الله ﷺ ، وَإِنَّما قَتَله دَاود بن عَليّ بِسَببه ، وَكَان مَحمُوداً عِندَه ، وَمَضىٰ عَلىٰ مِنهَاجه ، وَأَمرَه مَشهُور ، وَخيَراً فَاضلاً . أُنظر ، الغَيبَة للطُّوسي : ٢١٠ ، رجَال النَّجاشي : ٤١٧ تَحت رَقم (١١١٤) طَبع مُؤسّسة النَّشر الإِسلاَمي ـ قُم .

مِنْ دُعَائه، حَتّىٰ ٱرْتَفع الصِّيَاح، وجَاء الخَبر بِهَلاكه»[١].

وَأَيضاً كَتَب المَنْصُور إِلَىٰ عَامله أَنْ يَحرق عَلَىٰ الإِمَام الصَّادق دَارَه[٢]، ثُمَّ دَسَّ إِلَيه السُّم فَمَات مَسمُوماً[٣].

قَتَل المَنْصُور مِنْ أَبْنَاء عَليّ وفَاطِمَة أَلفاً، أَو يَزيدُون بِإعترَافه، وَقَتل مِنْ شِيعَتهُم مَا لاَ يُعد وَلاَ يُحصىٰ، وَتزفنن فِي ظُلمهِم، وَٱختَرع أَنوَاعاً مِنْ القَتل، وَأَلوَاناً مِنْ التَّنْكِيل، تَمَاماً كَمَا يَتَفنن عُلَمَاء القَرن العِشرِين بِإختِرَاع الوَسَائل الَّتي تُخَفف آلآم البَشرِية، وَتُيَسر العَسِير مِنْ شُؤونِهم، فمِن الضَّرب بِالسِّياط عَلىٰ الأَعيُن، حَتّىٰ تَسِيل، إِلَىٰ هَدم البيُوت عَلىٰ الأَحيَاء، إِلَىٰ رَصفِهم مَع الأَحجَار فِي الجُدرَان، إِلَىٰ تَسمِيمِهم بِالفَضلاَت، وَالقَذارَات، إِلَىٰ مَا لاَ نهَايَة.

وَمَهمَا يَكُن، فَيَجب أَنْ لاَ نَنسىٰ أَنَّ المَنْصُور كَان يُؤمِن بالله، وأَنَّه خَلِيفَته فِي أَرْضه، وَقرَابة نَبيّ الرَّحمَة!... وَالحَقّ أَنَّ المَنْصُور أَدّىٰ رِسَالته كحَاقِد عَلىٰ الفَضِيلَة وَأَهلهَا!...

وَبالتَالي، فَإِنَّ ٱستقرَائي لسِيرَة «الخُلفَاء المُسْلِمين» قَدْ بَعث فِيّ شعُوراً بِأَنَّ الإِسْلاَم لَولاَ المَنْصُور وَأَمثَاله مِنْ الحَاكِمِين لعَمَّ النَّاس، أجمَعِين، وَٱعْتَنقُوه تلقَائِياً بدُون دَعوة وَدعَاية، وَلمَا وجِد عَلىٰ هَذِه الكُرة إِنْسَان غَير مُسْلِم.

---

(١) أُنظر، نُور الأَبصَار للشَّبلنجي: ٢٩٦، بصَائر الدَّرجَات: ٢١٧ ح ٢، الهِدَايَة الكُبرىٰ للخُصيبي: ٢٥٣، دَلاَئل الإِمَامة للطَّبري: ١١٨، أَلقَاب الرَّسُول ﷺ وَعِترَته: ٦١، عِلل الشَّرايع: ٢ / ٢٥٨.

(٢) أُنظر، كتَاب «شَرح شَافِيَة أَبي فِرَاس فِي مَنَاقب آل الرَّسُول وَمَثَالب بَني العَبَّاس»: ٥٥٩.

(٣) أُنظر، تَأرِيخ الشّيعَة، الشَّيخ المُظفر: ٤٦ نَقلاً عَن إِسعَاف الرَّاغبين، وَالصَّوَاعق المُحرقَة، نُور الأَبصَار. (مِنْهُ ﷺ). أُنظر، مطَالب السّؤول: ٨١، يَنَابيع المَودّة: ٣ / ١١٧ ح ٣ طَبعَة أُسوة، الصَّواعق المُحرقة: ٢٠٣، و: ١٢١ طَبعَة آخر، دَلاَئل الإِمَامَة: ١١١، إِسعَاف الرَّاغبين: ٢٥٣.

المَهْدِي:

مَات المَنْصُور ؛ وَقَام وَلَده مُحَمَّد المُلقب بِالمَهدي[(١)] ، وَبَقي فِي الحُكْم مِنْ سَنَة ثَمَان وَخَمسِين وَمِئَة إِلَىٰ سَنَة تِسع وَستِين وَمِئَة[(٢)] ، وكَان أَبُوه قَدْ أَتـمَ المُـهمَة ، وَأنتهىٰ مِنْ تَنفِيذ مَا أَعدَّه مِنْ خُطَط الإغتيَال ، وَالفَتك بِقوىٰ الخَيْر وَالصَّلاح ، ولَمْ يَنج مِنْهُ إِلاَّ أثنَان : عَليّ بن العَبَّاس بن الحَسن بن الحَسن بن عَليّ بن أَبي طَالب ، فَأَخذه المَهدي وَسَجنه ، ثُمَّ دَسَّ إِلَيه السُّم ، فَتَفَسخ لَحْمه ، وَتَبَايَنت أَعضَاؤه[(٣)] .

وَعِيسىٰ بن زَيد بن عَليّ بن الحُسَيْن بن عَليّ بن أَبِي طَالب ، توَارىٰ مِنْ المَهدي خَوفاً عَلىٰ نَفْسه[(٤)] .

قَالَ أَبُو الفَرج فِي مقَاتل الطَّالبِيين : «كَان عِيسىٰ أَفضَل مَنْ بَقي مِنْ أَهْله دِيناً ، وَعِلمَاً ، وَوَرعَاً ، وَزُهداً ، وَتَقشُفَاً ، وَأَشدهُم بَصِيرة فِي أَمرهِ وَمَـذهَبه ، مَـع عِـلم كَثِير ، وَروَاية للحَدِيث ، وَطَلب لهُ ، صَغِيرَة وَكَبِيرة»[(٥)] .

---

(١) قَالَ المَهدي للإمَام الكَاظم : أَنَّ النَّاس يَقُولُون : لاَ تَحرِيم فِي القُرآن للخَمر . فَقَال الإمَام : بَـل هِـي مُحرَمَة فِي كتَاب الله . قَالَ تَعَالىٰ : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ ٱلْبَقَرَة : ٢١٩ ، فَهي إِثمٌ وَالإِثم مُحرم بِنَص القُرآن حَيْث قَالَ عزَّ مَنْ قَائِل : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَـا ظَهَرَ مِـنْهَا وَمَابَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ﴾ ٱلأَعْرَاف : ٣٣. (مِنْهُ ﷺ) . أُنظر ، الكَافي : ٦ / ٤٠٦ ح ١ ، وَسَـائِل الشِّـيعة : ٢٥ / ٣٠١ ح ١٣ .

(٢) أُنظر ، تَأرِيخ مَدِينَة دِمَشق : ٥٣ / ٤١٣ ، تَأرِيخ الطَّبري : ١٠ / ١١ ، التَّنبِيه وَالأَشرَاف : ٢٩٦ ، الكَامِل فِي التَّأرِيخ : ٦ / ١١ ، مُروج الذَّهب : ٢ / ١٩٤ ، تَأرِيخ اليَعقُوبي : ٣ / ١٢٥ ، دُول الإسلاَم : ١ / ٨٦ .

(٣) أُنظر ، تَأرِيخ الطَّبري : ٦ / ٢٦٦ ، تَأرِيخ بَغداد : ١ / ٧٨ ، مقَاتل الطَّالبِيين : ٤٠٣ .

(٤) أُنظر ، عُمدَة الطَّالب فِي أَنسَاب آل أَبِي طَالب : ٢٨٦ ، مقَاتل الطَّالبِيين : ٤١١ ، المَصَابِيح ، لأَحمَد بن إبْرَاهِيم : ٤٨٧ .

(٥) أُنظر ، مقَاتل الطَّالبِيين : ٢٦٩ ، عُمدَة الطَّالب فِي أَنسَاب آل أَبِي طَالب : ٢٨٦ .

هَرَب عِيسىٰ مِنْ المَهدي، وَٱخْتَبأ فِي الكُوفَة فِي دَار بَعْض الشِّيعَة، وَهُو الحَسَن بْن صَالح[١]، ثُمَّ رَأىٰ أَنْ يَتخد عَمَلاً يَعتَاش مِنْهُ، وَلاَ يَكُون كَلاً عَلىٰ أَحَد، وكَان أَهْل الكُوفَة يَنْقلُون المَاء مِنْ الفُرَات إِلَىٰ بيُوتهِم عَلىٰ الجِمَال وَسَائر الحَيوَانات فاَتفق عِيسىٰ مَع صَاحب جَمل عَلىٰ أَنْ يَسْتَقِي عَلىٰ الجَمْل، وَيَدفع لهُ كلّ يَوْم أَجراً مُعيناً، وَيَتقوت هُو بمَا يَبْقىٰ، وَهكذا بَقي أَمداً طَويلاً، وَهُو مُتْنكر، وَتزوّج ٱمرَأة مِنْ فُقرَاء الكُوفَة لاَ تَعرفَه هِي وَلاَ أَهلهَا.

وكَان لِعيسىٰ أَخ ٱسمَه الحُسَيْن بن زَيد، وَلَهُ وَلَد يُدعىٰ يَحيىٰ، فَقَال يَحيىٰ يَوْمَاً لأَبِيه: يَا أَبه، إِنِي أَشتَهي أَنْ أرىٰ عَمّي عِيسىٰ؛ فَإِنَّه يَقْبح بمِثْلي أَنْ لاَ يَلقىٰ مِثْله مِنْ أَشيَاخه.

فَقَال لهُ: أَنّ هَذَا الأَمْر يَثْقل عَلَيه وَأَخشىٰ أَنْ يَنْتَقل مِنْ مَنْزله كرَاهِية للقَائِك إِيَّاه، فَتزعجَه، فَمَا زَال يَحيىٰ يَلح عَلىٰ أَبيهِ، حَتَّىٰ طَابت نَفْسه، وقَالَ لهُ: إِذْهب إِلىٰ الكُوفَة فَإِذَا بَلَغتها فَسل عَن دُور بَني حَي، وهُنَاك سِكَّة تُسمىٰ كَذا، وَسَترىٰ دَاراً، لهَا بَاب، صِفَته كَذا، فَٱجْلس بِالقُرب مِنْهَا، فَإِنّه سَيُقبل عَلَيك عِند المَغرب كَهل طَويل مَسنُون الوَجْه، قَدْ أَثَّر السُّجود فِي جَبْهَتة، عَلَيه جُبّة صُوف، يَسْقي المَاء عَلىٰ جَمْل، لاَ يَضع قَدْماً وَلاَ يَرفعهَا إِلاَّ ذَكَر الله، وَدمُوعه تَنْحَدر، فَقُم وَسَلّم عَلَيه وَعَانقه، فَإِنَّه سَيُذعَر مِنْك كَمَا يُذعر مِنْ وَحش، فَعَرّفه نَفْسك وَٱنْتَسب لهُ، فَإِنَّه يَسكُن إِلَيك وَيُحَدثك طَويلاً، وَيَسأَلك عَنَّا جَمِيعَاً وَيُخبرك بِشَأنه، وَلاَ يَضْجر بِجلُوسك مَعَهُ، وَلاَ تُطل عَلَيه، وَدَعه، فَإنَّه سَوف يَسْتَعفِيك مِنْ العَودة إِلَيه،

---

(١) أُنظر. نَشأَة الفِكر الفَلسَفي فِي الإِسلاَم، الدُّكتور سَامي النَّشار: ١٩٤.

فأفعَل مَا يَأمُرك بهِ مِنْ ذَلِكَ ، فَإنَّك إنْ عُدت إلَيه توَارىٰ عَنْك ، وَأستَوحش مِنْك ، وأنْتَقل مِنْ مَوضعهِ ، وعَلَيه مِنْ ذَلِكَ مَشَقة .

قَالَ يَحيىٰ : ذَهَبت إلَىٰ الكُوفَة ، وَفعلت مَا أَمَرني بهِ أَبي ، وَحِين عَانَقت عمّي عِيسىٰ ذُعر مِنّي كَمَا يُذعر الوَحش مِنْ الأُنس .

فَقُلت : يَا عَمّ أنَا يَحيىٰ بن الحُسَيْن ابْن زَيد ، أنا ابْـن أَخِـيكَ ، فـضَمني إلَـيه وَبَكىٰ ، ثُمَّ أَنَاخ جَمَله ، وَجَلس مَعي ، فَجَعل يَسألني عَـن أَهـله رَجُـلاً رَجُـلاً ، وَامرَأة امرَأة ، وَصَبياً صَبياً ، وَأنَا أَشرَح لهُ أَخبَارهُم ، وَهُو يَبكي .

ثُمَّ قَالَ : يَا بُني ! أَنا أستَقي عَلىٰ هَذَا الجَمَل المَاء ، فَأصْرف مَا أَكْـتسب مِـنْ أُجرَة الجَمَل إلَىٰ صَاحبه ، وَأتقوت بَاقِيه ، وَرُبَّما عَاقني عَائق عَن اسْتقَاء المَاء ، فَأخرج إلَىٰ البَرية ، فَألتَقط مَا يَرمي النَّاس بهِ مِنْ البقُول ، فَأتقَوته .

وَقَدْ تزوَّجت إلَىٰ رَجُل ابْنَته ، وَهُو لاَ يَعْلم مَنْ أنا إلَىٰ وَقتي هَذَا ، فَوَلدت مِني بنتاً ، فَنَشأت وَبَلغت ، وهِي أَيضاً لاَ تعرفني ، وَلاَ تَدري مَنْ أنَا .

فَقَالت لِي أُمّها : زوِّج ابْنَتك بَابن فُلاَن السَّقاء ، وَهُو رَجُل مِنْ جِيرَاننا ، فَـإنَّه أَيسَر مِنَّا ، وَقَدْ خَطَبها ، وَأَلحت عَليّ ، فَلَم أَقْدر عَلىٰ إخبَارهَا بِأنَّها بِنْت رَسُـول الله ، فَجَعلت تَلحُ عَليّ ، فَلَم أَزل اسْتَكفي الله أمرهَا ، حَتَّىٰ مَاتت البِنْت بَعْد أَيَّام ، فَلَم أَجدني آسي عَلىٰ شَيء مِنْ الدُّنْيَا أَسَاي عَلىٰ أنَّها مَاتت ، ولَمْ تَعْلم بمُوضعهَا مِنْ رَسُول الله ﷺ .

قَالَ يَحيىٰ : ثُمَّ أَقسَم عَليّ عَمّي أَنْ انْصرف ، وَلاَ أَعود إلَيه ، وَوَدّعني[1] .

(١) انظر ، مقَاتل الطَّالبِيين : ٤٠٩ و : ٢٧٠ طَبعَة أُخرىٰ ، عُمدَة الطَّالب : ٢٨٦ .

هَذِهِ أَمثلَة تُعَبر عَن مَنْهج حكُومَات الجَور وَالظُّلم يُعَاني فِيهَا الطَّيبُون الأَخيَار ضرُوب الفوَاجع وَالشَّقاء، وَيَعيش فِيهَا الخَونة وَالجُهلاء آمنِين مُترَفين يَـجدُون كلّ عَون وَحمَاية!... أنَّ البَلد الطَّيب الأَمِين يَحمل القَرِيب وَالغَرِيب، وَتُـفِيض خَيرَاته عَلىٰ الموَاطنِين وَالمُهَاجرين عَلىٰ السَّواء. أَمَّـا البَـلد الخَـبِيث بِـحُكَّامه وَقَادته فهُو شرّ وَبَلاَء عَلىٰ العُلمَاء وَالأَبريَاء، وَنعمَة وَرخَاء عَـلىٰ أَهْـل الجَـهْل وَالأَدعيَاء.

لَمْ يَسْتَطعْ عِيسىٰ بن زَيد بن عَليّ بن الحُسَيْن بن عَليّ وفَاطِمَة بِنْت رَسُول الله. لَمْ يَسْتَطع هَذَا العَلَم المُخلص، المُحدث الوَرع، الزَّاهد أَنْ يُظهر نَـفْسه فِـي بَـلد الإِسْلاَم، وَحَاكمه خَلِيفَة المُسْلِمين، وَعَاش خَائفاً مُستَتراً يَخدم النَّاس، وَيَنقل المَاء إِلَىٰ البيُوت بِأَجرٍ زَهِيد، عَاش آبْن رَسُول الله فِي «خِلاَفَة المَهديّ» يَلْتَقط مَا يَرمي بِهِ النَّاس مِنْ قشُور الخِضَار وَالفَاكهة، يَتقوتَه هُو وَزوجَته، وَآبنَته الَّتي كَبُرت، ثُمَّ مَاتت، ولَمْ تَعرف مكَانها مِنْ رَسُول الله، عَاش مُشَرداً مُتَنكراً، يَنْفر مِنْ الأُنس كَمَا يَنْفر مِنْ الوَحش، لاَ لشَيء إِلاَّ أَنَّه عَالِم زَاهد يَعْرف الحَقّ وَيَعمل بِهِ. وَعَاش المُخنثُون، وَالعَاهرَات، وأَهْل الفِسق، وَالفجُور فِي دَعَة وأَمَان، تُسـهل لهُم الأُمُور، وَتُغدق عَلَيهِم الأَموَال.

قَالَ المَسْعُودِي: بَسَط المَهدِي يَـدَه فِـي العَـطَاء، فَأَذهَب جَـمِيع مَـا خَـلَّفه المَنْصُور، وكَان (١٦) مليُون دِرهم، و(١٤) مليُون دِينَار.

قَالَ لِي بَعْض أَسَاتذه الفَلْسَفة فِي القَاهِرَة: أَنَّ الشِّيعَة يَقولُون بِالتَّقِية.

قُلتُ: لعَن الله مَنْ أَحوَجَهُم إِليهَا، لَقَد خَرَج مُوسىٰ الكَلِيم مِـنْ مَـصْر خَـائفاً

يَترقب وَقَالَ: ﴿رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[١]، وقَالَ النَّبيّ ﷺ: «بِئس القَوم قَوم يَعِيش المُؤمِن بَيْنَهُم بِالتَّقِية»[٢]. أَنَّكُم تُنَادُون بحرّية الرَّأي وَالعَقِيدَة، ثُمَّ إِذَا رَأَيتُم مَظلُوماً سَكَت عَن رَأيه خَوفاً مِنْ حُكَام الجَور، نَعِيتُم عَلىٰ المَظلُوم، وَسَكتُم عَن الظَّالم. وَصَدق مَنْ قَالَ: «مَا ٱختَلف النَّاس، وَلَكن أَطرَد القِيَاس».

الهَادِي:

تُوفِّي المَهدِي، وَبُويع وَلَده المُلقب بِالهَادي.

قَالَ المَسْعُودِي: «كَانَتْ خِلاَفَته سَنَة وَثلاَثة أَشهُر، وكَان قَاسي القَلب، شَرس الأَخْلاَق»[٣].

وَفِي عَهْده كَان عَلىٰ المَدِينَة رَجُل مِنْ وُلد عُمَر بن الخَطَّاب، ٱسمَه عَبدالعَزِيز[٤]، فَتحَامل عَلىٰ الطَّالبيين، وَأَسَاء إِلَيهِم، وَسَامهُم صِنوَي العَذَاب، فَحَجر عَلَيهِم أَنْ يَخرجُوا مِنْ المَدِينَة، وَطَالبهُم أَنْ يُثبتُوا وجُودهم وَيَعرضُوا عَلَيه أَنفسهُم كلّ يَوْم[٥]، وكَان يَلصق بِهم تُهمَة مُعَاقرة الخَمْرَة زُوراً وَبُهتَاناً، وَيُقِيم

(١) القَصَص: ٢١.
(٢) أُنظر، تَفْسِير القُرطبي: ٤/٤٦ جُزء مِن حَدِيث.
(٣) أُنظر، كتَاب العِبر للذَّهبي: ١/٢٥٨، كتَاب الوزرَاء وَالكُتَاب، الجَهشيَاري: ١٧٤، تَأْرِيخ الخَمِيس: ٢/٣٣١، كتَاب التَّاج، الجَاحظ: ٨١، تَأرِيخ الخُلفَاء: ٢٧٩.
(٤) أُنظر، الإِفَادة فِي تَأْرِيخ الأَئِمَّة السَّادَة: ٧١، تَأرِيخ الطَّبري: ٦/٤١٠ و: ١٠/٢٤، الوِزرَاء والكُتَاب الجَهْشيَاري: ٥٨، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٦/٣٢.
(٥) أُنظر، المصَادر السَّابقة، الإِفَادة فِي تَأْرِيخ الأَئِمَّة السَّادَة: ٧١، مقَاتل الطَّالبِيين: ٤٤٣، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٣/١٣٦.

عَلَيهم الحَد، وَيُشهر بِهم، وَأَرسَل يَوْمَاً فِي طَلب الحُسَيْن بن عَلِيّ بن الحَسَن الفَخّي[(١)]، وَأَسمَعه كَلاَماً قَاسِياً، وَتَهدَدهُ وَتَوعدهُ مِمَّا أَدّىٰ إِلَىٰ خرُوجه، فَقُتل هُو وَأَكثَر مَنْ كَان مَعَهُ بِمكَان يُسمّىٰ فَخّ عَلىٰ بُعْد سِتة أَميَال مِنْ مَكَّة المُكَرمَة، وَأَقَام القَتلىٰ ثَلاَثَة أَيَّام لَم يُوَاروا حَتَّىٰ أَكَلتهُم السّباع وَالطَّير، وَمِنْ أُسر مِنْهُم قُتل صَبراً[(٢)].

وَبالرَّغم مِنْ قِصر أَيَّامه فَقَد آستطَاع أَنْ يَقوم بَعَمل تأرِيخي، وَبِسجل آسمه مَع جَلاَّدي الشُّعوب، وَقَتلة أَولاَد الأَنبيَاء.

قَالَ الإِصْفهَاني فِي مقَاتل الطَّالبِيين: «أَنَّ أُمّ الحُسَيْن صَاحب فَخّ هِي زَينَب بِنت عَبدالله بن الحَسَن بن الحَسن بن عَليّ بن أَبي طَالب، قَتل المَنْصُور أَبَاها وَأُخوَتها وَعمُومتهَا، وَزوّجها عَليّ بن الحَسن، ثُمَّ قَتل الهَادي حَفِيد المَنْصُور آبنهَا الحُسَيْن، وكَانَتْ تَلْبس المسُوح عَلىٰ جَسَدها، لاَ تَجْعل بَيْنَها وَبَيْنه شَيئاً، حَتَّىٰ لَحِقت باللهِ عزَّوجلّ»[(٣)].

الرّشِيد:

تَولىٰ الرَّشِيد الحُكْم بَعْد أَخيهِ الهَادي سَنَة سَبعِين وَمِئة، وَمَات سَنَة ثَلاَث

(١) أنظر، الإفَادة فِي تَأرِيخ الأَئِمّة السَّادَة: ٧٠، أَئِمّة أَهْل البَيْت عليهم السلام، عبَّاس مُحمَّد زَيد: ٣١.

(٢) أُنظر، مُروج الذَّهب: ٣ / ٣٣٦. (مِنهُ رحمه الله). وَأُنظر، مُروج الذَّهَب: ٣ / ٣٣٦، مقَاتل الطَّالبِيين: ٤٥١، الفَخْري فِي الآدَاب السُّلطانية: ١٧٤.

(٣) أُنظر، مقَاتل الطَّالبِيين: ٢٤٢، الإفَادة فِي تَأرِيخ الأَئِمّة السَّادَة: ٦٠، المَصَابيح، لأَحمَد بن إِبرَاهِيم: ٤٤٤، تَأرِيخ الطَّبري: ٦ / ٢١٩.

وَتسعِين وَمِئَة. ولَمْ يَشْتهر أَحَد مِنْ العبَّاسيين شُهرَة الرَّشِيد وَآبنه المَأمُون، فَلقَد كَانا مِنْ أَعْظم مُلُوك العَالَم شَأناً، وَأَسماهُم مكَانَة، وَلَمْ يَبزهُما عبَّاسِي، وَلاَ أُموي فِي تَشجِيع العُلوم وَالآداب، وَلَعبَت قَصصٌ أَلف لَيلة وَلَيلة دَوراً كَبِيراً فِي شُهرَة هَارون الرَّشِيد، وَأَلبَسته أَسَاطِيرها ثَوباً فضْفَاضاً مِنْ العَظَمة وَالجَلاَل، أَمَّا شُهرَته فِي إِدَارة المُلك، وَمَا إِلَيهَا مِنْ بِنَاء المَسَاجد، وَالكُلِيَات، وَالمُستَشفيَات، وَالمنَازل، وَالقنَاطر، وَالطُّرق المُعَبدَة، وَشَبكَة الجَدَاول. أَمَّا هَذِه الإِدَارة والأَعْمَال فَتُعزىٰ إِلَىٰ مَهَارة البرَامكَة الَّذِين وَكلَ إِلَيهِم مَهَام الدَّولة خِلاَل السَّبع عَشر سَنَة[١].

فَالرَّشِيد هُو الَّذي حَصَد شَجرَة النُّبوّة، وَآقْتَلع غَرس الإِمَامة... عَلىٰ حَدّ تَعبِير الخوَارزمي، وَالَّذي لَم يَكن يخَاف الله، وَأَفعَاله بِأَعيَان آل عَليّ عليه السلام وهُم أَولاَد بِنْت نَبيّه... لغَير جُرم تَدلّ عَلىٰ عَدَم خَوفه مِن الله تَعَالىٰ. كَان الرَّشِيد يَكرَه الشِّيعَة وَيَقتلهُم»[٢].

وَقَد أَقسَم عَلىٰ آستِئصَالهم، وَكلّ مَن يَتَشيّع لهُم فَقَال «.. حتَام أَصْبر عَلىٰ آل بَني أَبي طَالب، وَالله لأَقتلَنَّهُم، ولأَقتُلنّ شِيعَتهُم، وَلأَفعَلنّ وَأَفعَلنّ»[٣].

وكَانَتْ مَقدَرة هَذِه الأُسرَة وَنَزَاهتهَا وَإِخلاَصها السَّبَب الوَحِيد لهَلاَكها، وَإِنزَال النَّكبَة بِهَا عَلىٰ يَد الرَّشِيد المَعرُوفة بِنكبَة البرَامكَة[٤]. أَمَّا قصَّة العبَّاسَة، وجَعفَر

---

(١) أنظر، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٥/ ٨٥، تَأرِيخ الطَّبري: ١٠/ ٦٠٦، العِقد الفَرِيد: ١/ ١٤٢، المعَارف: ٣٨١ ـ ٣٨١، مُروج الذَّهب: ٣/ ٣٣٥، تَأرِيخ الخُلفَاء للسُّيوطي: ٢٧٩.

(٢) أنظر، التَّأرِيخ الإِسلاَمي وَالحضَارة الإِسلاَمية، أَحمَد شَلبي: ٣/ ٣٥٢.

(٣) أنظر، الأَغَاني: ٥/ ٢٢٥.

(٤) هُم أَولاَد خَالد بن بَرمَك وَأَحفَاده، فَلَمَّا تولىٰ الرَّشِيد الخِلاَفة سَنَة (١٧٠ هـ)، قَرَّب البَرَامكَة

البرمكي، وحملها منهُ سرّاً فإنّها من نسج الخيّال للتّغطية وتبرير الظّلم والتّنكيل[1].

قَالَ صَاحب شَافية أبي فِرَاس نقلاً عن كتاب «ثمرات الأوراق»: «أنَّ الرَّشيد أوّل خليفة لعب بالصّولجان، وَالشّطرنج، وَالنَّرد»[2]. أمَّا سِيَاسته مَع العَلويين وَشيعَتهُم فتدل الأرقام أنّه كَان مُصمماً عَلىٰ أنْ لاَ يُبقي مِنْهُم عَلىٰ الأرض ديَّاراً، وَنذكر فِيمَا يَلي طَرفاً مِنْهَا:

ستّون شهيداً:

جَاء فِي كتَاب عيُون أخبَار الرِّضَا: أنَّ حَميد بن قحطَبة الطّائي الطّوسي[3]:

وَأستوزَرهُم، وزوّج أُخته العبّاسة مِن جَعفر بن يَحيىٰ بن خَالد البرمكي، وَبلغ بالبرَامكة الطّغيَان، وَالسّيطرَة، بحَيث كَان النّاس يَرجُونهُم، وَيخشونهُم أكثر مِن الرَّشيد نَفسه. الأمر الّذي حَدىٰ بالرَّشيد أنْ يَقوض سَيطرَتهُم، فَقتل وَزيره، وَصِهره جَعفر سَنَة (١٨٧ هـ)، وَبعدَه قَبض عَلىٰ عَامّة البَرامكة فَسجنهُم، وَضَيق عَلَيهم حتّىٰ مَاتوا. وَمُدة سَيطَرة البَرَامكة مَا بَيْن خِلاَفة الرَّشيد وَقتل جَعفر هِي قرَابَة الثّمانيَة عَشر سَنَة. أنظر، تأريخ بَغدَاد: ١/ ١٠٦ و: ٧/ ١٦٤، سِير أعلاَم النُّبلاء: ٩/ ٦٤، تأريخ الطّبري: ٨/ ٢٨٨، وَقد كُتبت عَنْهُم رَسَائل مَاجستِير، وَدُكتورَاه فرَاجع ذَلكَ.

(١) قَالَ أكثر مِنْ مُورخ: كَان الرَّشيد لاَ يَصْبر عَلىٰ فرَاق أُختَه العبّاسة وجَعفَر، فزوّجهُما عَلىٰ أنْ لاَ يَكُون لهَذا الزّواج أي أثر سِوىٰ الإجتمَاع فِي مَجْلسه، وَلَكن العَبّاسة أرَادت مِنْ جَعفَر مَا تُريده الزّوجَات. فَأحتَالت عَلَيه حتّىٰ قَضىٰ حَاجته مِنْهَا وَوَلدت لهُ ذَكراً، فَلمّا أطلع الرَّشيد عَلىٰ الحَقيقَة أنزَل البَلاَء بِالبَرامكَة، وَقد نَسي الّذي حَاك هَذِه الأُسطُورة أنْ يُضيف إليهَا أنّ الرَّشيد كَان أبلهاً لاَ يَقدر العوَاقب. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أنظر، كتَاب «شَرح شَافية أبي فِرَاس فِي منَاقب آل الرّسُول وَمَثالب بَني العَبّاس»: ٥٥٤، تأريخ الخُلفَاء للسّيوطيّ: ٢٨٦ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧ وَمَا بَعدهَا، ثمرَات الأورَاق، لأبي بَكر بن عَليّ بن عَبدالله الحَموي الإزرَاري، تَقي الدِّين: ٢/ ٢٥١، الأعلاَم للزّركلي: ٨/ ٦٢.

(٣) أنظر، مَا قَاله ـ حَميد بن قحطَبة ـ لهَارُون الرَّشيد، أفديك بِالمَال، وَالنّفس، وَالأهل، وَالدِّين، فَقَال:

قَالَ: «طَلَبني الرَّشِيد فِي بَعْض اللَّيل، وقَالَ لِي فِيمَا قَالَ: خُذ هَذَا السَّيف، وَٱمْتَثل مَا يَأمُرك بِهِ الخَادم، فَجَاء بِي الخَادم إِلَىٰ دَار مُغْلَقة، فَفتحها وإِذَا فِيهَا ثَلاَثة بيُوت وَبئر، فَفَتح البَيْت الأَوَّل، وَأَخرَج مِنْهُ عِشرِين نَفْساً عَلَيهم الشّعور وَالذَّوَائب، وَفِيهِم الشّيوخ، وَالكهُول، وَالشُّبان، وَهُم مُقيدُون بِالسَّلاَسل وَالأَغلاَل.

وقَالَ لِي: يَقُول لَكَ أَمِير المُؤْمِنِين أُقتل هَؤُلاَء، وَكَانُوا كلُّهُم مِنْ وُلد عَليّ وفَاطِمَة فَقَتلتهُم الوَاحد بَعْد الوَاحد، وَالخَادم يَرمي بِأَجسَامِهِم وَرُؤوسِهِم فِي البِئْر، ثُمَّ فَتَح البَيْت الثَّانِي، وإِذَا فِيهِ أَيضَاً عِشرُون مِنْ نَسْل عَليّ وفَاطِمَة، وكَان مَصيرَهُم كَمَصير الَّذِين كَانُوا فِي البَيْت الأَوَّل، ثُمَّ فَتح البَيْت الثَّالِث، وإِذَا فِيهِ عشرُون، فَأَلحقهُم بِمَن مَضىٰ، وَبَقي مِنْهُم شَيخ، وَهُو الأَخِير، فَقَال: تَبَّاً لَكَ يَا ميشُوم أَيُّ عُذر لَكَ يَوْم القِيَامة عِند جَدنا رَسُول الله!... فَٱرْتَعَشت يَدي، وَٱرْتَعَدت فَرَائِصي، فَنَظر إِليّ الخَادم مُغضباً، وَهَددني، فَقَتَلتُ الشَّيخ، وَرَمىٰ بِهِ فِي البِئْر!...»[1].

الأسطوانات:

نَقَل صَاحب «مقَاتل الطَّالبيين» عَن إِبرَاهِيم بن رِيَاح أَنَّ الرَّشِيد حِين ظَفر

⇐ لله درّك.... تأريخ بَغدَاد: ١٣ / ٣٠، تَذكرَة الخوَاصّ: ٣٤٩، وَفيَات الأَعيَان: ٥ / ٣٠٨، مرآة الجنَان لليَافعي: ١ / ٣٩٤، الصَّوَاعق المُحرقَة: ١٢٢، يَنَابيع المَودّة: ٣٨٢، و: ٣ / ١١٩ طَبعَة آخر، المُختَار فِي منَاقب الأَخيَار لِابن الأَثِير: ٣٣، أَخبَار الدُّول وَآثار الأُوَل للقرمَاني: ١٢٣، نُزهَة الجَلِيس: ٢ / ٤٦، البِدَاية وَالنِّهاية: ١٠ / ١٨٣، عُمدَة الطَّالب: ١٩٦، مقَاتل الطَّالبِين: ٥٠٠.

(١) أُنظر، عيُون أَخبَار الرِّضَا: ١٠٩، طَبعَة دَار العِلْم، قُم سَنَة (١٣٧٧م). (مِنْهُ ﷺ). و: ٢ / ١٠١ ح ١.

بِيَحيىٰ بن عَبدالله بن الحَسن بن الحَسن بن عَليّ بن أَبي طَالب بَنىٰ عَلَيه أُسْطُوَانة، وَهُو حَي، وَقَدْ وَرَث الرَّشِيد طَرِيقة البِنَاء عَلىٰ الأَحيَاء مِنْ جَدّه المَنْصُور[١].

بَيْنَما يَرَىٰ البَغْدَادِي إِنَّه مَات مَسمُوماً[٢]. وَيَرَىٰ اليَعقُوبي إِنَّه مَات جُوعاً وَعَطشاً لأَنَّ المُتوكّل بِسِجنه مَنَعه مِن الطَّعام أَيَّاماً فَمَات جُوعاً[٣].

وقَالَ صَاحب «أَخبَار عيُون الرِّضَا»: لمَّا بَنىٰ المَنْصُور الأَبْنِيَة ببغدَاد جَعَل يَطلب العَلوِية طَلَباً شَدِيداً، وَيَضع مَنْ ظَفَر بِهِ مِنْهُم فِي الأُسْطُوَانات المُجَوفَة المَبْنِية مِنْ الجُص وَالآجر. فَظَفر ذَات يَوْم بِغُلام مِنْهُم حَسن الوَجه، وَلَهُ شَعر أَسوَد، وَهُو مِنْ وُلد الحَسن بن عَليّ بن أَبي طَالب، فَسَلمه إِلَىٰ البَاني الَّذي كَان يَبني لهُ، وَأَمرَه أَنْ يَجْعلهُ جَوف أُسْطُوَانة، وَيَبني عَلَيه، وَوَكل عَلَيه مَنْ يُرَاعي ذَلِكَ، وَحِين أَرَاد البَاني أَنْ يُدخلهُ حَيّاً فِي الأُسْطُوَانة أَخَذته الرِّقة وَالرَّحمَة، فَتَرك فِي الأُسْطُوَانة فُرجَة يَدخل مِنْهَا الرِّيح، وقَالَ للغُلاَم: لاَ بَأس عَلَيك فَاْصْبر فَإِنّي سَأخرُجك فِي جَوف اللَّيل إِذَا جنّ.

وَلمَّا دَخل اللَّيل أَتَاه، وَأَخرَجه مِنْ الأُسطوانه؛ وقَالَ لهُ اْتق الله فِي دَمي وَدَم الفَعلة الَّذِين مَعي، وَغيّب شَخصك، فَإِنّي أَخرجتُك خَوفاً أَنْ يَكُون جدّك خَصْمي يَوْم القِيَامَة. فَقَال لهُ الغُلاَم: سَأَفعَل، وَلَكن لِي أُمّ «وَهِي فِي مَكَان كَذا، فَاْذهَب إِليهَا، وَعَرّفها إِنّي قَدْ نجوت، وأَنَّ عَودي إِليهَا غير مُمكن».

---

(١) أنظر، مقَاتل الطَّالبِيين: ٤٤١، مُروج الذَّهَب: ٣/ ٢٥٢، البدَايـة وَالنّـهاية لِابـن كَـثِير: ١٠/ ٨٤، شَذرَات الذَّهب لِابْن العمَاد: ١/ ٢٢.

(٢) أنظر، تَأرِيخ بَغدَاد: ١٤/ ١١٠.

(٣) أنظر، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٢/ ٤٢٢.

قَالَ البَاني : ذَهَبتُ إِلَىٰ المَوضع الَّذي دَلني عَلَيه ، فَسَمعتُ دَوياً كَدوي النَّحل مِنْ البُكاء فَعَلمتُ أَنَّها أُمّه ، فَدَنَوت مِنهَا ، وَعرَّفتهَا الخَبر ، وَأَعطِيتُها شَيئاً مِن شَعره ، وَآنْصَرفتُ[1] .

يَحْيَىٰ والرَّشِيد:

وَلمَّا آشتَد الرَّشِيد عَلىٰ العَلوِيين خَرج عَلَيه يَحيىٰ بن عَبدالله بن الحَسن بن الحَسن بِالدَّيلم ، قَالَ آبْن الأَثِير فِي الكَامِل ، وَالإِصْفهَاني فِي مقَاتل الطَّالبِيين[2] :

« أَنَّ يَحيىٰ آستَتر مُدَّة يَجول فِي البُلدَان ، وَيَطلب مَوضعَاً يَلجَأ إِلَيه ، حَتَّىٰ بَلَغ الدَّيلم ، وَقَدْ ظَهر هُنَاك ، وَآشتَدت شَوكَته ، وَأَتَاه النَّاس مِنْ الأَمصَار ، فَآنْتَدب إِلَيه الرَّشِيد الفَضل بن يَحيىٰ فِي خَمسِين أَلف مُقَاتل ، وَرَاسل الفَضل يَحيىٰ فِي الصُّلح ، فَأَجَابه إِلَيه ، لمَّا رَأىٰ مِنْ تَفرق أَصحَابه ، وَخِلاَفهم عَلَيه ، بَعد أَنْ رَأىٰ نَفْسه مُحَاصراً مِنْ قَبل الفَضْل فِي كُور الجِبَال ، وَالرَّي ، وَجُرْجَان ، وَطَبَرِسْتَان الَّتي كَان عَلَيها المُثنّىٰ بن الحَجَّاج بن قُتَيبَة بن مُسلم ، وعَليّ بن الحَجَّاج الخُزَاعِي عَلىٰ جُرْجَان وَعَسكر الفَضْل فِي النَّهرِين ، وكَان تِعدَاد جَيش الرَّشِيد خَمسُون أَلف جُندي[3] . وَآشتَرط يَحيىٰ أَنْ يَكْتب لهُ الرَّشِيد أَمَاناً بِخَطهِ ، فَأعطَاه الأَمَان بوَاسطة الفَضْل بن يَحْيَىٰ ، وَجَعل الأَمَان عَلىٰ نُسْخَتِين : إِحدَاهُما مَع يَحيىٰ ،

(١) أُنظر ، عيُون أَخبَار الرِّضَا : ١١١ ، طَبعَة دَار العِلم ، قُم سَنَة (١٣٧٧م) . (مِنْهُ). و : ٢ / ١٠٢ ح ٢ .
(٢) أُنظر ، آبْن الأَثِير فِي الكَامِل : ٥ / ٩٠ . والإِصْفهَاني فِي مقَاتل الطَّالبِين : ٤٦٥ ، وَمَا بَعْدها . (مِنْهُ).
(٣) أُنظر ، العُيُون وَالحدَائق فِي أَخبَار الحَقَائِق : ٣٠٧ . الفَخْرِي فِي الآدَاب السُّلطَانِية : ١٧٦ .

وَالأُخرىٰ مَع الرَّشِيد.

وَفِعلاً تَمّ ذَلِكَ، وَرَجع يَحْيَىٰ إِلىٰ بَغدَاد، وَاستَقبَله الرَّشِيد[١]، لَكِنْ بَعد ذَلِكَ مُبَاشرة حَبَسه، ثُمّ أَطلَق سرَاحه، وَقَرّبه مِن مَجلسهِ؛ لأَنّه صَاحب عِلم، وَبَعد مُدّة أَرسَله الرَّشِيد إِلىٰ السّجن، وَغَيّبه فِي سِردَاب، وَمَنع عَنْهُ الطّعام حَتّىٰ مَات ﷺ[٢].

جَاء فِي كتَاب الأَمَان الّذي كَتَبه الرَّشِيد لهُ، وَأَرسَله بِيَد الفَضْل بِخِدعته الدُّبلُومَاسِية الإِستمَالة، وَالتَّرغِيب، وَالتَّحذِير، وَالتَّخويف وَلَكِنْ يَحْيَىٰ طَلب مِن الرَّشِيد أَنْ يَشهَد عَلىٰ الكِتَاب الفُقهَاء، وَالقُضَاة وَالشُّيوخ مِن بَني هَاشم، وَأَنْ يؤَمنهُ مَع أَصحَابه السَّعِيين، وَفِعلاً كَتب الرَّشِيد عَهد الأَمَان وَأَرفَقه بِالهَدايا، تُقَدر بمِئَتي أَلف دِينَار[٣]. وَيَذكر الطَّبري[٤] أَنَّ مُحَمَّد شَهد عَلىٰ العَهد عَبدالصَّمد بن وَلكنَّ الرَّشِيد لَمْ يَذهب مَا فِي نَفْسه، وقَالَ لهُ يَوْماً:

أَيُنا أَقرَب إِلىٰ رَسُول الله أَنا أَو أَنْت؟

قَالَ: أعفنِي.

قَالَ: لابُدَّ مِنْ الجَوَاب.

فَقَال لهُ يَحيىٰ: لَو عَاش رَسُول الله، وَخَطب إِلَيك ابْنَتك، أَكُنت تُزوّجه؟

قَالَ: أي وَالله.

قَالَ يَحيىٰ: لَو عَاش رَسُول الله فَخَطب إِليّ أَكَان يَحل لِي أَنْ أُزوّجه؟

---

(١) أنظر، الإِفَادة فِي تَأرِيخ الأَئِمّة السَّادَة: ٧٧.

(٢) أَنظر، المَصْدَر السَّابق: ٨٠ و ٨٢.

(٣) أَنظر، الفَخرِي فِي أَنسَاب الطَّالبيين: ١٧٦، تَأرِيخ الطَّبري: ٦/ ٤٥٠.

(٤) أَنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٦/ ٤٥٠.

قَالَ الرَّشِيد: لاَ.

فقَال يَحيىٰ: هَذَا جوَاب مَا سَألت. فَغَضب الرَّشِيد، وَقَام مِنْ مَجْلسهِ[١].

شيوخ السّوء:

أرَاد الرَّشِيد أنْ يَغْدر بِيَحيىٰ، وَيَنقض العَهْد الَّذي خَطَّه بِيَمِينه، وَأشهَد فِيهِ عَلىٰ نَفْسه، فَلَم يَجد مُبرراً وَلاَ عُذراً يَعْتَذر بِهِ، فَأمسكَ وَسَكت عَلىٰ مَضَض، وَأخِيراً فَقَد الصَّبْر فَالتَجأ إلَىٰ شَيخ مِنْ شـيُوخ السُّـوء الَّـذِين يَـبيعُون العِـلل وَالحِـيل، وَيَتسَابقُون إلَىٰ عَرضهَا عَلىٰ مَنْ يَدفَع الثَّمن، تَمَاماً كَمَا يَـفْعل البَـزَاز، وَالبَـقَّال وَالفَحَّام، فَأفتَاه الشَّيخ أبُـو البُـختري وَهَب بـن وَهب[٢] بِأنَّ هَـذَا العَـهْد بَـاطل مُنْتَقض، وأنَّ يَحيىٰ يَحلُ قَتْله وَدَمه، وَأخَذ العَهْد، وَمَزقه فَأعطَاه مليُون وَستمِئَة ألف، وولاَه القَضَاء.

وَاستنَاداً إلَىٰ هَذِهِ الفَتوىٰ أخذ الرَّشِيد يَحيىٰ، وَضَـربه مِـئَة عَـصَا، وَيَـحيىٰ

---

(١) أنظر، مقَاتل الطَّالبِيين: ٢٦٥ و: ٣١٥، طَبعَة أُخرىٰ.

وَحَدثَت هَذِهِ مَع الإمَام مُوسىٰ الكَاظِم أيضَاً، عِندَما دَخَل الرَّشِيد يَوْمَاً إلَىٰ المَسْجِد النَّبوي، وَقَالَ: السَّلام عَلَيك يَا أبن عَمّ، مُفْتَخراً بِذَلك عَلىٰ غَيره، فَتقدم أبُو الحَسن (مُوسىٰ الكَاظم)، وَقَال: السَّلاَم عَلَيك يَارَسُول الله، السَّلاَم عَلَيك يَا أبه، فَلم يَحتملهَا الرَّشِيد، فَتَغير وَجْه، وَأمر بِهِ فَأخـذه مِـن المَسْـجد، فَحَمله إلىٰ بغدَاد مُقيَّداً، وَحَبَسه إلىٰ أنْ مَات بِها مَسمُوماً سَنَة ثَلاَث وَثمَانِين وَمِئَة.

أُنظر، الصَّواعق المُحرقة: ١٢٣، وَفيَّات الأعيَان: ٢ / ١٧٣، تَأريخ بـغدَاد: ١٣ / ٣٢، صَـفوة الصَّفوة: ٢ / ١٨٧، تَذكرَة الخوَاصّ: ٣٥٩، مُروج الذّهب: ٣ / ٣٥٥، البِدَاية وَالنِّـهاية: ١٠ / ١٨٣، الكَامل فِي التَّأريخ: ٦ / ١٦٤، تَأريخ أبن الوَردي: ١ / ٢٨١، عيُون التَّوارِيخ: ٦ / ١٦٥.

(٢) أنظر، البِدَاية وَالنّهايَة: ١٠ / ١٧٩، مُروج الذَّهب: ٣ / ٤١٧، تَأريخ الطَّبري: ١٠ / ٥٦.

يُنَاشده الله وَالرّحم وَالقرَابَة مِنْ رَسُول الله، ثُمَّ زَجّه فِي سِجن مُظلم، وَفِي اليَوْم الثَّانِي أَحضَره وَضَربه مِئَة عَصَا، ثُمَّ رَدَّه إِلَىٰ السّجن وَضَيّق عَلَيه مِنَ الطّعَام وَالشَّراب، وَأَخيرَاً بَنىٰ عَلَيه أُسْطوَانة، وَهُو حِي عَلىٰ خَبر إبرَاهِيم بن ريَاح، كَمَا أَشرنا، وقِيلَ: بَل مَات فِي السّجن خَنْقَاً، وَمَهما يَكُن فَالنَتِيجَة وَاحِدَة هِي الخَنْق[1]!...

وَالشَّيخ أَبُو البُختري مَوجُود فِي كلّ عَصر، فِي عَصر الرَّشِيد، وَقَبله، وَبَعْدَه، جَاء فِي حَاشِية الكَامل لِابْن الأَثِير: أَنَّ يَزِيد - يَزِيد بن عَبدالمَلك بن مَروان - صَاحب حَبَّابة وَسلاَّمَة القِس شَهِد لهُ أَربعُون شَيخاً أَنَّه مَا عَلىٰ الخُلفَاء مِنْ حِسَاب وَلاَ عَذَاب[2]. وَإِنّي لأَعرف اليَوْم شيُوخاً بِأَسمائِهِم وَسِيمَائِهِم نَاصرُوا أَمثَال الرَّشِيد، وَيَزِيد فِي الفِسق، وَالفجُور ضَدّ مَنْ أَوقَف نَفْسه لله، وَسَهر اللّيالي لتَأْيِيد دِين الله، وَالذَّب عَن أَوليَاء الله.

---

(١) دَفَعت أمرَأة رُقعَة إِلَىٰ الرَّشِيد، فَإِذَا فِيهَا أَتم الله أَمرك، وَفَرحك بمَا أَتَاك، وزَادك رِفعَة، فَقَال الرَّشِيد لجُلسَائه: أَنَّ هَذِه المَرأة تَدعو عَليّ، أَمَّا قَولهَا أَتمَ الله أَمرك فَإِنَّها عَنَت قَول الشَّاعر:

إذَا تَمَ أَمر دَنَىٰ نَقصه ... تَرَقب زَوَالاً إِذَا قِيلَ تَم

أُنظر، نُظم دُرر السّمطَين: ١٧٣، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٢٣ / ١٨٢، كتَاب الجِهَاد لِابْن المُبَارك: ٣٢. وَقَد نُسب هَذَا الشّعر إِلىٰ أَبي العَتَاهية مَرّة، وَإِلىٰ أَبن المُبَارك تَارَة أُخرىٰ.

وَأَمَّا قَولهَا فَرحَك بمَا أَتَاك فَإشَارة إِلَىٰ قَوله تَعَالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً﴾ الأَنْعَام: ٤٣.

وَأَمَّا قَولهَا زَادك رِفعَة فَقَد أَرَادت قَول الشَّاعر:

مَا طَار طَير وَأرتَفع ... إلاَّ كَمَا طَار وَقع

أُنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبي الحَدِيد: ١٨ / ٣٦٣.

(٢) أُنظر، حَاشِية الكَامل لِابْن الأَثِير: ٤ / ١٩١ طَبعَة ١٣٥٧ هـ. (مِنْهُ ﷺ). أُنظر، أبن كَثِير: ٢٣٢.

أيضاً آل أبي طالب:

جَاء فِي مقَاتل الطَّالبِيين أَنَّ الرَّشِيد كَان مُغرىٰ بِـالمُسَاْلة عَـن أَمـر آل أَبـي طَالب، فَقِيل لهُ: أَنَّ شَاباً مِنْهُم يُدعىٰ عَبدالله بن الحَسن بن عَليّ بن أَبـي طَـالب يَنْزل فِي مَوضع كَذَا، فَأَرسَل فِي طَلَبِهِ، وَلمَّا حَضَر قَالَ لهُ الشَّاب: وَالله مَا أَنا مِنْ هَذِه الطَّبقَة، أَي لَستُ مِمَّن تَخَاف مِنْهُ، وَإِنَّما أَنَا غُلاَم أَسعىٰ فِي صَحَاري المَدِينَة عَلىٰ قَدَمي، وَأَعِيش عَلىٰ الصَّيد، فَالله الله بِدَمي، فَسَجنهُ، ثُمَّ قَتَله أَحَـد وِزرَاء الرَّشِيد ـ جَعْفَر بن يَحيىٰ ـ[1].

وَحَبس الرَّشِيد مُحَمَّد بن يَحيىٰ بن عَبدالله بن الحَسن بن الحَسن بن عَليّ بن أَبي طَالب، وَمَات فِي مَحْبَسه، وَضَرب الحُسَيْن بن عَـبدالله بـن إِسـمَاعِيل بـن عَبدالله بْن جَعْفَر بن أَبي طَالب، ضَرَبه بِالسَّوط ضَرباً مُبرّحاً، حَتَّىٰ مَات، وَمَات فِي حَبْسه إِسحَاق بن الحُسَيْن بن زَيد بن الحَسن بن عَليّ بن أَبي طَالب، وَدَخل عَلَيه العَبَّاس بن مُحَمَّد بن عَبدالله بن عَليّ بن الحُسَيْن بن عَليّ بن أَبـي طَـالب، فَقَال لهُ هَارون: يَا ٱبْن الفَاعِلَة!...

فَقَال العَبَّاس: تِلْكَ أُمّك، الَّتي تَوَارَدها النَّخَاسُون. فَأَمر بِهِ، فَضُرب بعَامُود مِنْ حَدِيد، فمَات[2].

الإمَام الكَاظِم عليه السلام وَالرّشِيد:

جَاء فِي القُرْآن الكَرِيم أَنَّ الأَئِمَّة عَلىٰ نَوعَين:

---

(١) أُنظر، مقَاتل الطَّالبِيين: ٣٢٩. (مِنْهُ رحمه الله).

(٢) أُنظر، مقَاتل الطَّالبِيين: ٣٣١. مَع العِلم بِأَنَّ أُمّ العَبَّاس هِي أُمّ سَلمَة بِنْت مُحَمَّد بن عَليّ بن الحُسَين.

أئمّة حقّ وهداية. وأئمّة باطل وغواية. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[1]. وهَذِه هِي صِفات عَليّ وَالأئِمّة مِن ولده. وقال سُبحَانهُ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾[2]. وهَذِه صِفات الرَّشِيد، وَأسلاَفه الأُمَويين وَالعَبّاسيين. وَمِنْ هُنا كَان الصّراع بَيْنَ الكَاظِم والرَّشِيد حَقِيقي وَوَاقعي. إمَام يَدعُو إلَىٰ الله وَجَنَّته، وَإمَام يَدعو إلَىٰ الشَّيطَان وَغوَايته، فكَيف يَجْتمعَان؟! أمّا المُجَاملَة وَالإبْتَسام فرَماد تَحتَه نَار، مَا دَام القَلب يَرتَعد مِنْ الكَرَاهِية وَالبَغضَاء. وَإلَيك هَذِه القصّة:

جَاء فِي عيُون أخبَار الرِّضَا: «أنَّ المَأمُون قَالَ: مَا زُلتُ أحبّ أهْل البَيت، وَأظهَر للرَّشِيد بُغضهم تَقرِيباً إلَيه، فَلَمّا حَجَّ الرَّشِيد كُنت مَعَهُ، وَلمَّا كَان بِالمَدِينَة دَخَل عَلَيه الإمَام مُوسىٰ بن جَعْفر، فَأكرَمه، وَجَثىٰ عَلىٰ رُكبَتيه، وَعَانقه يَسألَهُ عَن حَالِه وَعيَاله، وَلمَّا قَام الإمَام نَهض الرَّشِيد وَوَدعه بإجلاَل وَإحتِرَام، فَلَمّا خَرج سَألَت أبي، وَقُلت لهُ: مَنْ هَذَا الّذي فَعزلت مَعَهُ شَيئاً لَمْ تَفعَله بِأحد سوَاه؟ فَقَال لِي: هَذَا وَارِث عِلم النَّبيين، هَذَا مُوسىٰ بن جَعْفر، فَإنْ أردتَ العِلْم الصَّحِيح فَعندَ هَذَا»[3].

عَانق الإمَام، وَأكرَمه، وَجَلس مُتَأدباً بَيْنَ يَدَيه، وَشَهد لهُ بِأنَّه وَارث عِلْم النَّبيين، وَلَكن أي جَدوىٰ بِهَذه الشَّهَادة، وذَلِكَ الإكرَام، مَا دَام يَدعو إلَىٰ الجَنَّة،

---

(١) الأنبياء: ٧٣.

(٢) القَصَص: ٤١.

(٣) أنظر، عيُون أخبَار الرِّضَا: ٩٣ طَبعَة ١٣٧٧ م. (مِنْهُ ﷺ).

وَالرَّشِيد يَدعو إِلَىٰ النَّار ؟ !. أَنَّ عِلْم النَّبِيين لَمْ يَشْفع للإِمَام عِند الرَّشِيد حِين رَأىٰ مِنْ حبّ النَّاس لهُ، وَتَعلقهُم بِهِ مَا رَأىٰ، فَٱسْتَعَرت فِي قَلْبه نِيرَان الحِقد، وَسَيطَرت عَلَيهِ الأَنَانِية، فَقَتل مِنْ أَبْنَاء النَّبِيين مَا لاَ يُبلغهُ الإِحصَاء. وَمَا ذَنب الإِمَام الكَاظِم إِذَا أَحَبّ النَّاس العِلْم وَأَهْله، وَالحَقّ وَمَنْ ٱنْتَصر لهُ ؟ !... وَهَل يَـجب عَـلَيه أَنْ يَكُون جَاهلاً مُخَنثاً مُسْتَهتراً، حَتَّىٰ يَرضىٰ الرَّشِيد عَنْهُ كَمَا رَضي عَـن مـخَارق وَأَمثَاله ؟ !. وإِذَا كَان لكَ عَدوّ لاَ يَرضِيه إلاَّ مَوتك، فَهل تَقْتل نَفْسك وَتَنْتَحر، حَتَّىٰ لاَ يَغْضب عَلَيك ؟ !.. أَنَّ الإِمَام الكَاظِم لَمْ يَخرج عَلىٰ حَاكِم، وَلاَ دَعَا أَحَداً إِلَىٰ مُبَايَعته، لَمْ يُحرك سَاكناً ضِدّ الرَّشِيد وَلاَ غَيْرَه، وكلّ ذَنْبه أَنَّه وَارث عِلْم النَّبِيين، وأَنَّه إِمَام حَقّ وَهُدىٰ، وَالرَّشِيد إِمَام بَاطل وَضلاَل.

أَرسَل الرَّشِيد جَلاَوزته إِلَىٰ الإِمَام مُوسىٰ بن جَعْفَر، وكَان يَتَعبد عِند قَبر جَدَّه، فَأَخرجُوه مِنْهُ، وَقَيَّدوه، وَأَرسَله الرَّشِيد إِلَىٰ البَصْرَة، وكَان عَلَيهَا عِيسىٰ بن جَعْفَر بن المَنْصُور، فَحَبَسَه عِندَه سَنَة، ثُمَّ كَتب عِيسىٰ إِلَىٰ الرَّشِيد أَنْ خُذه مِنّي، وَسَلِمه إِلَىٰ مَنْ شِئت، وإِلاَّ خَلّيت سَبِيله، فَقَد إِجْتَهدت أَنْ آخذ عَلَيه حَجَّة فمَا قَـدَرت عَلىٰ ذَلِكَ. فَحبَسه بِبَغدَاد عِند الفَضل بن الرَّبِيَّع، ثُمَّ عِند الفَضل بن يَحيىٰ، ثُمَّ عِند السّندي بن شَاهك، وَأَخِيراً تَخَلص مِنْهُ بِالسُّم[1]. وقِيلَ: أَنَّ السّندي لفَّـه عَـلىٰ

(١) أنظر، مقَاتل الطَّالبيين: ٤١٦، المناقب لابن شهرآشوب: ٣ / ٣٢٤، كَشف الغُمّة: ٢ / ٢٣٠، نُور الأبصَار للشَبلنجي: ٣٠٦، الإتحَاف بحُبّ الأشرَاف للشبرَاوي: ١٥٠ و: ٣١٨، بتَحقِيقنا، الصَّواعق المُحرقَة: ١٢٢ و ٢٠٤، ينَابِيع المَودّة: ٣ / ١٢٠ طَبعَة أُسوة، عيُون أخبَار الرِّضا: ١ / ٩٩ح ٤، و ١٠٠ ح ٦، مُروج الذَّهب: ٣ / ٣٥٥، الهدَاية الكُبرىٰ: ٢٦٤ ـ ٢٦٧، دَلاَئِل الإِمَامة: ١٥٢ ـ ١٥٤، إِثبَات الوَصيّة: ١٩٤، عُمدَة الطَّالب: ١٩٦.

بساط، وقعد الفراشون على وجهه، فانتقل إلى ربه خنقاً[١].

لقد عللتُ في ملاحظاتي السابقة، وأنا أتكلم عن ظلم الأمويين، ومن إليهم، عللت مثل هذه الفجائع بالحقد واللؤم، وما إلى ذلك من الصفات، وحين اطلعت على الرشيد ارتسم في ذهني شيء جديد، وهو أن ذات الإنسان، أي إنسان تتحول من حقيقتها قبل الحكم إلى حقيقة أخرى بعده تحولاً يباين ما كانت عليه مباينة تامة، بحيث أن أرباب المناصب يقيسون كل شيء بما يحفظ مناصبهم وسلطانهم، فلا دين، ولا عقل، ولا وجدان، ولا علم، ولا شيء لا يقدر على شيء، وهذه القسوة، والفظاظة بعد أن يصبح قوياً مسلطاً، وأعني بالمنصب أي منصب دينياً كان أو دنيوياً، فالرئيس الديني العام تماماً كالرئيس الزمني دون أي تفاوت كل منهما لا يرى إلا منصبه، سوى أن المرجع الديني يتراءى له أن تقديس منصبه، والاحتفاظ به من صميم الدين، تماماً كتقديس أية شعيرة من الشعائر الدينية. وليس من شك أن هذا أكثر خطراً، وأشد ضرراً!... ولا أستثني إلا أهل العصمة، ومن سار على طريقهم، وهم أندر من الكبريت الأحمر[٢].

وقد نطق بهذه الحقيقة بدافع من الواقع المرجع الديني العام السيد محسن الحكيم في كتاب «مستمسك العروة» قال في تعليقه على مسألة (٢٢) من مسائل الاجتهاد والتقليد ما نصه بالحرف الواحد: «والإنصاف أنه يصعب جداً

---

(١) أنظر. مقاتل الطالبيين: ٤١٧. عمدة الطالب: ١٩٦. غاية الإختصار: ٩١. الفخري: ١٢٨.

(٢) ويستأنس لرأينا هذا بالآية ٧٩ من سورة آل عمران: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾ حيث تشعر الآية بأن السلطة تبعث صاحبها إلى هذه الدعوى. ولا يصمد لها إلا الأقوياء في دينهم وإرادتهم. (منه ﷺ).

بقَاء العَدَالة للمَرجع العَام فِي الفَتوىٰ ـكَمَا يَتفق ذَلِكَ فِـي كـلّ عَـصْر لوَاحـد أَو جَمَاعَة ـ إِذَا لَمْ تَكُن بمَرتَبة قَوية عَالية ذَات مُرَاقبَة وَمُحَاسبة ؛ فَـإِنَّ ذَلِكَ مَـزَلة الأَقدَام، وَمَخطَرة الرِّجَال العِظَام »[1].

الإِمَام الرِّضَا عليه السلام وَالرَّشِيد:

قَالَ السَّيِّد الأَمِين: بَعْد حَيَاة الإِمَام الكَاظم أَرسَل الرَّشِـيد أَحَـد قـوَادَه إِلَـىٰ المَدِينَة، وَهُو الجَلُودي، وَأَمرَه أَنْ يَـهجم عَـلىٰ دُور آل أَبـي طَـالب، وَيَسْـلب نِسَاءهم وَلاَ يَدع عَلىٰ وَاحدة مِنهُنَّ إِلاَّ ثَوباً وَاحداً. فَأَمْتَثل الجَلودي، حَتَّىٰ وَصل إِلَىٰ دَار الإِمَام الرِّضَا، فَجَعل الإِمَام النِّسَاء كُلهُنَّ فِي بَيْت وَاحد، وَوَقف عَلىٰ بَاب البَيْت. فَقَال الجَلودي: لاَ بُدّ مِنْ دخُول البَيْت، وَسَلب النِّسَـاء، فَـتوسَل إِلَـيه، وَحَلف لهُ أَنَّه يَأتيهِ بِكُلّ مَا عَليهُنَّ مِنْ حُلي وَحِـلل، عَـلىٰ أَنْ يُـبقىٰ الجَـلودي مكَانه، ولَمْ يَزل يُلاَطفه حَتَّىٰ أَقْنَعه، وَدَخل الإِمَام، وَأَخذ جَمِيع مَا عَلىٰ النِّسَاء مِنْ ثيَاب، ومصَاغ، وجَمِيع مَا فِي الدَّار مِنْ أَثَاث، وَسَلمه إِلَىٰ الجَلودي، فَحَمله إِلَىٰ الرَّشِيد. وَحِين مَلَك المَأمُون غَضَب عَلىٰ هَذَا الجَلودي، وأَرَاد قَتْله، وكَـان الإِمَام الرِّضَا حَاضراً، فَطَلب مِنْ المَأمُون أَنْ يَعفُو عَنْهُ، وَيَهبه لهُ. فَظنَّ الجَلودي أَنَّ الإِمَام يُحَرض المَأمُون عَلىٰ قَتْله، لمَا سَبق مِنْ إِسَاءته.

فَقَال الجَلودي للمَأمُون: أَسأَلُك بالله أَنْ لاَ تَقْبل قَوله فِيّ.

فَقَال المَأمُون: وَالله لاَ أَقْبَل قَوله فِيكَ، اضربُوا عُنُقَه فَضُربت[2].

---

(١) أنظر، مُسْتَمسك العُروَة الوثقىٰ: ١ / ٤٣، الطَّبعَة الرَّابعَة، مَطبَعَة الآدَاب النَّجف سَنَة (١٣٩١ هـ).

(٢) أنظر، أَعيَان الشّيعَة: ١ / ٦٠ الطَّبعَة الأُولىٰ. (مِنهُ ﷺ). أنظر، عيُون أَخبَار الرِّضا: ١ / ١٧٢، مُسْـنَد

وهُنَاك مَظَالم أُخرىٰ للرَّشِيد مَع العَلوِيين وَشِيعَتهُم نَتركهَا خَوف الإِطَالة، ولأَنَّ الشَّاهِد يَدل عَلىٰ الغَائِب، وَهُو كَافٍ وَافٍ للتَّعبِير عَن حَقِيقَة الرَّشِيد وَسِيَاسَته.

الأمين:

مات هَارون الرَّشِيد بطُوس سَنَة ثَلاَث وَتسعِين وَمِئة للهِجْرَة، وفِيهَا بُويع لِابْنه الأَمِين، وَدَامت خِلاَفَة الرَّشِيد ثَلاَثاً وَعشرِين سَنَة وَأَشهُراً، وكَانَتْ خَلاَفَة الأَمِين أَرْبع سنِين وَأَشهُراً. وقَالَ أَبُو الفَرج فِي مقَاتل الطَّالبِيين: كَانَتْ سِيرَة الأَمِين فِي أَمر آل أَبي طَالب خِلاَف مَنْ تَقدم، لتَشَاغله بمَا كَان فِيهِ مِنْ اللَّهو وَالإِدمَان لهُ، ثُمَّ الحَرْب بَيْنه وبَيْنَ المَأمُون، حَتَّىٰ قُتل، فَلَم يَحدث عَلىٰ أَحَد مِنْهُم ـ أَي مِنْ آل أَبي طَالب ـ فِي أَيَّامه حَدث بوَجه وَلاَ سَبب[1].

المأمون:

قَتَل المَأمُون أَخَاه الأَمِين، وَٱستقَام لهُ الأَمْر، وَٱنْبَسط التَّشيُّع فِي عَهْده وعَهْد أَبِيه، وَٱنْتَشر فِي كلّ بُقعَه مِنْ بُقع الإِسْلاَم، حَتَّىٰ ٱمتَدت جذُورَه إِلَىٰ البلاَط المَلكي، «فكَان الفَضل بن سَهل ذُو الرِّيَاستِين وَزِير المَأمُون شِيعيًا»[2]، وَطَاهر

⟸ الإِمَام الرِّضا: ١ / ٧٤، عُمدَة الطَّالب: ٢٤٥، مِيزَان الإِعتدَال: ٣ تَحت الرَّقم (٧٣١١).

(١) أنظر، حَيَاة الأَمِين، مَآثر الإِنَافة: ١ / ٢٠٥، تَارِيخ الخُلفَاء: ٢٠١، مُختَصر أَخبَار الدُّول: ١٣٤، الكَامِل فِي التَّارِيخ لِابن الأَثِير: ٥ / ١٧٠، التَّنبِيه وَالأَشرَاف: ٣٠٢، مَعَالم الخِلاَفة: ١ / ٢٠٤، الآدَاب السُّلطَانيَة: ٢١٢.

(٢) هُو الفَضل بن سَهل ذُو الرِّيَاستِين وَزِير المَأمُون، وَمُدبّر أُموره، لُقب بِذي الرِّيَاستِين: لأَنَّه قَدْ ⟸

بن الحُسَيْن الخُزَاعي قَائِد المَأمُون الَّذي فَتَح لهُ بَغدَاد، وَقَتل أَخَاه الأَمِين شِيعيَاً، وكَثِير سوَاهُما، حَتَّىٰ أَنَّ المَأمُون خَشي عَاقِبة هَذِين فَقَتل الفَضل، وَوَلىٰ طَاهراً إِمَارة هَرَات ـ أَي عَزَله مِنْ قِيَادة الجَيش إِلَىٰ وَظِيفة أَدنىٰ - وكَانَتْ الطَّاهرِية كُلّها تَتَشيع، كَمَا قَالَ آبْن الأَثِير فِي حوَادث عَام ٢٥٠ هـ»[1].

وَقَدْ سَاعد إِمعَان السُّلطَة فِي الفَسَاد وَالمظَالم عَلىٰ هَذِه الإِنْتشَار، فَكُلَّما أَمعَن الحَاكمُون فِي الجَور كُلَّما تَحرك سَاكن الأُمَّة، وَآزدَاد تَمَسكهَا بِأَهل البَيْت الطَّاهر، وَنَتج عَن قَتل كلّ وَاحد مِنهُم آعتنَاق الأُلُوف لمَذهَب التَّشيُّع، وَحَسبُك دَلِيلاً عَلىٰ ذَلِكَ أَنَّ السِّندي بن شَاهك خَادم الرَّشِيد، حِين سَقىٰ الإِمَام الكَاظِم السُّم دَعَا ثمَانِين رَجُلاً مِنْ الفُقهَاء وَالوجهَاء، وَأَدخلهُم عَلىٰ الإِمَام، وقَالَ لهُم: آنظرُوا هَل حَدَث بِهِ حَدَث؛ فَإِنَّ النَّاس يَزعمُون أَنَّه فُعل بِهِ مَكرُوه، لَقَد خَاف الرَّشِيد مِنْ الرَّأي العَام والنَّاس، لاَ مِنْ الله، فَدَعاهُم إِلَىٰ النَّظر، لِيَشهدُوا عَلىٰ أَنَّه لاَ جُرح، وَلاَ ضَرب، وَلاَ أَي أَثَر للقَتل، ثُمَّ وضِعت جَنَازة الإِمَام عَلىٰ الجِسْر بِبَغدَاد، حَيْث يُقِيم أَكثَر الشِّيعَة، وَنُودي هَذَا مُوسىٰ بن جَعْفَر قَدْ مَات، فَآنظرُوا إِلَيه، فهَاج الشِّيعَة، وَكَادت الفِتْنَة تَقع، فَتَداركهَا سُليمَان بْن جَعْفَر عَمّ الرَّشِيد، فَأَخذ الجنَازة مِنْ الشَّرطَة، وَشيعهَا بمُوكب حَافل، وَمَشىٰ خَلفهَا حَافيَاً حَاسرَاً،

⇐ الوزَارَة وَالسَّيف جَمِيعاً، كَان مَجُوسيَاً فَأَسلَم عَلىٰ يَدي المَأمُون سَنَة (١٩٠ هـ) أَو يَدي يَحيىٰ بن خَالد البَرمَكي، وَكَان مِن صَنَائع آل بَرمَك، وَكَان يتشيّع، وهُو الَّذي أَشَار عَلىٰ المَأمُون بولاَيَة العَهْد لأَبي الحَسن الرِّضا، فَلَمَّا نَدم المَأمُون عَلىٰ ولاَيَة العَهْد ثَقل عَلَيه أَمر الفَضل، وَآحتَال عَلَيه خَرج مِن مَرو مُنصَرفاً إِلىٰ العرَاق وَدسّ عَلَيه حتّىٰ قَتَله غَالب السّعُودي الأَسود مَع جمَاعَة فِي حَمَّام سَرخَس سَنَة (٢٠٣ هـ). أُنظر، المقَاتل: ٥٦٥، تَأرِيخ الطَبري: ١١/ ١٠٢٥، طَبعَة لَندَن.

(١) تَأرِيخ الشِّيعَة مُحَمَّد الحُسَيْن المُظَفري: ٥٠ طَبعَة ١٣٥٢ هـ. (مِنهُ).

لاَ حُبّاً بِالْإِمَام، وَلاَ صِلة للرَّحم، كَمَا زعَمَ بَل خَوفاً مِنَ الثَّورَة عَلىٰ آبْـن أَخـيه هَارون، وَسُلطان العَبَّاسِيين[1].

وَلمَّا جَاء المَأمُون إِلَىٰ الحُكْم، وَرَأىٰ مَا رَأىٰ مِنْ كَثرَة الشِّيعَة، وَإِقبَال النَّاس عَلىٰ الْإِمَام الرِّضَا، وَنقمَتهُم عَلىٰ أَبِيه والحَاكِمِين مِنْ أَسلاَفه حَاول أَنْ يُدَاهـن، وَيَستَمِيل الرَّأي العَام، فَأظْهر التَّشيُّع كَذباً وَنفَاقاً، وَأَخَذ يُدَافع، وَيُنَاظر عَن إِمَامَة عَليّ أَمِير المُؤمِنِين، وأَنَّه أَحق بِالخِلاَفَة مِنْ أَبي بَكْر وَعُمَر، وَهُو لاَ يُؤمِنْ بِشَيء إِلاَّ بِتَثبِيت مُلكه، وَتَوطِيد سُلطَانه، وَالغَرِيب أَنَّ حِيل المَأمُون قَدْ آنـطَلت عَـلىٰ كَثِير مِنْ الشِّيعَة، فَظنوا بِهِ خَيراً. وَالحَقِيقَة أَنَّ الرَّشِيد وَالمَأمُون قَدْ بَنيَا عَلىٰ أَسَاس وَاحد، وَهُو الإِحتفَاظ بِالسُّلطة، وإِنْ آختَلف شِكل البِنَاء، فَلقَد دَسَّ الرَّشِيد السُّم إِلَىٰ الْإِمَام الكَاظِم، وَدَس المَأمُون السُّم للإِمَام الرِّضَا، وَلَكن المَأمُون كَـان قَـدْ آستفَاد مِنْ أَخطَاء أَبِيه الرَّشِيد الَّذي جَاهر بِالعدَاء لأَهل البَيْت، وَسَـجن الإِمَـام عَمناً. ثُمَّ آغتَاله بِأُسلُوب يُدِينه، وَيُثبت عَلَيه التَّبعَات، وَيُثِير السّخط وَالإِستيَاء، وَآستفَاد المَأمُون مِنْ أَخطَاء أَبِيه، فَأَحكَم الخُطط، لإِخفَاء جَـرَائـمه وَمَآثـمه، وَقصّته مَع الْإِمَام الرِّضَا تَدل عَلىٰ ذَلِكَ بوضُوح، وهَذِه خُلاَصتهَا:

---

(١) أنظر، الصَّواعق المُحرقَة: ١٢٢ و ٢٠٤، مـقَاتل الطَّـالبِيين: ٤١٦، المـنَاقب لِابـن شـهرآشـوب: ٣ / ٣٢٤، كَشف الغُمّة: ٢ / ٢٣٠، نُور الأَبصَار للشَّبلنجي: ٣٠٦، الإِتحَاف بِحُبّ الأَشرَاف للشُّبرَاوي: ١٥٠ و: ٣١٨، بِتَحقِيقنا، تأرِيخ اليَعقُوبي: ٢ / ٤٩٩، ينَابِيع المَودّة: ٣ / ١٢٠ طَبعَة أُسوة، عيُون أَخبَار الرِّضا: ١ / ٩٩ ح ٤، و ١٠٠ ح ٦، مُروج الذَّهب: ٣ / ٣٥٥، الهِدَاية الكُـبرىٰ: ٢٦٤ ـ ٢٦٧، دَلاَئِـل الإِمَامة: ١٥٢ ـ ١٥٤، إِثبَات الوَصيَة: ١٩٤، عُمدَة الطَّالب: ١٩٦.

الإمام الرّضا عليه السلام والمأمون:

كَان الإِمَام عَليّ بن مُوسىٰ بن جَعْفَر خَير بَني آدَم فِي عَصرهِ عَلىٰ الإِطلاَق، وَأَعظمهُم مَنْزلَة عِند الله والنَّاس، نَقل المُؤرخُون وأَهْل السِّير أَنَّ الإِمَام الرّضا كَان إِذَا مرَّ بِبَلد ازْدَحم خَاصَّة النَّاس وَعَامّتهُم فِي الطُّرقَات، وَأَخذ الفُقهَاء وَالعُلمَاء بِركَابه وَلجَام دَابته، يَسأَلُونه أَنْ يُفِيض عَلَيهِم مِنْ عِلْمه، وَيُحَدثهُم عَن آبَائه، كَمَا حَصل لهُ حِين مرَّ بِنيسَابُور[١]، وَخَرج فِي أَحَد الأَعيَاد للصَّلاة، فَأمتَلأت الطُّرقَات وَالسّطوح بِالرِّجَال، والنِّسَاء، وَالصِّبيَان، وَلمَّا بَلَغ الجَادة رَفع رَأسه إِلَىٰ السَّماء، وَكَبّر فَخُيل إِلَىٰ النَّاس أَنَّ الهوَاء، وَالحِيطَان، والأَرْض، وَالسَّماء تُجَاوبه، وَضَجوا بالبُكَاء وَالصِّياح، وبَلَغ المَأمُون ذَلِكَ.

فَقَال الفَضل بن سَهل: إِنْ بَلَغ الرّضَا المُصلىٰ عَلىٰ هَذَا السَّبِيل أُفتتن بِهِ النَّاس، فَالرَّأي أَنْ تَسأَله الرّجُوع، فَبَعث إِلَيه المَأمُون، يَسأَله أَنْ يَرجَع فَرَجع[٢].

---

(١) أنظر، الصّواعق المُحرقَة: ١٢٢، و: ٢٠٤ طَبعَة آخر، شَرح الجَامع الصَّغِير: ٤١٠، يَنَابِيع المَودّة: ٣٨٥، و: ٣/ ١٢٢ طَبعَة أُسوة، عيُون أَخبَار الرّضا: ٢/ ١٤٣ بَاب ٣٧ ح ١، و ١٤٤ و ١٤٥ ح ٤، غُرر الحِكم للآمُدي: ١/ ٢٢٠ ح ١٠٣، مفتَاح النَّجا للبَدخشي: ١٧٩، نُور الأَبصَار: ٢١٣، أَخبَار الدُّول: ١١٥، تَأرِيخ آل مُحَمّد: ١٩٠، الإِتحَاف بِحبّ الأَشرَاف: ٣٧٣، مُسنَد الإِمَام الرّضَا: ١/ ٤٣ و ٤٤، نُزهَة المَجَالس: ١/ ٢٢ قَالَ: يَقول الإِمَام أَحمَد بن حَنْبل «لَو قَرَأتُ هَذَا الإِسنَاد عَلىٰ مَجنُون لبَرئ مِن جِنّته» هَذَا مَا وَرَد فِي الصَّواعق، ثُمّ أَضَاف صَاحب نُزهَة المَجَالس، وَقَال: إِنّه ـ أَي الإِمَام أَحمَد ـ قَرَأها عَلىٰ مَصرُوع فَأَفَاق. أُنظر، سُنن ابن مَاجه: ١/ ٢٥ ح ٦٥ كتَاب الإِيمَان بَاب ٩.

(٢) أُنظر، عيُون أَخبَار الرّضا: ٢/ ١٤٩ ح ٢١، دَلاَئل الإِمَامة للطّبري: ١٧٧، نُور الأَبصَار: ٣٢٠، الأَنبَاء فِي تأرِيخ الخُلفَاء: ٦٠، تأرِيخ الخُلفَاء: ٢٨٥، وَفيَات الأَعيَان: ١/ ٣٩، العِبر فِي أَخبَار مَن غَبر لِابن خُلدون: ١/ ٢٦٢، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ١٠/ ٢٧٤، الوَافي بِالوفيَات للصَّفدي: ١/ ٢٣٧،

وَقَدْ حَاول المَأمُون أَنْ يَحط مِنْ قَدْر الرِّضَا عِند النَّاس، وَيُظهر لهُم أَنَّه مَا زَهد فِي الدُّنْيَا إلاَّ بَعْد أنْ زَهدت فِيهِ؛ وَآمْتَنعت عَنْهُ، وَلَو وَجد السَّبِيل إِليهَا لتَقبلهَا بِغِبطَة وَسرُور. فَآجْتَمع المَأمُون بِالإِمَام الرِّضَا، وقَالَ لهُ:

رَأيتُ أَنْ أَعزل نَفْسي عَن الخِلاَفَة، وَأَجعَلهَا لَكَ.

قَالَ الرِّضَا: إِنْ كَانَتْ الخِلاَفَة حَقّاً لَكَ، وَأَنت أَهْل لهَا فَلاَ يَجوز أَنْ تَخْلع نَفْسك مِنْهَا، وإِنْ لَمْ يَكُن لَكَ حقّ بِهَا فَلاَ يجُوز أَنْ تُعطِيها لغَيرك.

قَالَ المَأمُون: لاَ بُدَّ لَك مِنْ قَبول هَذَا الأَمْر.

قَالَ الرِّضَا: إِنّي بِالعبُودِية أفْتَخر، وَبالزُّهد فِي الدُّنْيَا أَرجُو النَّجَاة مِنْ شرّ الدُّنْيَا، وَبالرَّدع عَن محَارم الله أَرجو الفَوز بِالمغَانم، وَبالتَّواضع أَرجُو الرِّفعَة عِند الله.

قَالَ المَأمُون: إِنْ لَمْ تَقبَل الخِلاَفَة فَكُن وَلي عَهْدي.

قَالَ الرِّضَا: لَستُ أَفعَل ذَلِكَ مُختَاراً أَبَداً.

قَالَ المَأمُون: إِنَّك تُريد بِذَلك أَنْ يَقُول النَّاس عَنْك زَاهد فِي الدُّنْيَا.

قَالَ الرِّضَا: وَالله مَا كَذبت مُنذ خَلَقني رَبّي عزَّوجلّ، وَمَا زَهَدت فِي الدُّنْيَا للدُّنيَا، وَإِنّي لأَعلَم مَا تُرِيد.

قَالَ المَأمُون: وَمَا أُرِيد.

قَالَ الرِّضَا: تُرِيد أَنْ يَقُول النَّاس: أَنَّ عَليّ بن مُوسىٰ الرِّضَا، لَمْ يَزهَد فِي الدُّنْيَا، بَل زَهَدت الدُّنْيَا فِيهِ، أَلاَ تَرون كَيف قَبل وِلاَيَة العَهْد حِين أُتِيحَت لهُ الفُرصَة؟!...

↔ النّجُوم الزَّاهرة: ٢/١٦٩، تأريخ أبن الوَردي: ١/٣١٨، تَأريخ خَلِيفَة: ٢/٥٠٨، تأرِيخ المُوصل: ٣٤١، نُزهَة الجَلِيس: ١/٢٦٦، تَذكرَة الخواصّ: ٣٦٤.

فَغضب المَأمُون، وقَالَ: وَالله إِنْ لَمْ تَقْبل ضَرَبتُ عُنقَك.

قَالَ الرِّضَا: أَنَّ الله سُبْحَانهُ قَدْ نَهَانِي أَنْ أُلقِي بِيَدي إِلَىٰ التَهلكَة، فَإِنْ كَان الأَمْر كَذَلِك، فَأفعل مَا بَدا لَك؛ وَأَنا أَقبَل عَلىٰ أَنْ لاَ آمر، وَلاَ أُنهىٰ، وَلاَ أقضِي، وَلاَ أُغير شَيئاً. فَأَجَابه المَأمُون إِلَىٰ ذَلِكَ[1].

أَرَاد المَأمُون أَنْ يُري النَّاس أَنَّ الإِمَام الرِّضَا رَاغب فِي الدُّنْيَا بِقَبوله وِلاَيَة العَهْد، فَيُسقط مَحله فِي قُلوبِهم، وَلَكن مَا زَاده ذَلِكَ إِلاَّ رِفعَة وعَظَمَة عِندَهُم. وَلمَّا أَعيَت المَأمُون الحِيل فِي أَمر الرِّضَا اَغْتَاله بِالسُّم[2].

وَبالتَالي، فَإِنَّ مَوْقِف المَأمُون مِنْ الإِمَام الرِّضَا كمَوقف أَبِيه الرَّشِيد مِنْ الإِمَام الكَاظِم، ومَوْقِف جَدَّه المَنْصُور مِنْ الإِمَام الصَّادق، ومَوْقِف مُعَاوِيَة بن أَبي سُفْيَان مِنْ الإِمَام الحَسن، لَقَد هَانت دِمَاء الأَبرِيَاء، وَالأَولِيَاء عَلىٰ حُكَّام الجَور مِنْ أَجل المُلك، وَهَانت عَلىٰ المُصلحِين نفُوسهم فِي سَبِيل الحَقّ، وَلذَا نُوَالي هَؤلاَء، وَنَتبرَأ مِنْ أُولَئك.

---

(١) أنظر، عُيُون أَخبَار الرِّضَا: ١ / ١٥١، وَسَائِل الشّيعَة: ١٢ / ١٤٧ ح ٦، يَنابيع المَودَّة: ٣ / ١٦٧، أَمَالي الشَّيخ الصَّدوق: ١٢٦، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣ / ٤٧٣.

(٢) كلّ مَا ذَكرنَاه عَن الإِمَام الرِّضَا وَالمَأمُون لخصّنَاه مِنْ كتَاب (عيُون الأَخبَار) للشَّيخ الصَّدوق مُحَمَّد اَبن عَليّ بن بَابويه القُمي. (مِنْهُ ﷺ). أُنظر، الفَخري فِي الآدَاب السُلطَانية: ٢٠، الأَغَـاني: ٥ / ٢٢٥، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٥ / ٨٥، تأرِيخ الطّبري: ١٠ / ٦٠٦، العِقد الفَـرِيد: ١ / ١٤٢، الوِلاَة وَالقُـضَاة: ١٩٨، تأرِيخ الخُلفَاء: ٢٠١، التّنبِيه وَالأَشرَاف: ٣٠٢، البِدَايـة وَالنّـهاية: ١٠ / ٢٨ و ٦٤، الإِمَـامة وَالسّيَاسَة: ٢ / ١١٤، النّزاع وَالتّخاصم: ٤٥، شَـرح النّـهج للـمُعتزلي: ٣ / ٢٦٧، ضُـحىٰ الإِسـلاَم: ١ / ٣٢، مَعَاهد التّنصِيص: ١ / ٢٠٥، الشّعر وَالشُّعراء: ٥٤١، شَرح مِيمِية أَبي فِرَاس: ٢٨١.

المُتوكِل:

مَات المَأمُون سَنَة عَشرَة وَمِئَتين، وفِيهَا بُويَع المُعْتَصم[١]، وكَانَتْ خِلاَفَته ثَمَاني سنِين وَأشهُراً، وَقَام بَعْده الوَاثق[٢]، وكَانَتْ خِلاَفَته خَمْس سَنوَات؛ وَبُويع لأخِيه المُتوكل[٣]، وَبَقي فِي الحُكْم أَرْبع عَشرَة سَنه وَأشهُراً؛ قَالَ صَاحب مقَاتل الطَّالبيين: خَرج مُحَمَّد بن القَاسم بن عَليّ بن عُمَر بن أَبي طَالب[٤]، فِي أَيَّام المُعْتَصم، فَتَغلب عَلَيه وَسَجنه، ثُمَّ فرّ مِنْ السّجن؛ وَأمْتَنع عَبدالله بن الحُسَيْن بن إسمَاعِيل بن عَبدالله بن جَعْفَر بن أَبي طَالب عَن لِبس السَّواد، شعَار العَبَّاسِيين،

(١) هُو أَبُو إِسحَاق مُحَمّد المُعْتَصم، أُمّه أُمّ وَلد تُسمّىٰ «مَاردَة» وَقد تَولىٰ حُكم الشَّام وَمَصر فِي عَهْد أَخيه المَأمُون، وَقَد رَأى المَأمُون تَوليَته عَهْده بَدَلاً من أبنَه العَبّاس، وَتَولّىٰ الخِلاَفَة العَبّاسيَة فِي رَجب سَنَة (٢١٨ هـ) فَأصبَح ثَامن الخُلفَاء العَبّاسِيين، وأُطلق عَلَيه المُثَمن؛ لأنَّه الثَامن مِن وُلد العَبّاس وَالثَامن مِن الخُلفَاء، وَتَولّىٰ الخِلاَفة فِي الثَّامنَة عَشرَة مِن عُمره، وَكَانت خِلاَفَته ثَمَاني سنِين وَثمَانية أَشهُر، وتُوفي فِي الثَّامنَة وَالأربَعين مِن عُمره، وَغَزا ثَمَاني غَزوَات، وَخَلّف ثَمَانيَة مَلاَيين دِرهَم... أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٧/ ٢٢٣، وَالفَخري فِي الآدَاب السُّلطَانيَة: ٢٠٩.

(٢) هُو أَبُو جَعْفر، وَقِيل أَبُو القَاسم أبن المُعْتَصم بن الرَّشِيد، أُمّه أُمّ وَلَد رُومية ولد سَنَة (١٩٦ هـ) وَولّي الخِلاَفة مِن بَعد أَبيه، بُويع لهُ فِي (١٩) رَبيع الأوّل سَنَة (٢٢٧ هـ). أُنظر، تأرِيخ الخُلفَاء: ٣٤٠ـ٣٤٣. وَكَان أَعْلم الخُلفَاء بِالغنَاء، وَكَان حَاذقاً بِضَرب العُود... أُنظر، المَصْدر السَّابق: ٣٤٥، تأرِيخ اليَعقُوبي: ٣/ ٢٢١ فِي مَسألة خَلق القُرآن.

(٣) هُو جَعْفر أَبُو الفَضل أبن المُعْتَصم بن الرَّشِيد، أُمّه أُمّ وَلد أَسمهَا شجَاع، وِلد (٢٠٥، وَقِيل ٢٠٧ هـ) وَبُويع سَنَة (٢٣٢ هـ) وَكَان مُنهَمكاً بِاللَّذَّات وَالشَّهوَات... أُنظر، تأرِيخ الخُلفَاء: ٣٤٦ـ ٣٥١، تأرِيخ اليَعقُوبي: ٣/ ٢٢٩.

(٤) صَاحب الطَّالقَان: (مُحَمّد بن القَاسم بن عَليّ بن عُمَر الأَشْرَف بن عَليّ زَين العَابدِين: (ت ٢٥٠ هـ). أُنظر، تَأرِيخ الطَّبري: ٧/أحدَاث سَنَة ٢٠٥، والكَامل فِي التَّأرِيخ لِابن الأَثير: ٤/ ١٠١.

فَسَجنه المُعْتَصم، حَتَّىٰ مَات[١].

أَمَّا الوَاثق فقَال السَّيِّد مُحسن الأَمِين: أَنَّه أَكرَم العَلويين، وَأَحسَن إِلَيهم وَتعهدهُم بِالأَموَال[٢].

أَمَّا المُتوكل فَقَد كَان مَعرُوفاً فِي اللَّهو، وَالمجُون، وَمُعَاقرة الخَمر، قَالَ المَسْعُودِي: «هُو أَوَّل خَلِيفَة مِنْ بَنِي العَبَّاس ظَهر فِي مَجْلس اللّعب وَالمضَاحك وَالهَزل»[٣]. وقَالَ السَّيِّد أَمِير عَليّ فِي كتَاب «مُخْتَصر تَأرِيخ العَرب»: «وَفِي عَهْده بَدَأ اَنحلاَل الإِمبرَاطُورية العَرَبِيَّة، وَتَسرب الفَسَاد فِي جِسم الدَّولة، وَأَمر النَّاس بِالتَّمسك بِالتَّقليد، وَأَقْصىٰ أَحرَار الفِكر عَن الوَظَائف»[٤]. كَمَا تَغَلب عَلَيه الأَترَاك، وَأَصبحُوا أَصْحَاب الأَمر وَالنَّهي.

وقَالَ أَبُو الفَرج فِي مقَاتل الطَّالبِيين: «كَان المُتوكل شَدِيد الوَطَأة عَلىٰ آل أَبي طَالب، غَلِيظاً فِي جمَاعتِهم، شَدِيد الغَيظ، وَالحِقد عَلَيهِم، وَسُوء الظَّن، وَالتُّهمة لهُم... وَاَستَعمل عَلىٰ المَدِينَة ومَكَّة عُمَر بن الفَرج الرُّخجي، فَمَنع آل أَبي طَالب مِنْ التَّعرض للنَّاس، وَمَنع النَّاس مِنْ البِر بِهِم، وكَان لاَ يُبلغه أَنَّ أَحَداً مِنْهُم بِشَيء،

---

(١) سَجَن المُعْتَصم الإِمَام الجوَاد عليه السلام ثُمَّ أَطلَقه، وَاَتفَق الفَضل مَع بِنْت المَأمُون وَزوُجة الإِمَام الجوَاد عَلىٰ أَنْ تَدس لهُ السُّم. فَفَعلت. وَمَات الإِمَام مَسمُوماً بِسُم المُعْتَصم. (مِنْهُ رحمه الله). أُنظر، تَأرِيخ بغدَاد: ٣ / ٥٥، الهدَاية الكُبرىٰ: ٢٢٠، إِثبَات الوَصيَّة للمَسعُودي: ٢٢٠، مُروج الذَّهب: ٣ / ٤٦٤، كفَاية الطَّالب: ٣١٠، مطَالب السَّؤول: ٨٧، تَذكرَة الخوَاصّ: ٣٦٨، الصَّواعق المُحرقَة: ٢٠٢، ينَابِيع المَودّة: ٤١٧، و: ٣ / ١٢٧ طَبعَة أُسوة، منهَاج السُّنَّة: ١٢٧.

(٢) أُنظر، أَعيَان الشِّيعَة: ١ / ٢٥٤ (مِنْهُ رحمه الله).

(٣) أُنظر، التَّنْبِيه وَالأَشرَاف: ٣٠٣. (مِنْهُ رحمه الله).

(٤) أُنظر، مُختَصر تَأرِيخ العَرب: ١٨. (مِنْهُ رحمه الله).

وإنْ قَل إلاّ أنْهَكه عقوبة، وَأثقله غرماً، حَتَّىٰ كَان القَمِيص يَكُون بَيْنَ جَمَاعَة مِنْ العَلويَات يُصلينَّ فِيهِ وَاحدَة بَعْد وَاحدَة، ثُمَّ يَرقعنَّه، وَيَجلسنَّ عَلىٰ مَغَازلهُنَّ عوَاري حَاسرَات»[1].

هَكَذَا شَاء «أمِير المُؤْمِنِين المُتوكل عَلىٰ الله» أنْ تَقْبع العَلويَات فِي بيُوتهُنَّ عَاريَات يَتبَادلن القَمِيص المُرقع عِند الصَّلاَة، وأنْ تَختَال الفَاجرَات العَاهرَات بِالحُلي، وَحُلل الدِّيبَاج بَيْنَ الآمَاء وَالعَبِيد... لَقَد أرسَل الرَّشِيد إلَىٰ بنَات الرَّسُول مَنْ يَسْلب الثِّيَاب عَن أبدَانهُنَّ، أمَّا المُتوكل فَقَد شَدَد وَضَيق عَليهُنَّ، حَتَّىٰ ألجَأهُنَّ إلَىٰ العُري، وَهَكذا تَتَطور الفَلسفَات، وَالمَنَاهج مَع الزَّمنْ عَلىٰ أيدي القَرشيين العَرب أبْنَاء الأمجَاد وَالأشرَاف!.

لَقَد تَفرق العَلويُون أيَّام المُتوكل «نَيرُون العَرب» كَمَا سمَّاه بَعْض المُؤرخِين، فَمِنْهُم مَنْ توَارىٰ، فَمَات فِي حَال توَاريه، كَأحْمَد بن عِيسىٰ الحُسَيْن، وعَبدالله أبْن مُوسىٰ الحُسَيْني، ومِنْهُم مَنْ ثَار مِنْ الضَّغط وَالجَور، كمُحَمَّد بن صَالح، وَمُحَمَّد بن جَعْفَر.

ولَمْ يَكْتَف المُتوكل بِتَنكِيل الأحيَاء، حَتَّىٰ أعتَدىٰ عَلىٰ قبُور الأموَات، فَهَدم قَبر الحُسَيْن عليه السلام وَمَا حَوله مِنْ المَنَازل وَالدُّور، وَمَنع النَّاس مِنْ زيَارته[2]، وَنَادىٰ مُنَاديه مَنْ وَجدنَاه عِند قَبر الحُسَيْن حَبْسنَاه فِي المَطبق ـ سِجن تَحت الأرض ـ

---

(١) أنظر. مقَاتل الطَّالبيين: ٣٩٦، المُجدي فِي أنْسَاب الطَّالبين: ٣٧٢، وَالرُخجي نُسبَة إلىٰ رُخَج مَدِينَة مِن نوَاحي كَابل، أو الرُخجية قَريَة عَلىٰ نَحو فَرسخ مِن بَغدَاد. أنظر، المَرَاصد.

(٢) أنظر. الكَامل فِي التَّأريخ: ٧ / ٥٥، مقَاتل الطَّالبيين: ١٣٠ و ٤٢٨.

فَقَال الشَّاعر[١]:

تَــالله إِنْ كَـانَتْ أُمَـيَّة قَـدْ أَتَت ... قَتْلَىٰ ٱبْـن بِـنْت نَـبِيّها مَـظلُوما

فَــلقَد أَتَــاه بــنُو أَبِـيه مِـثلهَا ... هَــذَا لعَــمرُكَ قَــبرَه مَـهدُومَا

أَسَفُوا عَلَىٰ أَنْ لاَ يَكونُوا شَايعُوا ... فِــي قَــتْلِهِ فَــتَتبعُوه رَمِــيما

وكَان المُتوكل يُقرّب عَليّ بن جَهم؛ لأَنَّه كَان يَبغض عَليَّاً أَمِير المُؤْمِنِين، وكَان أَبي الجَهم هَذَا مَأبُوناً: سَمعَه يَوْمَاً أَبُو العَينَاء يَطْعن عَلىٰ الإِمَـام، فَـقَال لهُ: إِنَّك تَطْعَن عَلَيه، لأَنَّه قَتل الفَاعل وَالمَفعُول مِنْ قَوم لُوط، وَأَنتَ أَسفَلهُما[٢].

وَأَبلغُ مَا قَرأت عَن هَذِه الجُرأَة وَالتَّضحِية: إِنَّ الأَدِيب العَالم الـمَعْرُوف بِٱبـن السِّكِّيت كَان يَوْمَاً فِي مَجلس المُتوكل المُـبْغِض المُـعلن بِـالعَدَاء لِـلإِمَام أَمِـير المُؤْمِنِين، فَقَال لِابْن السِّكِّيت: هَل وَلدَاي: المُعْتَز، وَالمُؤيد أَحبّ إِلَيْكَ أَم الحَسَن وَالحُسِين، فَقَال لهُ: «إِنَّ قَنبَراً خَـادِم عَـليّ بـن أَبـي طَـالب خَـيْر مِـنْكَ وَمِـن وَلَدِيك... فَأَمر المُتوكل بِسَل لِسَانه مِن قَفَاه فَسُل، وَمَات فِـي سَـاعتِهِ، وَٱبـن السِّكِّيت هَذَا هُو القَائِل[٣]:

---

(١) يُنْسَب هَذَا الشِّعر إِلىٰ عَبدالله بن دَانيَة، كمَا جَاء فِي مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣ / ٢٢١، أَمَالي الشَّيخ الطُّوسي: ٣٢٩. قَالَ هَذَا الشِّعر وَهُو لاَ يَعلم فِي قَتل المُتوكل، فَوَصل إِلَيه الخَبر فِي تِلك اللَّيلَة.

(٢) أُنظر، شَرْح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ١ / ٣٦٣. (مِنْهُ ﷺ). مَناقب آل أَبي طَالب: ٣ / ١٦ و ٢١٥ طَبعَة آخر.

(٣) هُو الشَّيخ الأَدِيب يَعْقُوب بن إِسْحَاق الدُّورَقِي، الأَهوَازي الشَّهِير بِٱبن السِّكِّيت، وكَان عَالِماً بِنَحو الكُوفِيين، وَعِلم القُرْآن، وَاللُّغة، وَالشِّعر، رَاوِية ثِقَة، أَخذ عَن البَصرِيين، وَالكُوفِيين، كَالفَرَّاء، وَأَبِي عَمرو الشَّيبَانِي، وَالأَثرَم، وَٱبن الأَعرَابي، لَهُ تَصَانِيف كَثِيرة فِي النَّحو، وَمَعَانِي الشِّعر، وَتَفْسِير دَوَاوِين

يُصَاب الفَتىٰ مِن عَثْرَة بِلسَانِهِ وَلَيْسَ يُصَاب الْمَرْء مِن عَثْرَة الرِّجل
فَعَثرَته فِي القَول تُؤَدِّي بِرَأسه وَعَثرَته فِي الرِّجل تَبْرا عَلىٰ مَهْل

وكَان عِند المُتوكل مُخَنث يُدعىٰ عَبَّادة، فَيشد عَلىٰ بَطْنِهِ مَخدَّة، وَيَرقص بَيْنَ يَدي المُتوكل، وَالمُغنُون يُغنُون: أَقبَل البَطِين خَلِيفَة المُسْلِمِين وهُم يَعنُون عَليَّاً أَمِير المُؤْمِنِين، وَالمُتوكل يَشرَب وَيَضحك، وَفَعل ذَلِكَ يَوْمَاً، وَآبْنه المُنْتَصر حَاضر، فَقَال لأَبِيه: أَنَّ الَّذي يحكِيهِ هَذَا الكَلْب وَيَضحك مِنْهُ النَّاس هُو آبْن عَمّك، وَشَيخ أَهْل بَيْتك، وبِهِ فَخرُك، فكلّ أَنتَ لحمه إِذَا شِئت، وَلاَ تُطعم هَذَا الكَلْب وَأَمثَاله، فَقَال المُتوكل للمُغَنين: غنّوا[1].

غَارَ الفَتىٰ لِابْن عَمّه رَأس الفَتَىٰ فِي حَر أمه

وَسَمعهُ يَوْمَاً يَشْتُم فَاطِمَة بِنْت الرَّسُول، فَسَأل أَحَد الفُقهَاء، فَقَال لهُ: قَدْ وَجَب عَلَيه القَتل إلاَّ أَنَّه مَنْ قَتَل أَبَاه لَمْ يَطل عُمَره.

فَقَال المُنْتَصر: لاَ أُبَالِي إِذَا أَطَعت الله بِقَتله أَنْ لاَ يَطول عُمَري، فَقَتلهُ، فعَاش بَعْده سَبعَة أَشهر[2].

⇐ الشّعر، مِنْهَا تَهذِيب الأَلفَاظ، وَإِصلاَح المَنطق، قَتَله المُتوكل بَعدَ أَنْ سَل لِسَانه مِن قَفَاه فَمَات رَحمه الله يَوْم الاثْنَيْن لِخَمس خلون مِن رَجَب سَنَة أَرْبع وَأَرْبَعين وَمِئتِين، بَعد إِنْ كَانَتْ وِلاَدته سَنَة (١٨٦ ﻫ).
أَنظر، بُغية الوعَاة: ٤١٨، وَبُغية الطَّالب لِابن العَدِيم: ٨/ ٣٧٦٨، شَذرات الذَّهب: ٢/ ١٠٦، تَأريخ دِمشق: ١٨/ ٣١٧، ذَيل تَأريخ بَغدَاد: ٥/ ٦، البدَاية وَالنِّهاية: ١١/ ٢٣، سِير أَعْلاَم النُّبلاء: ١٢/ ١٩، وَفِيات الأَعْيَان: ٦/ ٣٩٩.

(١) أَنظر، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٧/ ٥٥، إِكمَال الكَمَال، لِابن مَاكُولا: ٦/ ٢٨، تَأرِيخ دِمَشق: ٢٦/ ٢٢١.

(٢) أَنظر، أَمَالي الشَّيخ الطُّوسي: ٣٢٨ ح ١٠٢، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣/ ٣٢١، المجدي في أنساب

لَقَد أَمر القُرْآن بمَودَّة أَهْل البَيْت، وَجَعلها أَجرَاً وَشُكراً لمُحَمَّد عَلىٰ مَا أَسدَاه لأُمّته مِنْ الخَيْر، فَكَانت النَّتيجَة أَنَّ أَقرَب النَّاس إِلَيه الَّذِين حَكَمُوا وَتَحكمُوا برقَاب النَّاس بِاَسمه هُم الَّذِين اَستبَاحوا مِنْ دِمَاء أَبنَائه، والتَّنْكِيل بهِم مَا لاَ يَقْبَل المَزيد!.. أَنَّ الَّذِين أَنكرُوا مُحَمَّداً وَرسَالته أَهوَن عَلىٰ الإِسْلاَم بِكَثِير مِنْ المُتوكل وَأَمثَاله الَّذِين أَظهرُوا الإِسْلاَم، ثُمَّ كَادوا لهُ، وَخَالفُوه مُخَالفة المُضَاد المُعَاند، وَالعَدوّ الحَاقِد.

وَنَكتَفي بمَا ذَكرنَاه عَن العَبَّاسِيين، فَإِنَّ فِيهِ الدّلاَلة الكَافِية الوَافيَة عَلىٰ قُبح سِيرَتهُم، وسُوء سيَاستهُم الَّتي تَتلخص بِكَلمتَين: إِجْترَاء عَلىٰ الشّر وَالحَرَام، وَشَغف بِالظُّلم وَالفَسَاد، وَاَحتقَار للدّين وَالإِنْسَانِيَّة. وَالمَصدَر الوَحِيد لهَذِه السَّيئَات وَالمُنْكَرات هُو حُكم الفَرد، وَاَستقلاَله فِي شُؤون الدَّولة، وَاَستهتَاره بِحقُوق الجَمَاعَة.

⟵ الطالبين: ٣٧٢، كتَاب العِبر للذّهبي: ١ / ٤٤٩.

دِعْبل الخُزَاعي

مِنْ مَبَادِيء الشِّيعَة وَأُصُولهم أَنَّ الله سُبْحَانهُ لاَ يُخلي الأَرْض مِنْ قَادَة أَبـرَار يَأمرُون بِمَا أَمر الله بِهِ، وَيَنْهُون عَمَّا نَهىٰ عَنْهُ، يَنْطقُون بِـالحقّ، وَيَـنشرُونه بَـيْن النَّاس، وَيَستَعلون بِمَنطقهِم وَحُجَجهم عَلىٰ المُبطلين. وأَنَّ الله قَدْ خصَّ هَـؤُلاَء بِالجَلَد وَالصَّبْر عَلىٰ المَكَاره فِي سَبِيل الحَقّ، وَبـالشَّجَاعة فِـي مُـجَابهَة الشَّـر، وَقِوىٰ البَاطِل وَالضَّلال.

وإِذَا أعتَقد الشِّيعَة أَنَّ هَذِه الصِّفَات يَجب تَوَافرهَا فِي الإِمَام، أَو مَنْ يَنُوب عَنْهُ فَإِنَّهم يَعْتقدُون أَيضاً أَنَّه لاَ بُدّ أَنْ يُوجد فِي كلّ عَصر مَنْ يُؤمِنْ بِالحقّ، فَقِيهاً كَان أَو شَاعِراً، أَو أَي فَرد مِنْ النَّاس.

وكَان فِي الدَّولة العَبَّاسِية كَمَا كَان فِي الدَّولَـة الأُمَـوية مُـؤمِنُون مُـخْلصُون، رَفضوا البَاطِل وَقَاوَموه، وَذَادُوا عَن الحَـقّ ونَـاصرُوه، وَاسـتُهدفوا للـمخَاوف وَالأَخطَار وكَان مِنْهُم العُلمَاء وَالفُقهَاء، وَالشُّعراء وغَيْرِهم مِنْ عَامَّة النَّاس، وَقَـدْ حَفظ التَّأرِيخ أَسْمَاء عَدد غَير قَلِيل مِنْ الشُّعراء، وَأَهمَل أَسْمَاء آخرِين خَوفاً مِنْ نَقمة الحَاكِم، أو طَمعاً فِي رَشوَته، ومَع ذَلِكَ فَقَد بَلَغ عَدد الَّذِين ذَكرهُم المُؤرخُون

وأَهْل السّير مَبلغاً كَبِيراً، مِنْهُم آبْن الرُّومي[١] الَّذي قَالَ فِي قَصِيدَته الجِيمِيَّة الَّتي رَثىٰ بِهَا يَحيىٰ بن عُمَر بن الحُسَيْن بن زَيد[٢]:

أَجِنُوا بَنِي العَبَّاس مِنْ شنآنكُم   وَأَوكوا عَلىٰ مَا فِي العِيَاب وَأَشرجُوا
نُظار لَكُم أَنْ يَرجع الحَقّ رَاجع   إِلَىٰ أَهْله يَوْماً فَتشجُوا كَمَا شَجوا
لعَلَّ لهُم فِي مِنطَوىٰ الغَيب ثَائِرا   يَسُومكُم وَالصُّبح فِي اللَّيل مُولجُ
أَفِي الحَقّ أَو يَمسُوا خُماصاً وَأَنتُم   يَكَاد أَخوكُم بَطْنه يَتبَعجُ
وَلِيدهُم بَادِي الطّوىٰ وَوَليدكُم   مِنْ الرِّيف رَيَّان العِظَام خَدلجُ

قَالَ الأُسْتَاذ العَقاد فِي كتَاب «آبْن الرُّومي»: نَظَم الشَّاعر هَذِه القَصِيدَة بِغَير دَاعٍ يَدعُوه إِلَىٰ نَظمهَا مِنْ طَمعٍ أَو مُدَارَاة، بَل نَظَمها، وَهُو يُستَهدَف للخَطر».

وَمِنْهُم أَبُو فِرَاس الحَمدَاني، نَظم قَصِيدة يُعَدد فِيهَا فَضَائِل العَلويين، وَ مسَاوِيء العَبَّاسيين مِنْهَا[٣]:

الحَقّ مُهتَضم وَالدِّين مُختَرم   وَفِيء آل رَسُول الله مُقتَسمُ
يَا للرِّجَال أَمَا لله مُنتَصر   مِنْ الطُّغَاة وَمَا للدِّين مُنتَقمُ

---

(١) هُو عَليّ بن العَبَّاس بن جَرجِيس الرُّومي مِن أَلمَع شُعرَاء عَصرَه، وَقَد بَكىٰ الشَّهيد الخَالد يَحيىٰ العَلوي الَّذي آستُشهد مِن أَجل المَظلُومين، وُلد آبن الرُّومي فِي (٢٢١ هـ) بِبَغدَاد وَتُوفّي فِيهَا عَام (٢٨٣ هـ) وَقَد سَمّه وَزير المُعْتضد. أنظر، تَرجَمته فِي وَفيَات الأَعيَان لِابن خِلّكان: ١ / ٣٥١، دِيوَانه: ٢ / ٤٦ ـ ٥٤ المَطبُوع، وَالمَخطُوط: ٤١٤.

(٢) أنظر، مقَاتل الطَّالبيين: ٤٢٨.

(٣) أنظر، كتَاب «شَرح شَافِيَة أَبي فِرَاس فِي مَناقب آل الرَّسُول وَمَثَالب بَني العَبَّاس»: ٢ وَرَقة ١٠٤، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٢ / ٥٣، مِنَن الرَّحمَن، الشَّيخ إِبرَاهِيم يَحيىٰ العَاملي: ١٤٣، شَرح الدِّيوَان، لِابن خَالويه النَّحوي المُعَاصر لهُ.

بَـنُو عَـلِيّ رَعَـايا فِـي دِيَـارهُم وَالأَمْـر تَـملكهُ النِّسـوَان وَالخَـدَمُ
مَـا نَـزَهت لرَسُـول الله مُـهْجَته عَـن السِّـيَاط فَـلاَ نُـزه الحَـرَمُ
مَا نَال مِنْهُم بنُو حَـرب وإنْ عَـظُمت تِـلْكَ الجَـرَائِـم إلاَّ دُون نَـيلكُم
كَم غَدرَة لَكُـم فِـي الدِّيـن وَاضـحَة وَكُـم دَم لرَسُـول الله عِـندَكُـم
لَيْس الرَّشِيد كمُوسَىٰ فِي القِيَاس وَلاَ مَأمُونكُم كَالرِّضا إنْ أَنْـصَف الحَكَـمُ
أَبْـلع لدَيك بَـني العَـبَّاس مَـالَكة لاَ تَـدعوا مُـلكهَا مُـلاَكـهَا العَـجمُ
خَـلّوا الفِـخَار لعـلاَّمين إنْ سُـئلُوا يَـوْم السُّـؤال وَعُـمَّاليَن إنْ عَـملُوا
لاَ يَـغضبُون لغَـير الله إنْ غَـضبُوا وَلاَ يُـضيعُون حـقّ الله إنْ حَكَـمُوا
تُنْشىء التِّـلاَوة فِـي أَبـيَاتهِم سَـحرَاً وَفِـي بـيُوتكُم الأَوتَـار وَالنَّـغمُ
مَـا فِـي دِيَـارهِم للـخَمْر مُـعْتَصر وَلاَ بـيُوتهِم السُّـوء مُـعْتصمُ
وَلاَ تَـبيتُ لهُـم خُـنثىٰ تُـنَادمهُم وَلاَ يُـرىٰ لهُـم قِـردٌ لهُ حَشَـمُ
الرُّكـن والبَـيْت وَالأَسـتَار مَـنزلهُم وَزَمـزم وَالصَّـفا وَالخِـيف وَالحَـرمُ
صَـلّىٰ الإلـه عَـلَيهم كُـلَّما سَـجْعَت وَرَق فـهُم للـوَرىٰ كَـهفٌ وَمُـعتَصمُ

تُعبر هَذِه الأَبيَات عَن عَظَمَة أَهْـل البَـيْت، وَحـقّهم بـالخِلاَفَة، وَاغـتصَاب خصُومهُم لهَذَا الحَقّ. وَتَآمرهُم عَلىٰ النَّاس بِاسم الدِّين، وهُم أَعْدىٰ أَعدَائه لَقَد حَكَم العَبَّاسيُون - وَفِي بيُوتهِم - الخَمْر وَالزِّنا وَالغِنَاء. وَنَكلُّوا بـالعَلويين، وَفِـي بيُوتهِم القُرْآن وَالعِبَادة وَالأَذكَار، أنَّ أَيّة حكُومة تَتَسم بِسمَة الدِّين فَـهي فَسَـاد وَضلاَل مَا دَام حُكَامها أَمثَال المَنْصُور، وَالرَّشِيد، وَالمَأمُون، وَالمُـتوكل، وَمِـنْ أَجل ذَلِكَ قَالَ الشِّيعَة الإِمَامِيَّة: أَنَّ الحكُومَة لاَ تَكُون دِينيَة إلاَّ إِذَا كَان الحَـاكِـم إمَاماً مَعْصُوماً عَن الخَطأ وَالزَّلل، أَو عَالِماً عَادلاً يَرتَضيه الله، وَالرَّسُول، وإلاَّ فَهي

دُنيوِيَة لاَ دِينيَة؛ وَزَمنيَة لاَ إِلهية[١].

أَنَّ صنُوف الشَّدَائد، وَالمِحن الَّتي لاَقَاها أَهْل البَيْت وَشِيعتهُم يَرجع سَببهَا إِلَىٰ الحكُومَة الَّتي جَعَلت الدِّين شعَاراً لهَا، وَمَا هِي مِنْ الدِّين فِي شَيء حَيْث يَشعر الحَاكِم مِنْ نَفْسه النَّقص أَو عَدم الأَهليَة، فَيَنتَقم لنَفْسه مِنْ أَهْل التُّقىٰ وَالكمَال، هَذَا إِلَىٰ أَنَّه يُبرر مظَالمَه، وَمفَاسدَه بِالدِّين أَو أَمرِه، بِفَتوىٰ «فُقهَاء الإِسْلاَم وَالعُلمَاء وَالأَعلاَم»!...

وَأَجرَأ شَاعر عَرَفه التَّأرِيخ فِي قَوْل الحَقّ، وَمُجَابهة المُبطِلين هُو دِعْبل الخُزَاعي[٢] فَقَد هَجا الرَّشِيد، وَالمَأمُون، وَالمُعْتَصم، وَالوَاثق، وَالقوَاد، وَالوزرَاء، وَأَبْنَاء الخُلفَاء، وَوَجه إِلَيهم أَعْنف الضَّربَات وَأَقسَاها، دُون أَنْ يَحْسب حسَاباً لشَيء، قَالَ حِين أَسنَد القِيَادة العَامَّة إِلَىٰ الأَترَاك، وَسَلطهُم عَلىٰ دِمَاء النَّاس وَأَموَالهم وَأَعرَاضهم[٣]:

---

(١) لَيس لأَي حَاكِم عِند الإِمَامِيَّة أَنْ يَحْكُم بِأَمر الله وَبِإسم الدِّين إِلاَّ إِذَا نصّ عَلَيه الرَّسُول. وكَان مَعْصُوماً وَإِلاَّ فَهُو كسَائر النَّاس. وَبِهَذا سَدوا الطَّرِيق عَلىٰ الأَدعيَاء الَّذِين يُسمون أَنْفُسهم خُلفَاء الرَّسُول. ثُمَّ لاَ يَحكمُون بمَا أَمر الله. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أَبُو عَليّ دِعْبل بن عَليّ بن رَزين الخُزَاعي مِن شُعرَاء القَرْن الثَّاني، وَالثَّالث الهِجرِيَين، وُلد سَنَة (١٤٨ هـ) فِي الكُوفَة. تَحدّىٰ دِعْبل ظُلم العبَّاسيّين وَطُغيَانهم حَتَّىٰ أَنَّه قَال: أَنا أَحْمل خَشَبتي عَلىٰ كَتفي مُنذ خَمسِين عَاماً، لستُ أَجد أَحداً مَن يَصلبنِي علَيهَا. وَقَد عَاصر هَذَا الشَّاعر البَارع الإِمَام الصَّادق، وَالكَاظِم، والرِّضا، وَالجوَاد: قَرأ قَصِيدَته التَّائِيَة عَلىٰ الإِمَام الرِّضا ﷺ أَثنَاء ولاَية العَهْد فَبَكىٰ الإِمَام لبَعض أَبيَاتها، وَاَستَحسنهَا وَدَعا لهُ وَأَكرَمه. تُوفّي: سَنَة (٢٤٦ هـ).

أُنظر، تَرجَمته فِي سِير أَعلاَم النُّبلاء: ١١/ ٥١٩، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٧/ ٩٤، مُروج الذَّهب: ١/ ١٧٩، و: ٢/ ٧٨، و: ٣/ ٢٣١، وَفيَات الأَعيَان: ٢/ ٢٦٦، الأَغَاني: ١٨/ ٢٩ طَبعَة بُولاق، فَرَائد السِّمْطَين للجُويني: ٢/ ٣٣٧ح ٥٩١، وَهُنَاك شُعرَاء آخرُون للإِمَام عَليّ بن مُوسىٰ الرِّضا ﷺ.

(٣) أُنظر، دِيوَان دِعْبل: ١٢٩ ـ ١٣٠.

لَقَد ضَاع مُلك النَّاس إذْ سَاس مُلكهُم   وَصِيف وَأَشْنَاس وَقَدْ عَظُم الكَرْبُ

وقَالَ حِين مَات المُعْتَصم، وَقَام الوَاثق[١]:

خَلِيفَة مَات لَمْ يَحْزن لهُ أَحَد   وآخر قَام لَمْ يَفْرح بِهِ أَحَد

لأَنَّ اللاَّحق مِثْل السَّابق، إِمَام جَور وَضلاَل، وَرَئِيس نفَاق وَفَسَاد[٢]، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾[٣]. وقَالَ يَصف طُغيَان بَني العَبَّاس وَإِسرَافهم فِي القَتل وَالأَسر، وَالسَّلب، وَالنَّهب، وَالحَرق:

قَتْلٌ وَأَسْرٌ وَتَحرِيقٌ وَمَنْهبَة   فِعْل الغُزَاة بِأَرْض الرُّوم وَالجَزرِ

أَرَىٰ أُمَيَّة مَذعُورِين إنْ قَتلُوا   وَلاَ أَرَىٰ لبَني العَبَّاس مِنْ عُذرِ

أَرْبِع بطُوس عَلىٰ القَبر الزَّكي إذَا   مَا كُنت تَربع مِنْ دِين إِلَىٰ وَطرِ

قَبرَان فِي طُوسٍ خَيرُ النَّاس كُلّهم   وَقبرُ شرّهم هَذَا مِن العِبَرِ

مَا يَنفعُ الرِّجس قُربَ الزّكي   وَلاَ عَلَىٰ الزّكي بِقُربِ الرِّجْس، مَن ضَرَرِ

هَيهَات كلّ امرِيء رَهن بِمَا كَسَبَت   لهُ يدَاه فَخُذ مَا شِئتَ أَو فَذَرِ[٤]

---

(١) أنظر، دِيوَان دِعْبل: ١٤٩، تَأرِيخ بَغدَاد: ١٤ / ١٧، البِدَايَة وَالنِّهَايَة: ١٠ / ٣٤٠، الأَغَاني: ٢٠ / ١٤٦.

(٢) قَالَ المَقريزي فِي كتَاب «النّزاع وَالتَّخاصم»: ٧٢. «غَلَب عَلَىٰ الـ.بَاسيين الجَبرُوت، وَدَخَلت النّعرَة فِي آنَافهم، وَظَهرَت الخنْزوَانِية بَيْنَهُم. فَسَمّوا عوَائِد العَجم أَدبًا. وَنَمُّوها عَلَىٰ السُّنَّة النَّبويّة. فَزَادهُم ذَلِكَ جفَاء، وَقَسوَة» هَذِهِ هِي الحكُومَة العَبَّاسِية الدّينيّة أَنْ يَحكُم السّلطَان بِأسم الله. ثُمَّ يَعْمل بعَادَات أَهْل الشّرك. وَيَطرح سُنَّة الأَنْبِيَاء، وَالمُرسَلين!... (مِنْهُ ﷺ).

(٣) الأَعْرَاف: ٣٨.

(٤) نَقل الشّيخ الصّدوق ﵀ فِي كتَابه عَن أَبي الصَّلت الهَروي قَالَ: دَخَل دِعْبل الخُزَاعي عَلىٰ أَبي الحَسن عَليّ بن مُوسىٰ الرِّضا ﵇ بِمَرو فَقَال لهُ: يَابن رَسُول الله إِنّي قَد قُلتُ فِيكُم أَهْل البَيْت قَصِيدة وَآليتُ عَلىٰ نَفْسي أَنْ لاَ أُنشدهَا أَحداً قَبلك، وَأُحبّ أَنْ تَسمعهَا مِنّي، فَقَال لهُ الإمَام أَبي الحَسن عَليّ بن مُوسىٰ ⟵

الزَّكي هُو الإِمَام الرِّضَا، وَالرِّجس هَارون الرَّشِيد، وَقَدْ عَذر الشَّاعر فِي شِعره بَني أُمَيَّة، لتَكون الحُجَّة أَبلَغ عَلىٰ العَبَّاسِيين، لأَنَّ الأُمَوِيين أعلنُوا العدَاء مُنذ اليَوْم الأَوَّل لِعَليّ وَأَبنَائه، أَمَّا العَبَّاسيُون فَقَد كَانُوا حِزباً وَاحداً مَع بَني عمُومتِهم عَلىٰ الأُمَوِيين، وَثَاروا، وَشعَارهم الدَّعوة للرِّضا مِنْ آل مُحَمَّد، ولَمْ يَدع العَبَّاسيُون لأَحد مِنْهُم فِي بِدء الأَمْر، كَمَا أَسْلفنَا، وَلَكنَّهُم حِين حَكمُوا طَغوا، وَبَغوا، وَفعلوا فِعل الغُزَاة، وَالعصَابَات. وقَالَ[1]:

لاَ أَضْحَكَ الله سنّ الدَّهر أَنْ ضَحِكتْ ... وَآل مُحَمَّد مَظلُومُون قَدْ قُهرُوا
مُشَرِدُون نُفوا عَن عُقر دَارِهِم ... كأَنَّهُم قَدْ جَنوا مَا لَيْس يُغْتَفرُ

أَمَّا تَائِيَته الذَّائِعَة النَّائِحة كَمَا يَقُول أَحَد أُدبَاء العَصر فَإِنَّها سِجل حَافل بِجرَائِم العَبَّاسِيين وَمظَالمِهِم، وَوَثِيقة تَأرِيخيَة خَالدَة تَنْطق بِسيَاستِهم الدَّموِية الغَاشمَة، وَلسنَا نَعرف شَاعراً، أَو ثَائِراً تَركت أَقوَاله مِنْ الحِقد، وَالنَّقمَة عَلىٰ السُّلطَان مَا

⇐ الرِّضا عليه السلام: هَاتهَا. فَأَنشَأ يَقول:

ذَكرتُ مَحلّ الرّبع مِن عَرفَاتِ ... فَأَسْبلتُ دَمع العَين بِالعَبرَاتِ

أُنظر. أَمَالي الطُّوسي: ٢/ ٢٦٥ ح ٣٥. عيُون أَخبَار الرِّضا: ٢/ ٢٦٣ ح ٣٤. كَمَال الدِّين: ٣٧٣ ح ٦. رِجَال الكَشّي: ٥٠٤. الوَسَائِل: ١٠/ ٤٣٨ و ٣٩٣ ح ٢٢. سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٩/ ٣٩١. إِعلاَم الوَرىٰ: ٣٢٩. منَاقب آل أَبي طَالب: ٣/ ٤٥٠. حلية الأَبرَار للمُحدّث البَحراني: ٢/ ٣٢٠ و ٤٣٣. كَشف الغُمَة: ٢/ ٢٦١ و ٣٢٨. كفَاية الأَثر للخزّاز القُمّي: ٢٧١. فرَائد السِّمطَين للجُويني: ٢/ ٣٣٧ ح ٥٩١. يَنَابيع المَودّة للقُندُوزي الحَنفي: ٤٥٤. الإِتحَاف بحبّ الأَشرَاف للشّبراوي: ١٦٤ و ٣٣٥، بِتَحقِيقنَا. نُور الأَبصَار: ٣٠٩ ـ ٣١٢. مطَالب السّؤول: ٨٥. مُعجَم الأُدبَاء: ٤/ ١٩٦. تَذكرَة الخوَاصّ: ٢٣٨. مقَاتل الطَّالبِيين: ٥٦٥. دِيوَان دِعبل: ١٢٤.

(١) أُنظر. عيُون أَخبَار الرِّضا: ١/ ٢٩٨ ح ٦. مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٢/ ٥٤. السُّجدي فِي أَنسَاب الطَّالبِين: ٨٧.

تَركَته هَذِه القَصِيدة، فَقَد حَفظهَا الكَبير والصَّغِير، وَالخَطِير وَالحقِير، حَتَّىٰ اللُّصُوص[١]، وقُطاع الطُّرق كَانُوا يُرددُون أَبيَاتها، وهُم يَسلبُون النَّاس[٢]، وَبَكىٰ الإِمَام الرِّضَا حِين أَنْشَده دِعْبل القَصِيدَة، وَبَكت مَعَهُ النِّسوة والأَطفَال، وَمَا زَال الشِّيعَة إِلَىٰ اليَوْم يَتلونهَا عَلىٰ المنَابر، وَيَبكُون، لَقَد عَرَّفَت هَذِه القَصِيدة الأَجيَال بِحقها المَسلُوب، وَبالقِيم، الَّتي يَجب أَنْ يُدَافع عَنْها كلّ إِنْسَان، وَيُقَاتل مِنْ أَجلهَا حَتَّىٰ المَوت. لَقَد مَضىٰ عَلىٰ نَظمهَا أَكثَر مِنْ أَلف وَمِئة عَام، ومَع ذَلِكَ فَهي أَشهَر وَأَعرف مِنْ شُعرَاء هَذَا العَصر الَّذِين مَلأُوا المَكتبَات بِأَشعَارهِم وَدَواوِينهِم.

(١) لاَ أَعْتَقد أَنَّ هَؤلاَء لصُوص بِالمَعنىٰ المُتعَارف، وَأَنَّهم قطَّاع الطَّرِيق، وَأَصحَاب السَّرقَات، بَل أَظن أَنَّهم مُعَارضُون، وَمُنَاوئُون للحُكم العَبَّاسيّ آنذَاك فَحَتَّمت عَلَيهم الظّرُوف أَنْ يَتصدّوا للقوَافل السَّائِرَة مِن خرَاسَان إِلىٰ الأَمَاكن الأُخرىٰ، فيُقَاتلُونهُم للدِّفَاع عَن عَقِيدتهم، وَإِلاّ كَيف يَكُون مُحبّو أَهْل البَيْت عليهم السلام مِن اللُّصُوص وَقطّاعي الطَّريق. وَخَير دَلِيل عَلىٰ ذَلِك أَنَّ كَبِيرهُم يُنشِيد بشَاعر أَهْل البَيْت عليهم السلام وَيَحفظ شِعرَه، ثمّ يَرد للقَافلة كُلّ مَا أَخذُوه مِنهُم بَعد أَنْ عَرفوا أَنَّهم مِن مُحبّي أَهْل البَيْت عليهم السلام.

(٢) أَنْشد دِعْبل قَصِيدته التَّائِية للإِمَام الرِّضَا، فَأَعطَاه صُرّة فِيهَا مَال، فَقَال: أُرِيد ثَوباً مِنْ ثِيَابك أَضمّه فِي كَفني، فَأَعطَاه جُبَّة خزّ، وَسَار مِنْ مَرو مَع القَافِلة، فَأَخذ اللّصوص القَافلة بِمَا مَعها مِنْ مَال وَالمتَاع، وَجَعلوا يَقتَسمُون الغَنِيمَة فِيمَا بَيْنَهُم، فَأَنْشد أَحَد اللُّصُوص:

أَرىٰ فَيئهُم فِي غَيْرهم مُتَقسّماً وَأَيدِيهم مِنْ فَيئِهم صَفرَات

فَقَالَ لهُ دِعْبل: لمَن هَذَا البَيْت؟.

قَالَ: لشَاعر أَهْل البَيْت دِعْبل.

قَالَ: أَنا هُو. فَوَثب الرَّجل وقَالَ: أَنْت دِعْبل؟.

قَالَ: نَعم. فَردُّوا كلّ مَا أُخذ مِنْ القَافلَة.

وَحِين عَلِم أَهْل قُم بِحَدِيث الجُبَّة طَلبُوا مِنْ دِعْبل أَنْ يَبِيعهَا فَأَبىٰ. فَأَجبرُوه عَلىٰ ذَلِكَ، وَأَخذُوها مِنْهُ، وَدَفعوا لهُ أَلف دِينار، فَلَمَّا يَئس مِنْ الجُبَّة سَأَلهُم أَنْ يُعطُوه مِنْهَا شَيئاً، فَأَعطُوه بَعضهَا رَحمَة بِهِ.

وَالسّر فِي خُلودهَا أَنَّها تُعبر تَعْبِيراً صَادقاً عَن آلاَم المَنكُوبِين وَالمُعَذبِين فِي كلّ زَمَان وَمَكان، وَمُنذ شَاعت هَـذِه القَـصِيدَة وَذَاعت خَسـر العَـبَّاسيُون هَـيبتهُم وَمَعنويَاتهُم، وَأَخذ سُلطانهُم فِي الإِنحدَار وَالإِنحطَاط. وَتَبلغ أَبيَاتها مَا يَقرب مِنْ ثَمَانين بَيتاً كَمَا ذَكرهَا صَاحب البحَار فِي أَحوَال الرِّضَا[1]. ومِـنْهَا فِـي وَصـف الأُمَوِيين وَالعبَّاسيِين:

هُم نَقضُوا عَلىٰ الكِتَاب وَفَرضَه ... وَمُـحكَمة بِـالزُّور وَالشُّـبهَاتِ
تُرَاث بِلاَ قُربىٰ وَمُلك بِلا هُـدىٰ ... وَحُكم بِلاَ شُـورىٰ بِـغَير هُـدَاةِ
رَزَايا أَرَتنا خُضرَة الأُفق حُـمرَةً ... وَرَدَّت أُجَاجاً طَعم كـلّ فُـرَاتِ
وَمَا سهّلت تِلْكَ المَذَاهِب فِـيهم ... عَـلىٰ النَّـاس إِلاَّ بَـيْعَة الفَـلتَاتِ

يُشِير بِبَيعَة الفَلتَات إِلَىٰ فَسَاد الأَوضَاع. وَمَـا يُـلاَقِيه النَّـاس مِـنْ شُـرورَها وَمفَاسدهَا، وَكَيف تَفْسح المجَال للأَدعيَاء الَّذِين لاَ يَردعهُم دِين وَلاَ ضَمِير.

ومِنْهَا فِي وَصف آل الرَّسُول:

مَـنَازل قَـومٍ يَـهْتَدي بِـهُداهـم ... فَـيؤمِنْ مِـنْهُم زَلَّـة العَـثرَاتِ
مَـنَازل كَـانَتْ للـصَّلاة وَللـتُّقىٰ ... وللـصَّوم وَالتَّـطهِير وَالحَسـنَاتِ
مَـلاَمكَ فِـي آل النَّـبيّ فَـإِنَّهُم ... أَحـبَّاي مَـا دَامـوا وأَهْـل ثُـقَاتي
فَيا رَبّ زُدنـي فِـي هَـواي بَـصِيرَةً ... وَزد حُـبّهم يَـا رَبّ فِـي حَسـنَاتي
أَرَىٰ فَـيئهُم فِـي غَـيْرهم مُـتقسّمَاً ... وَأَيـدِيهم مِـنْ فَـيئِهم صَـفُراتِ
سَأَبكِيهُم مَا ذرّ فِـي الأُفـق شَـارق ... وَنَادىٰ مُـنَادي وَالخَـيْر للـصَّلواتِ

(١) أُنظر، بحَار الأَنوَار: ٤٩/ ٢٤٢ ح ١٢.

ولَمْ يَكُن لدِعْبل مِنْ غَايَة سِيَاسِية فِي مُعَارضة السُّلطَان وَلاَ طَمع فِي مَنْصب أو مَال، وَإِنّما هُو الدِّين والإِخْلاَص للعَقِيدة، فَقَد كَان يُردد القَول: «أَنا أَحْمل خَشَبتي عَلىٰ كَتفي مُنذ خَمسِين عَاماً، لستُ أَجد أَحداً مَن يَصلبنِي علَيهَا»[١] وَأَخِيراً وِجد مَنْ يَغتَاله، فَقَد كَمن لهُ مُجرم فَاتك بَعْد صَلاَة العُتمَة، وَضَربه بعكّاز مَسمُوم، فمَات، وَهَكذا شَاء القَدر أَنْ يُلاَئم بَيْنَ الكُمَيْت ودِعْبل فِي الشَّهَادة، كَمَا لاَءَم بَيْنَهما فِي الجِهَاد لنُصرَة آل الوَحي وَالرِّسَالة.

وَنَختم هَذَا الفَصل بِكَلمتَين: إِحَدَاهُما لمُحَمَّد سَيِّد كَيلاَني:

«جَاء الأَدَب الشِّيعي صُورة صَادقَة لمَا وَقع عَلىٰ العَلويين مِنْ اضْطهَاد، فَقَد قَتل عَليّ، وَأَصْبَح آله يَسْتَذلُون، وَيُضَامُون؛ وَيَقصُون وَيَمْتهنُون، وَيَحرمُون وَيُقتلُون، وَيَخافُون وَلاَ يَأمنُون عَلىٰ دِمَائِهم وَدِمَاء أَوليَائِهم، فَقُتل أَنصَار عَليّ فِي كلّ قُطر وَكلّ مَصْر، وَعُذبُوا تَعذيباً مُرّاً، قُطعَت مِنْهُم الأَيدي وَالأَرجُل... وَمِنْ كلّ ذكر عَليّاً سُجن أَو نُهب مَاله أَو هُدّمت دَاره، وكَان البَلاَء يَشْتَد عَلىٰ العَلويين يَوْمَاً بَعْد يَوْم... فَمن دَفن النَّاس أَحيَاء إِلَىٰ الصَّلب إِلَىٰ الحَرق إِلَىٰ الحَبْس وَمَنع الهوَاء وَالأَكل وَالمَاء عَن المَحبُوس، حَتَّىٰ يَقضي نَحْبه جُوعاً وَعَطشاً... وَكَانُوا يَصلبُونهُم وَيَتركونَهُم حَتَّىٰ تَنْبعث مِنْهُم الرَّوائح الكَرِيهة، ثُمَّ يَحرقُونهُم وَيَذرُونهُم فِي الهوَاء، وَحرَّمُوا عَلىٰ النَّاس أَنْ يُسموا أَبْنَاءهُم عَليّاً أَو حَسَناً أَو حُسَيناً.

وكَان العَبَّاسيُون أَشد كُرهاً للعَلويين مِنْ الأُمَويين، وَأَعظم بُغضاً، فَأَمعنُوا فِيهم

(١) أنظر، تَرجَمته فِي سِير أَعلاَم النُّبلاء: ١١ / ٥١٩، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٧ / ٩٤، مُروج الذَّهب: ١ / ١٧٩، و: ٢ / ٧٨، و: ٣ / ٢٣١، وَفيَّات الأَعيَان: ٢ / ٢٦٦، الأَغَاني: ١٨ / ٢٩ طَبعَة بُولاق، فَرَائد السِّمطَين للجُويني: ٢ / ٣٣٧ ح ٥٩١. وَهُناك شُعرَاء آخرُون للإِمَام عَليّ بن مُوسىٰ الرِّضا عليه السلام.

قَتلاً وَحَرقاً، وَاضْطهَاداً وَتعَايباً، فَأَمر المَنْصُور، فَحمل إِلَيه مِنْ المَدِينَة كلّ مَنْ كَان فِيهَا مِنْ العَلوِيين مُقيدِين بِالسَّلاَسل وَالأغلاَل، وَلمَّا وَصلُوا إِلَيه حَبْسهِم فِي سِجن مُظلم لاَ يَعْرف فِيهِ لَيل مِنْ نَهار، وكَان إِذَا مَات أَحَدهُم تُرك مَعَهُم، وَأَخيرَاً أَمر بِهَدم السِّجن عَلَيهِم، وَفِي ذَلِكَ يَقُول أَحَد شُعرَاء الشِّيعَة[1]:

تَـالله مَـا فَـعَلت أُمَـيَّة فِـيهُم ... مِعْشَار مَا فَعَلت بنُو العَـبَّاس

وقَالَ أَبُو فِرَاس[2]:

مَا نَال مِنْهُم بنُو حَـرب وأَنْ عَـظُمت ... تِـــلْكَ الجَــرَائـــم إِلاَّ دُون نَــيلكُم

وقَالَ الشَّرِيف الرَّضي[3]:

أَلاَ لَيْس فِـعل الأَولـين وأَنْ عَـلا ... عَلىٰ قُبح فِـعل الآخـرِين بِـزَائـد

وَقَدْ بَالغ الرَّشِيد فِي التَّنْكِيل بِالعَلوِيين، ولَمْ يُخَف الضَّـغط عَـلَيهم إِلاَّ حِـين ضَعُفت الخِلاَفَة العَبَّاسيَة، وَأَصبَح السُّلطَان الفِعلي فِي المَمَالك الإِسْلاَمِيَّة للتُّرك وَالدَّيلم وَبَني حَمدَان. كلّ هَذِه النَّكبَات قَدْ أَثّرَت تَأْثِيراً كَبِيراً فِي الأَدب الشِّيعي نَثرَه وَشِعرَه»[4].

وَالثَّانِيَة لعَبد الحَسِيب طَه حَمِيدة:

«فِي الحَقّ أَنَّ حَرَكَة التَّشيُّع أَغنَت الأَدَب العَربي إِلَىٰ حَدٍ كَبِير، وَسَاهم أُدبَاؤه

---

(١) أنظر، كتَاب «شَرْح شَافِيَة أَبي فِرَاس فِي مناقب آل الرَّسُول وَمَثَالب بَني العَبَّاس»: ١١٩.

(٢) أنظر، كتَاب «شَرْح شَافِيَة أَبي فِرَاس فِي منَاقب آل الرَّسُول وَمَثَالب بَني العَبَّاس»، لمُحَمَّد بن أَمِير حَاج حُسَيني: ٦.

(٣) أنظر، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٢ / ٥٤.

(٤) أنظر، كتَاب أَثَر التَّشيُّع فِي الأَدب العَربي: ٢٢ طَبعَة القَاهرَة لجُنَّة النَّشر للجَامعِيين، لمُحَمَّد سَيِّد كَيلاَني. (مِنْهُ ﴿﴾).

فِي بِنَاء النَّهضَة الأَدَبية مُسَاهمَة مَشكُورة بمَا انْتَحوا مِنْ أَدَب وَأَثارُوا مِنْ خُصُومَة.

وَقَدْ رَأَينا كَيف كَان الأَدَب الشِّيعي جَزل اللَّفظ، مُحكَم النَّسج، رَصِين العِبَارة، صَادق الأَدَاء... صُورَة نَاطقَة لنفسيَات قَومه وَعوَاطفهُم، وَسِجلاً خَالدَاً لحَيَاتهِم وَعَقَائِدهِم، وَتَصوِيراً رَائعَاً لمَا أَصَابهُم مِنْ مِحن وَحلَّ بِسَاحتهُم مِنْ نَكبَات.

وَعَلمنَا مصَادر الإِلهَام لهَذا الأَدَب الكَرِيم، فهُو نتَاج عَاطفتِين:

عَاطفَة الحُزْن، وَعَاطفَة الغَضَب، وَخُلاَصة ثَقَافَات مُخْتَلفة، عَربِيَة وَأَعْجمِيَة، مَزَجها الإِسْلاَم رُوحاً ومَعْنىً، وَنَقل أَصحَابهَا ذَاتَاً وَوَطنَاً، وَأَخْضَعهُم لسُلطَانه، إِخضَاعاً تَدَاخلت بهِ اللُّغَات، وَالأَفكَار، وَالعَقَائِد... ثُمَّ كَان الأَدَب الشِّيعي أَصدَق مَا تَمَثلت فِيهِ هَذِه الثَّقَافات، إِذْ كَان الحِزب الشِّيعي لأَسبَاب سِيَاسِية وَدِينِية أَكْبَر حِزب جَمع هَذِه العنَاصر، فَأَغنىٰ بِذَلك النّتَاج الشّيعي، وكَان الأَدَب النَّاتج عَنْهُم أَدباً غزِيراً قَوياً، تَصدرهُ عَاطفَة، وَقَلب، وَعَقل، وَتَنضح عَلَيه ثَقَافات العرَاق المِعرفَة فِي الرُّقي المُتعدِدة المَشَارب، فَاستفَاد الأَدَب العَربي مِنْ هَذِه النَّاحِية، وَعَزرَت مَادَته، وَاتَّسعت مَعَانيه وَأَغرَاضه.

تَرىٰ ذَلِكَ وَاضحاً فِي هَذِه العَقَائِد الشِّيعِية الَّتي شَرحنَاها قَبلاً، وَرَأَينَا أَثرها فِي الأَدَب، وَأَدركنَا إِلَىٰ أَي حَدٍ كَان التَّشيُّع مُجَازاً لنَقل هَذِه العَقَائِد المُخْتَلفَة إِلَىٰ الحَيَاة العَرَبيَّة، وَالعَقلية العَرَبيَّة، وَالأَدَب العَربي، وتِلْكَ وَلاَ شَك مُسَاهمة فِي المَجهُود الأَدَبي لَمْ تَكُن لَولاَ التَّشيُّع.

وَأُخرَىٰ مِنْ نَاحيَة التَّأْثِير أَنَّ المَوقِف الَّذي وَقَفته الدَّولة مِنْ الشِّيعَة مِنْ شَأنهِ أَنْ يُلهب العَاطفَة، وَيُثِير الوجدَان، وَيَخلق فَنَّاً جَدِيداً مِنْ القَول، وَمَسرحَاً جَدِيداً للخيَال، وَقَدْ تَمَثل ذَلِكَ فِي الأَدَب السِّيَاسي وَالعَاطفي، وَظَهر أَوَّل مَا ظَهر،

وَأقوىٰ مَا ظَهر فِي الأَدَب الشّيعي، أَدَب النّفس الثّائِرة، وَالعَاطفَة الصّادِقَة، وَالحُبّ المُتَأجج، أَدَب العَقِيدَة، كَمَا قُلنا. فَبَنىٰ الشّيعَة بِذَلك رُكناً مِنْ الحَضَارة الأَدَبيَة بَاذِخاً وَشَدِيداً، وكَان لهُم أَكبَر الفَضل فِي النُّهوض بِهَذه النَّاحيَة العَاطفِيَة وَالسّيَاسِية، فِي وَقت كَان الأَدَب الرَّسمي فِيهِ تُطغىٰ عَلَيه الرَّغبَات المَادِية وَالمَعنوِية، وَتَصرفهُ عوَامل الرَّجَاء وَالخَوف، وَتُلهب نفُوس أَصحَابه سَيئَات العَطَايا، وَإِنَّك لتَلمس ذَلِكَ فِيمَا صَورَه الشّيعَة مِنْ آلاَم وَشَرحوا مِنْ حُجَج، وَكَشفوا مِنْ مَظَالم، وَأَثَاروا مِنْ أَحقَاد، دِفَاعاً عَن عَقَيدتهُم، وَجهَاداً فِي سَبِيل قَضِيَتهُم»[1].

(١) أُنظر، كتَاب أَدَب الشّيعَة: ٣٢٨ طَبعَة ١٩٥٦م. لعَبد الحَسِيب طه حَمِيدة. (مِنْهُ).

التَّشيُّع دَائِمَاً عَبْر التَّأرِيخ

هُنا سُؤال يَفرض نَفْسه عَلىٰ مَنْ قَرَأ الصَّفحَات السَّابقَة، وَهُو كَيف آستطَاعَت عَقِيدَة التَّشيُّع الصّمُود وَالبَقَاء، مَع أَنَّها حُورِبت بِكُل سِلاَح مُنذ اليَوْم الأَوَّل لتَكوِينها وَظهُورها ؟!. كَيفَ وُجد شِيعِي وَاحد عَلىٰ ظَهر هَذَا الكَوكَب بَعْد أَنْ تَظَافرت جَمِيع قِوىٰ الشَّر عَلىٰ الشِّيعَة، وَصَمت عَلىٰ سَحقهِم وَإِبَادتهِم بِالقوَّة وَالسَّطوَة، وَبَعْد أَنْ ضُربوا ضَربَات قَاسيَة وَمُمِيتة فَذُبحوا وَحُرقوا أَحيَاء بِقَصد القَمع وَالْإِستئصَال مِنْ الجذُور، ومَع ذَلِكَ كُلّه نَجدهُم اليَوْم وَقَبل اليَوْم مُنْتَشرِين فِي كلّ بُقعَة مِنْ بُقع الأَرْض، وكَان المَفرُوض أَنْ لاَ يَكُون لهُم عَيْن وَلاَ أَثر ؟!.

هَذَا، إِلَىٰ أَنَّه لَمْ يَكُن لهُم حكُومة، طوَال مِئَات السّنِين وَلاَ قوّة تُدَافع عَنْهُم، أَو كَهف يَأوون إِلَيه سِوىٰ عَقِيدتهُم، وإِلَىٰ أَنَّ ثَورَاتهم وَآنتفَاضَاتهم كَانَتْ تُمنىٰ دَائِمَاً بِالهَزِيمة وَالخُسرَان ؟!. وَبِكَلمة أَنَّ تَأرِيخ الشِّيعَة تَأرِيخ تَقتِيل وَآضْطهَاد وَتَمزِيق وَتَفرِيق، وَثورَات فَاشِلة، وَهَزَائم مُتتَابعَة، تُغري بِهم الطُّغَاة، وَمَع ذَلِكَ ثَبتُوا وَصَمدوا وَبَلغوا عَشرَات المَلاَيين، فمَا هُو السّر ؟.

الجَوَاب:

إنَّ صمُود مَذْهَب التَّشيُّع، وَتَكاثر الشِّيعَة بِالرَّغم مِنْ عوَامل الإِفنَاء وَالإِبَادة الَّتي سُلطت عَلَيهِم مِنْ هُنا وهُنَاك، أنَّ هَذَا الصّمُود وَالتَّكَاثر يَرجع الفَضل فِيهِ إِلَىٰ مَبَادىء أَهْل البَيْت عليهم السلام وَتعاليمهُم، وَلَولاَها لكَان مَذْهَب الإِمَامِيَّة أَثراً بَعْد عَيْن لاَ وجُود لهُ إلاَّ فِي بطُون الكُتُب، شَأن كَثِير مِنْ الأَديَان والمَذَاهِب... وَلَيسَت تَعَاليم أَهْل البَيْت سِوىٰ شَرح وتَفسِير لمَبَادىء الإِسْلاَم وَأَحكَام القُرْآن، وَمَقَاصد السُّنَّة النَّبوِيَّة، وَسِوىٰ قوَاعد وَأُصُول، لِمعَرفَة الخَيْر وَالشَّر، وَالحَقّ مِنْ البَاطِل. وأَنَّ للحقِّ عِند أَهْل البَيْت وَاقعَاً فِي نَفْسه، وَتَقرراً فِي ذَاته، مُسْتَقلاً عَن الأَذهَان، وَالتَّصورَات، والآرَاء، وَالمُعتقدَات، لاَ يَتَغير وَلاَ يَتَبدل بِالإِستحسَان، وَالرَّغبَات وَلاَ بِكَثْرة الأَقوَال أَو قِلتهَا، وَلاَ بِتَعدد الأَسْمَاء وَالأَلفَاظ، فَلو أَنَّ النَّاس كلّهُم أَو جُلَّهُم اتَّفقوا عَلىٰ أنّ هَذَا بَاطل، وكَان حَقّاً فِي ذَاته، أَو عَلىٰ أَنَّه حَقّ وَلَو كَان بَاطلاً يَبقىٰ عَلىٰ مَا هُو عَلَيه.

هَذَا هُو الحَقّ فِي مَفهُوم أَهْل البَيْت: «إِنَّ الْحَقَ لاَ يُعْرَف بِالرِّجَال... إِنَّكَ لَمْ تَعرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ، وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ»[(١)].

لاَ يُعْرف بِالرَّجل، وَلاَ بِكَثْرَة الأَقوَال، بَل الرِّجَال عِندهُم تُعرف بِالحقّ، وَبِهَذا أَنطَق القُرْآن الكَرِيم، قَالَ الله سُبحَانهُ: ﴿لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِالْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ﴾[(٢)] وَفِي الآيَة: ﴿بَلْ جَآءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ﴾[(٣)].

---

(١) أنظر، نَهج البَلاَغَة: الحِكْمَة (٢٦٢). وَفَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٤/٢٣ ح ٤٤٠٩، مَجمَع البَيَان: ١/١٨٧، تَأرِيخ اليَعقوبي: ٢/٢١٠، أَنسَاب الأَشرَاف: ٢٣٩، بشَارَة المُصْطَفَىٰ: ٢٢.

(٢) الزُّخرُف: ٧٨.

وَثبت فِي السُّنَّة النَّبويَّة: «الْحَقّ مَع عَليّ، وعليٌّ مَع الْحَقّ لنْ يَفْتَرقا حَتَّىٰ يَردَا عليَّ الحَوض»[٤] أي أَنَّ النَّاس، جَمِيع النَّاس لَو كَانُوا فِي جَانب، وكَان عَليّ فِي جَانب لكَانوا عَلىٰ بَاطل، وكَان عَليّ هُو المُحق، لأَنَّ سُنَّة الرَّسُول تَثبُت بقَول عَليّ، والرَّسُول لاَ يَنطق عَن الهَوىٰ، فَقَوله حُجَّة عَلىٰ الجَمِيع، وَلاَ حُجَّة لأَحد عَلَيه.

وَقَدْ أَثبَتت التَّجَارب هَذِه الحَقِيقَة، أَي اَستقلاَل الحَقّ عَن تَفكِير النَّاس وَأَقوَالهم، فَقَد رَأينا المَجَالس النِّيَابِية تُشرع القوَانِين بِالإِجمَاع أَو بِالأَكثَرية، وَبَعْد التَّجربَة والتَنْفِيذ يَظهر الخَطأ، فَتَضطَر إِلَىٰ التَّعدِيل أَو التَّبدِيل، وَمِنْ هُنا اتَّفق عُلَمَاء الإِمَامِيَّة عَلىٰ أَنَّ الحَقّ يُؤخذ مِنْ كتَاب الله، وَسُنَّة الرَّسُول، أَمَّا الأَقوَال، وإِنْ كَثُرت، فَإِنَّها تُعبر عَن آرَاء أَصحَابهَا، وَقَدْ تُصَادف الحَقّ، أَو لاَ تُصَادفه، وَلكنَّها لَيست أَدَاة لمَعرفَته كَيف؟! وَمِنْ الرِّجَال مَنْ تُسَيرهُ الأَهوَاء وَالأَغرَاض وَمِنْهُم مَنْ يَنطُق وَيَفعل بِوَحي مِنْ بِيئَته وَتَربِيَته، وَمِنْهُم مَنْ آمَن بِنَظريَات جَمعهَا مِنْ أَوهَام المُتفَلسفِين، وَأَخيِلَة المُتَكلمِين، وَمِنْهُم الجَاهل الَّذي لاَ يَعْرف شَيئاً، هَذَا، إِلَىٰ أَنَّ الأَخذ بِالأَكثَرية، وَقيَام الدَّولة عَلىٰ هَذَا الأَسَاس حَيف وَإِجحَاف بِحقُوق الأَقلِية لبقَائها بدُون دَولة، أَو بدَولة لاَ تَرتَضيهَا، ولذَا قَالَ الإِمَامِيَّة: «إِنَّ الله تَعَالَىٰ قَد جَعَل لِكُلّ وَاقِعَة حُكْمَاً كُلِّياً عَلىٰ نَحو القَضِية الحَقِيقِيَة»[٥].

وَالطَّرِيق إِلَىٰ مَعرفَته الثَقلاَن: (كِتَاب الله، طَرف بِيَد الله، وَطَرف بِأَيدكُم،

---

(٣) المُؤمِنُون: ٧٠.

(٤) تَقدَّم إِستخرَاج ذَلِك.

(٥) هَذِه الرِّوايَة مُتوَاترة بِالمَعنىٰ كَمَا عِندَ أَهْل التَّخطِئة والتَصويب. أُنظر، فرَائِد الأُصُول: ١ / ١١٤، القوَاعد الفِقْهِية: ١ / ١٣.

فَاْستَمسكُوا بِهِ، لاَ تَضلّوا وَلاَ تُبدّلوا؛ وَعِتْرَتِي أَهْل بَيْتِي....)[١].

وَبِهَذا تَبين أَنَّ السّر فِي بقَاء التَّشيُّع لأَهل البَيْت هُو نَفْس السّر فِي بقَاء الكِتَاب والسُّنَّة، لأَنَّهُما المَصدر الأَوَّل وَالأَخِير لهَذا المَبدأ[٢]، وَقَدْ لاَقىٰ الرَّسُول الأَعْظَم مِنْ مُقَاومَة المُشركِين، وَجحُود المُعَاندِين مَا لَمْ يَلْقه نَبي مِنْ قَبل، وَلاَقىٰ الشّيعَة مِنْ قِوىٰ الشَّر وَالبَغي مَا يُلاَقيه كلّ مُحق مُخلص، وَصَمد مَبدأ الرَّسُول لإِصَالته وَصدقَه، وَصَمد التَّشيُّع لآله، لأَنَّه فَرع مِنْ ذَاكَ الأَصل، فهُو دَائِمَاً عَبر التَّأرِيخ، تَمَامَاً كَالإِسلاَم، وَالقُرآن.

وكَمَا تَطوع الصَّفوة مِنْ المُهَاجرِين والأَنْصَار للذّب عَن رسَالة الرَّسُول، فَقَد تَطوع للذّب عَن التَّشيُّع صَفوة مِنْ العُلمَاء تَخرجُوا مِنْ مَدرَسة آل البَيْت، كَالشَّيخ المُفِيد، وَالمُرتضىٰ، وَالكرَاجكي، وَالعَلاَّمة وغَيْرِهم، حَيْث وَضعُوا المُطولاَت فِي الحُجَج وَالبرَاهين مِنْ الكِتَاب والسُّنَّة، وَردوا الإِتهَامات والإِفْترَاءَات، وَدَحضُوا الأَبَاطيل الَّتي كَان يُرددهَا المُبطلُون ضِدّ الشّيعَة والتَّشيُّع.

وَغَريبَة الغَرَائب أَنْ نَرىٰ اليَوْم، وَنَحن فِي عَصر الفَضَاء مَنْ يَجْتَّر تِلْكَ الإِفْترَاءَات، وَيُرددها بِالحَرف الوَاحد، كَمَا رَدّدَها الأَوّلون مِنْ أَلف سَنَة أَو تَزِيد، وأَنْ يَضْطر الشّيعَة أَنْفُسهِم أَنْ يَعدوا مَا قَاله المُرتَضىٰ، وَالمُفِيد، وَالعَلاَّمة؛ وَالشَّهِيد دُون زِيَادة أَو نُقصَان فِي اْفترَاء المُفتَرين، وَفِي دفَاع المُدَافعِين!...

وَحَسبُنَا أَنْ نُشِير إِلَىٰ مِثَالَين جَدِيدَين مِنْ هَذِه الإِفْترَاءَات، أَحَدهُما فِي مَجَلّة

(١) تَقدَّم إِسْتخرَاج ذَلِك.

(٢) قَالَ أَمِير المُؤْمِنِين ﷺ: «بِالْجَمَاعَةِ الفُرْقَة، وَبِالفُرْقَةِ الفِتْنَة» أُنظر، الخُطْبَة (١٢١). وَقَالَ ﷺ: «الجَمَاعة وَالله مجَامعَة أَهْل الحَق، وإِنْ قَلوا، وَالفُرقَة مُجَامعَة أَهْل البَاطِل، وإِنْ كَثرُوا». أُنظر، كَنز العُمَّال: ١/ ٣٧٨ ح ١٦٤٤، مُنْتَخب كَنز العُمَّال بهَامش مُسْنَد أَحمَد: ١/ ١٠٩.

آخر سَاعَة، وَالآخر فِي كتَاب «أَثر التَّشيُّع فِي الأَدَب العَربي» عثَرتُ عَلَيه، وَأَنَا أَبْحَث فِي المَكتبَات عَن مصَادر لكتَابي هَذَا.

آخر ساعة:

قَالَ التَّابِعي فِي مَجلَّة آخِر سَاعَة عَدَد (١٥ آذار سَنَة ١٩٦١ م): «كَتَبت بِنْت الشَّاطيء فِي الأَهرَام قِصَّة نَقَلتها مِنْ تَفْسِير الزَّمَخشري، وتَفْسِير النَّيسَابُوري. وَخُلاَصتهَا: أَنَّ القَول بِأَنَّ سُورَة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾[1]، و ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[2]. نَزَلت فِي عَليّ وَفَاطِمَة، أَنَّ هَذَا القَول مُخْتَلق مِنْ أَسَاسه جُملَة وَتَفصِيلاً، وتَفْسِير الزَّمَخشري، وَالنَّيسابُوري أَوهَام، وَأَبَاطِيل، وَخرَافَات!...».

أَنَّ تَفْسِير السُّورَة بِعَلي، وأَهْل بَيْتَه لَمْ يَختَص بِالزَّمَخشري، وَالنَّيسَابُوري، بَل فَسَّرها بِهم جَمَاعَة كَثِيرُون، مِنهُم البَيضَاوي، وَالبَغوي، والثَّعلبي، وأَبُو السَّعادَات، وَنَقل السُّيُوطي فِي الدُّر المَنثُور أَنَّها نَزَلت فِي عَليّ، وقَالَ الرَّازي: ذَكر الوَاحدي مِنْ أَصحَابنا، أَي مِنْ الأَشَاعرَة فِي كتَاب البَسِيط أَنَّها نَزَلت فِي عَليّ. وَلَكن هَؤلاَء المُفسرِين وغَيرهم يُكذبُون؛ لأَنَّهُم فَسَّرُوا السُّورة بِعَلي الَّذي شَهد الحرُوب مَع رَسُول الله كُلّها، أَو جُلّها، وَجَاهد الشِّرك وَالفِسق مُخلصاً لوَجه الله، وَلَو فَسَّرُوها بِمُعَاوية وَأُمّه هِند وَأَبِيه أَبي سُفْيَان الَّذِين حَارَبُوا الله وَالرَّسُول فِي بَدْر، وَأُحد، الأَحزَاب لكَان تَفْسِيرهُم حَقّاً وَصِدقاً!...

(١) سُورَةُ الإِنسَانِ: ١.

(٢) سُورَةُ الإِنسَانِ: ٨.

اثر التشيّع في الأدب العربي:

يُوجَد فِي مَصْر رَجُل، اسمهُ سَعِيد كَيلاَني، يَعِيش فِـي هَـذَا العَـصْر، عَـصْر الفَضَاء، ألّف كتَابَاً أسمَاه «أثَر التَّشيُّع فِي الأَدَب العَربي»، قَالَ: وَضَـع الشّـيعَة عَلىٰ لسَان يَزِيد بن مُعَاوِيَة[1]:

لَعِبَت هَـاشِم بِـالمُلك فَـمَا ... مَـلَكٌ جَـاءَ وَلاَ وَحـيٌ نَـزَل
لسْت مِنْ خِنْدف إنْ لَمْ أنْتَقِم ... مِنْ بَنِي أَحْمَد مَا كَـان فَـعَل

أَجْل «يَا أُستَاذ» أَنَّ هَذَا الشّعر كِذْب عَلىٰ يَزِيد مِنْ وَضع الشّيعَة، وكَذَلِك قَتْله الحُسَيْن رَيحَانة الرَّسُول كِذْب، وَحَملهُ بنَات مُحَمَّد عَلىٰ الأَكتَاب كِذْب، وَنَقرَهُ

---

(١) إلىٰ هَذِه الأبيَات أشَار شَاعِر العِرَاق المرحُوم عَبدالبَاقي أفندِي العُمَريّ فِـي البَـاقِيَات الصَّـالحَات بِقَوله:

نَقطَع فِي تَكفِيره إنْ صَـحَّ مَـا ... قَـد قَـالَ لِـلغُرَاب كَـمَا نَـعبَا

وَأصل هَذِه الأَبيَات لِابْن الزّبَعرىٰ كمَا جَاء فِي الصَّوَاعق: ١١٦، وَزَاد فِيهَا بَيتاً مُشتَمِلاً عَلىٰ الكُفر.
أُنظر، صورَة الأَرض لِابْن حَوقل: ١٦١، اليَافعي فِي مـرآة الجِـنَان: ١ / ١٣٥، وَالكَـامِل لِابْـن الأَثِير: ٤ / ٣٥، ومُـروج الذّهب لـلمَسعُودي: ٢ / ٩١، وَالعِـقد الفَـرِيد: ٢ / ٣١٣، أعـلاَم النّسَـاء: ١ / ٥٠٤، وَمَـجمع الزّوائـد: ٩ / ١٩٨، الشّـعر وَالشّـعراء: ١٥١، الأَشـبَاه وَالنّـظائِر: ٤، الأَغـاني: ١٢ / ١٢٠، الفتُوح لِابْن أعْثَم: ٥ / ٢٤١، تَذكرة الخوَاصّ: ١٤٨، شَرح مقَامَات الحرِيري: ١ / ١٩٣، البدَاية وَالنّهاية: ٨ / ٢٤٦، والطّبري فِي تأرِيخه: ٦ / ٢٦٧، و: ٤ / ٣٥٢، الآثَار البَـاقِية لـلبِيرُوني: ٣٣١ طَبعَة أُوفسيت، شَرح نَهج البَلاغَة لِابْن أبي الحَدِيد: ١٥ / ١٧٨، وَقَالَ:

لمّا بَدتْ تِلكَ الحمُول وَأشـرَقتْ ... تِلكَ الرُّؤوس عَلىٰ شَـفا جِـيرُون
نَعَبَ الغُرَاب فَقُلتُ قُل أو لاَ تَـقُل ... فَقَد اقتَضيتُ مِن الرَّسُول دِيُوني
يَا غُـرَاب البين مَـا شِـئت فَـقُل ... إنّـمَا تَـندب أمـراً قَـد حَـصَل
إنّ أشـياخِي بِـبَدر لَـو رَأوا ... مَصرَع الخَزرَج مِن وَقـع الأَسَـل
لأَهَـلّوا وَاسْـتَهلوا فَـرحـاً ... ثُـمَّ قَـالوا يَـا يَـزِيد لاَ تُـشَل

بِالقَضِيب ثَنتي سَيِّد شبَاب أَهْل الجَنَّة كِذْب ، وَغَزو مَكَّة كِذْب ، وَرَمي الكَعْبَة بِالمَنْجَنِيق كِذْب ، وَاستبَاحَة المَدِينَة المُنورَة ، وَوَقعَة الحَرَّة كِذْب ! كُلّ أُولَئك مِنْ وَضع الشِّيعَة ! . . .

وَلَسنَا نَجد سَبَباً لتَّكذِيب التَّابعي ، وَالكِيلاَني ، وَمَن لَفَّ لَفَّهُما إلاَّ وَاحداً مِنْ اَثْنَيْن : إمَّا العدَاء لله وَالرَّسُول ، وَإمَّا الخيَانَة وَالدَّس لتَمزِيق الكَلمَة ، وَإحدَاث الثَّغرَة فِي صفُوف المُسْلِمِين ، ليَتَسرب مِنْهَا المُستعَمْرُون أَعدَاء الدِّين وَالوَطن .

بَعْد العِبَّاسِيِين

أَخَذت الدَّولَة العَبَّاسِيَة بَعْد المُتوكل فِي الضَّعف والإِنْحلاَل، وَبَرز فِي العَالَم الإِسْلاَمي دُول جَدِيدَة، كدَولَة البُوَيهِيِين، وَالحَمْدَانِيِين، وَالفَاطِمِيِين، فَأَرْتَفع الضَّغط عَن الشِّيعَة، وَتَنفسُوا الصُّعدَاء، حَتَّىٰ أَنْقَرضت هَذِه الدُّول، وَظَهرَت الدَّولَة السَّلجُوقِية، فَعَادَت الحَال الرَّاكدَة الحَاقِدَة إِلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيه فِي الحِقد الأُمَوي، والعَبَّاسِي، وَزَادت الحَال سُوءاً فِي عَهْد الأَيُوبِيِين بخَاصَّة صَلاَح الدِّين الأَيُوبي، فَقَد كَان أَشَد الحَاكِمِين قَسوَةً وَفتكاً بِالشِّيعَة، وَسَنُشِير فِي هَذَا الفَصل إِلَىٰ مَظَالمِهِ وَأَهوَاله الَّتي يَشِيب لهَا الطِّفل الرَّضِيع.

أبو عبدالله الشيعي:

تَرَدد فِي كتَاب التَّأرِيخ أَسم أَبي عَبدالله الشِّيعي، وَهُو الحَسن بن أَحْمَد بن زَكريَا الشِّيعي، وكَان لهُ عِلْم وَفهم، وَعِندَه دَهَاء وَمَكر، وَبَلدَهُ صَنْعَاء اليَمن، قَصَد أَفْريقيَا، وَمرَّ فِي طَرِيقه بِمَكَّة المُكَرمَة، وَأجْتَمع هُنَاك بِالحُجَّاج المَغَاربَة، فَسَمعهُم يَتَحدثُون بفَضَائل أَهْل البَيْت، فَحَدثهُم فِي ذَلِكَ، وَأَطَال ـ وَكَان التَّشيُّع قَدْ

دَخَل بِلاَد المَغرب مَع الإِسْلاَم ـ فَأَحبُوه وَتَعلقُوا بِهِ، وَسَألوه الذَّهَاب مَعَهُم فَلَبَّىٰ الدَّعوَة[١] «وكَان لأَهل المَغرب حِسّ كَبِير مِنْ التَّشيُّع، وَاِعْتقَاد عَظِيم فِي مَحبَّة أَهْل البَيْت» كَمَا قَالَ المَقرِيزي فِي خُطَطه، فَالتَّفُوا حَول أَبي عَبدالله، وَقَاموا بِتَعظِيمه وَإجلاَله وكَان ذَلِكَ سَنَة (٢٨٨ هـ)، وَلمَّا اطمَأن إِلَيهم وَاطمَأنوا إِلَيه دَعَاهُم للخرُوج عَلَىٰ أَمِير أَفْرِيقيَا، وَهُو إِبرَاهِيم بن الأَغْلب، فَلبُوه، وَتَغلب عَلَيه، وَانْتَزع مِنْهُ الحُكْم، وَسَلَّمه لقُمة سَائِغة لعُبِيد الله المُلَقب بِالمَهدي[٢]، وَهُو أَوَّل خُلفَاء الفَاطميين[٣].

وَامتَد سُلطَان الفَاطمِيين إِلَىٰ مَصْر وَالشَّام، وَعَدد خُلفَائهم (١٤)، وَاستَمر حُكمهُم مِنْ سَنَة (٢٩٦ إِلَىٰ ٥٦٧ هـ) وَفِي أَيَّامهِم كَثُر التَّشيُّع فِي المَغرب، حَتَّىٰ قَالَ بَعْض أَهْل فَلسطِين: لَو كَان مَعي عَشرَة أَسهُم لرَمَيت تِسعَة مِنْهَا فِي المَغَاربَة لتَشَيعهُم، ووَاحداً فِي الإِفرَنج!.. وكَذَلِك كَثُر التَّشيُّع فِي مَصْر، وكَان مَوجُوداً فِيهَا عَلَىٰ عَهْد الإِمَام عَليّ، كَمَا قَدمنَا، وَامتَد إِلَىٰ فَلسطِين وَالأُردن، «فكَان أَهْل طَبرِية وَنِصف نَابُلس، والقُدس، وَأَكثر عمَّان شِيعة»[٤].

وَبَقي التَّشيُّع فِي أَفْرِيقيَا إِلَىٰ حُكم المُعز بن بَادِيس الصَّنهَاجي فَتَتبع الشِّيعَة قَتلاً

(١) أنظر، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ١٥/١٤٨.

(٢) أنظر، شَرح الأَخبَار: ٣/٤١٣، البَيان المَغرب: ١/١١٦، الأَعلاَم للزِّركلي: ٢/٢٤٩، الدَّولة الحَمدَانيَة، عبَّاس الحَمدَاني: ١٦٩.

(٣) وَبَعْد أَنْ اسْتَتب الأَمْر لهَذا المَهدي قَتل أَبا عَبدالله الَّذي أوجَده مِنْ العَدَم، وَهَكذا ابْن آدَم يُؤمِن بِالخَير عِند الشِّدة، وَيَكفر بِالله وَالإِنْسَانِيَّة عِند الرَّخَاء. (مِنْهُ ﷺ).

(٤) أنظر، الفَصل الخَامس مِنْ الجُزء الأَوَّل مِنْ كتَاب الحَضَارة الإِسْلاَمِيَّة لآدَم مِتز. (مِنْهُ ﷺ).

بَالسَّيف، وَحَرقاً بِالنَّار، حَتَّىٰ اَستَأصلهُم وَأَبَادهُم، ولَمْ يَبق مِنْهُم شِيعِي وَاحد[١].

وقَالَ الشَّيخ مُحَمَّد الحَسن المُظفري:

«وَمَنْ يَقف عَلىٰ كَثرَة الشِّيعَة اليَوْم ـ أي فِي القَرن العشرين ـ فِي بلاَد أفْرِيقيَا يَتجلىٰ لهُ أَنَّ رُوح التَّشيُّع مَا زَالت بَاقيَة بَعْد ذَلِكَ الحَدث المُولم، وَلعَلهَا دَخَلت هَذِه القَارَّة مرَّة ثَانِية بَعْد فنَائها فِي حَادثَة المُعز بن بَادِيس، وَتُقدر الشِّيعَة اليَوْم بأفْرِيقيَا بمليُون وَنِصف مليُون مِنْ الفُرس، وَيَشهد لكَثرَتهم فِي الوَقت الحَاضر أَنَّ بَعْض ذَوي العِلْم فِي النَّجف يَقصدُون قِسماً مِنْ أَفْرِيقيَا كَزنجبَار وَغَيرها بَيْنَ وَقتٍ وآخر، وَقَدْ يَجيء مِنْهُم أُنَاس لزِيَارة العَتبَات المُقَدسَة كلّ عَام - فِي النَّجف، وَكَربلاَء، وَالكَاظِمية ـ وَاَجْتَمعتُ بجمَاعَة مِنْهُم فِي مِنىٰ فِي الحَجّ، فَوجَدتهُم جَمعُوا بَيْنَ الثَّروَة، وَالعَقْل، وَالصَّلاَح، وَالآدَاب»[٢].

الجَامع الأزهَر:

الأَزهَر شِيعِي الأَصْل وَالمَولد، أَنشَأه جُوهر الصَّقلي قَائد الخَلِيفَة الفَاطِمِي (سَنَة ٣٥٩هـ)[٣]، وَاَقْتَصر التَّدرِيس فِيهِ عَلىٰ المَذْهب الفَاطِمِي فِي الفِقْه، وعَلىٰ

---

(١) أنظر، الكَامل فِي التَّأرِيخ لِابن الأَثِير حوَادث ٤٠٧هـ. وَخُطط التقرِيزي: ٢ / فَصل أَبي عَبدالله الشِّيعي، وَأَعيَان الشِّيعَة: ١ / فَصل بُلدَان الشِّيعَة. (مِنْهُ ﷺ). أُنظر، وَفيَات الأَعيَان: ٥ / ٢٣٣، البَيَان المَغرب: ١ / ٢٩٥، الكَامل فِي التَّأرِيخ: ٩ / ٢٥٦، الأَعلاَم للزّركلي: ٧ / ٢٩٦.

(٢) أُنظر، تَأرِيخ الشِّيعَة، الشَّيخ مُحَمَّد الحَسن المُظفري: ٢٦٩. (مِنْهُ ﷺ).

(٣) هُو جُوهر بن عَبدالله الرُّومي، أَبُو الحَسن، القَائد، وَالبَاني مَدِينَة القَاهرَة الَّتي سَمَّاها (المَنصُورِية)، لَكنَّ المُعز سَمَّاها بَعد ذَلكَ بِـ(القَاهرَة)، وَبَنىٰ الجَامع الأَزهَر الَّذي فَرغ مِن بِنَاءه فِي شَهر رَمضَان سَنَة

تَعَالِيم الشِّيعَة فِي الدِّين، والتَّوحِيد، وَالفَلْسَفة، وكَان القَضَاء وَالفَتوىٰ، وَالتَّدرِيس ٢فِي مَصْر عَلىٰ مَذْهَب آل البَيْت. وأَوّل كتَاب قُرِيء فِي الأَزْهَر كتَاب «الإِقْتصَاد»[1] فِي فِقْه آل الرَّسُول ثُمَّ كتَاب «دعَائم الإِسْلاَم فِي الحَلاَل وَالحَرَام وَالقَضَايا والأَحْكَام[2] مِنْ أَهْل بَيْت الرَّسُول عَلَيه وعَلَيهِم الصَّلاَة وَالسَّلاَم»[3].

صَلاح الدِّين الأَيُوبي:

صَلاَح الدِّين الأَيُوبي كُردي الأَصل[4]. نَشَأ أَبُوه أَيُوب، وَعَمَّه أَسد الدِّين المَعرُوف «بَشِير كُوه» نَشَأ بِأَرض أَذَربَيجَان، ثُمَّ هَاجرا إِلَىٰ بَغدَاد، ومِنْهَا إِلَىٰ حَلَب، وفِيهَا آتَّصل شِير كُوه بنُور الدِّين مَحمُود بن زَنكي، وَلمَّا مَلك نُور الدِّين بَعْد أَبيهِ آرْتَفع نَجم شِير كُوه، وَأَخيهِ يُوسف، وَحِين غزا الإِفرَنج القَاهِرَة آستَنجَد العَاضد بنُور الدِّين، وكَان قَدْ آستَقر حُكمه عَلىٰ حَلب وَدِمشق، فَأَرسَل نُور الدِّين شِير كُوه عَلىٰ رَأس جَيش كَبِير، وفِيهِ صَلاَح الدِّين الأَيُوبي آبْن أَخ القَائد

⇐ (٣٦١ هـ). أنظر، تَأرِيخ جُوهر الصَّقلي قَائد المُعز لدِين الله العُبيدي، لعَلي إِبْرَاهِيم حَسَن، وَفيَات الأَعيَان: ١ / ١١٨، النُّجوم الزَّاهرَة: ٤ / ٢٨، الأَعلاَم للزِّركلي: ٢ / ١٤٨.

(١) الإِقْتصَاد الهَادي إِلىٰ طَرِيق الرَّشَاد، لشَيخ الطَّائفَة الأَكبَر، أَبُو جَعْفَر مُحَمَّد بن الحَسَن الطُّوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ).

(٢) دَعَائِم الإِسْلاَم وَذِكر الحَلاَل وَالحرَام وَالقَضَايا وَالأَحكَام، لأَبِي حَنِيفَة النُّعمَان بن مُحمَّد بن مَنْصُور آبن أَحْمَد بن حَيون التَميمي، المَغْربي.

(٣) أُنظر، كتَاب الأَزْهَر فِي أَلف عَام، لمُحَمَّد عَبدالمُنعم خَفَاجة: ١ / ١٥ وَمَا بَعْدها. (مِنْهُ ﷺ).

(٤) أُنظر، وَفيَات الأَعيَان: ٢ / ٣٧٦، تَأرِيخ الخَمِيس: ٢ / ٣٨٧، السُّلوك للمَقرِيزي: ١ / ٤١، الأَعلاَم للزِّركلي: ٨ / ٢٢٠، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ١٢ / ٣٧.

شِيركُوه، وَٱنْتَصر شِيركُوه عَلىٰ الإِفرَنج، فَقَربهُ العَاضد آخر خُلفَاء الفَاطميين، وَقَلدهُ الوزَارة، وَبَعْد شَهرين تُوفِي شِيركُوه، فَفَوض العَاضد الوزَرَاة لصَّلاح الدِّين.

وَبَدلاً مِنْ أَنْ يُكافيء العَاضد عَلىٰ إِحسَانه أَخذ يُكِيد لهُ، وَيُضَايقه، وَٱنْتَزع مِنْهُ السُّلطَة، وَصَادر جَمِيع أَموَاله، حَتَّىٰ الفَرس الَّذي كَانَ يَركَبه، وَأَخِيراً أَصبَح العَاضد مُعْتَقلاً تَحت يَده، كَمَا قَالَ المَقرِيزي فِي خُططه، وَبَعث صَلاَح الدِّين إِلَىٰ أَبيه، وَإِخوَته، وَأَهله، فَقَدموا إِلَيه مِنْ الشَّام، فَأَخذ دُور الأُمرَاء الفَاطميين وَأَقطَاعاتهُم وَوَهبهَا لهُم، وَلأَصحَابه.

وَعَزل القُضَاة الشِّيعَة، وَٱستنَاب عَنْهُم قُضَاة شَافعيَة، وَأَبطل مِنْ الأَذَان «حَي عَلىٰ خَير العَمَل» وَتَظَاهر النَّاس بمَذهب مَالِك، والشَّافعِي، وَٱختَفىٰ مَذْهَب التَّشيُّع إِلَىٰ أَنْ نُسي مِنْ مَصْر، وكَان يَحمل النَّاس عَلىٰ التَّسَنُّن وَعَقِيد الأَشعَري، وَمَنْ خَالف ضُربت عُنْقه، وَأَمر أَنْ لاَ تُقبَل شهَادة أَحَد، وَلاَ يُقدم للخطَابة، وَلاَ للتَّدريس إِلاَّ إِذَا كَان مُقلداً لأَحد المَذَاهِب الأَربعَة، قَالَ الخَفَاجي مَا نَصَّه:

«فَقَد غَالىٰ الأَيوبيُون فِي القَضَاء عَلىٰ كلّ أَثَر للشِّيعَة»[1].

أَمَّا سِيَاسته مَع الأُسرَة المَالكَة «الفَاطميين» فَقَدْ كَانَتْ سِيَاسة القَمع، وَالنَّذَالَة، وَالخِسَّة بِأَبشَع صُورهَا، فَقَد «قَبض عَلىٰ سَائر مَنْ بَقي مِنْ أُمرَاء الدَّولَة، وَأَنزل أَصحَابه فِي دُورهِم فِي لَيلة وَاحدة، فَأَصبَح فِي البَلد مِنْ العَويل وَالبُكَاء مَا يُذهل!...».

وَحَبس بقَايا العَلويين فِي مَصْر، وَفَرق بَيْنَ الرِّجَال والنِّسَاء، حَتَّىٰ لاَ

(١) أُنظر، كتَاب الأَزهَر فِي أَلف عَام، لمُحمَّد عَبدالمُنعم خَفَاجة: ١/ ٥٨ وَمَا بَعْدها. (مِنْهُ).

يَتناسلوا، وَأَعاد يَوْم قَتل الحُسَيْن عِيداً الَّذي كَان قَدْ سَنَّه بنُو أُمَيَّة وَالحَجَّاج.

ولَمْ تَقف مظَالِم صَلاَح الدِّين عِند سَفك الدِّمَاء، وَنَهب الأَموَال، وَتَشرِيد النِّسَاء المُخدرَات، وَالأَطفَال، بَل تَعدَاه إِلَىٰ العِلْم، وَالتُّرَاث، وَمَفاخر الدِّين، والإِسْلاَم، فَقَد كَانَتْ الدَّولَة الفَاطميَة تَعْتَني عنَاية خَاصَّة بِاقتنَاء الكُتُب، وَإِنشَاء المَكتبَات العَظِيمة، وكَان بِالقَصر الفَاطمي مَكتبَة جَامعَة يُفِيض المُؤرخُون فِي وَصف عَظَمتها، وَنفَاسة مُحتويَاتها، وكَان بِهَا مَا يَزيد عَن مِئَتي أَلف مُجلّد فِي سَائر العُلوم وَالفنُون، فِي الفِقْه، والحَدِيث، وَاللُّغة، والتَّأرِيخ، وَالأَدب، وَالطِّب، وَالكِيمِيَاء، وَالفَلك وَغيرها، وكَانَتْ مِنْ عَجَائب الدُّنْيَا، حَتَّىٰ قِيلَ: لَيْس فِي جَمِيع بلاَد الإِسْلاَم بِأَعظم مِنْهَا.

وكَان فِي دَار الحِكْمَة مَكتَبة أُخرىٰ تُعد خَلفاً لمَكتَبة الإِسكَندرِية الشَّهِيرَة، وكَان فِي الجَامَع الأَزْهَر مَكتَبة خَاصَّة بِهِ. كلّ هَذِه المَكتبَات، وَالآثَار أَبَادهَا وَشَتتها صَلاَح الدِّين[1].

نَحنُ لاَ نُنكر عَلىٰ صَلاَح الدِّين مَآثره فِي الحرُوب الصَّلِيبيَة، وَمَنْ يُنكر بطُولَته، وَتَضحِيته ضَدّ الفَاتِحين، وَالمُسْتَعمرِين عَلىٰ الرّغم مِنْ أَنَّه عَقد الهُدنَة بَيْنَه وبَيْنَ الإِفرَنج مُدَّة ثَلاَث سنِين وَسِتَة أَشهُر، عَلىٰ أَنْ يَكُون لهُم مِنْ يَافا، وَعكَّا إِلَىٰ صُور، وَطَرَابلس، وَأَنطَاكية[2]، وَلكنَا نُنكر مَوقفَه مِنْ النِّسَاء وَالأَطفَال، وإِذَا

---

(١) كلّ مَا كَتبنَاه عَن صَلاَح الدِّين مَصدَره التقريزي فِي الخُطط المُجلَّد الثَّاني وَالثَّالث. والأَزْهَر فِي أَلف عَام الجُزء الأَوّل. وابْن الأَثِير الجُزء التَّاسع. وَأَعيَان الشِّيعَة المُجلَّد الأَوَّل. وتَأرِيخ الشِّيعَة للمُظفري. وَقَدْ أَستَند المُظفري وَصَاحب الأَعيَان إِلَىٰ مصَادر سُنِّية ولَمْ يَنقلا شَيئاً عَن المَصَادر الشِّيعِيَة. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أَنظر، خُطط التقريزي: ٣ / ١٧٠. (مِنْهُ ﷺ). البِدَاية وَالنِّهاية: ١٢ / ٣٣٢، تَأرِيخ آبن خَلدُون:

وَجَدنا تَفْسِيراً لمَظَالمه مَع أَسيَاده وأَوليَاء نِعمَته الفَاطميين ، فَإِنّنا لاَ نَجد أَي تَفْسِير لمَوقفه مِنْ تِلْكَ المَكتبَات العِلميّة ، وَالتُّراث الثَّمِين الَّذي يَعكس صُورة الأَوضَاع السِّيَاسيَة والاَجْتمَاعِيَّة ، بِالإِضَافة إِلَىٰ الآثَار الفَنيَّة .

أَمَّا مَوقفه مِنَ الشِّيعَة فَلا تَفْسِير لهُ إِلاَّ التَّعصب البَغِيض ، وإِلاَّ فَأي فَرق بَيْنَ الشَّافعية ، وَالمَالكيَة ، وَالحَنفية ، وَالحنَابلة مِنْ جِهَة ، وبَيْنَ الشِّيعَة مِنْ جِهة أُخرىٰ مَا دَام الجَمِيع يَعْتَمدُون كتَاب الله ، وَسُنَّة الرَّسُول بِشهَادة شيُوخ الأَزْهَر مِن شَلتُوت إِلَىٰ أَبي زُهرَة وَالمَدني وَالبَاقوري وَالغزَّالي ، وغَيْرِهم مِنْ قَادَة الدِّين المُتَقدمِين مِنْهُم وَالمُتَأخرِين ، هَذَا ، وإِذَا كَان صَلاَح الدِّين عَلىٰ مَذْهَب الإِمَام الشَّافعِي حَقّاً ؛ فَإِنَّ الشَّافعِي لاَ يُكفِّر أَحَداً مِنْ أَهْل القِبلَة ، وَلاَ يُبِيح دِمَاء الشِّيعَة !...

وَلاَ مُنَافَاة ابداً بَيْنَ أَنْ يَكُون صَلاَح الدِّين بَطلاً عَظِيماً ، وبَيْنَ أَنْ يُدِين ويُؤمِن بِالتَّعصب ، كعَقِيدَة وَمَبدأ بِالرّغم مِنْ آثَاره الخَطِيرَة السَّيئَة ، فَلَيْس كلّ مَنْ حَمل السَّيف ثَار عَلىٰ التَّقَالِيد ، وَلاَ كلّ مَنْ أَنْتَصر عَلىٰ أَعدَائه كَان فِي حِرز حَارز مِنْ العَدوىٰ ، وَالتَّأثر بِالبِيئَة وَالتَّربيَة ، فَقَد كَان أَعرَاب الجَاهليَة كعَنْتَرة وغَيْرَه أَبطَالاً يُدَافعُون عَن أَعرَاضهِم وَأَموالهِم ، وَيَنتَصرون عَلىٰ أَعدَائهم ، وَفِي الوَقت نَفْسه كَانُوا يَتَعصبُون للبَاطل ضِدّ الحَقّ ، وَيَنجدُون قَومهِم ، وَيُنَاصرونهُم عَلىٰ الظُّلم والجَور ، وَيَحمونهُم مِنْ العَدْل والإِنصَاف .

بَل شَاهدنَا وَقَرأنا عَن المُتصفِّين بِسمُو المَدَارك أَنَّهُم كَانُوا يَعْتَقدُون بِالأَبَاطِيل وَالخرَافَات ، وَتَتحكم بِهم الأَوهَام وَالتَّخيُّلاَت . فَهَذا الجَاحظ عَلىٰ أَدَبه وَفِطنَته

.٤٢/٥

قَالَ مُعَقباً عَلىٰ حكَاية سَخِيفة: «مَا ثَبَت لشِّيعي بَعْدها قَائمَة» وَلاَ سَبب لقَوله هَذَا إِلاَّ التَّعصب وَإِلَيك الحكَاية مَع التَّعقِيب: قَالَ صَاحب العِقد الفَرِيد:

قَالَ الجَاحظ: أَخْبَرني رَجُل تَاجر فَقَال: كَان مَعَنا فِي السَّفِينَة رَجُل شَرس الأَخْلاَق، طَويل الأَطرَاف، وكَان إِذَا ذُكر لهُ الشِّيعَة غَضَب وَأَرْبد وَجْهَه، وَذَوىٰ حَاجبَيه.

فَقُلتُ لهُ: مَا الَّذي تَكرَهه مِنْ الشِّيعَة؟

قَالَ: مَا أَكرَه مِنْهُم إِلاَّ هَذَا الشِّين أَوَّل اَسمهُم، فَإِنّي لَمْ أَجدهَا قَطّ إِلاَّ فِي كلّ شرّ، وَشُؤم، وَشَيطَان، وَشَغب، وَشقَاء، وَشنَار، وَشَرر، وَشَين، وَشَوك، وَشَكوىٰ، وَشَهوة، وَشَتم، وَشُح. وَبَعْد هَذَا الهَذيَان جَاء تَعقِيب الجَاحظ بِقَوله: «فَمَا ثَبَت لشِّيعي بَعْدها قَائِمَة»[1].

وَلَو كَانَتْ الغَلبَة لمَن يَتَكلم بِمِثل هَذَا الهَذيَان لكَان الكَون بِأَرْضه وَسمَائه مُلكاً للعَرب دُون غَيْرِهم، لأَنَّهُم أَقدَر النَّاس عَلىٰ الكَلاَم وَأَكل الطَّعَام وَلإِستطَاع شِيعِي وَاحد أَنْ يَقضي عَلىٰ جَمِيع السُّنَّة قَضَاء «لاَ تَقوم لهُم بَعْدها قَائِمة» بِمُجَرد أَنْ يَقُول: أَنَّ هَذِه السِّين لاَ تُوجد إِلاَّ فِي كلّ سُرم، وَسَلح، وَسَلس، وَسُوس، وَسَرَاب، وَسَرطَان، وَسلّ، وَسُعال، وَسُفلس، وَسُم، وَسَفك، وَسَلب، وَسَب، وَسِجن، وَسُوء، وَسمَاد، وَسقُوط، وَسَفه، وَسُخف وَمَا إِلَىٰ ذَلِكَ مِنْ سَفسطَات، وَ«شَرشحَات».

(١) أُنظر، العِقد الفَرِيد: ٢ / ٢٢٤. (مِنْهُ ﷺ).

العثمانيون:

أستولت الدَّولَة العُثمَانِيَة عَلىٰ مُعظم البِلاَد العَرَبِيَّة خِلاَل القرن السَّادس عَشر، فَالسُّلطان سَلِيم، تَاسع السَّلاطِين فَتح سُوريا، وَالحجَاز، وَمَصر، ثُمَّ أَتمَ خَلِيفَته وَوَالده سُليمَان القَانُوني فَفَتح سَائر البِلاَد العَرَبِيَّة الأُخرىٰ، وكَان فِي هَـذَا القَـرن ثَلاَثة دُول إسلاَمِيَة كَبِيرَة: الدَّولَة العُثمَانِيَة، وَعَاصمتهَا القَسْطَنطِينِيَة، وَالدَّولَـة الصَّفوِية، وَعَاصمتهَا تَبرِيز، وَدَولَة المَمَالِيك، وَعَاصمتهَا القَاهِرَة، وَأَقَـام الشَّـاه إسمَاعيل نَفْسه حَامياً للمَذهَب الشِّيعي، وَتَولىٰ السُّلطَان سَـلِيم زَعَـامَة السُّـنَّة، وَاَستَحصل عَلىٰ فَتوىٰ مِنْ شيُوخ السُّوء بِأَنَّ الشِّيعَة خَارجُون عَلىٰ الدِّين يَجب قَتْلهم، ولِذَلِك أَمر بِقَتل كلّ مَنْ كَان مَعرُوفاً بِالتَّشيُّع دَاخل بلاَده[١].

وَفِي الجُزء الأَوَّل مِنْ أَعيَان الشِّيعَة أَنَّ السُّلطَان سَـلِيم قَـتل فِـي الأَنَـاضول وَحدَها أَربَعين أَلفاً[٢]، وقِيلَ: سَبعِين، لاَ لشَيء إلاَّ أَنَّهُم شِـيعَة. وَفِـي الفـصُول المُهمَّة أَنَّ الشَيخ نُوح الحَنَفِي أَفْتىٰ بِكُفر الشِّيعَة[٣]، ووجُوب قَتْلهم، فَـقُتل مِـنْ جرّاء هَذِه الفَتوىٰ عَشرَات الأُلوف مِنْ شِيعة حَلب، حَتَّىٰ لَـمْ يَـبق فِـيهَا شِـيعِي وَاحد، وكَان التَّشيُّع فِيهَا رَاسخاً وَمُـنتَشراً، مُـنذ كَـانَتْ حَـلب عَـاصمة الدَّولَـة الحَمدَانِية، وَقَدْ نَشَأَ فِي حَلب مُنذ القَدِيم عَدِيد مِنْ كُبَّار العُلماء وأَئِمَّة الفِقْه، كَبني زُهرَة، وَآل أَبي جرَادَة وغَيْرهم مِمَّن جَاء ذِكرهم فِي كُـتب السِّـير، وَالتَّـراجـم

(١) أُنظر، البِلاَد العَرَبِيَّة وَالدَّولَة العُثمَانِيَة للحُصري: ٤٠ طَبعَة ١٩٦٠م. (مِنْهُ).

(٢) أُنظر، غُنيَة النُّزوع لِابن زُهرَة: ١١، حَاشيَة اَبن عَابدِين: ١/ ٣٥، مُنيَة المُرِيد: ١٧، تَجد تَرجَمة لهُ.

(٣) أُنظر، تَرجَمته فِي الأَعلاَم للزِّركلي: ٨/ ٥١، الذَّريعَة: ٥/ ٦٢.

بخَاصَّة كتَاب «أَمل الآمل»[١].

وَقَتل العُثمَانيُون الشَّهِيد الثَّانِي المَشهُور بِفَضلِهِ وَوَرعِهِ، وَكُتبه العِلمِية الجَلِيلَة الَّتي يُدَّرس بَعْضها حَتَّىٰ اليَوْم فِي جَامعَة النَّجف، وَقُم[٢]. وَفَعل الجَزَّار وَالي عَكَّا بِجَبل عَامل فِعل الحَجَّاج فِي العرَاق، فَبعد أَنْ قَتل الشَّيخ نَاصِيف النَّصار رَئِيس البِلاَد العَامِلِية قَبض الجَزَّار عَلىٰ عَدد مِنْ العُلمَاء وَالرُّؤساء، وَقَتل جَمَاعَة، مِنْهُم العَالِم السَّيِّد هِبَة الدِّين المُوسىٰ، وَالسَّيِّد مُحَمَّد آل شُكر، والشَّيخ مُحَمَّد العُسيلي، ومِنْهُم الشَّيخ عَليّ خَاتون الفَقِيه الطَّبيب، قَالَ الأَعيَان الشِّيعَة:

«كَان عَالِمَاً فَاضلاً فَقِيهاً جَلِيلاً مُتبَحراً فِي عِلم الطِّب، وَهُو مِنْ عُلْمَاء عَصر الشَّيخ نَاصِيف النَّصار الوَائلي، شَيخ مشَايخ جَبل عَامل، قَبض عَلَيه أَحْمَد بَاشا الجَزَّار فِيمَن قَبض مِنْ عُلْمَاء وَوجُوه جَبل عَامل، وَحَبسَه فِي عَكّا، وَعَذَّبه، ثُمَّ قَتَله، وكَان يُحمي لهُ السَّاج حَتَّىٰ يَحمر، ثُمَّ يَضَعه عَلىٰ رَأسه»[٣].

وَانْتَهب الجَزَّار أَموَال العَاملِيين، وَمَكتبَاتهم، وكَان فِي مَكتبَة آل خَاتُون

(١) أُنظر، تَكملة أَمل الآمل، السَّيِّد حَسن الصَّدر: ٤٦٣، مُستَدرك الوَسَائل: ١٢ / ٣٨٢، إِكمَال الكَمَال، لِابْن مَاكُولا: ٦ / ١٧٨، تَأرِيخ دِمَشق: ٥ / ٤٨٩، أُسد الغَابة: ٤ / ٣٣، شُهدَاء الفَضِيلَة: ١٣٦.

(٢) أَمَّا الشَّهِيد الأَوَّل، وَهُو مُحَمَّد بن مَكي فَقُتل فِي عَهْد بَرقُوق أَوَّل مُلُوك الجَرَاكسة. وذَلِكَ سَنَة (٧٨٦ هـ)، فَقَد أَفْتىٰ بُرهَان الدِّين المَالكِي وابْن جَمَاعَة الشَّافعِي بِقَتله بِحُجَّة أَنَّه يَسْتَحل أَشيَاء حَرَّمها الدِّين مِنْهَا شُرب الخَمْر، فَحُبس سَنَة كَامِلة فِي قَلعَة دِمَشق، ثُمَّ قُتل بِالسَّيف، ثُمَّ رُجمَ ثُمَّ أُحرق بِالنَّار. (مِنْهُ ﷺ). أُنظر، تَكملة أَمل الآمل، السَّيِّد حَسن الصَّدر: ٤٦٣، مُستَدرك الوَسَائل: ١٢ / ٣٨٢، إِكمَال الكَمَال، لِابْن مَاكُولا: ٦ / ١٧٨، تَأرِيخ دِمَشق: ٥ / ٤٨٩، أُسد الغَابة: ٤ / ٣٣، شُهدَاء الفَضِيلَة: ١٣٦.

(٣) أُنظر، أَعيَان الشِّيعَة: ١ / ٤. (مِنْهُ ١). أُنظر، تَكملة أَمل الآمل، السَّيِّد حَسن الصَّدر: ٢٧٦، شُهدَاء الفَضِيلَة: ١٣٦، الفصُول المُهمَّة فِي تَألِيف الأُمَّة: ١٤٠ الطَّبعَة الثَّانِية.

خَمسَة آلآف مُجلَّد، وَبَقيت أفرَان عَكّا تُوقَد أُسبُوعاً كَاملاً مِنْ كُتب العَامليين، ولَمْ يَسلم مِنْ ظُلم الجزّار إلاَّ مَنْ أستطَاع الفِرَار، وَفِي عَهْده هَاجر عُلْمَاء جَبل عَامل مُشَردين فِي الأَقطَار، وَمِنْ هَؤلاَء العَالِم الشَّاعر الشَّيخ إبرَاهِيم يَحيىٰ[1] هَرَب مِنْ الجزَّار إلَىٰ دِمَشق، وَفِي نَفْسه لَوعَة وَحَسرة، وَذِكرىٰ فَظَائع الجزَّار لاَ تُفَارقه بحَال، وَقَدْ صَورها، وَهُو شَاهد عَيَان، فِي قَصَائد تُدمي الأَفئِدَة وَالقُلوب مِنْهَا قَصِيدَة طَوِيلة مَطلعهَا:

مَضَىٰ مَا مَضَىٰ وَالدَّهر بُؤس وَأنعم ... وَصَبرُ الفَتىٰ إنْ مَسّه الضُّر أحزَم

* * *

يَعزُّ عَلَينَا أَنْ نَرُوح وَمَصرنا ... لِفرعُون مَغْنىً يَصْطَفيهِ وَمَغنَم
مَنَازل أَهْل العَدْل مِنْهُم خَلِّية ... وفِيهَا لأَهل الجُود جَيْش عَرمرَم

* * *

وَعَاثت يَد الأَيَّام فِينا وَمَجدنا ... وَبِالرَّغم مِنّي أَنْ أَقول مهدَم
وَلَستَ تَرىٰ إلاَّ قَتيلاً وَهَارباً ... سَلِيبَاً وَمكبُولاً يُغل وَيزعَم
وَكَم عَلَم فِي عَامِل طَوّحت بِهِ ... طَوَائح خُطب جُرحهَا لَيس يلأم
وَأَصبَح فِي قَيد الهَوان مُكَبّلاً ... وَأَعظَم شَيء عَالِم لاَ يعَظم
وَكَم مِنْ عَزِيز نَالهُ الضَّيم فَاْغتَدىٰ ... وَفِي جِيدِهِ حَبل مِنْ الذُّل مُحكَم
وَكَم هَائم فِي الأَرْض تَهفُوا بُلبه ... قَوَادم أَفكَار تِغور وَتتهم
وَلمَّا رَأيتُ الظُّلم طَال ظَلاَمه ... وأَنَّ صَباح العَدْل لاَ يَتَبسم

(١) كُتبَت تَرجَمته فِي المُجلَّد الثَّاني مِن دَائِرة المعَارف اللُّبنَانيَة. لرَئِيس الجَامعَة اللُّبنَانية فُؤاد البُستَاني. (مِنْهُ ﷺ).

تَـرَحلتُ عَـن دَار الهـوَان وَقـلَّما ... يَطيبُ الثَّوىٰ فِي الدَّار وَالجَـار أَرقَـم
تَـملكهَا وَالمُـلك لله فَـاجر ... سَـوَاء لَـدَيه مَـا يَـحل وَيُـحرم
عِـتل زَنـيم يُـظهر الدِّيـن كَـاذباً ... وَهيهَات أَنْ يُـخفىٰ عَـلىٰ الله مُـجرم

هَذِي وَثِيقة تأرِيخِية لاَ تَقبل الشَّك، وَمَصدر عِلمي لاَ يَقْبل الجدَال، وَوَصف يُلهب القُلوب وَالأَفئِدة، وَيَعجز عَنهُ كلّ بَلِيغ إِلاّ إِذَا جَاء أنعكَاسَاً لحيَاته ووَاقعه، لذَا أَعجَز أَنا وَغَيري عَن تَصوير تِلْكَ الفجَائع، كَمَا صَورها هَذَا الشَّاعر العَـظِيم: كَيف؟! وَهل المُستَأجرة كَالثَّكلىٰ؟!.

وَبالتَالي، فَإِنَّ الحَدِيث لاَ يَنْتَهي عَن مَظالم العُثمَانيين فِي البِلاَد العَرَبيَّة بعَامَّة، وَتَعصبهُم ضِدّ الشِّيعَة بخَاصَّة، فَقَد أَقصوهُم عَن جَمِيع وَظَـائف الدَّولَـة كَـبِيرهَا وَصَغِيرها، حَتَّىٰ الوظَائف الدِّينِيَّة، وَمَنعُوهم مِنْ مِمَّارَسة شعَائِرهم المَذهَبِيَة فِي بِلاَد الشَّام وَغَيرها الَّتي تَكثر فِيهَا السُّنَّة، وَيَـقل عَـدد الشِّـيعَة، وَأمـتَد تَـنكِيل العُثمَانِيين بِالشِّيعة طوَال سَيطرتِهم عَلىٰ العَرب الَّتي دَامت مِنْ سَـنَة (١٥١٦م) إِلَىٰ (١٩١٨م) أَي أَرْبَعة قُرون، وَسَنتَان...

الشعُوبية:

نَحنُ الآن فِي القَرن العِشرِين، فَلاَ حَجَاج وَلاَ جزَّار، نَحنُ فِي عَصر الحُـرِّيَة وَالعِلْم، لاَ فِي عَصر الجَهل والظُّلم، نَحنُ فِي عَصْر الصَّحَافة يُعلن فِيهَا مَنْ شَاء مَا يَشَاء، وَعَصر التِّلفزيُون يُعرض فِيهِ أَشكَال وَأَلوَان.. فِي عَـصر التَّـنافس عَـلىٰ الصّعود إِلَىٰ المرِيخ، يَبذل فِيهِ أَصْحَاب العقُول أَقسىٰ الجهُود، لِيُوفرُوا لِلإِنْسَـان الصِّحة، وَالرَّفَاهيَة، وَالهَناء فِي مَأكلِهِ، وَمَلْبسِهِ، وَمَسكَنِهِ، وَفِي سَفرِهِ وَحَضره،

مُنذ ولاَدَته إِلَىٰ آخر لحَظَة مِنْ حَيَاته.

وَتَنجَاهل بَعْض الدُّول العَرَبِيَّة ـ وبِصَرَاحَة المَملَكَة العَرَبِيَّة السّعُودِيَة ـ تَتَجاهل هَـذِه الحَـقِيقَة، وَتَأبىٰ إِلاَّ أَنْ تُعَامل النَّاس بِتقَالِيد الصَّحرَاء أَيَّام زَمَان وَزمان... وَغَرِيبة الغَرَائب أَنَّ السُّعوديين يَوْم كَانُوا فِي الصَّحرَاء كَانُوا يَعِيشُون كَأي إِنْسَان فِيهَا، يَركبُون النَّاقة، وَيَأكلُون مِنْ لبَنهَا، وَيَكتسُون مِنْ وَبَرهَا، وَيَنْتعلُون مِنْ جِلدهَا، وَيَسكنُون فِي الأَطنَاب عَلىٰ التُّرَاب، وَيُقاسُون أَلوَان العَذاب وَالأَوصَاب، وَيَتزوجُون بَنَات الأَعمَّام وَالأَنسَاب فَقط لاَ غَير... حَتَّىٰ تَبدلت، وَكثُرت الأَموَال، وَفرغ الفِكر وَالبَال عَاشوا فِي قصُور أَلف لَيلَة وَلَيلَة؛ يَتقلبُون فِي المَلذَات، وَيَمتطُون متُون الطَّائرَات، ولَمْ يَبق بَيْنَ نَعِيمهُم اليَوْم، وَبُؤسهُم بِالأَمس أَي نَسَب أَو سَبب....

هَذَا مِنْ جِهَة الشَّهوَات وَمُتع الحَيَاة، أَمَّا العَقلِية وَالأَفكَار، أَمَّا الأُصُول وَالتَّقالِيد والأَخلاَق فِي مُعَاملة النَّاس، وَالطَّوَائف وَالأَجناس، فَقَد بَقِي مَا كَان عَلىٰ مَا كَان فِي الصَّحرَاء، ويَوْم الجَاهلِية الجَهلاَء... دُون تَغيير وَتَبدِيل، ودُون تَقلِيم وَتَطعِيم، وَهُنا يَبرز عَدَم النِّظام وَالإِنسجَام، فَأَمَّا الصَّحرَاء وَنَاقتهَا مَعاً، وَأَمَّا الحَضَارة فِي العَيش وَالأَفكَار مَعاً، وَالتَّفكِيك بَيْنَهُما تَحكُم وَتَنَاقض، وَإِلَيك الدَّلِيل عَلىٰ أَنَّهُم يَعيشُون بَأجسَامهم فِي (وَول ستريت)، وَبعقُولهم فِي الرُّبع الخَالي فَلقَد حَدَثني عَلَيهم خَبِير بمَا فِي السّعُودِيَة بِالغرَائب التَّالِيَة:

١ ـ لاَ تُقبل شَهَادة الشِّيعي عَلىٰ غَيْرِه، وَتُقبَل عَلَيه كلّ شَهَادة، أَي أَنَّ الشِّيعي يَدفَع الغُرم، وَلاَ يَنَاله شَيء مِنْ الغُنم، وَلو كَان لاَ هَذَا وَلاَ ذَاك لخَف المُصَاب، هَذَا مَع العِلْم بِأَنَّ الشِّيعَة يُحَرمُون الكِذب، وَشهَادة الزُّور، وَيَشترطُون فِي الشَّاهِد

العدَالَة، وَمَتىٰ تَحققت عُمَل بِهَا، حَتَّىٰ وَلَو شَهد بَدَوي عَلىٰ قَروي، بِعَكس الحَنَابلة الَّذِين قَالُوا: لاَ تُقبل شَهَادة بَدوي عَلىٰ قَروي[1]. «أَللّـهُمَّ إِلاَّ إِذَا كَان البَدَوي الشَّاهِد نَجدياً، وَالقَروي المَشهُود غَير نَجدي».

وَمِنْ الخَيْر أَنْ نَذكر هَذَا الحَدِيث:، «أَنَّ الله سُبْحَانهُ أَبىٰ إِلاَّ أَنْ لاَ يَقبل لأَولِيَائه شَهَادَة فِي دَولة الظَّالِمِين»[2].

٢ ـ القَاضِي الشَّرعِي السُّني فِي السّعُودِيَة لهُ مَا لسَائر القُضَاة الشَّرعِيين مِنْ مَحكَمة، وَرَاتب، وَفُرش، وَأَدوَات، وَقُرطَاسيَة. أَمَّا القَاضِي الشَّرعِي الشِّيعي فَلاَ مَحكَمة، وَلاَ رَاتب، وَلاَ فُرش، وَلاَ قُرطَاسيَة، وَلاَ شيء إِلاَّ الإِسم، مَع أَنَّ فِي الكُويت، وَالبَحرين، وَالعرَاق، وَلُبنان قُضَاة سُنَّة وَشِيعَة، وَالكُل سَوَاء فِي الرَّاتب، وَمَا إِلَيه دُون تَفَاوت وَلاَ سُرّ للتَفَاضل فِي السّعُودِيَة إِلاَّ عَقلِية الصَّحرَاء، وَالأَغرَاض وَالأَهوَاء.

٣ ـ تُحَافظ الحكُومَة السّعُودِيَة عَلىٰ حُرمَة مَسَاجد السُّنَّة وَمقَابرهُم، وَتَبذل لتَشيِيدهَا وَتَرمِيمها الأَموَال الطَّائِلة الهَائِلة ـ وَخَيراً مَا تَفْعل ـ وَلكنَّها فِي الوَقت نَفْسه لاَ تُنْفق قِرشاً عَلىٰ مَسَاجد الشِّيعَة وَمقَابرهُم، مَع أَنَّ الكُل لله وللإِسْلاَم والقُرْآن. وَيَاليتهَا حَيث تَخلت سَكَتت، ولَمْ تَنْتَهك حُرمَة المَقَابر بشَق الطُّرقَات

---

(١) المِيزَان الكُبرىٰ الشّعراني بَاب الشَّهادة. وَنَقل صَاحب كتَاب المُغني: ٩ / ١٦٧ عَن الإِمَام أَحْمَد أَنَّه قَالَ: أَخشىٰ أَنْ لاَ تُقبل شهَادة البَدوي عَلىٰ صَاحب القَريَة. وَالمُغني مِنْ الكُتُب المُعتَبرة عِندَ الحَنَابلَة. (مِنْهُ ﷺ). أُنظر. جوَاهر العقُود: ٢ / ٣٥٤. أَحكَام القُرآن للجَصَّاص: ١ / ٦٠٦. شَرح مَعَاني الآثَـار: ٤ / ١٦٧.

(٢) أُنظر. الكَافي: ٢ / ٥٧ ح ٩. وَسَائِل الشِّيعَة: ١ / ٥٧ ح ١. أَمَالي الشَّيخ الطُّوسي: ٣٠٠ ح ٤٠.

فِيهَا، كَمَا حَدَث فِي مَقبرَة الإحسَاء، ولَمْ تُهدم المَسَاجد، كَمَا وَقع فِي قَرية المَطِيرة الَّتي تَبعد عَن مَدِينَة الهفُوف (٩) كِيلُو مِتراً. وَتَتلخص قِصَّة هَذَا المَسْجد كَمَا قِيل بِأَنَّ شِيعَة القَريَة ٱستَحصلوا عَلىٰ إذَن رَسمي مِنْ (ٱبن جَلوي) أَمِير المَنطَقة، وَمِنْ البَلدِية بِالبِنَاء، وَبَعْد أَنْ قَام شَطر مِنْهُ تَدَخلت أَبَالسَة الشَّر، فَعَدل الجَلوي عَن إذْنه، وَأَمر بهَدم المَسْجد بَعْد أَنْ وَقَّع «رُخصَّة البِنَاء» وَعِنْدَها نَادىٰ مُنَادي السُّوء ٱهدمُوا بَيْت الله... «مَنْ هَدَم لبِنَة مِنْهُ بَنىٰ الله لهُ قَصراً فِي الجَنَّة»... فَٱجْتَمع المُجرمُون فِرقَاً، فِرقَة بِالمعَاول، وَفِرقَة بِالأَيدي، وَفِرقَة بِالشَّتَائم، وَمَا هِي إلاَّ دَقَائق، حَتَّىٰ أَصبَح بَيْت الله أَثراً بَعْد عَيْن...

٤ ـ تَمْنع الحُكُومَة السّعُودِيَة أَكثَر الكُتُب أَو الكَثِير مِنْ الَّتي يُؤلفهَا الشِّيعَة، مَع العِلْم أَنَّها تَبحَث فِي الدِّين والتَّأرِيخ، وَالأَدب وَالفَلسَفة، وَمَا أَشبَه؛ وَأَنَّها لاَ تَتعرض للسِّيَاسَة السّعُودِيَة مِنْ قَرِيب أَو بَعِيد، وأَنَّ أَصحَابهَا يَحملُون رُوحاً إسلاَمية صَادقَة، إلاَّ أَنَّهُم يُوَالون أَهْل بَيْت الرَّسُول ﷺ الَّذِين أَمَر الله بِمَودَّتهم....

إنَّ مَنع الثَّقَافة عَن الشَّعب مَعنَاه مَنع الحَيَاة، وَالتَّحجِير عَلىٰ العقُول، وَمِنْ أَجل هَذَا تَهتَم كَثِير مِنْ الدُّول وَالجَامعَات بِكُل مَا تَصْدرَه المَطَابع فِي كلّ لُغة، وَمِنْ كلّ لَون، وَتُعَين لهَا مِيزَانيَات خَاصَّة، وَتُرسل لطَلَبها البِعثَات إِلىٰ أَقصَىٰ البِلاَد. أَلَيْس مِنْ المُؤلِم أَنَّ مَكتَبة «هدَاسا» الإسرَائيلِية تَحتَوي عَلىٰ جَمِيع مَا تَصدرَه المَطبعَة العَرَبيَّة، وأَنَّ المَملَكة السّعُودِيَة تَقف سَدّاً فِي طَرِيقهَا؟!...

قَالَ رَسُول الله ﷺ: «ٱطلبوا العِلْم وَلَو بِالصِّين»[1]. وَقَالَ الإِمَام عَليّ: «أَعلم

---

(١) أُنظر، كَنز العُمَّال: ١٠ / ١٣٨ ح ٢٨٦٩٧، شَرح أُصول الكَافِي: ١ / ١٥٧، فَيض القَدِير: ١ / ١٦٨ ح ١١١٠ و ١١١١، وَسَائِل الشِّيعة: ٢٧ / ٢٧، الجَامع الصَّغِير للسّيوطي: ١ / ٤٤، البَحر الرَّائق: ٤ / ٢١.

النَّاس مَنْ جَمَع عِلم النَّاس إلىٰ عِلمه »[1]. فَعَمل الصَّهاينَة وَمِنْ إلَيهِم بِهَذا المَبدأ الإسْلاَمي الإنْسَاني، وَأهمَله قَوم يُؤمِنُون بِأنَّه لاَ عِلم إلاَّ فِي صَحرَاء نَجد، بخَاصَّة عِند الوَهَابيين، وَبصُورة أخصّ عِند شيُوخهِم المُتعصبِين الَّذِين يُكفرُون النَّاس أجمَعين إلاَّ هُم أنفُسهِم، كَمَا يَتَبين ذَلِكَ مِنْ قِصَّة إبرَاهِيم بَاشا وَشيُوخ الوَهَابيَة عِندَما دَخَل الدَّرعيَة، وَسَنذكرهَا ـ قَريباً.

وَلنَفترض أنَّه لاَ عِلم إلاَّ فِي الصَّحرَاء، وَفِي صَحرَاء نَجد فَقط لاَ غَير فَلِمَاذَا تُمنَع الكُتب الدِّينيَّة الإسْلاَمِيَّة، ويُؤذن لنَشرَات الدّعَاية الإسْتعمَاريَة بِالدُّخول ؟!.. لِمَاذَا تُعرَض عَلَناً فِي وَاجِهَات المَكَاتب السّعُودِيَة كُتب الفِسق، وَالفجُور، وَالخَلاَعة، وَتُمنع كُتب وَصُحف المُجَاهدِين المُخلصِين الَّذِين أوقَفُوا أنفُسهِم لله والدِّين، وَالدَّعوَة إلَىٰ الطُّهر، وَالعفَاف، وَالفَضِيلة ؟!... لِمَاذَا تَدخل إلَىٰ السّعُودِيَة الكُتب الَّتي تُعَلِّم النَّاس الفُوضىٰ، وَالفَسَاد، والكُفر، وَالإلحَاد، وَتَعُود بِالحَيَاة إلَىٰ الوَرَاء مِئَات السِّنين، وَتُمنع الأفكَار الَّتي تَلتَقي مَع حَاجَات الحَيَاة، وَتَطورهَا إلَىٰ مَا هُو أفضل وَأكمَل ؟!... لِمَاذَا تُعطي المَملَكة السّعُودِيَة الحُرِّية الكَافيَة الوَافيَة لمَجَلة « رَايَة الإسْلاَم » فِي سبّ أئِمَّة المُسْلِمين، وَالسَّادَة الأطهَار مِنْ آل الصَّادق الأمِين، وَفِي الفَتوىٰ بإبَاحة دمَاء الأبريَاء، وَالتَّحريض عَلىٰ إستئصَال الَّذِين يُؤمِنُون بالله، والرَّسُول وَاليَوْم الآخر[2]، وَتَمنع مَجَلة العِرفَان الَّتي

---

(١) أنظر، المحَاسِن: ١/ ٢٣٠، مَن لاَ يَحضرَه الفَقيه: ٤/ ٣٩٥، الخِصَال: ٥ ح ١٣، أمَالي الصَّدوق: ٧٣، مَعَاني الأخبَار: ١٩٥، رَوضَة الوَاعظِين: ٦، سُنن الدَّارمي: ١/ ٨٧، وَقَد نَسبه إلىٰ النَّبيّ ﷺ.

(٢) تَهَجمت مَجَلة رَايَة الإسْلاَم عَلىٰ الإمَام جَعْفَر الصَّادق بمَا يَهْتز لهُ عَرش الرَّحمن. أقْرأ عَـدَد رَبيع الآخر سَنَة (١٣٨٠ هـ). (مِنهُ ﵀).

أمضت خمسين عاماً في الجهاد ضدّ الإستعمار والفساد، وقدمت للدّين والأمّة الإسلاميّة واللّغة العربيّة الخدمات الجلىٰ، ووقفت علىٰ الحياد بين الشّرق والغرب تمارسه بالفعل والقول وتناصر فلسطين والجزائر، والحرّية وتقرير المصير أينما كان ويكون في الكنغو، وكوبا، واللاّووس، وأنغولا، وكينيا.

أليس من سوء حظ العرب والمسلمين أنْ تكون معاملة الإنجليز لشيعة البحرين خيراً ألف مرّة من معاملة السّعوديين لشيعة الإحساء والقطيف، علىٰ ما بينهما من قرب الجوار ودنو الدّار؟! أليس من العثار والإنتكاس أنْ يتمنىٰ شيعة القطيف والإحساء أنْ يكون لهم ما لإخوانهم في البحرين من الحرّية الدّينيّة وإقامة الشّعائر المذهبية، وإنشاء المساجد والمقابر، وقراءة الكتب والصّحف الّتي يرغبون ويودون؟!... أقول هذا وأنا ألعن كلّ مستعمر ومستثمر في الشّرق والغرب، وكلّ من أحوجني إلىٰ هذه المقارنة والمضالة.

هذا كلّه، وآل سعود يحكمون بإسم الإسلام، ويرفعون علماً كتب عليه بالخط الطّويل العريض «لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله»!.

هذا قليل من كثير، ولكنّه كافٍ ووافٍ للدّلالة علىٰ مآسي الشّيعة في السّعوديّة ونحن الشّيعة في لبنان، والعراق، وإيران وغيرها نعرف هذا، وأكثر من هذا، ولكنّا نتجاهل، حتّىٰ كأنّه ليس لنا إخوان في السّعوديّة هم في أشد الحاجة إلىٰ أنْ يسمعوا أصواتنا، وأنْ نضعهم تحت الأضواء للعالم في الشّرق والغرب، ليرىٰ كيف يميز السّعوديون بين أبناء الوطن الواحد، بل وحتّىٰ الدّين الواحد، لا لشيء إلاّ لإختلاف في بعض الفروع الفقهيّة، والطّقوس المذهبيّة.

والّذي يبعث علىٰ الدّهشة والغرابة أنّ الوهابيين يعتمدون مذهب الإمام ابن

حَنْبل، وَأَقوَال مُحَمَّد عَبد الوَهَّاب الَّذي يَقُول: أَركَان الإِسْلاَم خَمْسَة: شَهَادة أَنْ لاَ إِله إِلاَّ الله، وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُول الله، وَأَقَام الصَّلاَة، وَإِيتَاء الزَّكَاة، وَصَوم رَمضَان، وَحجّ بَيْت الله الحَرَام[1].

وَهَذَا بِلَفظه وَحرُوفه وَمَا رَوَاه الشِّيعَة بِطُرق مُخْتَلفة، حَتَّىٰ تَجَاوز حَد التَّوَاتر، وحَتَّىٰ حَفَظه النِّسَاء وَالأَطفَال فَضلاً عَن الرِّجَال. وَقَدْ أَجمَع عُلَمَاء الإِمَامِيَّة قَولاً وَاحد أَنَّ تَارك الحَجّ، والصَّلاَة، وَالزَّكَاة، وَالصَّوم مُسْتَحلاً لهَا كَافر، وَمُتهاوناً بِهَا فَاسق يَجب قَتْله مَع الإِصرَار وَعَدم التَّوْبَة، تَمَاماً كَمَا تَقول الحَنَابلَة.

وقَالَ صَاحب المُغني الحَنْبلي: «مِنْ مَذْهَب الخوَارج تَكفِير كَثِير مِنْ الصَّحَابَة، وَمِنْ بَعْدهم، وَاستحلاَل دِمَائهم وَأَموَالهم، وَإِعتقَادهم التَّقرب بِقَتلهِم إِلَىٰ الله، ومَع ذَلِكَ لَمْ يَحْكُم الفُقهَاء بِكُفرِهِم لتَأولهُم»[2].

وعَلَىٰ هَذَا فَمَن كفَّر الشِّيعَة، بَل وَالخوَارج الَّذِين كَفَّروا بَعْض الصَّحَابَة وَاستَحلوا قَتلهُم تَقرباً إِلَىٰ الله، فهُو مُخطيء إِذَا لَمْ نَقل أَنَّه كَافر. وَقَدِيماً كَفَّروا مُحَمَّد عَبدالوَهَّاب، وابْن تَيمِيَة وَقَدْ سُجن مِنْ أَجل عَقِيدته تُوفّي فِي السِّجن كَمَا قِيلَ الآن وَقبل الآن: أَنَّ الوَهَابيَة بِدعَة لاَ تَمت إِلَىٰ الإِسْلاَم بِسَبب، تَمَامَاً كَمَا قِيلَ عَن مَذْهَب التَّشيُّع، بَل الوَهَابِيين أَصابهُم بَعْض مَا أَصَاب الشِّيعَة مِنْ التَّنْكِيل فِي سَبِيل عَقِيدتهم، قَالَ «بيير كَربتيس»:

«لمَّا تَغلب إِبرَاهِيم بَاشَا عَلَىٰ السّعُودِيين، وَمَلك بِلاَدهم، وَدَخل عَاصِمَتهُم الدَّرعِية، وَخَضَع لهُ جَمِيع أُمرَاء البَيْت السّعُودي، اَستُدعي إِلَيه رِجَال الدِّين

(١) أنظر، الرَّسَائل العِلمِية التِّسع: ٧/ طَبعَة ١٩٥٧م. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أنظر، المُغني الحَنْبلي: ٨ / ١٣٢ (مِنْهُ ﷺ).

وَالفُقهَاء الوَهابيين، وكَان عَدَدهُم خَمسمِئَة، وقَالَ لهُم: أَحضَرتُ مَعي مِنْ القَاهِرَة جَمَاعَة مِنْ أَكَابر العُلمَاء السُّنيين، أُرِيد أَنْ تَجْتمعُوا مَعَهُم، وَتَبحَثوا أَسْبَاب الخِلاَف المُسْتَحكم بَيْنَ عَقَائدكُم وَعَقَائد أَهْل السُّنَّة مِنْ المُسْلمِين.

فَاْجْتَمعت الطَّائفتَان طَوعاً لأَمره وَهُو بَيْنَهُم، وَظل خُطبَاؤهم ثَلاَثة أَيَّام كَامِلة يَتنَاقشُون، وَيُظهرُون الفرُوق الدَّقِيقة بَيْنَ المَذهَبِين، وَظَل إِبرَاهِيم طَوَال هَذِه المُدَّة يُصغي إِلَيهم لاَ يَطرق، وَلاَ يَأخذ الكَرىٰ بِجفْنَه... وَلمَّا دَخَل اليَوْم الرَّابع أَقفَل إِبرَاهِيم بَاب الجَدل، حَيْث سَأل شَيخ الفُقهَاء الوَهَابيين هَذَا السُّؤال:

«هَل تُؤمِنْ بِأَنَّ الله وَاحد، وأَنَّ الدِّين الصَّحِيح وَاحد وَهُو دِينَكُم».

فَقَال الشَّيخ: نَعم.

فَقَال إِبرَاهِيم: «مَا رَأيُك فِي الجَنَّة أَيُّها الخَنزِير، وَمَا عَرضهَا؟!...».

قَالَ الشَّيخ: ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

قَالَ إِبرَاهِيم: «إِذَا كَان عَرضهَا السَّموَات والأَرض، وَأَنتَ وَأَصحَابك تَظلكُم جَمِيعاً شَجرَة وَاحدَة، فَلِمن تَكُون المَسَاحة البَاقِية؟! وَلِمَاذَا جَعَلها الله بِتِلكَ السَّعة!!...».

فَأُفحِم الشَّيخ وَأَتبَاعه، وَبَان عَلَيهم الفَشل وَالإِنْكسَار، وَعِنْدَها التَفَت إِبرَاهِيم إِلَىٰ جنُوده، وقَالَ لهُم: عَلَيكُم بِرقَابهِم، فَلَم تَمضِ إلاَّ دَقَائق، حَتَّىٰ كَان مَسْجد الدَّرعِيَة مَقبرَة لفُقهَاء الوَهَابيين»[2]؟.

وَبِالتَالي، فَإِنَّ أَصْحَاب الأَديَان وَالمَذَاهِب يُمَارسُون طقُوسهُم الدِّينِيَّة

---

(١) آل عِمْرَان: ١٣٣.

(٢) أُنظر، كتَاب إِبرَاهِيم بَاشا، لبيير كَربتيس: ٠٤ طَبعَة سَنَة ١٩٣٧م. (مِنْهُ).

وَالمَذهبِية فِي كلّ مَكَان، كَيف شَاءوا، وَمَتىٰ أَرَادوا، مَا دَامت لاَ تَتَعارَض وَشَيئاً مَع سِيَاسَة الدَّولَة إلاَّ فِي السّعُودِيّة، فَإِنَّ الشّيعَة مُحَجَّر عَلَيهم فِي كَثِير مِنْ عَادَاتِهم وَطقُوسِهِم عَلىٰ الرَّغم مِنْ بُعْدها عَن السَّائِس، وَالمَسُوس، وَلكـنْ هَكَـذا شَـاء أَصْحَاب عَقلِية الصَّحرَاء فِي عَصْر الذَّرَة وَالفَضَاء. وَكُلنَا يَعلم أَنَّ الضَّغط وَالكَبْت سِيَاسة فَاشِلة تَعجز عَن الإِستمرَار وَالبَقَاء، وأَنَّ النَّصر فِي النَّهايَة للحُرِّيَة المُطْلَقة فِي التَّعبِير عَن الرَّأي وَالعَقِيدَة، وَفِي إِختيَار الحَاكِم والحُكْم الَّذي يُحَقق السَّعَادة وَالإِطمئنَان وَالرَّخَاء للجَمِيع. وَصَدق مَنْ قَالَ: «دَولة البَـاطِل سَـاعة، وَدَولَـة الحَقّ إِلَىٰ قيَام السَّاعة».

الشّيعَة وَمَجلَّة الإفك السّعُودِيَة

نَشَرتُ فِي العِرفَان عَدَد تَشرِين الثَّانِي (١٩٦٠ م)، ثُمَّ فِي مَنشُور مُسْتَقل

كنّا نَتَساءَل: لِمَاذَا تَأَخرت البِلاَد العَرَبِيَّة بِوَجه عَام عَن رَكب الحَضَارة فِي هَذَا العَصْر؟ وَكَيف سَبقتهَا أُوربَا وَأَمريكا فِي مَيدَان الثَّقَافة وَالعُلوم؟ ثُمَّ نَتَساءل لِمَاذَا تَأَخرت المَملَكة العَرَبِيَّة السّعُودِيَة بوَجه خَاص عَن سَائر البِلاَد العَرَبِيَّة؟ مَع أَنَّها أَسبَق مِنْ غَيرهَا إِستقلاَلاً وَأَكثرها إِيرَاداً!..

وَكُنا نَسمَع فِي دَهشَة وذهُول إِلَىٰ حَدِيث الحِجَّاج عَن جَحَافل الجيَاع العُرَاة مِنْ رَعَايا هَذِه المَملَكَة تَتبَع الوفُود فِي كلّ خُطوة لتَلتَقط الفُتَاة وَقشُور الخُضَار وَالفوَاكه مِنْ الطُّرقَات!..

كُنا نَسمع هَذَا وَأَمثَاله، وَلاَ نَكَاد نُصدق شَيئاً مِنْهُ وَنَقول: كَيف؟ وَأَين؟ البِترُول الَّذي يَتَدفَق بَحراً فِي الظَّهرَان، وَالفوَار، وَالسَّفَاينَة، وَالرُّبع الخَالي؟.. وإِلَىٰ أَين تَذهَب المَلاَيين الَّتي تُؤخذ مِنْ الوَافدِين إِلَىٰ مَكَّة المُكَرمَة وَالمَدِينَة المُنورَة؟..

وَلَكن سُرعَان مَا زَال العَجَب بَعْد أَنْ قَرأنَا العَدَد الخَامس مِنْ مَجلَّة «رَايَة

الإِسْلاَم» تَأرِيخ وَاحد رَبيع الآخر (١٣٨٠ هـ)، وَقَدِيماً قِيلَ: إذَا ظَهر السَّبَب زَال العَجب، فَلقَد عَرفنَا مِنْ هَذِه المَجلَّة الَّتي تَصدر فِي الرِّيَاض عَاصمَة المَملَكَة السّعُودِيَة أنَّ المُتَمَشيخِين[1]، وَبَعْض الصُّحفيين فِي هَـذِه المَملَكَة مِـنْ ﴿شَـرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[2].

فَبَدلاً مِنْ أَنْ يُعَالجُوا أَوضَاعهُم الفَاسِدَة الَّتي أَلقت بِالمَلاَيين فِي هُوة الجَهل، وَالمَرض، وَالجُوع، وأَنْ يَقفوا بجَانب الحِجَازِيين، وَالنَّجديين الَّـذِين أَبـلاَهُم العَوز، وَأَكل جلُودهُم الحرّ والبَرد، هَذَا وَأَكوَاخهُم تُحِيط بِالقصُور الشَّـامخَات الَّتي تُضَاهي قصُور (فرسَاي، وَالكرملِن، وَنَاطحَات السَّحَاب)، وَبَـدلاً مِـنْ أَنْ يَتَساءلوا عَن دوَلاَرَات الذَّهب الأَسْود، وَتَحكُم «رُوكفلَر اخوَان» فِي خَـيرَات البِلاَد، وَاَستغلاَل «وول ستريت» للمُسْتَضعَفِين البَائِسِين، فَبَدلاً مِنْ كـلّ هَـذِه وَغَير هَذِه رَاح أَصْحَاب المَجلَّة الشُّيوخ يُكفرُون الطَّوَائف الإِسْلاَمِيَّة، وَيكِيلُون الشَّتَائِم لأَئمَة الدِّين وَحُمَاة الإِسْلاَم.

وَجَهت المَجلَّة فِي عَدَدها المَزبُور كَلْمَة إِلَىٰ فَضِيلَة شَيخ الأَزْهَر مُوقعَة بِاَسم إِبرَاهِيم الجَبْهَان كُلّها قَذف، وَطَعن، وَتَزوِير، وَتَزيِيف، وَتَـهجم، وَتَـعدي عَـلىٰ المُسْلمِين، وأَئِمَّة الإِسْلاَم. نَنقُل مِنْ اَفترَائها مَا يَتَسع لهُ المجَال مَع الإِشَارة إِلَىٰ الرَّد قَالَ: «أَنَّ الخِلاَف بَينَنا وَبَيْنَ الشِّيعَة يَبدَأ مِنَ الأُصُول، بَل هُو أَصل الأُصُول».

وَهَذَا اَعترَاف وَإِقرَار صَرِيح مِنْ الكَاتب بِأَنَّه كَافر بـالله، والرَّسُـول، واليَـوْم

(١) اَسم صَاحب الإِمتيَاز الشَّيخ عَبد اللَّطيف آل الشَّـيخ. وَرَئِـيس التَّـحرِير الشَّـيخ صَـالح الحَـيدَان. وَمُديرهَا الشَّيخ عَليّ الصَّالحي. أَعُوذ بالله مِنْ شيُوخ...(مِنْهُ ﷺ).

(٢) اَلأَنفَال: ٢٢.

الآخر، لأَنَّ أُصُول الشِّيعَة وَعَقيدتهُم هِي الإِيمَان بالله، والرَّسُول، واليَوْم الآخر، وهَذِه كُتبهُم الدِّينِيَّة تُعد بِالأُلُوف تُنَادي بِهَذه الحَقِيقَة، وتِلْكَ أَصوَاتهم تُدوي فِي الفَضَاء مِنْ عَلىٰ المَآذن «لاَ إِله إِلاَّ الله، مُحَمَّد رَسُول الله» وَغير عَجِيب وَلاَ غَرِيب أَنْ يَتبرأ الكَاتب مِنْ دِين الإِسْلاَم فَقَدْ كَان أَسلاَفه القَاسطُون يَأمرُون المُسْلمِين بِالبَرَاءة مِنْ دِين عَليّ عليه السلام وَمَا دِينه إِلاَّ دِين ابْن عَمّه مُحَمَّد صلى الله عليه وآله.

إِنَّ الشِّيعَة الإِمَامِيَّة مُسلمُون حَقّاً، فَقَد نَزَّهُوا البَاري سُبْحَانهُ عَن القَبِيح، وَلَمْ يَقُولوا مَا قَالَته بَعْض الطَّوائف الَّتي يَعدهَا الوَهَابيُون فِي طَلِيعَة المُسْلِمِين بِأَنَّ الله لاَ يقبح مِنْهُ شَيء، وأَنَّه يَجُوز فِي حَقّه أَنْ يَدخل الأَنْبيَاء إِلَىٰ النَّار، وَالمُشرِكِين إِلَىٰ الجَنَّة، وأَنَّ طُوله سَبعَة أَشبَار بِشِبر نَفْسه، وأَنَّه مِنْ لحَم، وَدَم، وأَنَّه بَكىٰ عَلىٰ طُوفَان نُوح حَتَّىٰ رَمَدت عَينَاه وَعَادَته المَلاَئكة، وأَنَّه عَلىٰ صُورة شَاب أَمرَد يَركَب حمَاراً فِي كلّ لَيلَة جمُعَة وَيَنزل إِلَىٰ الأَرْض يُنَادي مِنْ فَوق السّطوح: هَل مِنْ تَائِب؟[1].

إِنَّ الشِّيعَة الإِمَامِيَّة مُسلمُون حَقّاً لأَنَّهم لَن يَنسبُوا النَّبيّ إِلَىٰ النَّوم عَن الصَّلاَة وَالسَّهو فِيهَا وَلاَ إِلَىٰ اللَّعب وَاللَّهو، وَالإِستمَاع إِلَىٰ دفُوف الحَبشَة وَالنَّظر إِلَىٰ

(١) قَالَ لِي شَيخ وَهَابي مِنْ السّعُودِيَة: مِنْ أي مَصدر نَقَلت هَذَا؟. وَلمَّا ذَكَرتهُ لهُ قَالَ: أَنَّ المُؤلف، وَإِنْ يَكُن مِنْ السُّنَّة. وَلَكنَّه غَير وَهَابي وَلاَ حَنبَلي. وَنَحنُ لاَ نَعْتَمده. فَاضطَررتُ إِلَىٰ المُرَاجعَة. فَرَأيتُ فِي «رِسَالة العَقِيدَة الوَاسطِيَة» لِابن تَيمِية الَّذي يُقَدسه الوَهَابيُون «فَصل فِي سُنَّة رَسُول الله» جَاء فِيهِ: «يَنْزل رَبنا إِلَىٰ سَمَاء الدُّنْيَا كلّ لَيلَة حِين يَبقىٰ ثُلث اللَّيل الآخر فَيقُول: مَنْ يَدعُوني أَستجب لهُ؟ مَنْ يَسألني أُعطِيه؟ مَنْ يَسْتَغفرني فَأَغفر لهُ؟» ثُمَّ قَالَ ابْن تَيمِية: هَذَا مُتفق عَلَيه... وأَيضاً جَاء فِيهِ: «لاَ تَزَال جَهَنم يُلقىٰ فِيهَا وهِي تَقول: هَل مِن مَزِيد؟ حَتَّىٰ يَضع رَبّ العِزَّة فِيهَا رِجلَه فَتَقول: قَطٌ قَطٌ» وَقَالَ أَيضَا: مُتَفق عَلَيه. (مِنْهُ رحمه الله). أنظر، الفَصل فِي الأَهوَاء وَالمِلل وَالنّحل: ١ / ١٦٧.

رَقصهُم وَمَا إِلَىٰ ذَلِكَ مِنْ الأَبَاطِيل.

وَقَالَ الجَبْهَانِ كَاتب الكُفْرَان وَالعُدوَان:

«أَنَّ الإِسْلاَم الَّذي تَلَبس بِهِ الشِّيعَة لَيس إِلاَّ أَستسلاَماً الصَّهيُونية المَاكرَة».

إِنَّ الشِّيعَة لَمْ يَتَحالفُوا مَع أَنصَار الصَّهيونية ولَمْ يُسلّموا أَرضهُم لمَن أَوجَد إِسرَائِيل وَأَمدهَا بِالمَال، وَالسِّلاح لقَتل المُسلِمين وَتَشريدهُم مِنْ فَلسطِين، وَلَمْ يُعطِ الشِّيعَة بِلاَدهُم لتُقام فِيهَا القوَاعد الحَربية السِّريَة لحمَايَة إِسرَائِيل، ولَمْ يَسيرُوا فِي رِكَاب الَّذِين نَاصرُوا فَرنسَا ضِدّ الجَزَائر، أَنَّ الشِّيعَة الإِمَامِيَّة مُسلمُون حَقًّاً، لأَنَّهم يَصُومُون، وَيُصلُّون، وَلاَ يَزنُون، وأَنَّهُم يَحجُون إِلَىٰ بَيْت الله الحَرَام، وَيُطعمُون الجِيَاع، وَيَكسُون العُرَاة مِنْ رعَايَا السّعُودِيَة حِين يَذهبُون إِلَىٰ الحَجّ تَقَرباً إِلَىٰ الله والرَّسُولﷺ.

وقَالَ كَاتب الضَّلاَل وَالعِضَال:

«إِذَا كُنَّا فِي حَاجَة إِلَىٰ الوحدَة السِّيَاسِية، لنَقضي بِهَا عَلَىٰ الإِستعمَار السِّيَاسي فَهذِه الغَايَة لاَ تُبرر وقُوعنا فِي فِخَاخ الإِسْتعمَار الدِّينِي، وَاتّخَاذ الدِّين وَسِيلَة التَّقرِيب، وَإِزَالة الفوَارق لاَ تَصلح إِلاَّ مَع طَائفَة تَقف مَعنا فِي آمَالهَا وَآلاَمهَا».

أَنَّ الأَمل الوَحِيد لهَذا القَائِل هُو أَنْ تَأمر شَركَة «أَرَامكو» فَتُطاع، وأَنْ تَكُون جَمِيع الطَّوَائف الإِسْلاَمِيَّة فِي شَرق الأَرْض وَغربهَا رَهناً بِإِشَارة هَذِه الشَّركَة الدِّينِيَّة المُقَدسَة الَّتي تَدفع الإِشْتِرَاك أَضعَافاً وَمَنْ لَمْ يَركع لهَا وَيَسجُد فهُو كَافر مَارق مِنْ الإِسْلاَم، وإِذَا لَمْ تَكُن هَذِه إِرَادة الكَاتب وَهَدفه الوَحِيد، فَلِمَاذَا نَسب الشِّيعَة إِلَىٰ الكُفْر وَالمُروق، وَقَدْ حَاربُوا الإِسْتعمَار الإِنجلِيزي فِي العرَاق سَنَة (١٩٢٠م) وَسَقط مِنْهُم أُلُوف القَتلىٰ، وَبِالأَمس القَرِيب وَفِي سَنَة (١٩٥٦م)

بِالذَات وَقفوا صَفّاً وَاحداً يَتظَاهرون ضِدّ المُعتَدِين عَلىٰ بَور سَعِيد، وَتَسَاقَطت مِنْهُم القَتلىٰ بِالعَشرَات فِي النَّجف الأَشرَف وَغيرهَا.

أَنَّ تَارِيخ الشّيعَة قَدِيماً وَحَدِيثاً يَنْطُق بجهَادهِم ضِدّ الظُّلم والطُّغيَان، فَأَدبهُم وَشعرهُم مَشحُون بِالثَّورة عَلىٰ الإِسْتعمَار وَالإِستبدَاد، كَمَا أَوجـبُوا فِـي جَـمِيع كُتبهُم الدِّينِيَّة الفِقْهِية وَالعَقَائِدية جهَاد المُسْتَبدِين وحُكَام الجَور، وَلَمْ يَقولوا مَـا قَالت الحَنَابلة ـ الَّذي يَنْتَمي إِلَيهِم الكَاتب وأَصْحَاب المَجلَّة ـ قَالُوا: «لاَ يَجُوز الخرُوج عَلىٰ الأُمرَاء بِالسَّيف وإِنْ جَارُوا»[1].

وقَالَ مُخَاطباً شَيخ الأَزْهَر:

«فَاَتَّق الله يَا صَاحب الفَضِيلة فِي نَفسك وَفِي العَالَم الإِسْلاَمي... فَإِنَّ الدَّجل لاَ يُحَارب بِالدَّجل، وَالنِّفاق الدِّينِي لاَ يُقضىٰ عَلَيه بِالنِّفَاق السِّيَاسي».

شَيخ الأَزْهَر دَجَّال مُنَافِق!!!... وَلِمَاذَا؟ لِأَنَّه يَدعو لِلوحدَة وَيَـعمل لِـلأُلفَة وَجَمع الشَّمل ليَـقف المُسْـلمُون صَـفَّاً وَاحـداً فِـي وَجْـه القِـوىٰ الإِسْـتعمَاريَة وَالشَّركَات الإِحتكَارية، وَالكَاتب مُـؤْمِن مُـخلص لِإِنَّـه يُـرِيد تَـفتِيت القِـوىٰ وَتَشتِيت المُسْلِمِين ليَخلو الجَو (للمَاكرثِيَة وَالصَّهيُونيَة)، وَالتَّآمـر عَـلىٰ البِـلاَد العَرَبِيَّة؟!..

أَنَّ فَضِيلة شَيخ الأَزْهَر إِذْ يَعمل للتَّقرِيب بَيْنَ القُلوب، وَيُنَاصر تَـدرِيس فِـقْه الشِّيعَة بِالأَزْهَر، لاَ يَفعَل ذَلِكَ مِنْ أَجل الشِّيعَة، وَلاَ للتَّروِيج إِلَىٰ مَذْهَب التَّشيُّع، وَلاَ للدّعَاية للنَّجف، وَلاَ حُبَّاً بِعلمَائها، إِنَّما يَفعل ذَلِكَ مِنْ أَجل الأَزْهَـر نَـفسه،

---

(١) رَاجع كتَاب المَذاهِب الإِسْلاَمِيَّة لأَبي زُهرَة: ١٥٥ الطَّبعَة الأُولىٰ. (مِنْهُ ﷺ).

وَمِنْ أَجل الإِسْلاَم بالذَات، وَمِنْ أَجل المُسْلمِين لاَ غير. لَقَد فَعل شَيخ الأَزْهَر ذَلِكَ بدَافع مِنْ غِيرَته عَلىٰ الدِّين وَإِخلاَصه لأُمّة مُحَمَّدﷺ، وقَالَ الكَاتب مَا قَالَ بدَافع الدُّولاَر، وَبَيع الدِّيَار، وَلَعنة الله عَلىٰ كلّ مُنَافِق مَكَّار.

وقَالَ «إبرَاهِيم» الأَثِيم:

«مِثْل صَادقهُم الكَاذب وَمِنْ لَفَّ لَفّه وَاحتَطب بِحَبله بَل أَنَّ صَادقهُم الكَاذب إِذَا صَحّ عِندنَا كلّ أَو بَعْض مَا يَروون عَنْهُ مِنْ أَسَاطير فهُو مُلحد زِندِيق يَجب لَعْنَه وَمَقْتَه».

أَللَّهُمَّ إِلعَن كلّ مُفترٍ كَذَّاب، وَكلّ مُلحد زَندِيق يَجرأ عَـلىٰ أوليَـائك، وَحُـمَاة دِينك، وَعِترة نَبِّيك، وَإِلعَن شِركَة (أَرامكو، وَالصَّهاينَة، وَالمُستَعمرِين، وَأشيَاعهم، وَأشيَاع أَشيَاعهم، وَأتبَاع أَتبَاعهم، وَمَنْ لَفَّ لفَّهُم، وَاحتَطب بِحَبلِهِم).

وَلاَ بِدع أَنْ يَنْعت هَذَا الأَثِيم الإِمَام الصَّادق الأَمِين بِالكَذب، فَقَد نُعتَ مِنْ قَبل الرَّسُول الأَعْظَمﷺ بِالكَذب مَنْ هُو عَلىٰ دِين الكَاتب وَشَاكلَته. كَانَ النَّبيّ يُنَادي فِي مَكَّة المُكرمَة أَيُّها النَّاس: (قُولوا: لاَ إِله إِلا الله تُـفلحُوا)، فَـيَرشقهُ أَبُـو لهَب بِالحجَارة، ويَقُول: لاَ تُطيعُوه أَنَّه كذَّاب!... وَمَا أَشبَه اللَّيلة بِالبَارحَة وَالصَّـادق بِجدّه الرَّسُول، وَالكَاتب بِأَبي لهَب؟...

وَصَدق الله العَليّ العَـظِيم: ﴿فَـإِن كَـذَّبُوكَ فَـقَدْ كُـذِّبَ رُسُـلٌ مِّـن قَـبْلِكَ جَآءُو بِالْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُـرِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْـمُنِيرِ﴾[1]. وَقَـدْ جَـاء الإِمَـام الصَّـادق بِـالآيَات، وَالبَينَات، وَنَشر الكتَاب المُنِير وَسُنَّة جـدّه البَشِـير النَّـذِير، فَـقَال الجَـاحدُون

(١) آل عِمْرَان: ١٨٤.

المُعَاندُون لله وَكتَابه مَا قَالُوا فِي جدِّه مِنْ قَبل.

قَالَ آبْن حَجر فِي صوَاعقه: «أَنَّ النَّاس نَقلوا عَن الصَّادق مِنْ العُلوم مَا سَارت بِهِ الرُّكبَان، وَآنْتشِر صِيتَه فِي جَمِيع البُلدَان»[1].

وَقَالَ الشَّهرستَاني فِي المِلل وَالنِّحل: «كَان الصَّادق عَلىٰ عِلم غَزِيز فِي الدِّين وَأدب كَامل فِي الحِكمَة وَزُهد فِي الدُّنيَا».

وَسُئل أَبُو حَنِيفة عَن أفقَه النَّاس؟.

فقَال: جَعْفَر بن مُحمَّد.

وَالحَدِيث عَن فَضل الصَّادق، وَعَظمَته، وَعُلومه، وَخدمَته الدِّين وَمَا قِيلَ فِي مَدحه وَالثَّناء عَلَيه لاَ يَبلغ إِلَىٰ نهَاية، وَلاَ تُدركه غَايَة، وَكَفىٰ بذَلك ذَنباً لهُ عِند أَعدَاء الله، ونَبِيّه. إِنَّ عُلوم الصَّادق هِي عُلوم القُرآن، وَمَبادِئه هِي مَبَادىء الإِسْلاَم، فَالتَهجُم عَلَيه تَهجُم عَلىٰ القُرآن، وَتَكذِيبه تَكذِيب للإِسْلاَم.

وَختَم القَائِل الخَامل كَلمَته بِقَوله:

«ليَعلَم حَضرَات العُلمَاء ـ أَي الوَهَابِيين ـ أَنَّهُم لَنْ يَستَطيعُوا حَمل رِسَالة الإِسْلاَم قَبل أَنْ يَبدَأوا بِتَطهِير الأَقرَب فَالأَقرَب إِلَيهِم».

البَاقِيَة مِنْ شِيعَة الحِجَاز، وَالقَطِيف، فَعَلىٰ كُلّ مُسْلم، وَبخَاصَّة عُلمَاء الإِمَامِيَّة، وَبِصُورة أَخصّ المَرَاجع الكِبَار فِي النَّجف وَإِيرَان، أَنْ يَسْتَنكرُوا وَيَحتَجوا بِكُل وَسِيلة وَأُسلُوب عَلىٰ أَصْحَاب المَجلَّة والَّذِين أفسحُوا المجَال لسمُومهَا (الصّهيونية، الإِسْتعمَارية، المَاركسِيَّة، الأَرَامكيَّة) المُتسَترَة بِآسم

(١) أُنظر، الصَّواعق المُحرقَة: ٢٠١ و ٢٠٢، ينَابيع المَودّة: ٣ / ١١١ و ١١٢.

الدّين ، والإسلاَم نِفَاقاً وَدَجلاً .

وَقَدْ كَتَبتُ إِلَىٰ الأَعلاَم الكِبَار فِي النَّجف وَلاَ شَك أَنَّهُم عَرفوا وَفَعلوا مَا يَجب فِعله ، أَمَّا عُلَمَاء جَبل عَامل فَقَد أَرسلُوا إِحتجَاجاً إِلَىٰ المَلك سعُود ، كَمَا احتَّجوا فِي السَّفَارة السّعُودِيَة ببيرُوت وَأَعلنُوا سَخَطهم وَإِستيَاءهم فِي الصُّحف ، وعَلىٰ المَنَابر وَفِي المَحَافل ، وَسيُوَاصلُون الإِستنكَار حَتَّىٰ يَتَأكدُوا أَنَّ المَسؤولين فَقَد ضَربو عَلىٰ أيدي المُعتَدين ، وَأَخذُوا الإِحتيَاطَات لتَلافي مَا لاَ تُحمَد عُقبَاه ، وَالله مَع المُتَقِين .

كتَاب السُّفْيَانِي

صَدَر فِي القَاهِرَة:

صَدَر فِي القَاهِرَة، حَيْث يُوجد الجَامَع الأَزْهَر الَّذي يَضم أَكثَر مِنْ ثَلاَثِين أَلف عَالِم وطَالب دِيني يَدرسُون القُرْآن الكَرِيم وَالسُّنَّة النَّبوِيَّة، ثُمَّ يَنفرُون فِي بِقَاع الأَرْض يَدعُون إِلَىٰ الحَقّ، وَإِعلاَء كَلْمَة الإِسْلاَم، وَإِجتمَاع المُسْلِمين يَداً وَاحدَة عَلَىٰ مَنْ يَكِيد لهُم وَلدِينهم، وَأَوطَانهم، وَيَعْمل جَاهداً للقَضَاء عَلَىٰ وِحدَتهم وَتمَاسكهم، ليَستَسلمُوا لسُلطَانه، وَيَستَكينُوا لجَبرُوته.

صَدر فِي القَاهِرَة، حَيْث الجَامعَة العَرَبِيَّة الَّتي أَقَامت نَفْسهَا حَارسَاً عَلَىٰ العَرب وَبِلاَد العَرب، وَعَاملاً عَلَىٰ أَنْ يَنْتَفع كلّ عَربِي بمَا عِند أَخِيه العَربي مِنْ قِوىٰ رُوحِية وَمَاديَة.

صَدر فِي القَاهِرَة، حَيْث تَجْتَمع الشُّعوب الآسيوِية وَالإِفرِيقِية بَيْنَ الحِين وَالحِين ضِدّ المَوَاقع العَسكرِية، وَالأَحلاَف العُدوَانِية، وَضِدّ التَّفرقَة العُنصرِيَة، وَالتَّعصبَات الطَّائفِية، وَبالتَالي، ضِدّ أَي مَوْقِف يُضعِف الإِنتفَاضَات التَّحرُرِيَة، وَالثَّورَات الوَطنيَة.

صَدَر فِي القَاهِرَة، كتَاب «أَبُو سُفيَان شَيخ الأُمَوِيين» لكَاتبهُ مُحَمَّد السِّبَاعي الحَفنَاوي، أَمَّا تَارِيخ صدُوره سَنَة (١٩٥٩م)، أَي بَعْد إحتلاَل فَلسطِين، وَبَعْد الإِعتدَاء عَلىٰ (بَور سَعيد)، وَفِي أَثنَاء ثَورة الجزَائر الإِسْلاَمِيَّة العَرَبيَّة الإِنْسَانِيَّة.

هَدَف الكَاتِب:

لَمْ يَكْتَف المُسْتَعمِر بِنَهب الأَموَال، وَالأَرزَاق، وَامتصَاص الدِّمَاء، وَاحتكَار الأَسوَاق، وَقَتل الإِحسَاس بِالقَومِيَة، وَالإِعتزَاز بِالوَطنيَة، فَلقَد تجَاوز هَذَا كلّه إِلىٰ الطَّعن بِأَعْظَم مُقدسَاتنَا، إِلىٰ الطَّعن فِي دِيننَا وَعقَائِدنا، وَتَزِييف تأَرِيخنَا وَثَقَافتنا؛ وَسَلك لهَذِه الغَايَة سُبلاً لاَ يَهْتَدي إِليهَا إِلاَّ مِنْ تَخَصَّص للدَّس وَالتَّآمر، وَأَمضَىٰ فِي تَلقِين هَذَا الدَّس، وَالتَّمرِين عَلَيه سَنوَات وَسَنوَات...

لَقَد اهتَّم المُسْتَعمِر بِهَدم الإِسْلاَم وَتَأَرِيخه أَكثَر مِنْ اهتمَامه بِأَي شَيء آخر، ذَلِكَ أَنَّ الإِسْلاَم بقُرآنه، ونَبِيّه، وَأَئِمَّته، وَعُظمَائه الدِّرع المَتِين، وَالحِصن الحَصِين مِنْ العُدوَان عَلىٰ استقلاَل المُسْلِمين وَحرّيتهِم وَكرَامتهِم، وأَوَّل طَرِيق استَعْمَله المُسْتَعمر تَوصلاً لهَذا الهَدف هُو طَرِيق المُسْتَشرقِين، خَصصَّ لهُم الأَموَال، وَأَرسلهُم إِلىٰ الشَّرق بِحُجَّة زَائِفَة، وَتَموِيه كَاذب، وَهُو دِرَاسة اللُّغَة العَرَبيَّة، وتَحْقِيق التَّأرِيخ، وَنَشر الثَّقَافة... أَمَّا الوَاقع فهُو الطَّعن عَلىٰ الإِسْلاَم وَتَشهوِيهه، وَتَشتِيت أَهلهِ بِإِثَارة النَّعرَات، وَتَدبِير المُؤَامرَات.

وَأَدىٰ المُسْتَشرِقُون هَذِه المُهمّة بِإِخلاَص، وَنَشرُوا كُتباً بِالمِئَات، تَكلمُوا فِيهَا عَن القُرآن، وَفَسروا آيَاته بِقَصد «التَّحقِيق العِلمي وَالبَحث النَّزِيه...» وَتَعرضُوا لكلّ شَيء فِيهِ، حَتَّىٰ عَن فوَاتح السُّور، وَقَالُوا: «أَنَّ أَوائِل السُّور مِثْل «الٓمٓ»

وَنَحوهَا دَخِيلة عَلىٰ القُرآن، وضعَت للإِشَارة إِلَىٰ أَسْمَاء بَعْض الصَّحَابَة الَّـذِين كَان عِندَهُم نُسخ مِنْ القُرآن، فَالمِيم مِنْ «الٓمٓ» إِشَارَة إِلَىٰ المُغِيرَة بـن شُـعبَة، وَالسِّين مِنْ «طسٓمٓ» إِشَارة إِلَىٰ سَعد بن وَقاصّ، وَالهَاء مِنْ «كٓـهيعٓصٓ» إِشَارة إِلَىٰ أَبي هُرَيرَة، وَنُون مِنْ سُورَة «نٓ» إِشَارة إِلَىٰ عُثمَان بن عفَّان، وَهَكذَا.

وَقَالُوا ـ أَي المُسْتَشرقُون ـ: أَنَّ مُحَمَّداً كَان يُكرِه النَّاس عَلىٰ الإِسْلاَم بدَلِيل مَا جَاء فِي سُورَة يُونُس: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّـاسَ حَـتَّىٰ يَكُـونُواْ مُـؤْمِنِينَ﴾[1]، وأنَّـه اغْتَصب زَوّجَة مَولاَه زَيد، وأنَّـه كَـان ضَـالاً، لقَـوله تَـعَالىٰ: ﴿وَوَجَـدَكَ ضَـآلاًّ فَهَدَىٰ﴾[2] حَيْث فَسرُوا «ضَآلاًّ» بِالضَّلاَلة لاَ بِالحَيرَة، وَمَا إِلَىٰ ذَٰلِكَ مِنْ التَّحرِيف وَالتَّزيِيف الَّذي مَلأوا بِهِ كُتبِهِم وَنَشرَاتهِم.

فَيَا للسُّخريَات وَالمُضحكَات... غَرِيب عَن الدِّين وَاللُّـغة، وَعَـدوّ الإِسْـلاَم ونَبِيّه، وَجَاهل سَخِيف مَغرُور يُحَقق لنَـا دِيـننَا، وَيُـفهمنَا مُـقدَسَاتنا، وَيُـعرّفنَا بِتَأرِيخنا، وَيُرشدنا إِلَىٰ ثقَافتنا... إِذَن، فَأَين الصَّحَابَة، والتَّابعُون، وَأَين الفُقهَاء، وَالمُؤرخُون؟! وَأَين الفَلاَسِفة، وَالمُتكلمُون؟!.

وَتَمَادىٰ المُسْتَشرقُون فِي غَيّهِم، حَتَّىٰ ادَّعوا أَنَّ مُـحَمَّداً أَخَـذ تَـعَالِيمه مِـنْ اليَهُود وَالنَّصارىٰ، وأَنَّه سَاير المُشرِكِين فِي عبَادة الأَوثَان بَعْد أَنْ أَصبَح نَـبِّياً... وأَنَّه فِي أَوَّل أَمره، وَحِين كَان مُسْتَضعفاً قَالَ: أَنَّ الإِسْلاَم دِين الرَّحمَة، وأنَّـه لاَ يَسْتَعمل القوّة وَالعُنف، حَتَّىٰ إِذَا إِلتَف حَوله المُهَاجرُون والأَنْصَار، وَرَأىٰ مَا لهُ مِنْ القوّة وَالإِقتدَار تَرَأس حكُومة سِيَاسِية وَنَسي نُبوَّته وَدَعوَته الأُولىٰ، وَشَرع يَقْتل

(١) نَشرتُ فِي العِرفَان عَدَد كَانُون الأَوَّل سَنَة (١٩٥٩م) مقَالاً مُفصلاً فِي هَذَا المَوضُوع. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) اَلضُّحىٰ: ٧.

الرِّجَال، وَيَبْتَز الأَموَال، إِلَىٰ غير ذَلِكَ مِنْ الإِفْتِرَاءَات وَالدَّسَائس.

وَلَكن الإِسْلاَم ونَبيّه الصَّادق الأَمِين أَعظَم وأَقوَىٰ مِنْ أَنْ يَأتيهِ البَاطِل مِنْ المُسْتَشرقِين وَالمُسْتَعمرِين، بَل وَلاَ مِنْ الإِنْس وَالجِن أَجمعِين، وَلَو كَان بَعْضهُم لبَعض ظَهيراً، كَيف؟! وَهَل يُطفأ نُور الله بِالأَفوَاه؟!.

الإستعمار والحفناوي:

اَفْتَضح المُسْتَشرقُون، وَعَلم بِكـذْبهم وَتآمـرهم الكَـبِير والصَّـغير، وَبَـحث الإِسْتعمَار عَن عَمِيل جَدِيد، يَحْمل فِي الظَّاهر هَوية إِسلاَميّة عَربيّة، وَيَبِيع دِيْنه وَقَومه للشَّيطان؛ مَتىٰ دُفع الثَّمن، فَوجد الحَفْنَاوي فطَار بِهِ فَرحَاً، وَأَوكَـل إِلَـيهِ مُهمَة الدَّس عَلىٰ الإِسْلاَم، وَالنَّيل مِنْ عُظمَاء المُسْلمِين، وَرَسم لهُ الخُطوط الَّتي بَرَزت وَاضحَة جَليّة فِي كتَابهِ «أَبُو سُـفْيَان شَـيخ الأُمَـويين» وَتَـتلَخص هَـذِهِ الخُطُوط بِمَا يَلي:

أَوَّلاً: النَّيل مِنْ أَمِير المُؤْمِنِين عَليّ بن أَبي طَالب عليه السلام؛ لأَنَّه أَوَّل مَنْ لَبّىٰ دَعـوَة الإِسْلاَم وَالجِهَاد، وَأَبلىٰ البَلاَء الحَسن فِي نُصرته، فَقَد رَافق مُحَمَّداً مُـنذ اليَـوْم الأَوَّل، وَنَاضل بحُسَامه وَبَيَانه مُنذ اللَّحظة الأُولىٰ مِنْ نُزول الوَحي، بَات عَـلىٰ فِرَاش النَّبيّ صلى الله عليه وآله يَقِيه بِنَفْسه، وَلَولاَ مَوقفه فِي بَدْر لكَان الإِسْلاَم أَثراً بَعْد عَيْن، وَيَوْم أُحد فرّ كبَار الصَّحَابَة، وَصَمد عَليّ كَالطَود الشَّامخ، يَصد الكتَائب عَن رَسُول الله تُلو الكتَائب، ويَوْم الأَحزَاب ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾[1]. خَوفاً مِنْ اَبْن وَدّ إِلاَّ

---

(١) الأَحزَاب: ١٠.

قَلب عَليّ ، كَان أَصْلَب مِنْ الحَدِيد وَالفُولاَذ ، وكَان مِنْ ضَربَته لعَمرُو وَالَّتِي وَصَفها النَّبيّ بِأَنَّها تُعَادل عَمَل الثَّقلِين مَا كَان ، وَهَرب بِالرَّايـة يَـوْم خَـيبَر مَـنْ هَـرَب ، وَأَعطَاها الرَّسُول الأَمِين لِعَليّ الَّذي يُحبّ الله وَرَسُوله ، وَيُحبّه الله وَرَسُوله ، وكَان الفَتح وَالنَّصر لله وَللمُسْلِمِين عَلىٰ يَد أَبي الحَسنَين.

عَليّ الَّذي قَاتل المُشرِكِين ، وَالنَّاكثِين ، وَالقَاسطِين ، وَالمَارقِين ، عَليّ الَّـذي قَاتل عَلىٰ تَنزِيل القُرْآن وَتَأْوِيله ، حَتَّىٰ قَالَ عَنْهُ النَّبيّ الصَّـادق الأَمِـين : « أَنَّـه الإِيمَان كلّه » . يَقُول عَنْهُ الحَفْنَاوي السُّفْيَانِي : « لَيْس لهُ كَبِير حَظ فِي الجِهَاد ، لأَنَّ الجِهَاد الصَّحِيح مَا كَان فِي الرَّأي وَاللِّسَان ، أَمَّا جهَاد عَليّ فَلَيس بِشَيء بِالقيَاس إِلَىٰ لسَان عُمَر ورَأي أَبي بَكْر ـ »[1].

أَرأَيت إِلَىٰ هَذَا المَنْطق الَّذي يُكَذب نَـفْسه بِـنَفْسه ؟ ! ... الأَقـوَال خَـير مِـنْ الأَفعَال ، وَالفِرَار مِنْ الزَّحف وَتَرك القتَال بَيْنَ الرَّسُول أَفضَل بِكَثِير مِنْ التَّضحِيَة بِالأَروَاح مِنْ أَجل الدِّين وَإِعلاَء كَلمته ، وَالجُبن أَعظم مِنْ الشَّـجَاعَة ، وَالبُـخل أَحسن مِنْ الجُود ....

وَلنَفترِض أَنَّ هَذَا صَحِيح ، كَمَا يَقُول السُّفْيَانِي ، فَمَاذَا يُجِيب عَن هَذَا السُّؤال : إِذَا تَجمَع المُشرِكُون عَلىٰ قَتل الرَّسُول بَعْدتهم وَعَددهِم ، كَمَا فَعلوا ذٰلِكَ بقيَادة أَبي سُفْيَان يَوْم بَدْر ، وَأُحد ، والأَحزَاب ، وَصَممُوا عَلىٰ قَتْله بِالسُّيوف وَالرِّمَاح ، فَهل يَـصدهُم عَـنْهُ كَـلاَم أَحَـد ، أَو تَـفْكِير أَحَـد ، أَو يَـصدهُم سَـيف عَـليّ وَبَأْسـه شَجَاعَته ؟ ! ... هَل يَنْتَصر الإِسْلاَم بِالجلُوس فِي العَـرِيش وَالحَـرب بِـالأَفكَار

---

(١) أنظر ، أَبُو سُفْيَان شَيخ الأُمَويِين ، لمُحَمَّد السَّبَاعِي الحَفْنَاوي : ١٩٠ ، سَنَة (١٩٥٩م) . (مِنْهُ ﷺ) .

وَالمنظَار، أَو بِالثَّبات فِي جَبْهَة القتَال، وَجَندَلة الفُرسَان وَالأَبطَال ؟ !... وَهَل كَان مُحَمَّد نَاقص التَّفكِير وَالتَّدبِير، حَتَّىٰ يَسْتَعِين بِغَيره ؟ !...

وَمَا كَانَتْ هَذِه البَدِيهَة لتُخفىٰ عَلىٰ الحَفْنَاوي وَأَمثَاله لَولاَ دَعوَة النَّبيّ عَلَيه وعَلىٰ أَمثَاله بِالخُذلاَن يَوْم سَأَل رَبّه قَائِلاً عَن عَليّ: « أَللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَه، وَعَادِ مَنْ عَادَاه، وَأَحببْ مَنْ أَحبّه، وَٱبْغض مَنْ بَغضه، وَٱنْصُر مَنْ نَصَره، وَٱخذُل مَنْ خَذَله، »[1]. وَلَو كَان مُجَرّد الكَلاَم وَالرَأي يُجدي لمَا ذَهَبت فَلسطِين، وَلمَا تَأَخر المُسْلمُون وَالعَرب إِلَىٰ الوَرَاء مِئَات السِّنين عَلىٰ الرَّغم مِنْ وجُود الحَفْنَاوي وَأَضرَابه بَيْنَهُم.

ثَانِيَاً: أَوكَل الإِسْتعمَار إِلَىٰ الحَفْنَاوي الطَّعن فِي المَصَادر الإِسْلاَمِيَّة، بِخَاصَّة التَّأَرِيخيَة، وَبِصُورة أَخصّ القَدِيمَة مِنْهَا، لأَنَّهَا أَصح المَصَادر وَأَوثقهَا فِي مَعرِفَة لحَقَائق، وَوَاقع الإِسْلاَم، وَالتَّعرِيف برجَالاَت المُسْلِمِين الَّذِين بسِيرَتهم وَٱنْتشَار مَبَادئهم وَتَعالِيمهم تَنْتَصر الإِنْسَانِيَّة، وَتَتَحرر الشُّعوب مِنْ العُبودِية، وَلاَ يَبقىٰ لمُسْتَعمر وَمُسْتَثمر حَول وَلاَ قوّة، وَقَدْ أَستجَاب الحَفْنَاوي لنِدَاء الإِسْتعمَار وَطَبّقه تَمَاماً كَمَا شَاء، قَالَ آخر فِي الصَّفحَة الثَّامنة مَا نَصّه بِالحَرف: « فَمُعظَم المَصَادر قَدِيمهَا وَحَدِيثهَا لَيْسَت فِي حَقِيقَة الأَمْر مِنْ التَّأَرِيخ الصَّحِيح فِي شَيء » وقَالَ فِي الصَّفحَة العَاشرَة: « مُعْظم المُؤرخِين القُدَامىٰ الَّذِين تَنَاوَلوا تَأْرِيخ العَرب ٱنْسَاقوا وَرَاء الأَسَاطير الَّتي لَيْس لهَا سَنَد مِن الوَاقع »... أَنَّ المُؤرخِين القُدَامىٰ ليسُوا بِشَيء عِند الحَفْنَاوي، لأَنَّهم قَرِيبُو عَهْد بصَدر الإِسْلاَم وَعلاَقتهُم بِهِ

---

(١) أنظر، تَقَدّم إِسْتخرَاج ذَلك.

مَتينَة وَقوّية؛ وَلأنّهم سَمعوا مِمَّن شَاهد وَرَأىٰ؛ ولأنَّ الإِسْلاَم مَا زَال حيّاً فِي نفُوسهِم، أَجل، أَنَّ المُؤرخِين القُدَامىٰ وَالجُدد إذَا طَعنُوا فِي أَهْل البَيْت فَهُم صَادقُون وَمَا عَدا ذَٰلِكَ فهُم كَاذبُون.

وإِذَا لَمْ نَعْتَمد عَلىٰ المَصَادر الإِسْلاَمِيَّة قَدِيمهَا وَحَدِيثها فَلا يَبقىٰ للإِسْلاَم والمُسْلِمين شَيء، وهَذِه هِي أُمنيَة الإِسْتعمَار الَّذي يُحَاول القَضَاء عَلىٰ كلّ أَثَر إِسلاَمي. وَلَكن هُنَالك مَصدر آخر يَعْتَمده الحَفْنَاوي وَيَركن إِلَيه، وَيَستَمد مِنْهُ أَحكَامه عَلىٰ الطَّيبين الأَخيَار. وَهَذَا المَصدر هُو أَقوَال المُسْتَشرقِين أَعدَاء الوَطن وَالدِّين، فَطَالما أَسْتَشهَد الحَفْنَاوي بكَلاَمِهم، وَأَستَدل بِآرَائهم، وَبخَاصَّة المُسْتَشرق الأَلمَاني (كَارل بروكلّمان) الَّذي يَعْتَمد عَلَيه الحَفْنَاوي أَكثَر مِنْ غَيْرَه، وَكَثِيراً مَا يَنْقل كلاَمه بِلَفظه. وَلنَقْرُن الدَّعوىٰ بِالدَّلِيل نَنْقل بَعْض الشَّواهد مِنْ عبَارَات هَذَا المُسْتَشرق.

قَالَ: «وَالوَاقع أَنَّ الأُمَّة الإِسْلاَمِيَّة قَدْ سَعت إِلَىٰ أَنْ تُحِيط النَّبيّ بِهَالة مِنْ التَّمجِيد.. وَلسنَا نَملك بَيِّنة مَوثُوق بِهَا عَن حَيَاة النَّبيّ الأُولىٰ إِلاَّ هَذِه الآيَة القُرآنيَة: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾[1] لَمْ يَجد سِوىٰ هَذِه الآيَة، لأَنَّ فِيهَا «ضَالًّا» وَلَولاَ لفظَة «ضَالًّا» لَمْ يَجد شَيئاً عَلىٰ الإِطلاَق»[2]...

وَقَالَ: «وَكَان النَّبيّ مُولعاً فِي حَدِيثه المَجَازي بِالصُّور وَالإِستعَارَات التِّجَاريَة»[3] أَي أَنَّ النَّبيّ كَانَتْ لهُ عَقلِية تجَارِية تَماماً كعَقلية (روكفَار وَفُورد)...

(١) الضحىٰ: ٦ ـ ٧.
(٢) أنظر، تَأرِيخ الشُّعوب الإِسْلاَمِيَّة: ١ / ٣٥ الطَّبعَة الثَّالثَة. (مِنْهُ ﷺ).
(٣) أنظر، تَأرِيخ الشُّعوب الإِسْلاَمِيَّة: ١ / ٣٦ الطَّبعَة الثَّالثَة. (مِنْهُ ﷺ).

وقَالَ: «وَتَذهب الرّوَايات إِلَىٰ أَنَّه اتصَل بِبَعض اليَهُود وَالنَّصارىٰ»[١].

وقَالَ: «كَان يُمَارس الدُّعَاء وَالصَّلوات اللَّيليّة عَلىٰ منوَال الزُّهاد النَّصارىٰ. وَلَيس مِنْ شَك أَنَّ مَعرفته بمَادة الكِتَاب المُقدّس كَانَتْ سَطحِيّة إِلَىٰ أَبعَد الحدُود وَحَافلة بِالأَخطَاء، وَقَدْ يَكُون مَديناً بِبَعض هَذِه الأَخطَاء للأَسَاطِير اليَهودِيّة... وَلَكنَّه مَدِين بِذلك أَكثَر للمُعَلمين المَسِيحِيين الَّذِين عَرَّفُوه بِإِنجِيل الطّفُولة، وَبحَدِيث أَهْل الكَهف، وَالاسْكَندر وغَيْرَه مِنْ المَوضُوعَات»[٢].

هَذَا المُسْتَشرق الَّذي قَالَ عَن النَّبيّ أَنَّ مَعرفته بِالأَخطَاء، وإِنَّه أَخَذ القُرآن عَن النَّصارىٰ مِنْ سُورة الكَهف إِلَىٰ حَدِيث الاسْكندَر، إِلَىٰ غَيْرَه مِنْ المَوضُوعات، كلّها أَخذَها مُحَمَّد عَن النَّصارىٰ.

هَذَا المُسْتَشرق هُو الحُجَّة الكُبرىٰ عِند الحَفْنَاوي السُّفْيَانِي، أَمَّا المَصَادر الإِسْلاَمِيَّة فَهي أَسَاطِير وَأَسَاطِير، وَلَيست مِنْ التَّأرِيخ الصَّحِيح فِي شَيء!.

وقَالَ المُسْتَشرق (بُروكُلْمان) المَصدَر الأَوَّل وَالأَخِير لِلحَفْنَاوِي، قَالَ: «وَلَكن مُحَمَّداً عَلىٰ مَا يَظْهر اعتَرف فِي السَّنوَات الأُولىٰ مِنْ بعْثته بِآلهَة الكَعبَة الثّلاَث»[٣]... مُحَمَّد يَعْتَرف بِاللاّت، وَالعُزىٰ، وَمُنَاة، وَيَأخذ مِنْ النَّصارىٰ القُرآن!. إِذَن فَمَاذَا بَقِي لنَا نَحنُ المُسْلِمِين!... وَمَع ذَلِكَ كلّه (فبروكُلْمان) هُو المَصدر المَوثُوق عِند الحَفْنَاوي دُون غَيْرَه، وَلِمَاذَا؟! لأَنَّ الإِسْتعمَار هَكَذَا يُرِيد، وَلاَ رَادَّ لمَا أَرَاد عِند الحَفْنَاوي السُّفْيَانِي...

(١) أُنظر، تَأرِيخ الشُّعوب الإِسْلاَمِيّة: ١ / ٣٦ الطّبعَة الثَّالثَة. (مِنْهُ).

(٢) أُنظر، تَأرِيخ الشُّعوب الإِسْلاَمِيّة: ١ / ٤٣ الطّبعَة الثَّالثَة. (مِنْهُ).

(٣) أُنظر، تَأرِيخ الشُّعوب الإِسْلاَمِيّة: ١ / ٣٧ الطّبعَة الثَّالثَة. (مِنْهُ).

ثَالِثاً: أوكَل الإستعمَار إِلَىٰ الحفْنَاوي السُّفْيَانِي أَنْ يُمَجد، وَيُـروج للإِلحَـاد، وَالفجُور، وَالمَظالم، وَالشُّرور عَلَىٰ أَنْ يَكُون هَذَا التَّمجِيد والتَّروِيج مُغَلفاً بِتَمجِيد الأُمَويين الَّذِين يَتَجسد فِيهم الكُفْر، وَالزَّنـدَقة، وَالفَسَـاد، وَالحِـقد، وَالحَسـد، وَالضَّغِينَة، وَالشَّهوَة، وَالكِذب، وَالرِّيَاء، والإِفْترَاء، وَمَا إِلَىٰ ذَلِكَ مِـنْ الرَّذائـل، وَالجرَائم، والمَآثم الَّتي وَرَثها الأُمويُون صَاغراً عَن صَاغر، وَفَاجراً عَن فَـاجر، وَنَذلاً عَن نَذل، وَزَنِيماً عَن زَنِيم، آقْرَأْ كتَاب «النّزاع وَالتَّخاصم» حَيث وَرَد فِيهِ:

«صَنَع أُمَيَّة في الجَاهليَة شَيئاً لَم يَصْنَعه أَحد مِن العَرَب: زَوّج ٱبْنَه أَبَا عَمْرو آبن أُمَيَّة آمرَأته فِي حَيَاته مِنْهُ، وَالمَقتيُون فِي الإِسلاَم هُم الَّـذِين أولَـدوا نِسَـاء آبَائِهم وَآستَنْكحُوهنَّ مِن بَعد مَوتِهم، وَأَمَّا أَنْ يَتزوّجهَا فِي حَيَاته وَيَـبني عَـلَيها وهُو يَرَاه، فَإِنَّ هَذَا لَم يَكُن قَطّ.

وَأُميَّة قَد جَاوز هَذَا المَعنىٰ وهُو لَم يَرض بِهَذا المُـقدَار حَـتَّىٰ نَـزَل عَـنْها لهُ وَزوَّجها مِنْهُ»[1]، وَآقْرَأْ «أَبُو الشُّهدَاء» للعَقَاد وَالجزْء الرَّابع مِنْ كتَاب «الإِمَام عَليّ صَوت العَدَالة الإِنْسَانِيَّة» لجُورج جُرداق، وَآقْـرَأْ «النَّـصَائح الكَـافيَة»، وَآرجَع إِلَىٰ كتَابنا «المَجَالس الحُسَيْنِية» وإِلَىٰ مَا كَتبنَاه فِي هَذَا الكِتَاب بـعُنوَان «الشِّيعَة وَمُعَاوِيَة» وَ«صُلح الحَسن، وَآسْتشهَاد الحُسَيْن» وإِلَىٰ كتَاب «الصِّراع بيْنَ الأُمَويين وَمَبادىء الإِسْلاَم» لنُوري جَعْفَر، وَغَير هَذِه مِـنْ كُـتب التَّأرِيـخ وَالسِّير.

(١) آقْرَأْ كتَاب النّزاع وَالتَّخاصم فِيمَا بَيْنَ أُميَّة وَبَني هَاشم، المَقرِيزي: ٢٢. (مِنْهُ ﷺ). و: ٥٠، بِتَحقِيق عَلي عَاشُور، وَشَرح نَهج البَلاَغة لِابْن أَبي الحَدِيد: ١٥ / ٢٠٧.

مَنْ يُصَدق؟!

أوكَل الإستعمَار إلَىٰ الحفْناوي السُّفْيَانِي، بِالمُهمَات الثَلاَث الَّتي أَشرنَا إلَيهَا فَٱمْتَثل وَأَطَاع، وَأَخرَج كتَاب السَّيئَات وَالنَّزوَات، وَلَكن لاأَحَد يُصَدق لَو حَدَّث بمَا جَاء فِي هَذَا الكِتَاب الَّذي يَحْمل صَاحبهُ أَسم «مُحَمَّد».

وَمَنْ يُصَدق أَنَّ فِي القَاهِرَة مَنْ يَقُول: أَنَّ أَبا سُفيَان كَبِير وَعَظِيم، لإِنَّـه قَـاوَم دَعوَة الإِسْلاَم والقُرْآن، وأَنَّ لهُ مَفَاخر وفَضَائِل لاَ يُحصىٰ عَدِيدَها:

مِنْهَا: أَنَّه قَاد جَيش الشِّرك لحَرب الرَّسُول فِي أُحد والأَحزَاب.

وَمِنْهَا: أَنَّه كَان فِي العِير يَـوْم بَـدْر، وكَـان لهُ ولدَان يُـقَاتلاَن النَّـبيّ، فَـقُتل أَحَدهُما، وَأُسر الآخر.

وَمِنْهَا: أَنَّه مِنْ المُؤلفَة قلُوبهم، وإِنْ كَان فِيهِ مِنْ عَيب فهُو أَنَّه لَمْ يَعْرف كَـيف يَسْتَغل أَنْتصَاره عَلىٰ المُسْلمِين يَوْم أُحد!.

مَنْ يُصدق أَنَّ فِي القَاهِرَة مَنْ يَقُول: أَنَّ النَّبيّ كَان يُفضل مُعَاوِيَة عَلىٰ أَبي بَكْر، وَعُمَر فِي المَشُورة، وأَنَّه أَمرهُما بِالرّجُوع إِلَيه... بَل أَمرهُما... وَأَمر المُسْلمِين جَميعاً أَنْ يَحمّلوا مُعَاوِيَة أَمرهُم، أَي أَنْ يَعقدُوا لهُ البَيْعَة عَلَيهِم مِنْ بَعْد الرَّسُول، لأَنَّه قَوي أَمِين!...

مَنْ يُصَدق أَنَّ فِي القَاهِرَة مَنْ يَقُول: أَنَّ هِنداً الَّتي كَانَتْ تُحرّض عَلىٰ النَّـبيّ، وَأَكَلت كَبد عَمّه الحَمْزَة كَانَتْ فِي الجَاهلِية عَظِيمة الخَطر وَفِي الإِسْلاَم كَـرِيمَة الخَير[1]؛ لأَنَّ أَبَاها وَأَخَاها قُتلا فِي جَيش الشِّرك الَّذي حَارب الله وَالرَّسُول يَوْم

(١) فِي كتَاب (مثَالب بَني أُمَيّة) لإِسمَاعيل بن عَليّ الحَنَفِي أَنَّ مُسَافر بن عُمَر جَامَع هِنداً سِفَاحاً فَحَملَت ↔

بَذْر !...

مَنْ يُصَدق أَنَّ فِي القَاهِرَة مَنْ يَقُول: أَنَّ الحَجَّاج بن يُوسف الثَّقفي هُو التَّقي العَادل، وَالمُصلح الكَامِل، وأَنَّ عَليّ بن أَبي طَالب لَيس أَهلاً للخِلاَفة، لأَنَّ أَبَا مُوسىٰ الأَشعري نَزَعه مِنْهَا، وأَنَّه السَّبَب فِي قَتل عَشرَات الآلاَف مِنْ الصَّحَابَة والمُسْلِمِين، وأَنَّه لَمْ يَقتُل كَافِراً وَاحداً[1]، وأَنَّه خَرَج عَلىٰ أَمِير المُؤْمِنِين مُعَاوِيَة الَّذي كَان عَالِمَاً زَاهِداً كعُمر بن الخَطَّاب، وأَنَّ وَلَده الحُسَيْن يَسْتَحق القَتل؛ لأَنَّه مُشَاغب، خَائن، مُجرم خَرج عَلىٰ الزَّاهد العَابد أَمِير المُؤْمِنِين يَزِيد، وأَنَّ مَا فَعَله يَزِيد مِنْ وَقعَة الحَرَّة، وَإِحرَاق الكَعبَة كَان مِنْ صَالح الأَعْمَال وَأَفضلهَا، وأَنَّ الوَاجب يُحَتم عَلَيه أَنْ يَفْعل أَكثَر مِمَّا فَعل، وَلَكنَّه اقتَصر عَلىٰ مَا كَان، لأَنَّه كَرِيم حَلِيم...

أَجَل، أَنَّ أَحَداً لاَ يُصَدق أَنَّ فِي القَاهِرَة، وهِي حَامِيَة للإِسْلاَم، وَعَاصِمَة المُسْلِمِين؛ مَنْ يَقُول هَذَا الكُفْر، وَالإِلحَاد، ثُمَّ يَبقىٰ حَيَّاً لحظَة وَاحدَة !... وَلَكن هَذَا مَا حَدَث بِالفِعل، فَقَد نَطَق الحَفْنَاوي السُّفْيَانِي بِهَذا كلّه، وَكَتَب وَنَشر.

ولَيس مِنْ غَرضنا الرَّد عَلَيه، كَلاَّ، وَأَلف كلاَّ، وَمَنْ يَرد عَلىٰ مَنْ يُسَمي الأَشيَاء بِأَضدَادهَا، ويَقُول رَاداً عَلىٰ الله والرَّسُول بِأَنَّ زِيَاد بن سُمَيَّة هُو ابْن أَبي سُفْيَان

مِنْهُ، وَفِي أَثنَاء حَملهَا تَزوَجها أَبُو سُفْيَان فَوَلدت مُعَاوِيَة بَعْد ثَلاَثة أَشهُر مِنْ تَأرِيخ الزَّواج. وَفِي كتَاب (ذَخِيرَة الدَّارِين) نَقلاً عَن كتَاب الأَبرَار للزَّمَخشري أَنَّ مُعَاوِيَة يُنسَب إِلَىٰ أَربعَة: عُمَر بن مُسَافر، وَعُمَارة بن الوَليد، والعَبَّاس بن عَبدالمطلب، وورَجُل أَسوَد يُدعىٰ الصَّباح. (مِنْهُ ﷺ).

(١) قَالَ الحَفْنَاوي هَذَا فِي: ١٤٣، وقَالَ قَبل ذَلِكَ فِي: ٧٠: أَنَّ عَليّاً قَتل عَمْرُو بن وَدّ يَوْم الخَنْدَق، وَقَدْ وَصَف الله الكَافِرِين: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ الحَجّ: ٤٦. (مِنْهُ ﷺ).

حَقّاً وَصِدقاً، ولغُة وَشَرعاً، ويقُول عَن المُجرم: أنّه الصَّالح المُصلح، وَعَن المُؤمِنْ: أنّه الكَافر الفَاجر، وَعَن العَادل: أنّه الظَّالم الآثِم؟!.. وَإنّما غَرضنَا أنْ نُبين أنّه يُوجد بَيْنَ المُسْلمِين مَنْ يَحْمل هَوية الإسْلاَم وَالعُرُوبة، ثُمَّ يَأسَف وَيَتلَهف، وَيَتمنىٰ لو أنَّ أَبا سُفيَان أنْتَصر عَلىٰ مُحمَّد، وَفعل بهِ، وَبِأهله، وَعِيَاله مَا فَعَله حَفِيده يَزيد بالحُسَيْن سِبط الرَّسُول، وَعيَاله يَوْم الطَّف، ومَع هَذَا، وَبِرُغم هَذَا لَمْ يَعْتَرض أَحَد مِنْ شيُوخ الأَزْهَر، وَحمَلة الأَقلاَم، أَو أَي إِنْسَان يَقُول: «لاَ إِله إِلاَّ الله مُحمَّد رَسُول الله»، بَل عَلىٰ العَكس لَقَد قرَّظه، وَأثنَىٰ عَلَيه شيُوخ يَدرسُون بكُليَات الأَزْهَر!.

أنَّ مَنْ يَقرأ كتَاب السُّفيَانِي الَّذي قرَّظه بَعْض شيُوخ الأَزْهَر وَأسَاتذة أُصُول الدِّين فِيهِ يَخرج بِحَقِيقة وَاحدَة، وهِي أَنَّه لاَ هَدَف لِلحَفْنَاوِي وَالغربَان الَّذِين أَيدُوه إِلاَّ الطَّعن بِالإِسْلاَم وَمُقدسَات الإِسْلاَم، وإِلاَّ التَّروِيج للكُفر، وَالإِلحَاد الَّذي يَعْمل لهُ المُبشرُون أَعدَاء الإِسْلاَم وَالمُسْلمِين، وَتَظهر هَذِه الحَقِيقَة جَليَة وَاضحَة عِندَ المُقَارنة بَيْنَ أَقوَال الحَفْنَاوي وأَقوَال المُسْتَشرقِين المُبشرِين.

قَالَ بروكُلْمان: «أَنَّ المَكيين عَجزُوا عَن أستثمَار إِنتصَارهم يَوْم أُحد»[1].

وَقَالَ الحَفْنَاوي: «لَمْ يَعْرف أَبُو سُفْيَان كَيف يَسْتَغل أنتصَاره عَلىٰ المُسْلمِين يَوْم أُحد»[2]. وقَالَ بروكُلْمان: «أَبىٰ الحُسَيْن أَنْ يَسْتَسلم لعُمر بن سَعد مُبَالغاً فِي أتكَاله عَلىٰ الحَصَانة الَّتي يَتَمتع بِهَا بوَصفه حَفِيداً لرَسُول الله»![3].

---

(١) أُنظر، تَأرِيخ الشُّعُوب الإِسْلاَمِيّة: ١ / ٥٩. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أُنظر، أَبُو سُفْيَان شيخ الأُمويين، لمُحمَّد السّبَاعي الحَفْنَاوي: ٣٧، سَنَة (١٩٥٩ م). (مِنْهُ ﷺ).

(٣) أُنظر، تَأرِيخ الشُّعُوب الإِسْلاَمِيّة: ١ / ١٥٤. (مِنْهُ ﷺ).

وقَالَ الحَفْنَاوي: «أَبىٰ الحُسَيْن أَنْ يَسْتَسلم لعُمر بن سَعد مُبَالغاً فِي آتكَاله عَلىٰ الحَصَانة الَّتي يَتَمتَع بِهَا بوَصفه حَفِيداً لرَسُول الله» ا[1].

إِنَّ كُلَّمات المُبَشرِين وَالمُسْتَشرِقِين هِي الأَصل وَالمَصدر الأَوَّل وَالأَخِير لكتَاب «أَبُو سُفيَان شَيخ الأُمَويين» فَإِنَّه مِنْ ألفهِ إِلَىٰ يَائهِ مُستَورَد مِنْ الغَرب، حَيْث الإِسْتعمَار وَالتَّبشِير وَالعدَاء للإِسْلاَم والمُسْلِمين، وَبِهَذا يَتَبيَن السَّبَب لطَّعن الحَفْنَاوي بِالمصَادر الإِسْلاَمِيَّة قَدِيمهَا وَحَدِيثهَا، سَوَاء أَكَان فِي التَّأْرِيخ، أَو التَّفْسِير، أَو الحَدِيث، أَو التَّراجم، لَقَد شَدَد الحَفْنَاوي عَلىٰ تَركهَا وَإِهمَالهَا لأَنَّ فِيهَا الحَقّ، وَالصِّدق، وَالثَّناء، والوَلاَء لِعَليّ وأَبْنَاء عَليّ، وَالشَّتم وَالذَّم للأُمَويين، وَلِمَن مَال إِلَيهِم بِقَول أَو فِعل.

وَيَتبَين أَيضاً مَدىٰ صِدق الحَفْنَاوي: حَيْث قَالَ فِي المُقَدِّمَة: «شعَاري كَشف اللِّثَام عَن الحَقِيقَة بِصَرف النَّظر عَن التَّقلِيد... وأَنَّ الَّذِين حَمَلوا عَلىٰ الأُمَويين قَلدُوا الشِّيعَة تَقلِيداً أَعمىٰ»[2]. أَجَل، يَا سُفيَانِي أَنَّك لَمْ تَعتَمد عَلىٰ القُرآن الكَرِيم، لأَنَّه لعَن الأُمَويين بِالآيَة: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾[3]، ولَمْ تَعتَمد عَلىٰ السُّنَّة النَّبوِيَّة، لأَنَّها آعتَبرت عَليّاً وأَبْنَاءه شُركَاء للقُرآن فِي الفَصل بَيْنَ الحَقّ وَالبَاطِل، وَإِنَّما آعتَمدت فِي أَفكَارك وَأَقوَالك عَلىٰ أَعدَاء الله وَالرَّسُول، لأَنَّك مَعَهُم عَلىٰ طَرِيق وَاحد إِلَىٰ هَدَف وَاحد...

وَلاَ أُرِيد أَنْ أَنقل هُنا مَا ذَكَره أَهْل الحَدِيث، والتَّأرِيخ، وَأَصحَاب التَّفاسِير،

---

(١) أنظر، أَبُو سُفيَان شَيخ الأُمَويين، لمُحَمَّد السُّبَاعي الحَفنَاوي: ١٣٩، سَنَة (١٩٥٩م). (مِنْهُ).

(٢) أنظر، أَبُو سُفيَان شَيخ الأُمَويين، لمُحَمَّد السُّبَاعي الحَفنَاوي: ٤، سَنَة (١٩٥٩م). (مِنْهُ).

(٣) الإِسْرَاء: ٦٠.

فِي فَضل عَليّ وَأَبنَائه، فَقَد أَطَلت الكَلاَم فِي ذَلِكَ بكتَاب «أَهْل البَيْت» وَكتَاب «عَليّ والقرْآن» وكتَاب «المَجَالس الحُسَيْنِيَة» وَفِي كتَابي هَذَا، غَير أَنَّي لاَ أَرىٰ نُدحَة مِنْ ذِكر كَلْمَة مُوجزَة لمُفتي المُوصل الشَّيخ حَبِيب مُحَمَّد العُبيدي، وَهُو مِنْ كبَار عُلَمَاء السُّنَّة فِي العرَاق، قَالَ:

«جَاء فِي الحَدِيث الشَّريف: «وَإِنِّي تَارك فِيكُم الثَّقلين: أَوَّلهُما، كِتَاب الله، ـ فِيهِ الهُدىٰ وَالنُّور، فَخُذُوا بِكتَاب الله، وَأَسْتَمسكُوا بِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَعِتْرَتِي أَهْل بَيْتِي، أُذكركُم الله فِي أَهْل بَيتِي، أُذكركُم الله فِي أَهْل بَيتِي، أُذكركُم الله فِي أَهْل بَيتِي..... وفِيهِ: حَتَّىٰ يَردَا عَليَّ الحَوض، فَأنظرُوا كَيف تُخلفُوني فِيهما، رَوَاه التِّرمذي، وَلَعل فِي هَذَا التَّأكيد إِشَارة إِلَىٰ مَا حَدَث بَعْد لأَهل بَيْته مِمَّا كَان وَصْمَة عَلىٰ المُسْلِمين، وَطَعنَة فِي صَمِيم الإِسْلاَم نَجلاَء مَا يزَال يَسِيل دَمها طَرباً عَلىٰ مرّ الأَيَّام وَكرّ العصُور»[1].

مِنْ هَذَا المَصدر الصَّحِيح وَالمَعِين الصَّافِي، مِنْ كتَاب الله وَسُنَّة الرَّسُول، مِنْ صَحِيح مُسْلم[2]، وَالتِّرمَذي[3]، وَالنَّسَائي[4]، وَمِنْ مُسْنَد أَحْمَد[5] وغَيْرِه مِنْ الثُّقَاة يَسْتَمد المُلسمُون دِينهُم، وَعَقيدتهُم، وَأَخلاَقهُم لاَ مِنْ المُسْتَشرق لاَمنس[6]

(١) أُنظر، كتَاب النَّوَاة فِي حَقل الحَيَاة، لمُفتي المُوصل الشَّيخ حَبِيب مُحَمَّد العُبيدي: ١٠٩. (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أُنظر، صَحِيح مُسْلِم: ٤/فَضَائِل عَليّ ح ٣٦ و٣٧ و: ٧/ ١٢٠.

(٣) أُنظر، سُنن التِّرمِذي: ٥/باب ٣٢، و: ١٣/ ١٧١.

(٤) أُنظر، خصَائص النَّسَائي: ٥٠.

(٥) أُنظر، مُسْنَد أَحمَد: ١/ ١٧٠ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٤و ١٨٥ و ٣٣٠، و: ٣/ ٣٢ و ٣٣٨، و: ٦/ ٣٦٩ و ٤٣٨.

(٦) مُسْتَشرق فَرَنسي وَضَع كتَاباً خَاصَّاً لتَمجِيد يَزِيد، وَأَبِيه مُعَاوِيَة نِكَاية بِالإِسْلاَم. (مِنْهُ ﷺ).

وَجُولد تَسهير ، وَفيزمَار ، وبروكُلْمان وغَيْرهم مِنْ المُبشرِين وَالكَافرِين .

وَبالتَالي ، فَنَحن لاَ نَخشىٰ عَلىٰ التَّشيُّع لآل الرَّسُول مِنْ الحَفْنَاوي السُّفْيَانِي ، وَلاَ مِنْ مُسْتَشرق أَلمَاني ، أَو أَمِيركَاني ، فَقَد حَاول كَثِيرون مِنْ قَبل أَنْ يَنَالوا مِنْهُ ، فَمَا ٱزدَاد إِلاَّ قوّة وَثَباتاً ، وإلاَّ ٱزدهَاراً وَٱنتشَاراً ، تَمَاماً كَالقُرآن الكَـرِيم الرَّكِـيزَة الأُولىٰ لمَذهب التَّشيُّع . وَآلَ أمر أُمَيَّة إِلىٰ الخِزي وسُوء الذِّكر ، لأَنّها حَرب عَلىٰ القُرآن وَبَني الإِسلاَم ، وَصَدق الله العَظِيم : ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1] .

الله يقول والحفناوي يقول!

أَنَّ الحَفْنَاوي يَشتَرط لصِحَة التَّأرِيخ والأَخْذ بِهِ شَرطِين أَسَاسِيين :

الأَوّل : أَنْ يَتنزَه المُؤرخ عَن التَّعصب .

الثَّانِي : أَنْ لاَ يَكُون شِيعِياً مُحبَّاً للنَّبيّ وَآله ، لأَنَّ مَحبَّتهُم بِدعَة وَضَلاَلَة .

إِنْ قُلت : كَيف تَكُون بِدعَة ، وَقَدْ قَالَ الله عزَّ مَنْ قَائِل : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2] .

قُلت : ثُمَّ مَاذَا يَقُول الله ، والحَفْنَاوي أَيضاً يَقُول ! . . أَلَيْس الحَفْنَاوي بِقَادر عَلىٰ تَحرِيك قَلَمه وَلسَانه ؟ ! . . أَلَـيْس لهُ مَـصلَحة تـجَارِية فِـي ذٰلِكَ ؟ ! أَلَـمْ يَـقُل لهُ

(١) الرَّعد : ١٧ .

(٢) الشُّورَىٰ : ٢٣ . قَالَ الحَفْنَاوي فِي صَفحَة ٢٧٣ : نَزَلت هَذِهِ الآيَة فِي جَمِيع قُرَيْش ، وأَقرَب قُرَيْش إِلىٰ النَّبيّ أَبُو سُفيَان ، فَهِي أَظهر مَا تَكُون فِي أَبي سُفيَان ، أي أَنَّ أَبا سُفيَان أَقرَب إِلىٰ النَّبيّ مِنْ عَليّ وفَاطِمَة وَالحَسن والحُسَين . (مِنْهُ ﷺ) .

الإستعمَار أفعل هَكَذا؟!.. وَهَذَا وَحدَه كَافٍ، وَافٍ لأنْ يقُول وَيَكتُب وَيَنْشر، وَيُكَذب وَيَفجر.

وَلَيْس مِنْ شَك أنَّك سَتَسْخر مِنْ هَذَا المَنطق أيُّها القَارِيء الكَرِيم الفَهِيم، وَلَكن مَا الحِيلَة إذَا كَان هَذَا هُو مَنْطق الحَفْنَاوي؟!.

أقْرَأْ قَوله: «كُلّ شِيعِي فَهو كَاذب، بَل كلّ مَنْ لهُ مِيُول شِيعِيَة فهُو كَاذب، بَل كلّ سُنّي تَتَفق أقوَاله مَع شَيء مِنْ أقوَال الشّيعَة فَلاَ يُعْتَمد عَلَيه، فَالمَسْعُودِي مُبتَدع، مُحتَال، لأنَّ الشّيعَة يَعدُّونه مِنْهُم، أمَّا يَزِيد بن مُعَاوِيَة فهُو الزَّاهد العَابد، وَمَروَان بن الحَكَم يُؤخذ بِفتوَاه، وَوَلده عَبدالمَلك يَعمَل بِقضَائه كَمَا زعَمَ الحَفْنَاوي[1]. أمَّا ابْن قُتَيْبَة، والإصْفهَاني، وَالجَاحظ، وابْن عَبد رَبّه وغَيْرهم فإنَّهم لَمْ يَكتبُوا للتَّأرِيخ بَل للخبط وَالخلط. أمَّا الوَاقدي، وَالطَّبري فقولهُما مَترُوك، لأنَّ المُسْتَشرق بروكلُّمان يُوثقهُما. هَذَا بَعْض مَا جَاء فِي كتَاب (شَيخ الأُمَوِيين)[2].

وإذَا كَان يَزِيد الَّذي قَتَل الحُسَيْن، وَحَرق الكَعبَة، وَأبَاح مَدِينَة الرَّسُول، وَنَكح الأُمهَات، وَالبَنَات، وَالأخوَات، وَشَرب الخَمر، وَتَرك الصَّلاَة، كَمَا قَالَ الصَّحابي

---

(١) قَالَ المَقرِيزي فِي (النّزاع وَالتّخاصم): ١٧: «خَطَب يَوْماً عَبدالمَلك، فَقَال: أيُّها النَّاس إنّي والله مَا أنا بِالخَلِيفَة المُسْتَضعَف ـ يُرِيد عُثْمَان ـ وَلاَ بِالخَلِيفَة المُدَاهن ـ يُرِيد مُعَاوِيَة ـ وَلاَ بِالخَلِيفَة المَأفُون ـ يُرِيد يَزِيد ـ فَمَن قَالَ بِرَأسه كَذا ـ أي لاَ ـ قُلنَا بِسَيفنا كَذَا ـ ضُربَت عُنُقه ـ ثُمَّ نَزَل». وَإذَا وَجَب الأخذ بحُكم مَرْوَان وَقضَائه فَيَجب أنْ نَحكُم عَلَيهم بحُكم عَبدالملك، مَع أنَّ الحَفْنَاوي يوَالي الجَمِيع، ويُؤمِنْ بِاللاَعَن وَالمَلعُون. أنظر، العِقد الفَرِيد: ٢ / ٢٦٣، أحْكَام القُرآن للجَصَّاص: ١ / ٨٦، تأرِيخ دِمَشق: ٣٧ / ١٣٥، البِدَايَة وَالنّهايَة: ٩ / ٧٧، النّزَاع وَالتّخاصم: ٤١، تأرِيخ الخُلَفَاء للسُّيُوطي: ٢١٨، شَرح نَهج البَلاَغة لابْن أبي الحَدِيد: ٦ / ١٧ و: ١٥ / ٢٥٧.

(٢) أنظر، أبُو سُفْيَان شَيخ الأمَويين، لمُحَمَّد السّبَاعي الحَفْنَاوي: ٩ و ١٦، سَنَة (١٩٥٩م). (مِنْهُ).

عَبدالله بن حَنْظَلة ، إذَا كَان يَزِيد زَاهِداً فَجمِيع الأَولِيَـاء الصَّـالحِين ، وَالشُّـهداء ، وَالصِّدِّيقِين كَفرَة فَجرَة ، ولَيْس خصُوص الشِّيعَة ، وَلاَ مَنْ كَانَتْ لهُ ميُول شِـيعِيَّة فَحَسب .

أَنَّ الكذَاب مَنْ كَذَّب الأَحَادِيث الثَّابتَة الصَّحِيحَة ، وَصَدَّق الأَخبَار المَكذُوبة ، وَزَعَم أَنَّ النَّبيّ قَالَ : « الأُمنَاء ثَلاَثة : جِبرِيل وَأَنا وَمُعَاوِيَة » (١) .

وأَنَّ جِبرِيل قَالَ للنَّبيّ : « يَا مُـحَمَّد اَقـرَأ مُـعَاوِيَة السَّـلام ، وَاَسـتَوصي بـهِ خَيراً » (٢) ، وأَنَّه دَعَا لِهند بِالبَركة ، وَكَذب أَئِمَّة المُسْلِمِين وَالثُّقَاة مِـنْ رُوَاتـهم ، ومُؤرخيهم ، وَنَسب زِيَاد اَبن سُميَّة إِلَىٰ أَبي سُفيَان ... أَنَّ الكَذَّاب مَنْ قَالَ . « أَنَّ عَليّ بن أَبي طَالب لَمْ يَقْتل كَافراً وَاحداً ، وأَنَّ الأُمَّة الإِسْلاَمِيَّة لَولاَ مُعَاوِيَة لَمْ تَقم لهَا قَائِمة ، ولرَجع العَرب إِلَىٰ الجَاهليَة الأُولىٰ ... أَنَّ الكذَّاب مِنْ قَالَ : أَنَّ النَّـبيّ كَان يَحتَمي فِي دَار أَبي سُفْيَان مِنْ أَذىٰ المُشركِين . وَأَنَّ آيَة المَودَّة تَشـمل أَبـا سُفْيَان ، لأَنَّه أَقرَب النَّاس إِلَىٰ النَّبيّ ، وَلاَ تَشمل عَليّاً وفَاطِمَة والحَسن والحُسَيْن .

وَمَهمَا يَكُن ، فَلَيْسَت هَذِه هِي المَرَّة الأُولىٰ الَّتي تَقرأ فِيهَا الزُّور ، وَالبُهتَان عَلىٰ الشِّيعَة ، فَلقَد عَودنا بَعْض الكُتَّاب المُستَأجَرين مِنْ المُسْـتَعمرِين ، وَالوَهَـابيين عَلىٰ شَحنَائِهم وَأَسوَائِهم الَّتي اَستفَاده مِنْهَا أَعدَاء الإِسْلاَم والمُسْلِمِين ، ولَمْ تَضر الشِّيعَة شَيئاً ، وَلَكن الشَّيء الجَدِيد هُو هَذَا الكِذب الصّرَاح عَلىٰ الله والرَّسُـول ، وَتَحرِيف آي الذِّكر الحَكِيم ، وَالدَّس فِي سُنَّة الرَّسُول العَظِيم ...

---

(١) أُنظر ، لسَان المِيزَان لابن حَجر العَسقلاَني : ٣ / ٢٢٠ ، قَائِلاً : وَهَذَا كِذب ، وَمِثله فِي مِيزَان الإِعتدَال للذَّهبي : ١ / ٥٠٣ ح ١٨٨٥ ، البِدَايَة وَالنِّهايَة لابن كَثِير : ٨ / ١٢٨ ، قَائِلاً : لاَ يَصح مِن جَمِيع وَجُوهه .

(٢) أُنظر ، المَصَادر السَّابقة .

ولَيْس مِنْ شَكّ أَنَّ سكُوت شيُوخ الأَزْهَر ، وَمَنْ إِلَيهِم مِنْ رِجَالاَت المُسْلمِين سكُوتهم عَن الجَبْهَان ، وَمُحبّ الدِّين الخَطِيب ، وَمَجلَّة التَّمدن الإِسْلاَمي وَغَيرهَا مِمَّن كَتَب وَنَشر ، وَحَمل وَتَحَامل عَلىٰ الشِّيعَة وَالتَّشيُّع لآل الرَّسُول قَدْ أَدَّىٰ كَنَتِيجَة طَبيعيَة إِلَىٰ الكِذب والإِفْتِرَاء عَلىٰ الله وآيَاته ، والنَّبيّ وَعِترَته ، والإِسْلاَم وَحُمَاته ، نَقول هَذَا مَع إِحترَامنا وَتَقديرنَا لجهُود الأُسْتَاذ الأَكْبر الشَّيخ شَلتُوت ، وَالشَّيخ المَدني فِي سَبِيل التَّقرِيب ، وَلَكن مَاذَا يَصْنع الإِثنَان وَالعَشرة إِذَا رَضي وَسَكت الأُلوف .

كُنَّا نَقرأ تِلْكَ الحَملاَت وَالتَّحَامُلات ، وَنَقول : إِنَّها عَقليَة قَدِيمَة سَتتغَير وَتَزول مَع الأَيَّام ، وَلَكن كُلَّما آمتَد الزَّمن كُلَّما آزدَادت وَترَاكمت ، فَهل نُلاَم بَعْد هَذَا إِذَا يَئسنَا وفَقَدنا الثِّقَة بِالكَبِير والصَّغِير ؟ ! هَل نُلاَم إِذَا دَافعنَا عَن أَنْفسنَا ، وَوَقَفنا فِي وَجْه مَنْ يَعْمل لمَصلَحَة الأَجْنَبي الغَاصب ؟ ! .. أَلَيْس مِنْ المُحزن المُؤلِم ، وَنَحنُ أَبْنَاء الدِّين الوَاحد ، أَنْ يُهَاجم بَعضنَا بَعْضاً لاَ لشَيء إِلاَّ لنَقع جَميعاً فِي قَبضَة الإِسْتعمَار والإِستثمَار ، وَإِلاَّ لنَلهو بِأَنفسنَا عَن حَقّنا المَغصُوب ، وَنَنصَرف عَن أَدوَائنَا وَمَشاكلنَا الإِقتصَادية والإِجْتمَاعِيَّة ! .. نَحنُ لاَ نَتَهجم عَلىٰ دِين مِنْ الأَديَان ، وَلاَ عَلىٰ مَذْهَب مِنْ المَذَاهِب ، وَلاَ عَلىٰ أُمَّة مِنْ الأُمَم ، وَلاَ عَلىٰ أَحَد كَائناً مَنْ كَان ، وَفِي الوَقت نَفْسه لاَ نُرِيد أَنْ يَتهَجم عَلينا أَحَد ، فَإِذَا مَا حَاول فَنَحن لهُ بِالمرصَاد .

وَنَختُم هَذَا الفَصل بقَول الرَّسُول الأَعْظَم : « يَا عَلِيُّ ، لاَ يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ

يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ »[١]. فَالنِّفاق سَبب لبُغض عَليّ وَعَداوَته، كَمَا أَنَّ الإِيمَان سَبَب لحُبّه وولاَيَته، وَمحَال أَنْ يَتفق النِّفَاق وَالإِيمَان إلاَّ إِذَا صَار المُنَافق مُؤمناً، وَالمُؤمِن مُنَافقاً. وَنَحنُ الشِّيعَة لاَ نَترُك الإِيمَان بالله والرَّسُول، والعَمَل بِالحق لوَجه الحَق مَهمَا كَانَتْ الظُّروف وَالأَحوَال، وَمِنْ أَجْل هَذَا وَحدَه لاَ يَتركنَا العُملاَء المُنَافقُون. وَصَدق الله وَعدَه: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[٢].

---

(١) تَقَدَّم إِستخرَاج ذَلِكَ. قَالَ العَلاَّمة الحِلي الَّذي يُعَبر عَنْهُ الحَفْنَاوي بطَاغُوت التَّشيُّع، قَالَ رَحِمَه الله فِي كتَاب « نَهج الحَقّ » هَذَا الحَدِيث مَذكُور فِي مُسْنَد أَحْمَد. وَفِي الجَمع بَيْنَ الصَّحِيحَين وَفِي الجَمع بَيْنَ الصِّحاح السِّتة، وقَالَ الفَضل بن زُربِهَان الَّذي يَرد عَلىٰ العَلاَّمة فِي كتَابه « إِبطَال البَاطِل »: هَذَا الحَدِيث صَحِيح لاَ شَك فِيهِ، وَالحَمد لله الَّذي جَعَلنا مِنْ أَهْل مَحبَّة عَليّ وَمَلأَ قُلوبنَا مِنْ صَفو مَودَّته ». (مِنْهُ ﷺ).

(٢) آل عِمْرَان: ١١١.

يَوْم الغَدِير[1]

مَا حَاول أَحَد الكَلاَم عَن الإِمَام عَليّ عليه السلام إِلاَّ تَهِيب تِلْكَ العَظمَة الَّتي تَـخرس أَلسُنة البُلغَاء، وَتَبهر عُقُول العُظمَاء، عَظَمَة، أَسَـاسها العِـلْم وَالعَـدْل، لاَ الثَّـرَاء وَالمنَاصب، وَبنَاؤها الإِخْلاَص وَالجهَاد، لاَ الأَنْسَاب وَالأَمجَاد، عَـظَمَة طَـوت تَحت جنَاحِيها كلّ كَبِير وَعَظِيم، لسَانها الهُدىٰ وَالنُّور، وَسنَانها العذَاب الأَكْبر علىٰ الفُوضىٰ، والفَسَاد، وَالنِّفاق، عَظَمَة رَفعَت للإِسْلاَم رَايَات، ورَايَات، وَدَفعت عَنْهُ الآفَات وَالشُّبهَات، وَكَشفت عَن وَجْه الرَّسُول الأَعْظَم صلى الله عليه وآله النَّكبَات وَالكُربَات، وَشَهد لهَا الله، والنَّبيّ، والأَصْحَاب، وَالتَّابعُون، والنَّاس أَجمَعين مِنْ كلّ مَذْهَب وَدِين.

وَبَعْد، فَمَاذَا يَقُول مَنْ يُرِيد الكَلاَم عَن عَليّ بن أَبي طَالب، وإِذَا تَجَرأ، فَعَن أَي جَانب يَتَحدث مِنْ جوَانب عَظَمته الَّتي لاَ يَبلغهَا الإِحصَاء؟!... وإِذَا ٱختَار جَانبَاً

---

(١) أُذِيعَت مِنْ محَطَّة الإِذَاعة اللُّبنَانية فِي (١٨ ذُو الحِجَّة سَنَة ١٣٨٠) بمُنَاسبَة عِيد الغَدِير، وذَلِكَ فِـي الحَفل الَّذي أَقَامته لهَذه الغَاية هَيئَة النِّضَال الإِجتمَاعي بَيْرُوت، وهَذِه هِي المَرَّة الأُولىٰ الَّتي تُذَاع فِيهَا حَفلَة الغَدِير مِن المحَطَّة اللُّبنَانِيَة. (مِنْهُ رحمه الله).

مِنْهَا فَإِنَّه يَضع نَفْسه فِي مَوْقِف مُشكل وَحَرج بِأَعلىٰ دَرجَات الإِشكَال وَالحَرج، تَمَاماً كَالذي يَسِير عَلىٰ صِرَاط أَدق مِنْ الشَّعرة، وَأَحد مِنْ السَّيف، قَالَ النَّظَّام: «أَنَّ عَليّ بن أَبي طَالب مِحْنَة عَلىٰ المُتَكلم، إِنْ وَفَاه حَقّه غلاَ، وإِنْ بَخسَه حقّه أَسَاء، وَالمَنزلَة الوُسطىٰ دَقِيقَة الوَزن حَادَّة الشَّأن، صَعبَة المُرتَقىٰ»[١].

ولَمْ تَقف هَذِه الدِّقة وَالصّعُوبة عِند عَظَمته، وَتَحدِيد مَنْزلته، بَل تَعدتهَا إِلَىٰ اَعتقَاد النَّاس بِهِ وَمُعَاملتهُم لهُ دِينيَاً وَسِيَاسياً، أَمَّا الدِّقة وَالصُّعوبة فِي مَوْقِف النَّاس مِنْهُ سِيَاسياً فَقَد بَيَّنها الشَّعبي بِقَوله: «مَا نَدري مَا نَصْنع بِعَلي بن أَبي طَالب؟! إِنْ أَحْبَبنَاه اَفْتَقرنا، وإِنْ أَبغضنَاه كَفَرنا»[٢]، يُشِير بِالفَقر إِلَىٰ مُطَاردَة السُّلطَان لمُحبّيه وَمُرِيديه، أَمَّا الحَرج فِي المَوقِف الدِّينِي فَقَد أَوضحَه الإِمَام، حَيْث قَالَ: «سَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَىٰ غَيْرِ الْحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَىٰ غَيْرِ الحَقِّ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً الْنمَطُ الأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ، وَاَلْزَمُوا السَّوَادَ الأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»[٣].

وإِنْ دَل هَذَا عَلىٰ شيَء، فَإِنَّمَا يَدل عَلىٰ أَنَّ عَظَمَة الإِمَام لَيسَت مِنْ النَّوع المَألُوف لدَىٰ النَّاس؛ لأَنَّ الحَدِيث عَن المَعرُوف لاَ بُخس فِيهِ وَلاَ مُغَالاَة. فَعظَمَة الإِمَام إِذَن، مِنْ نَوع آخر تَرتَفع عَن عَظَمَة المَخلُوق، وَلاَ تَصعَد إِلَىٰ عَظَمَة الخَالق.

وَمِنْ هُنا كَانَتْ الدِّقَة وَالصُّعوبَة الَّتي أَشَار إِلَيهَا النَّظَّام.

وَتَجَنُباً لهَذا المَأزَق الحَرج، وَخَوفاً مِنْ الإِفرَاط أَو التَّفرِيط نَصرف الحَدِيث

(١) أنظر، كتَاب السّلسلاَت: ١١٣، أَمَالي الشَّيخ الطُّوسي: ٥٨٨ ح ٧، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣/ ١٦.

(٢) أُنظر، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣/ ١٦، مناقب الخوَارزمي: ٣٣٠ رَقم ٣٥٠.

(٣) أُنظر، نَهج اَلبَلاَغَة: اَلخُطبَة (١٢٧).

عَن عَظَمته إِلَىٰ الحَدِيث عَن بَعْض آثَاره وكَلمَاته الَّتي حَدَّد فِيهَا مقَايِيس الحَقّ، وَأَحكَام العَدْل بمَا يَتفق مَع بسَاطَة الفِطرَة وَدِقة العِلْم.

الوَطن:

قَالَ فِي تَحدِيد الوَطَن: «لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ؛ خَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ»[1]. فَكُل بَلَد هُو وَطَن لكُلّ فَرد، يَنْبَغي أَنْ يَعمل لإِنْعَاشة، وتَحْقِيق العَدَالة فِيهِ، ولَيْس خَير البِلاَد وَأَفضلهَا بَلَداً وُلِدتَ فِيهِ، وَضَم أَجدَادك وَآبَاءك، بَل أَفضَلها مَا يُقَدم لكَ أَسْبَاب الحَيَاة مِنْ العَيش وَالأَمن، وَالحُرّية، وَالكَرَامَة، وَهَذَا مَا شَهدنَاه، وَلمَسنَاه مِنْ وَفَاء المُهَاجرِين لمَوطن هِجرَتهم الَّذي وَجَدوا فِيهِ هَذِه الأَسْبَاب كَافيَة وَافيَة.

القَرِيب:

وقَالَ فِي تَحدِيد القَرَابَة: «الْقَرِيب مَن قَرْبَته الأَخْلاَق»[2]. أَي أَنَّ القَرَابَة لَيسَت مُشَاركَة فِي النَّسَب وَالرّحم فَقَط، فَالنَّاس كُلكُم مِن آدَمَ وآدَمَ مِن تُرَاب»[3]. أَنَّ القَرَابَة بِمَعنَاهَا الصَّحِيح هِي النَّصِيحَة وَالوَفَاء، والحُبّ

---

(١) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٤٣٥).

(٢) أُنظر، الكَافِي: ٢/٦٤٣ح ٧، وتُحف العُقُول: ٢٣٤، وَسَائِل الشّيعة: ١٢/٥٢ح ٤، كَنز العُمَّال: ١٦/١٢٢و ١٨١ ح ٤٤١٤٣ و ٤٤٣٩٢، تَأرِيخ بغَداد: ٣/٣٠٨، عُيُون الحِكم والموَاعظ: ٢٦٦.

(٣) أُنظر، سُنن البَيهقي: ٩/١١٨، سُبل الهُدَىٰ والرّشَاد: ٥/٢٤٢، شَرح نَهج ٱلبَلاَغة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٧/٢٨١، بحَار الأَنْوَار: ٣١/٣٥.

والإخلاص، والرأفة والصدق، فأخوك أبعد الناس عنك إذا خانك وخذلك، والبعيد نسباً أقرب الناس إليك إذا أخلف لك، وضحى في سبيلك، وهذا ما أراده الإمام بقوله: «وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وَقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ مَنْ تَعَدَّىٰ الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَىٰ قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَىٰ لَهُ، وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سُبْحَانَهُ»[1].

الخلق الحسن:

وقال في تحديد الخلق الحسن: «أَكْرَمَ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ»[2]، وأفضل العبادة طلب الحلال. لقد ربط الإمام أخلاق الفرد بالقيم الإجتماعية، والنظام الشامل للناس أجمعين، وهذا هو عين الحق، وعلم اليقين، فما دام الفرد لا يستقل عن المجتمع في شيء من تصرفاته، فمن الخطأ أن نقيس أخلاقه بشخصيته الفردية، ونتجاهل شخصيته الإجتماعية، ونقول لمن يحسن استقبال زائريه، ويبتسم لجلسائه: أنّه متواضع، ولمن صدق في بعض أقواله: أنّه صادق، ولمن وفى ديناً من ديونه: أنّه وفيّ، كلاّ وألف كلاّ، بل علينا أوّلاً، وقبل الحكم على أي فرد أن ندخل في حسابنا الرابطة الجماعية بين تصرفاته، وبين غيره، فإنّ أساء إلى أحد من الناس فلا ينبغي عدّه من بني الإنسان، وإن هشّ وبشّ، وأظهر الإخلاص والإيمان. وإنّا نسيء إلى أنفسنا، وإلى الإنسانيّة، والعلم، والدّين، والأخلاق إذا نسبنا شيئاً من مكارم الأخلاق إلى من يسيء إلى أحد من الناس.

---

(١) أنظر، نهج البلاغة: من وصيّة له عليه السلام إلى ابنه الإمام الحسن عليه السلام رقم الرسالة (٣١).

(٢) أنظر، نهج البلاغة: من وصيّة له عليه السلام إلى ابنه الإمام الحسن عليه السلام رقم الرسالة (٣٨).

وسائل الإنتاج:

وَمِنْ تَعَالِيمه فِي عَهْدِهِ لمَالك الأَشْتَر الَّذي يَصْلُح دسـتُوراً لكـلّ دَولَـة تُـرِيد الحَيَاة لهَا وَللشَّعب، فَلقَد أوصىٰ الأَشْـتَر بـعمَارة الأَرْض، وَالعـنَاية بِـالتُّجَار، وَالعُمَّال، وَأَربَاب الصَّنَائع، وقَالَ: «فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ»[1]. وَهَذَا مَا يُسَمىٰ بِلُغَة العَصْر الإِهـتمَام بـوَسَائِل الإِنْـتَاج الَّـتي تُـنَظم مِـنْ أَجْـلهَا المَشَاريع، كمَشرُوع السَّنوَات الخَـمْس، وَالسَّـبع، أَو العَشـر لإِنْـتَاج البَـضَائع الإِستهلاَكيَة، وَإِعطَاء القوَّة الشّرَائِيَة لكُلّ فَرد.

قصة الغدير:

وَبَعْد هَذَا التَّمهِيد نُشِير إِلَىٰ قِصَّة الغَدِير، وَالنَّص عَـلىٰ عَـليّ أَمِـير المُـؤْمِنِين بِالخِلاَفَة، مَع العِلْم بِأَنَّها حقّ طَبِيعِي لهُ، سَوَاء أوجِد النَّص عَلَيه، أَو لَمْ يُـوجد، لأَنَّ بِالحقّ تُقَاس الرِّجَال، وَتُعرف، وَلاَ يُـعْرف الحَـقّ بِـالرِّجال، وَقَـدْ عَـرَفَت الأَجيَال عَليّاً بِأَوصَافه الَّتي تُعَينهُ لخِلاَفَة الرَّسُول، وَتُفَضله عَلىٰ الجَمِيع، وَمِنْ هُنَا مِنْ أَوصَاف عَليّ وَفَضَائِله وَولاَيَته تَبْتَديء قِصَّة الغَدِير، وَعِيد الغَدِير، وَلَولاَهَا لَمْ يَكُن للغَدِير وَعِيدَه عَيْن وَلاَ أَثَر.

٢وَأي يَوْم أَحقّ وَأَولىٰ بِبَهجَة العِيد مِنْ يَوْم أَكمَل الله فِيهِ الدِّين، وَأَتمّ نِـعْمَته عَلىٰ المُسْلِمِين بولاَيَة عَليّ أَمِير المُؤْمِنِين؟! أَي يَوْم أَكرَم وأَحَبّ إِلَىٰ الله مِنْ هَذَا اليَوْم الَّذي قَالَ الله فِيهِ وَعَنْهُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْـمَمْتُ عَـلَيْكُمْ نِـعْمَتِي

(١) أنظر، نَهج ٱلْبَلاَغَة: مِن كتَابٍ لَهُ عليه السلام إلى مَالِك الأَشْتَر رَقم الرِّسَالَة (٥٣).

وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾[1] ؟!.

فِي هَذَا اليَوْم بِالذَات، وَهُو يَوْم الغَدِير نَزَلت هَذِه الآيَة الكَرِيمَة، آيَـة إِكْـمَال الدِّين، وإِتمَام النِّعمَة، فِي هَذَا اليَوْم، وَبِإتفَاق المُفسرِين جَمِيعاً، وَقَف النَّبيّ ﷺ فِي غَدِير خُم، وَهُو فِي طَرِيق عَودَته مِنْ حَجَّة الودَاع، وذَلِكَ فِي الثَّامِن عَشر مِنْ ذِي الحِجَّة، أَي فِي مِثْل هَذَا اليَوْم، وَقَف فِي جمُوع المُسْلمِين، وَقَالَ: ـبَعْد أَنْ أَخَذ بَيَد عَلِيّ وَرَفعهَا ـ أَيُّها النَّاس أَلَستُ أَولىٰ بِالمُؤمِنِين مِنْ أَنْفُسهِم ؟

قَالُوا: بَلىٰ.

قَالَ: مَنْ كُنْتُ مَولاَه فَعَلِيّ مَولاَه، أَللَّـهُمَّ وَال مَـنْ وَالاَه، وَعَـاد مَـنْ عَـادَاه، وَأَحببْ مَنْ أَحبّه، وَأَبغض مَنْ بَغَضه، وَانصُر مَنْ نَصَره، وَاخذُل مَنْ خَذَله، وَادر الحَقّ مَعَهُ حَيثُ دَار، أَلاَ فَليُبلغ الشَّاهِد الغَائِب».

وَقَبل أَنْ يَتَفرق النَّاس نَزَل جِبرِيل بِقَول الله: ﴿ٱلْيَوْمَ يَـئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾[2] فَقَال رَسُول الله: الله أَكْبَر عَلىٰ إِكْمَال الدِّين، وإِتمَام النِّعمَة، وَرِضَىٰ الرَّب بِرسَالَتي، وَالوِلاَيَة لِعَلِيّ مِنْ بَعْدِي، ثُمَّ طَفَق الأَصْحَاب يُهنئُون الإِمَام، وَفِي مُقَدَّمتهِم الشَّيخَان أَبُو بَكْر وَعُمَر، وَكلّ يَقُول: بَخٍّ بَخٍّ لَكَ يا ابْن أَبي طَالب أَصْبَحتَ مَولاَي وَمَولىٰ كلّ مُؤْمِن وَمُؤْمِنَة.

وَرُبَّ قَائِل يَقُول: إِنَّ مَعْنَىٰ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هُـو إِكْـمَال الشَّـرِيعَة الإِسْلاَمِيَّة بِبَيان جَمِيع الأَحْكَام مِنْ العِبَادَات، الأَحوَال الشَّخْصِيَّة، وَالعـقُوبَات،

---

(١) ٱلمَائِدَة: ٣.

(٢) المَائِدَة: ٣.

وَالعقُود، وَالمُوجبَات، وَالحَلاَل وَالحَـرَام، ولَـمْ يَـبق أَي دَاعٍ للـتَّشرِيع، وَسـنّ القَوَانِين.

الجَوَاب:

أوّلاً: أَنَّ هُنَاك آيَات للأحكَام نَزَلت بَعْد آيَة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ كَآيَة الكَلاَلَة المُتعلقَة بِالمِيرَاث، وَآيَة الرِّبا، فَقَد جَاء فِي صَحِيح البُخَاري أَنَّ آخر آيَة نَزَلت عَلىٰ النَّبيّ هِي آيَة الرِّبَا[1].

ثَانِياً: أَنَّ الكَمَال والإِكمَال فِي الحكُومَة الدِّينِيَّة وَالزَّمَنِيَّة إِنَّـما يَـتم وَيَـتحَقق بالسُّلطَتَين مَعَاً التَّشرِيعِيَّة وَالتَّنفِيذِيَة، وَالسُّلطَة الأُولىٰ وَحدَها لَيْسَت بِشَيء مَالَم تُدعَم بِالسُّلطة الثَّانِيَة، وَقَدْ كَان التَنْفِيذ بِيَد الرَّسُـول الأَعْـظَم. فَـظنَّ الكُـفَّار أَنَّ السُّلطَة التَنْفِيذية سَتَذهب بذهَاب الرَّسُول، وَعِنْدَها لاَ يَبقىٰ للإِسْلاَم عَـيْن وَلاَ أَثر، فَأَقَام الرَّسُول عَليّاً مَقَامه، ليَحفظ الشَّرِيعَة مِنْ بَعْده، وَيُدَبر الأُمُور، وَيُرشد الأُمَّة إِلَىٰ الخَيْر، أَقَامَه ليُفهِم النَّاس أَنْ «ذُو الفَـقَار» سَـيَبقىٰ كَـمَا كَـان رَحـمَة للمُطيعِين وَنَقمَة عَلىٰ العَاصِين.

وَبِهَذا العَمَل، بِنَصب عَليّ خَلِيفَة بَعْده يَئِس الكُفَّار مِنْ الإِسْلاَم، وَلَمْ يَعُد لهُـم أَي أَمَل فِي ذهَابِهِ وَإِضعَافه بَعْد أَنْ تَحول مِنْ التَّشرِيع إِلَىٰ التَنفِيذ، مِنْ الأَقوَال إِلَىٰ الأَعْمَال عَلىٰ يَد عَادِل حَازِم.

وَقَدْ اَتفق السُّنَّة والشِّيعَة عَلىٰ صِحَة حَدِيث الوِلاَيَة، وقَوْل الرَّسُول: «أَيّ بَلَدٍ هَذا، أَلَيسَت بِالبَلدَة الحَرَام»؟.

---

(1) أُنظر، صَحِيح البُخَاري: ٤ / ١٦٥٢ ح ٤٢٧٠ و: ٥ / ١٦٥ طَبعَة أُخرىٰ، فَتح البَاري: ٨ / ١٥٣.

قُلنَا: بَلىٰ يَا رَسُول الله !.

قَالَ: «إِنِّي أُوشك أَنْ أُدعىٰ فَأُجِيب..».

قَالُوا: نَشْهَد أَنَّك بَلّغتَ وَنَصَحت فَجَزَاك الله خَيراً؛

قَالَ: «أَلَيس تَشْهَدُون أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ الله، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبده وَرَسُوله....؟».

قَالُوا: بَلىٰ نَشْهَد ذَلِكَ.

قَالَ: «أَللَّهُمَّ اَشْهَد».

ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ تَسْمَعُون؟»

قَالُوا: نَعَم.

قَالَ: «يَا أَيُّها اَلنَّاس إِنِّي فَرط، وَأَنْتُم وَارِدُونَ عَلَيَّ الحَوض....»[1].

ثُمَّ قَالَ: «أَلَسْتُم تَعْلَمُون أَنِّي أَوْلىٰ بِالمُؤْمِنِين مِن أَنْفُسِهِم؟»

قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُول الله![2]

قَالَ: «أَلَسْتُم تَعْلَمُون ـ أَو تَشهَدُون ـ أَنِّي أَوْلىٰ بِكُلّ مُؤمِن مِن نَفْسه؟»

قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُول الله[3].

ثُمَّ أَخَذ بِيد عَليّ بن أَبِي طَالب بِضبْعِيهِ فَرَفعهَا حَتَّىٰ نَظَر اَلنَّاس إِلىٰ بَيَاض إِبْطِيهمَا[4]، ثُمَّ قَالَ:

---

(١) أنظر، الأمالي الخَمِيسِيَّة: ١/ ١٥٦، مَجمَع الزَّوَائد: ٩/ ١٦٢، مُسْتَدرك الحَاكِم: ٣/ ١٠٩، اَبن كَثِير: ٥/ ٢٠٩.

(٢) أُنظر، مُسْنَد أَحْمَد: ١/ ١١٨، سُنن اَبن مَاجه: ١/ ٤٣ ح ١١٦، اَبن كَثِير: ٥/ ٢٠٩.

(٣) أُنظر، مُسْنَد أَحْمَد: ٤/ ٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٠، اَبن كَثِير: ٥/ ٢٠٩ و ٢١٢.

(٤) أُنظر، الأَمَالي لأَبِي طَالب: ٣٥، أَمَالي المُؤيد بِالله: ١٠٤، مُسْتَدرك الحَاكِم الحَسْكَاني: ١/ ١٩٠ و ١٩٣، كِتَاب الأُصُول: ٣٨ ـ ٣٩.

« أَيُّها ٱلنَّاس ! الله مَولاَي وَأَنا مَوْلاَكُم ؛[١] فَمَن كُنْتُ مَوْلاَه ، فَهَذَا عَليّ مَوْلاَه . أَللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَه ، وَعَادِ مَنْ عَادَاه [٢] ، وَٱنْصُر مَن نَصَره ، وَٱخذُل مَن خَذَله [٣] ، وَأحبّ مَن أَحبّه ، وَأَبغض مَن أَبْغَضه » [٤] .

ثُمَّ قَالَ : « أَللَّهُمَّ ٱشهَد » [٥] .

ثُمَّ لَم يَتَفرَّقا ـ رَسُول الله وَعَليّ ـ حَتَّىٰ نَزَلت هَذِه الآيَة : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾[٦] .

فَقَالَ رَسُول الله ﷺ :

« اللهُ أَكْبرُ عَلىٰ إِكمَال الدِّين ، وَإِتمَام النِّعمَة ، وَرِضا الرَّبّ برِسَالتِي ، وَبالوِلاَيَة لِعَليّ مِن بَعْدي . ثُمَّ قَال : « مَن كُنتُ مَوْلاَه فَعليٌّ مَوْلاَه ، أَللَّهُمَّ والِ مَن وَالاَه ، وَعَادِ مَن عَادَاه ، وٱنصُر مَن نَصرَه ، وٱخذُل مَن خَذلَهُ » [٧] .

لأَنَّه تَجَاوَز حَد التَّوَاتر بَعْد أَنْ روَاه مِـئَة وَعَشـرة مِـنْ الأَصْـحَاب ، وَأَربـعَة وَثمَانُون مِنْ التَّابِعِين ، وَبَعْد أَنْ ذَكَرَه الإِمَام أَحْمَد فِي مُسنَده وَالإِمَام النَّسائِي فِي

(١) أُنظر ، المَصْدَر السَّابق .

(٢) أُنظر ، مُسنَد أَحْمَد : ١/ ١١٨ و ١١٩ و : ٤ / ٢٨١ ، تَذكرَة الخوَاص للسِّبط الجَـوزِي الحَـنفِي : ٣٠ ، السِّيرَة الحَلبِية : ٣/ ٢٥٧ ، السِّيرَة النَّبوِّية لزَينِي دَحلاَن بهَامِش الحَلَبِية : ٣/ ٣ .

(٣) أُنظر ، مُسْنَد أَحْمَد : ١ / ١١٨ ، بُلُوغ الأَرب وَكنُوز الذَّهب فِي مَعرفة المَذْهَب : ١٣٢ ، كتَاب الأُصُول : ٣٨ ـ ٣٩ ، الأَمَالي لأَبي طَالب : ٣٣ ، أَمَالي المُؤيد بِالله : ٩٠ ، مَجْمَع الزَّوَائد : ٩ / ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٧ ، شوَاهد التَّنزِيل : ١ / ١٩٣ ، تَأرِيخ أبن كَثِير : ٥ / ٢١٠ .

(٤) أُنظر ، شوَاهد التَّنزِيل للحَسْكاني : ١ / ١٩١ ، تَأرِيخ أبن كَثِير : ٥ / ٢١٠ .

(٥) أُنظر ، شوَاهد التَّنزِيل : ١ / ١٩٠ .

(٦) ٱلمَـائِدَة : ٣ .

(٧) تَقدَّمت تَخرِيجَاته .

خصَائِصه، وَالحَاكِم فِي مُستَدرَكه، وَالخوَارزمي فِي منَاقبه، وأبْن عَبدالبر فِي إستيعَابه، وَالعَسقلاَني فِي إصَابَته، كَمَا ذكَرَه التّرمذي، وأبْن جَرِير، الذَّهبي وغَيرِهم، والَّذِين لَمْ يَجدُوا نُدحَة لإنكَار الحَدِيث صَرفوا الكَلاَم وَالنَّقد عَن سَنَده إلَىٰ الكَلاَم عَن مَتْنه وَقَالُوا: أَنَّ النَّبيّ أثبَت الوِلاَيَة لِعَليّ مِنْ غَير شَكّ، وَلَكنَّه أَرَاد مِنْهَا الحُبّ والمَودَّة، لاَ الخِلاَفَة والإِمَامَة...

وَنَقُول فِي الجَوَاب: أَنَّ قَوْل النَّبيّ: «أَلَسْتُم تَعْلمُون أَنّي أَوْلىٰ بِالمُؤمِنِين مِن أَنفُسِهم؟»

قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُول الله!

قَالَ: «أَلَسْتُم تَعْلمُون ـ أَو تَشهَدُون ـ أَنّي أَوْلىٰ بِكُلّ مُؤمِن مِن نَفْسه؟»

قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُول الله.

ثُمَّ أَخَذ بِيد عَليّ بن أَبِي طَالب بِضبْعِيهِ فَرَفعهَا حَتَّىٰ نَظَر النَّاس إِلىٰ بَيَاض إِبْطِيهمَا، ثُمَّ قَالَ:

«أَيُّها النَّاس! الله مَولاَي وَأَنا مَوْلاَكُم؛ فَمَن كُنْتُ مَوْلاَه، فَهَذَا عَليّ مَوْلاَه. أَللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَه، وَعَادِ مَنْ عَادَاه، وَأنْصُر مَن نَصَره، وَأخذُل مَن خَذَله، وَأحبّ مَن أَحبّه، وَأَبغض مَن أَبْغَضه».

يَدل بِصَرَاحَة وَوضُوح عَلىٰ أَنَّ نَفْس وِلاَيَة النَّبيّ الدِّينِيَّة وَالزَّمَنِيَّة عَلىٰ المُؤمِنِين هِي بِعَينهَا وَحَقِيقتهَا قَدْ جَعَلها النَّبيّ لِعَليّ بَعْده دُون زِيَادَة أَو نُقصَان، وَلاَ شَيء سِوىٰ ذَلِكَ، حَتَّىٰ وَلو كَان لِلَفظ المَولَىٰ أَلف مَعْنَىٰ ومَعْنَىٰ لغَوي، لاَ عشرُون مَعْنَىٰ كَمَا قِيلَ، هَذَا هُو المُتَعين مِنْ سَوق الكَلاَم وَالمُلاَبسَات الَّتي رَافقَت حَدِيث الغَدِير أَوَّلاً وَآخراً.

هَذَا إِلَىٰ أَنَّ تَـهنئَة الخَـلِيفَة لِـعَليّ تَـنْفي إِرَادة الحُبّ والمَـودَّة، وَتُـعَين إِرَادَة الخِلاَفَة، والإِمَامَة، وَأَي عَاقِل يُهني‌ء غَيْرَه بِحُبّه لهُ!!.

وَقَدْ أَطَال الإِمَامِيَّة، وَأَطنبُوا الكَلاَم وَالأَخذ وَالرَّد فِـي دِلاَلَـة هَـذَا الحَـدِيث وغَيْرَه، إِسْتخرَاج المَعَاني مِنْ النُّصُوص عَلىٰ إِمَامَة عَليّ أَمِير المُؤْمِنِين، وَمَلأُوا كُتب العَقَائِد، وَالمَنَاقب، وَالتَّفسِير، بَل وَضَعوا مُؤلفَات خَاصَّة بذَلك، كَالإِحتجَاج للطَّبَرسي، وَالشَّافِي للمُرتضىٰ، وَالأَعيَان للأَمِين، وَالمُرَاجعَات لشَرف الدِّيـن؛ وَالغَدِير للأَمِيني، وَقَدْ بَلَغ هَذَا الكِتَاب إِثني عَشر مُجلَّداً ضَخماً.

هَذَا، وأَنَّ الإِمَامِيَّة يُوَالُون عَليَّاً وَلاَء دِين، وَعَقِيدة، ويُؤْمِنُون بِأَنَّه أَحقّ وَأَولىٰ بِالخِلاَفَة، لإِنَّه لَمْ يَطلبهَا للرِّزق، وَلاَ للجَاه، وَلاَ لأَية غَايَة مِنْ غَايَات الدُّنْيَا، فَقَد كَانَتْ نَفْسه أَقوَىٰ مِنْ شَهوَة الحُكْم، وَفِتنَة السُّلطَان، وكَانَتْ الدُّنْيَا فِي نَظَرَه أَشبَه بِرَمَاد تَذروه الرِّيَاح فِي يَوْم عَاصف.

قَالَ اَبْن عَبَّاس: كَانَتْ الدُّنْيَا أَهوَن عَلىٰ عَليّ مِنْ شِسع نَعْلَه، وكَانَتْ نَعْلَه مِنْ لِيف لاَ تُسَاوي كِسر دِرهَم.

وقَالَ اَبْن عَبَّاس أَيضَاً: دَخَلت عَلىٰ أَمِير المُؤْمِنِين، وَهُو خَـلِيفَة، فَـوَجَدته يُصْلِح نَعْلَه،

فَقُلت: مَاذَا تَصْنع؟!.

فَقَال: دَعنَا مِنْ هَذَا... فَلَم يُكَلمني، حَتَّىٰ فَرغ، ثُمَّ ضَمَهُما

وَقَالَ: قَومهُما.

قُلتُ: لاَ قِيمَة لهُما.

قَالَ: قَومهُما عَلىٰ ذَلِكَ.

قُلتُ: كِسر دِرهَم.

قَالَ: وَاللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلاَّ أَنْ أُقِيمَ حَقّاً، أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً[1].

وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا عِندَه لاَ تُسَاوِي شِسع نَعْلَه فمَا أَحرَاه وَأَوْلاَه بِالخِلاَفَة، بَل مَا أولىٰ بِأَنْ تَكُون الدُّنْيَا بكَاملهَا حِذَاء لرِجْله.

ولَمْ تَكُن أَقوَال عَليّ مُجرّد أَفكَار وَنظريَات، بَل كَانَتْ نَبضاً فِي أَعمَاق قَلْبَه الكَبِير، يَتمرس بِهَا، وَيَحيَاها، وَلَو جرّت عَلَيه الكَوَارث وَالخُطُوب، كَمَا حَدَث ذَلِكَ بِالفِعْل.

وَبالتَالي، فَإِنَّ عَلياً لَمْ يَكُن رَجُل المُسْلِمِين وَكَفىٰ، وَلاَ رَجُل العَرْب، وَلاَ رَجُل الشَّرق، بَل رَجُل الدُّنْيَا بكَاملهَا، وَالإِنْسَانِيَّة بِمَعنَاهَا الشَّامِل، فَإِذَا مَا اْحتَفلنَا بيَومه هَذَا، فَإِننَا نَحتَفل بِالمَبَادِىء، وَالمُثُل العُليَا، نَحتَفل بِعَظَمَة الدِّين، وَالعِلْم، وعَظَمَة الإِخْلاَص، والتَّضحِيَة، وعَظَمَة البطُولَة، وَالشَّجَاعَة، نَحْتَفل بِإِكمَال الدِّين، وإِتمَام النِّعمَة، وَانْتشَار الإِسْلاَم فِي الشَّرق وَالغَرْب.

---

(١) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطْبَة (٣٣).

الفهارس الفنية العامة

فهرس الآيات

فَهْرَس الْأَحَادِيث

فَهْرَس المَصَادر

١. القُرْآن الْكَرِيم، كِتَاب الله تَبَارَك وتَعَالىٰ الحَيّ القَيُّوم.

حَرْف الألف

٢. الإِبَانة عَن أُصُول الدِّيَانة، لِابْن بَطَّة الفَلكي، دِمَشق، الطَّبعة الأُولىٰ.

٣. الإِتحَاف بِحُبّ الأَشرَاف، للشَّـبرَاويّ الشَّـافِعيّ (ت ١١٧٢ هـق)، تَـحقِيق: مُحَمّد جَابر، المَطبعَة الهِندِية العَربية ١٢٥٩ هـ وَطَبعَة ـ مَصْر ١٣١٣ هـ وأُعيد طَبعَه فِي ـ إِيرَان ١٤٠٤ هـ

٤. إِسعَاف الرَّاغِبين فِي سِيرة المُصْطَفىٰ وَأَهل البَيْت الطَّـاهِرِين (بـهَامش نُـور الأَبصَار)، للشَّيخ مُحَمّد بن عَليّ الصَّبان، طَبع العُثمَانِية.

٥. الآثَار البَاقِية عَن القرُون الخَالِية، لِمُحَمَّد بن أَحْمَد البَيرُوني. طَبْعَة لَيبك عَام ١٩٢٣م.

٦. أَخْبَار أَئِمَّة الزَّيدِيَّة فِي طَبرستَان وَدَيلمَان وَجِيلان. نصُوص تأرِيخِيَّة جَـمع وتَحْقِّيق / فيلفَرد مَادلُونغ. المَعْهد الأَلمَاني للـدِّرَاسَـات الشَّـرقِية سِـلسِلة نصُوص وَدرَاسَات بَيرُوت ١٩٨٧ م.

٧. أَخْبَار فَخّ. أَحْمَد بن سَهل الرَّازي (ق ٤ هـ). دَارسة وتَحْقِيق / الدُّكتُور مَاهر جرَار. دَار الغَرب الإِسْلاَميّ. بَيْرُوت لُبْنَان.
٨. أَخْبَار القُضَاة. مُحَمَّد بن خَلف وَكريع (ت ٣٠٦ هـ) طَبْعَة عَالم الكُتُب ـ بَيْرُوت.
٩. الأَخْبَار الطِّوَال. لأَحمَد بن دَاود الدّينوريّ (أَبُو حَنيفَة ت ٢٨٢ هـ) تَـحْقِيق: عَبدالمُنعم عَامر. طَبْعَة دَار المَسِيرة ـ بَيْرُوت، طَبْعَة دَار إِحيَاء الكُتُب العَربِية سَنَة (١٩٦٠ م).
١٠. الإِرشَاد الهَادي إِلىٰ مَنْظُومَة الهَادِي فِي العَقَائِد الزَّيدِيَّة لِابْن الوَزِير.
١١. إِرشَاد الأَرِيب إِلىٰ مَعرِفَة الأَدِيب. (المَعْرُوف بِمُعجَم الأُدبَاء) يَاقُوت الحَموِي. طَبْعَة مَرجليُوت. مَصْر ١٩٠٧ / ١٩٢٥ م.
١٢. إِرشَاد السَّارِي عَلىٰ صَحِيح البُخَاري، لأَحْمَد بن مُحَمَّد بن أَبي بَكْر بن عَبدالمَلك القَسْطلاَني الأَصل المَصْري، الشَّافعي، طَبْعَة المَطْبَعة المَيمَنيَّة عَام (١٣٢٥ هـ).
١٣. الأَزْمِنَة وَالأَمْكِنة. لأَبِي عَليّ المَرزُوقي الأَصبهَاني. طَبْعَة حَيدر آبَاد الدّكن الهِند سَنَة ١٣٣٢ هـ.
١٤. الأَسَاس فِي عِلم الكَلاَم عِند الزَّيدِيَّة، القَاسم بن إِبْرَاهِيم الرَّسيّ (مَخْطُوط)، وَكَذَلِك شَرْح الثَّلاَثِين مَسأَلة فِي عَقَائِد الزَّيدِيَّة لإِبرَاهِيم بن يَحْيَىٰ السَّحولِي (مَخطُوط)، وَرَسَائل العَدْل والتَّوحِيد (مَخطُوط) أَيضاً.
١٥. الإِختصَاص، المَنْسُوب لِمحَمَّد بن مُحَمَّد بن النُّعمان العَكْبريّ المَعرُوف بِالشَّيخ المُفِيد، نَشر جمَاعة المُدرسِين. قُم: إِيرَان.
١٦. إِرشَاد الأَرِيب إِلىٰ مَعرِفَة الأَدِيب، (المَعْرُوف بِمُعجَم الأُدبَاء) يَاقُوت الحَموِي. طَبْعَة مَرجليُوت. مَصْر ١٩٠٧ / ١٩٢٥ م.
١٧. أَسْبَاب النُّزول، أَبِي الحَسَن عَليّ بن أَحْمَد بن مُحَمَّد الوَاحدِي. (ت ٤٦٨

هـ/ ١٠٧٦ م) وَبِهَامشه ٱلنَّاسخ وَالمَنْسُوخ لِهِبَة الله سَلاَمَة. عَالم الكُتُب. بَيْرُوت: لُبْنَان.
١٨. الإستِيعَاب فِي مَعْرِفَة الأَصْحَاب، يُوسُف بن عَبدالله بن مُحَمَّد القُرطبي أَبُو عُمَر المَشهُور بِٱبن عَبد البر ٱلنمري، (ت ٤٦٣هـ). تَحقِّيق: عَليّ مُحَمَّد مُعوض دَار الكُتُب العِلْمِيَة. بَيْرُوت ـ لُبْنَان. وتَحقِّيق عَليّ البَجَاوي. طَبْعَة القَاهِرَة وَبِهَامش الإِصَابَة.
١٩. الإِسْلاَم وَالحَضَارة العَربية. مُحَمَّد كُرد عَليّ. طَبْعَة مَصر سَنَة (١٩٣٤ ـ ١٩٣٦م).
٢٠. الأُصُول الخَمْسَة، القَاسم بن إِبْرَاهِيم المَعرُوف بِالرَّسي (ضِمن مَجْمُوع رَسَائِل العَدْل وَالتَّوحِيد) (مَخطُوط).
٢١. أُسد الغَابَة فِي مَعْرِفَة الصَّحَابَة، لأَبِي الحَسَن عِزّ الدّين عَليّ بن أَبِي الكَرَم مُحَمَّد أبن مُحَمَّد بن عَبد الكَرِيم الشَّيبَانيّ المَعْرِوف بِٱبن الأَثِير الجَزْريّ (ت ٦٣٠ هـ ق)، تَحقِّيق: مُحَمَّد إِبرَاهِيم، طَبْعَة ـ القَاهِرَة ١٣٩٠ هـ، وَطَبع بِالأُفست فِي المَكْتَبَة الإِسْلاَمِيَّة للحَاج رِيَاض، وَطَبع المَطْبَعَة الوَهبِية بِمَصْر.
٢٢. أَسنىٰ المَطَالب فِي مناقب عَليّ بن أَبي طَالب، لمُحَمّد بن عَليّ بن يُوسف الجَزريّ الشّافعيّ (ت ٨٣٣ هـ ق)، طَبعَة ـ مَكّة المُكَرمَة ١٣٢٤ هـ وَطَبع دَار إِحيَاء التُّرَاث العَربي ١٣٢٨ هـ.
٢٣. الإِشرَاف عَلىٰ فَضل الأَشرَاف، لإِبرَاهِيم الحَسَنيّ الشّافعيّ السّمهوديّ المَدنيّ تَحقِيق: سَامي الغُرِيري، طَبع دَار الكتَاب الإِسلاَمي.
٢٤. الأُصُول الثّمَانِيَّة، الإِمَام مُحَمَّد بن الإِمَام القَاسم بن إِبرَاهِيم بن إِسمَاعِيل بن إِبرَاهِيم بن الإِمَام الحَسَن بن الإِمَام الحَسَن بن الإِمَام عَليّ بن أَبي طَالب ﷺ (ت ٢٨٤ هـ)، تَحقِيق: عَبدالله بن حمُود العزيّ، طَبع مُؤسَّسة الإِمَام زَيد الثَّقَافِية.

٢٥. الإِصْبَاح عَلىٰ المصبَاح فِي مَعرفَة المَلك الفَتَّاح، الإِمَـام النَّـاصر لدِيـن الله إبرَاهِيم بن مُحَمَّد بن أحمَد المُؤيدي، تَحقِّيق: السَّيِّد العَلاَّمة عَبدالرَّحمن بن حُسِين شَايم، طَبْع مُؤسَّسة الإِمَام زَيد الثَّقَافِية.
٢٦. الإِصَابَة فِي تَمييز الصَّحَابة، مُحَمَّد بـن حَـبِيب البَـغْدَادِي. طَـبْعَة مَـولاىٰ عَبدالحَفِيظ. القَاهرَة (١٣٢٨ هـ).
٢٧. الإِصَابَة فِي تَمييز الصَّحَابة، (بهَامش الإِستِيعَاب لِابْن عَبدالبَر). أَحْمَد ابن حَجر العَسْقلاَني (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ). دَار العُلوم الحَدِيثة. وَطَبعات أُخرىٰ لَاحقَة.
٢٨. أَضْوَاء عَلىٰ السُّنَّة المحَمَّدِيَة، أَو دِفَاع عَن الحَـدِيث، مَـحْمُود أَبُـو رَيَّـه، مِنْشُورَات مُؤسَّسَة الأَعْلَمي للمَطبُوعَات بَيرُوت، الطَّبعَة الخَـامسَة. وَطَـبْعَة دَار المَعَارف بِمَصْر.
٢٩. الإِكمَال. عَليّ هِبة الله ابْـن مَاكـول (ت ٤٧٥ هـ). تَـحْقِّيق: عَـبدالرَّحـمَن المَعلَمي اليَمَاني وَنَايف العَبَّاس. طَبْعَة حَيدر آباد ١٩٦٧م، طَبْعَة القَاهرَة.
٣٠. الأَعلاَم، قَاموس تَرَاجم لأَشهر الرِّجَال... خَير الدِّين بن مَحمُود بن مُحَمَّد ابن عَليّ بن فَارس، أَيلول سبتَمبر ١٩٩٢ م دَار العِلم بَيْرُوت ـ لُبْنَان.
٣١. أَعْلاَم النِّسَاء، عُمر رِضا كحَالة سَنَة (ت ١٤١٣ هـ) مُؤسَّسَة الرِّسَالة بَيْرُوت ـ لُبْنَان.
٣٢. أَعيَان الشِّيْعَة، مُحسن بن عَبدالكَرِيم العَاملي (ت ١٣٧١ هـ). تَحْقِّيق وإِخرَاج حَسَن الأَمِين. دَار التَّعارف للمَطبُوعات. بَيْرُوت. لُبْنَان.
٣٣. الأَغَاني، لأَبِي الفَرج الإِصبهَانِي (ت ٣٥٦ هـ)، تَحْقِّيق: خَلِيل مُحييّ الدِّين دَار الكُتُب المَصْرِيَة، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٣٥٨ هـ، وَكَذا طَبْعَة دَار الفِكر بَـيْرُوت عَام (١٤١٢ هـ).

٣٤. الإِمَام زَيد حيَاته وَعَصره وآرَاؤه وَفِقهه. مُحَمَّد أَبُو زُهرة. المَكْتَبَة الإِسْلاَمِيَّة. بَيْرُوت ـ لُبْنَان.
٣٥. الإِمَام زَيد بن عَليّ المُفترىٰ عَلَيه. صَالح أَحْمَد الخَطِيب. دَار النَّدوة الجَدِيدَة عَام ١٩٨٤. مَنشُورات المَكْتَبَة الفِيصلِية.
٣٦. الإِمَام زَيد بن عَليّ شُعلة فِي لَيل الإِستبدَاد. مُحَمَّد يَحْيَىٰ سَالم عزَّان. دَار الحِكْمَة اليَمَانِية. صَنْعَاء ج. ي.
٣٧. الإِمَام الهَادي وَالِياً وَمُجَاهِداً وَفَقِيهاً) عَبدالفَتاح شَايف نُعمَان. بَيرُوت، مُؤسَّسة بَعينو للتَّجليد سَنَة ١٩٨٩. وَبدُون ذِكر لدَار النَّاشر.
٣٨. الأَمالي الكُبرىٰ المُسمّاة بِالخَمِيسَة، وَأُخرىٰ مُسَمّاة بِالإِثنَينِيَة لأَنَّ مُؤلفهَا كَان يُملِيها يَوم الخَمِيس وَالأُخرىٰ يَوم الإِثْنَين وهُو الإِمَام المُرشد بالله يَحْيَىٰ بن الحُسَيْن أبن إِسْمَاعِيل الجُرْجَانِي الشَّجري (٤١٢ هـ).
٣٩. الأَمَالي الصُّغرىٰ، للإِمَام أَحْمَد بن الحُسَيْن الهَاروني. وَيَلِيه مُعْجَم الرُّوَاة فِي أَمَالِي المُؤيد بالله. تَحقِّيق / عَبدالسَّلام الوَجِيه. دَار التُّراث الإِسْلاَميّ صَعدَة.
٤٠. أَمَالِي المُرتضىٰ. عَليّ بن الحُسَيْن العَلوي. طَبْعَة مَصْر عَام ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م بتَحقِّيق / مُحَمَّد أَبُوالفَضْل إِبرَاهِيم. دَار الكِتَاب العَربي ـ بَيْرُوت. لُبْنَان.
٤١. أَمَالي الشَّيخ الطّوسي، لأَبي جَعْفر مُحَمّد بن الحَسن الطّوسي مَنشُورَات المَكتَبة الأَهليَة، اوفسَيت مَكتَبَة الدّاوري، قُم ـ إِيرَان، وَالمَطبعَة الإِسلاَميّة، طَهرَان ١٤٠٤ هـ وَطَبعَة مُؤسّسة البِعثَة دَار الثّقافَة قُم ١٤١٤ هـ.
٤٢. الإِمَامَة وَالسّيَاسَة، لأَبِي مُحَمَّد عَبد الله أبن مُسْلِم المَعْرُوف بِأبن قُتيبة الدّينوريّ (ت ٢٧٦ هـ ق)، مَكْتَبَة ومَطْبَعَة مُصْطَفىٰ بَابي الحَلبي، مَصر ١٣٨٨هـ.
٤٣. إِمتَاع الأَسمَاع. للمقرِيزي. طَبعَة القَاهرَة (١٩٤١ م) المُجلد الأَوّل.

٤٤. أَنبَاء الزَّمن فِي تأرِيخ اليَمَن لإسمَاعِيل بن أَحْمَد بن عَليّ المُتوكّل (مَخْطُوط).
٤٥. السِّيرة الحَلبِية (إنسَان العُيُون فِي سِيرة الأَمِين المَأمُون)، عَليّ بن بُرهَان الشَّافعي الحَلبي، دَار الفِكر العَربِي بَيْرُوت ١٤٠٠ هـ.
٤٦. الأَنسَاب، عَبدالكرِيم مُحَمَّد السَّمعاني (ت ٥٦٢ هـ). طَبْعَة لَيدن. وبتَحقِيق: عَبدالرَّحمَن المَعْلَمي اليَمَاني. طَبْعَة ـ بَيْرُوت. الطَبْعَة الأُولىٰ ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م دَار الجنَان بَيْرُوت ـ لُبْنَان.
٤٧. أَنسَاب الأَشرَاف، لأَحمد بن يَحْيَىٰ بن جَابر البَلاَذريّ، (ت ٢٧٩ هق)، تَحْقِيق: كمَال الحَارثيّ، طَبْعَة مَكْتَبَة الخَانجيّ ـ مَصر ١١٢٥ هـ، طَبْعَة مَكْتَبَة المُثنَّىٰ بَغْدَاد ١٣٩٦ هـ، وتَحقِيق المَحمُودي، مُؤسّسة الأَعلمي بَيْرُوت.

حَرْف البَاء

٤٨. البدَاية والنّهاية، لأَبِي الفدَاء إِسْمَاعِيل بن كَثِير الدّمشقي، تَحْقِيق: عَليّ شِيري، دَار الكُتُب العِلْمِيّة، الطَبْعَة الخَامسَة، (١٤٠٩) هـ، مَطبَعَة السّعادة مَصْر عَام ١٣٥١ هـ.
٤٩. البدَاية والنّهَايَة، مُحَمَّد بن عَبدالحرّ الكنَاني (ت ١٣١٢ هـ). طَبْعَة القَاهرَة (١٣٥١ ـ ١٣٥٨ هـ).
٥٠. البِدء والتَّأرِيخ، المَنسُوب إِلىٰ أَبِي زَيد أَحْمَد بن سَهل البَلخي، وهُو لمُطهر اَبن طَاهر المَقدسي (ت ٥٠٧ هـ) مَكْتَبَة الثَّقافة الدِّينِية، وتَحْقِيق: كلمَان هوَاز طَبْعَة بَاريس ١٩٠٣ و مَطْبَعَة السُّنَّة المُحمَّدية ١٤٠٦ هـ.
٥١. البِدء وَالتَّأرِيخ، للمَقدسي. طَبْعَة (١٩٨٨ م).
٥٢. البَحر الزَّخَّار الجَامِع لعُلمَاء الأَمصَار، لأَحمَد بن يَحْيَىٰ المُرتَضىٰ، صَنْعَاء دَار

الحِكْمَة اليَمَانِية.
٥٣. البِحار، للعَلاَّمة المَجْلسي. طَبْعَة سَنَة (١٤١٢ هـ). مُؤسَّسَة الوَفَاء بَيْرُوت: لُبْنَان، وأيضاً طَبْعَة إيرَان، طَبْعَة سَنَة (١٣٩٤ هـ) إيرَان.
٥٤. بِشَارة المُصطَفَىٰ لشِيعَة المُرتَضىٰ، عمَاد الدّين أَبُو جَعْفَر مُحَمّد بن القَاسم الطّبري، المَطْبعَة الحَيدرِية، النَّجف الأَشرَف، الطَّبعَة الثّانِية ١٣٨٣ هـ وَنَشر مَطْبعَة الخَانجي مَصْر ١٤٠٠ هـ.
٥٥. بَطل فَخّ الحُسين بن عَليّ بن الحُسين أَمِير مَكّة وَفَاتحها. مُحَمَّد هَادي الأَمِين. المطْبَعَة الحَيدرِية. النَّجف سَنَة ١٩٦٩م.
٥٦. بُغيَّة الوعَاة فِي طَبَقَات اللُّغوين والنُّحاة، جَلاَل الدِّين السّيوطي (ت ٩١١هـ). طَبْعَة مَصْر سَنَة ١٣٢٦ هـ. طَبْعَة أُخرىٰ بتَحْقِيق: مُحَمَّد أَبُوالفَضْل إبرَاهِيم. القَاهرَة (١٩٦٤م).
٥٧. بُلغَة الظُّرفاء فِي ذِكر توَاريخ الخُلفَاء. عَليّ بن مُحَمَّد أَبِي السّرور الرّوحي. طَبْعَة مَصْر سَنَة (١٣٢٧ هـ).
٥٨. بُلُوغ الأَرب وَكنُوز الذَّهب فِي مَعرِفة المَذْهَب، لعَلي بن عَبدالله بن القَاسم آبن مُحَمَّد بن الإِمَام القَاسم بن مُحَمَّد الحَسَني الشّهاري الصَّنعَاني، تحقِيق عَبدالله بن عَبدالله بن أَحْمَد الحُوثي، طَبع مُؤسَّسة الإِمَام زَيد بن عَليّ الثَّقَافِية.
٥٩. بُلُوغ المرَام فِي شَرْح مِسك الختَام فِي مَن تَولىٰ مُلك اليَمَن مِن مَلك وَإمَام حُسِين بن أَحْمَد العِرشي. عُني بِنَشرة الأَب أَنستَاس مَاري الكَرمَلي. طَبْعَة دَار إحيَاء التُّراث العَربي. بَيْرُوت: لُبْنَان، وَكَذا طَبْعَة القَاهرَة سَنَة (١٩٣٩ م).
٦٠. البُلدَان، لأَبِي بَكر أَحْمَد بن مُحَمَّد الهَمدَاني المَعْرُوف بِآبن الفَقِيه، طَبْعَة النَّجَف الأَشرَف، طَبْعَة لَيدن.

٦١. البيان وَالتبيين ، لعَمرُو بن بَحر الجَاحظ ، (ت ٢٥٥ هـ ق)، شَرح حَسَن السّندوبيّ ، نَشر دَار الجَاحظ ١٤٠٩ هـ، وَمَطبعَة الإستقَامة ، الطّبعَة الثَالثة القَاهرَة ١٣٦٦ هـ وَطَبعَة دَار الوَعي سُوريا ١٤٠٢ هـ.
٦٢. البَيَان والتّبين عُمرو بن بَحر الجَاحظ ، طَبْعَة دَار الوَعي سُوريا ١٤٠٢ هـ، طَبْعَة أُخرىٰ بتَحْقِيق عَبدالسّزلام هَارُون ، طَبْعَة مَصْر .

حَرْف التّاء

٦٣. تَاج العَرُوس فِي جوَاهر القَامُوس ، مُحَمَّد مُرتضىٰ الزُّبيدي . طَبْعَة مَصْر .
٦٤. تَاج اللُّغة وَصحَاح العَربية . للجَوهري . طُبع عَام ١٢٨٢ هـ. مَصْر (مُجلدَان) .
٦٥. تَأرِيخ آدَاب اللُّغة . لمُصطَفىٰ صَادق الرَّافعي .
٦٦. التَّأرِيخ . خَلِيفة بن خَيَّاط (ت ٢٤٠ هـ). تَحقِّيق أَكرم ضِيَاء العُمري . طَبْعَة دِمشق (١٩٧٧م).
٦٧٢. تَأرِيخ بَغْدَاد ، لأَحمد بن عَليّ الخَطِيب البَغداديّ ، طَبْعَة دَار السَّعادة مَصْر .
٦٨. التَّأرِيخ يَحيَىٰ بن مَعِين (ت ٢٣٣هـ) ، روَاية عَبَّاس الدُّوري . تَحقِّيق : أَحْمَد مُحَمَّد نُور سَيف . طَبْعَة مَكَّة المُكَرَّمة ١٩٧٩م .
٦٩. التَّأرِيخ الكَبِير لِمحَمَّد بن إِسْمَاعِيل البُخاريّ ، طَبْعَة حَيدر آبَاد الدّكن .
٧٠. تَأرِيخ جُرجَان . للسَّهمي حَمْزَة بن يُوسُف (ت ٤٢٧ هـ). طَبْعَة حَيدر آبَاد الدّكن ٣٦٩ / ١٩٥٠ م .
٧١. تَأرِيخ ابْن خَلدُون ، المُسمىٰ التَّأرِيخ أَو العِبر ودِيوَان المُبتَدأ أو الخَبر . عَبد الرَّحمَن بن مُحمَّد المَشهُور بأبن خَلدُون (ت ٨٠٨ هـ) ، طَبْعَة دَار الكِتَاب العَربيّ بَيْرُوت ١٩٧١ هـ.

٧٢. تَأرِيخ الخُلَفَاء لعبدالرَّحْمَن بن أَبِي بَكـر السَّـيوطيّ (ت ٩١١ هـ)، تـحْقِيق مُحيي الدِّين عبدالحَمِيد، طَبْعَة القَاهرَة، ١٩٥٩ م) طَبْعَة دَار السّعادة مَصْر عَام (١٤١٦ هـ).
٧٣. تَأرِيخ الخَمِيس فِي أحوَال أنفس نَفِيس، لحُسين بن مُـحَمَّد بـن الحَسَـن الدّياربكريّ (ت ٩٦٦ هـ). طَبْعَة القَاهرَة ١٢٨٣ هـ.
٧٤. تَأرِيخ الأَدَب العَربي، (بِالأَلمَانية)، لكَارل برُوكلمَان، تَرجَمة الدّكتور عَبد الحَلِيم النّجار، الأَجزَاء الثّلاثة الأَوّل، الطَبْعَة الرّابعة دَار المَعَارف القَاهرَة، وَأَمّا الأَجزَاء الثَّلاثة الأُخر، تَرجمهَا، الدّكتور يَعقُوب بَكر، والدّكتور رَمضَان توّاب.
٧٥. تَأرِيخ دِمشق، حَمْزَة بن أَسد القَلانسي (ت ٥٥٥ هـ). طَبْعَة بَيْرُوت عَام (١٩٠٨ م).
٧٦. تَأرِيخ دِمَشق، عَليّ بن الحَرّ بن عَسَاكر (ت: ٥٧١ هـ). طَبْعَة دِمشق ١٩٥١ـ ١٩٥٤ م. طَبْعَة (١٩٨٢ م).
٧٧. تَأرِيخ الإِسْلاَم، مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُـثْمان الذّهـبيّ، (ت ٧٤٨ هـ) مَكْـتَبَة القُدسي القَاهرَة (١٣٦٨ هـ تَحقِّيق بَشَار عوَاد مَعْرُوف طَبْعَة القَاهرَة (١٩٧٧ م).
٧٨. تَأرِيخ الإِسْلاَم السّيَاسي وَالدِّيني والثَّقافِي وَالإِجتَماعي، الدُّكتُور حَسَـن إِبرَاهِيم، طَبْعَة دَار الكِتَاب بَيْرُوت ١٤٠١ هـ.
٧٩. تَأرِيخ الإِسلاِم وَوَفيَّات المَشَاهِير وَالأَعلام، لشَمس الدّين مُحَمّد بن أَحمَد الذَّهبيّ (ت ٧٤٨ هـ ق)، تَحقِيق: عُمر عَبد السّلام تَدمريّ، طَـبعَة دَار الرّائـد العَربي ـ القَاهرة ١٤٠٥ هـ، وَنَشر دَار الكتَاب العَربي ـ بَيرُوت ١٤١١ هـ وَطَبعَة حَيدر آبَاد الدّكن ١٣٥٤ هـ.
٨٠. تَأرِيخ الطَّبريّ تَأرِيخ الرُّسل والأُمم وَالمُلوك، لأَبِي جَعْفَر مُحَمَّد بن جَـرِير الطَّبريّ (... ـ ٣١٠ هـ)، تَحقِّيق مُحَمَّد أَبُو الفَضل إِبرَاهِيم دَار المَعَارِف القَاهرَة

(١٩٦٠ م) طَبْعَة أُوربا، طَبْعَة الإستقَامة مَصْر.

٨١. تَأرِيخ ٱبْن عَسَاكر (تَأْرِيخ دِمشق)، الْأجزَاء الَّتي حَقَّقَهَا الَمحمُودي، تَرجمَة الْإِمَام عَليّ والْإِمَام الحَسَن والْإِمَام الحُسَيْن.

٨٢. تَأرِيخ المَدِينَة المُنورَة (أَخْبَار المَدِينَة)، لعُمر بن شَيبَة. تَحقِّيق: فَهِيم مُحَمَّد شَلتُون. دَار التُّراث والدَار الْإِسْلاَمِيَّة ١٩٩٠ م بَيْرُوت: لُبْنَان.

٨٣. تَأرِيخ اليَعقُوبيّ، أَحْمَد بن أَبِي يَعْقُوب بن جَعفَر العَبَّاسي المَعْرُوف بِاليَعقُوبيّ، طَبْعَة النَّجَف الْأَشْرَف ١٣٥٤ هـ.

٨٤. تَأرِيخ اليَعْقُوبي، لِابْن وَاضح. طَبْعَة دَار صَادِر بَيْرُوت. وأيضاً النَّجَف.

٨٥. تَثْبِيت إِمَامَة أَمِير المُؤْمِنِين عَليّ بن أَبِي طَالب، للإِمَام يَحيَىٰ الهَادي (مَخطُوط) بِالجَامع الكَبِير، مَجمُوع (٢٤) تَحت رَقم «٤١٤».

٨٦. تَثبِيت الْإِمَامَة، للإِمَام يَحيَىٰ الهَادي، مَوجُود تَحت رَقم (٢٠٦) مِن المُتحف البِريطَاني.

٨٧. تَثْبِيت دَلاَئِل النُّبوَّة، للقَاضي عَبد الجَبار، طَبعَة دَار المَلاَيِين للعِلم بَيرُوت ١٤٠٢ هـ.

٨٨. التَّجدِيد فِي فِكر الْإِمَامة عِند الزَّيدِيَة فِي اليَمَن، أَشوَاق أَحْمَد مَهدي غَليس، مَكْتَبة مَدبُولي، القَاهرة، الطَّبعَة الْأُولىٰ سَنَة (١٤١٧ هـ).

٨٩. تَحْذِير العَبْقَري مِن مُحَاضرَات الخُضَري أُخذ بِالوَاسطة.

٩٠. تُحف العُقُول، لأَبي مُحَمَّد الحَسن بن عَليّ الحرَّاني المَعرُوف بِابن شُعبَة، مُؤَسَّسة النَّشر الْإِسلاَمي ـ قُم، الطَّبعَة الثَّانِية ١٤٠٤ هـ، وإنتشارات جَامعَة مُدرسِين، وَطَبعَة دَار إِحيَاء التُّراث العَربيّ ١٤٠٦ هـ.

٩١. التَّذكرَة، لِعبد الرَّحمان بن عَليّ بن مُحَمَّد بن عَليّ البَكري الحَنبلَي البَغدَادي

(آبن الجَوزي الحَنفي)، طَبعَة حَيدر آبَاد الدّكن.
٩٢. تَذكرَة الحفَّاظ، مُحَمَّد أَحْمَد بن عُثمَان الذّهبيّ، (ت ٧٤٨ هـ ق)، تَحْقِّيق: أَحْمَد السّقا، طَبْعَة ـ القَاهرَة ١٤٠٠ هـ، طَبْعَة حَيدر آبَاد الدّكن ١٣٨٧ هـ طَبْعَة دَار إِحيَاء التُّرَاث العَربيّ مَكْتَبَة الحَرَم المَكيّ بِمَكّة المُكَرمَة.
٩٣. تَذكرَة الخوَاص (تذكرَة خوَاص الأُمَّة)، ليُوسُف بن فَرغلي بن عَبد الله المَعْرُوف بِسبط آبْن الجَوزيّ، الحَنبَليّ ثُمَّ الحَنفيّ، نَزِيل دِمشق (ت ٦٥٤ هـ)، طَبْعَة ـ بَيْرُوت الثَّانِيَة ١٤٠١ هـ، طَبْعَة النَّجَف الأَشْرَف، طَبْعَة مَصْر.
٩٤. التَّرغِيب وَالتَّرهِيب. عَبدالعَظِيم بن عَبدالقَوّي المُنذري (ت ٦٥٦ هـ). تَحْقِّيق: مُصْطَفىٰ عمَارة. بَيْرُوت (١٩٦٨ م).
٩٥. تَرجَمَة الإِمَام عَليّ بن أَبِي طَالب ٧، مِن تَأرِيخ دِمشق الكَبِير، ا يّ بن هِبة الله المَعْرُوف بِآبن عسَاكر، طَبْعَة دِمشق.
٩٦. تَرجَمَة الإِمَام الحُسَيْن مِن كتَاب الطَّبَقَات الكَبِير القِسْم الغير المَطبُوع، لِابْن سَعِيد الزُّهري (٢٣٠ هـ). تَحْقِّيق: السَّيِّد عَبدالعَزِيز الطَّبَاطَبائي. نَشر مُؤسَّسَة آل البَيْت لِإحيَاء التُّرَاث. ١٤١٥ هـ.
٩٧. تَرجَمَة الإِمَام الحَسَن مِن تَأرِيخ دِمشق الكَبِير (٥٧١ هـ)، تَحْقِّيق: مُحَمَّد بَاقر المَحْمُودي. مُؤسَّسَة المَحمُودي. (١٤٠٠ هـ).
٩٨. تَفْسِير رُوح المَعَانِي، لِأَبي الفَضْل شهَاب الدِّين السَّيِّد مُحَمّد الآلُوسي، طَبْعَة مَكْتَبة المُثنىٰ بَغدَاد ١٣٩٦ هـ.
٩٩. تَفْسِير القُرآن العَظِيم، (تَفْسِير آبْن كَثِير)، لِإِسمَاعِيل بن عُمر بن كَثير البَصريّ الدّمشقيّ، (ت ٧٧٤ هـ). طَبْعَة بَيْرُوت دَار المَعْرِفَة ١٤٠٧ هـ، طَبْعَة دَار إِحيَاء التُّرَاث العَربيّ، طَبْعَة دَار صَادِر.

١٠٠. تَفْسِير البَيضَاويّ، (أَنوَار التّنزِيل وَأَسرَار التّأويل)، لأبي سَعِيد عَبدالله أبن عُمر الشّيرازيّ البَيضَاويّ، طَبعَة دَار النّفَائس ١٤٠٢ هـ، وَطَبعَة مُصطَفىٰ مُحَمّد ـ مَصْر.
١٠١. تَفْسِير الكَشّاف، لأبي القَاسم جَار الله مَحمُود بن عُمر بن مُحَمّد بن أَحمَد الزّمَخشري (ت ٥٣٨ هـ)، طَبعَة دَار المَعرفَة بَيرُوت، قُم، دَار البَلاَغَة.
١٠٢. تَفسِير الثّعلبي (الكَشف وَالبيَان فِي التّفسِير)، لأحمَد بن مُحَمّد بن إبرَاهِيم النّيسابُوري، (ت ٤٣٧ هـ)، مَطبُوع الجُزء الأوّل عَلىٰ الحَجر، وَ(مَخطُوط) فِي مَكتبَة المَرعَشي النّجفي العَامّة.
١٠٣. تَفْسِير الجَلاَلين، لجَلاَل الدّين عَبد الرّحمَن بن أَبي بَكْر السّيوطي، طَـبعَة القَاهِرَة ١٣٦٤ هـ.
١٠٤. تَفْسِير الحَبري، لأبي عَبدالله، الحُسَيْن بن الحَكم بن مُسْلم الحَبري الكُوفي (ت ٢٦٨ هـ)، توزِيع رِئَاسة البحُوث العِلمِية وَالإفتَاء وَالدّعوة الرّيَاض.
١٠٥. تَفْسِير الخَازن لعَلاَء الدّين الخَازن الخَطِيب البَغدَاديّ، (ت ٧٢٥ هـق)، طَبعَة دَار الفِكر ـ بَيرُوت ١٤٠٩ هـ، وَطَبعَة مَصر ١٤١٥ هـ دَار الكُتب العَربِية الكُبرىٰ.
١٠٦. تَقْرِيب التّـهْذِيب، مُـحَمّد بـن حَـبِيب البَـغْدَادِي (ت ٢٤٥ هـ). تَـحْقِيق: عَبدالوهَاب عَبداللطِيف. طَبْعَة القَاهِرَة (١٣٨٠ هـ).
١٠٧. تهذِيب التّهذِيب، لأبي الفَضل أَحمَد بن عَليّ بن حَجر العَسقلانيّ (ت ٨٥٢ هـق)، تحقِيق: مُصطَفىٰ عَبد القَادر عَطا، طَبعَة دَار الكُتب العِـلمِية الطّـبعَة الأولىٰ ـ بَيرُوت ١٤١٥ هـ، وَمَطبعَة مَجلس دَائرة المعَارف النّـظَامِية الهِـند ١٣١٥ هـ، النّاشر، دَار صَادر بَيرُوت ـ مصَور مِن طَبعَة دَائرة المعَارف العُثمَانية، حَـيدر آبَاد ـ الهِند ١٣٢٥ هـ.
١٠٨. التّنبِيه وَالأشرَاف. للمَسعُودي. طَبْعَة مُصَوّرَة عَن الطّبْعَة الأُوروبِية. مَكْتبَة

خيّاط عام ١٩٦٥ م. بيْرُوت - لُبْنَان، وَكَذا طَبْعَة دَار الصَّاوي - مَصْر سَنَة (١٣٦٦ هـ).
١٠٩. تَهْذِيب تَأرِيخ دِمشق الكَبِير لِابْن عسَاكر، الشَّيخ عَبدالقَادر رَيدرَان. دَار المَسيرة بَيْرُوت: لُبْنَان.
١١٠. تَهذِيب الأحكَام، لأَبي جَعْفَر مُحَمَّد بن الحَسَن الطُّوسي (المُتوفَّىٰ ٤٦٠هـ)، تَحقِّيق الحُجَّة السَّيِّد حَسَن الخرسَان، الطَّبعَة الثَّالِثة، بَيْرُوت دَار الأَضوَاء عَام (١٤٠٦ هـ).
١١١. تَهْذِيب الكَمَال، يُوسُف بن عَبدالرَّحمَن المَزي (ت ٧٤٢ هـ). طَبْعَة دَار المَأمُون دِمشق، ومَطْبَعَة مُؤسَّسَة الرِّسَالة.
١١٢. تَهْذِيب المقَال فِي تَنقِيح كتَاب الرِّجَال للشَّيخ الجَلِيل النَّجَاشي، للسَّيد مُحَمَّد عَليّ الأَبْطَحي.

حَرْف الثَّاء

١١٣. الثِّقَات، لأَبِي حَاتِم مُحَمَّد بن حَبَّان بن أَحْمَد التَمِيمِي البَستي، (٣٥٤هـ) الطَبْعَة الأُولىٰ، مَطْبَعَة مَجلس دَائِرَة المَعَارف العُثْمانِيَّة بحَيدر آبَاد الدَّكن، الهِند، عَام ١٣٦٩ هـ.
١١٤. ثمَار القُلوب فِي المُضاف وَالمَنسُوب. عَبدالمَلك بن مُحَمَّد الثَّعالبي. طَبْعَة مَصْر سَنَة ١٣٢٦ هـ.
١١٥. ثَورَة زَيد بن عَليّ. لنَاجي حَسَن. طَبْعَة بَغْدَاد ١٣٦٦ هـ مَكْتَبَة النَّهضَة.

حرف الجيم

١١٦. جَامع الأُصُول فِي أَحَاديث الرّسول، لأبي السّعادَات مَجد الدّين المُبَارَك بن مُحَمّد ابن مُحَمّد المَعرُوف بِابن الأثِير الشّيبَاني الشّافعي، (ت ٦٠٦ هـ) طَبعَة الفَجّالة مَصر ١٤٠٦هـ.
١١٧. جَامع البَيَان عَن تَأوِيل القُرآن، أَبِي جَعفَر مُحَمَّد بن جَرِير الطَّبري (المُتوفَّىٰ ٣١٠هـ).
١١٨. الجَامع الصَّحِيح (سُنن التّرمذي)، لأَبِي عِيْسَىٰ مُحَمَّد بن عِيْسَىٰ بن سَورَة التّرمذي (ت ٢٩٧هـ) تَحقِيق: أَحْمَد مُحَمَّد شَاكر، دَار إِحيَاء التُّرَاث، بَيرُوت.
١١٩. الجَامِع الصَّحِيح (صَحِيح مُسْلِم) بشَرْح النّووي، لمُسلم بن الحَجَّاج بن مُسْلِم القُشِيري النّيشابوري (ت ٢٦١ هـ ق)، تَحقِيق: مُحَمَّد فُؤَاد عَبد البَـاقي، دَار الحَدِيث، القَاهرَة، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٤١٢هـ.
١٢٠. الجَامِع الصَّغِير، فِي أَحَادِيث البَشِير النَّذير جَلاَل الدِّين عَبد الرَّحْمَن بن أَبِي بكر جَلاَل الدِّين السّيوطي (ت ٩١١ هـ ق)، الطَبْعَة الأُولىٰ ـ القَاهرَة ١٣٦٥هـ.
١٢١. الجَامِع لأَحكَامِ القُرْآن، لأَبِي عَبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد القُرطبيّ (ت ٦٧١هـ)، طَبْعَة الفَجَّالة القَدِيمة مَصْر.، والطَـبْعَة الأُولىٰ، دَار إِحـيَاء التُّـرَاث العَـربي، تَصحِيح أَحْمَد عَبد العَلِيم البَردُوني.
١٢٢. الجَرح والتَّعدِيل، عَبدالرَّحمَن بن أَبِي حَاتم مُحَمَّد بن إِدرِيس المُنذر (ت ٣٢٧هـ). تَحقِيق: عَبدالرَّحمَن المَعلَمي اليَمَاني. حَيدر آباد.
١٢٣. جوَاهر العِقدِين فِي فَضْل الشَّرفَين شَرف العِلْم الجَلي وَالنَّسب العَلي، لعَلي بن عَبد الله الحَسني السَّمهُودي (٨٤٤ ـ ٩١١ هـ)، تَحقِيق: الدّكـتور مُـوسىٰ بِنَاي العَلِيلي، مَطْبعَة العَاني بَغدَاد ١٤٠٥ هـ، نَشر وزَارَة الأَوقَاف العرَاقِية.

١٢٤. الْجَمَل، للشَّيخ المُفِيد. طَبْعَة الحَيْدَرِيَّة. النَّجف الأشرَف. الْعِرَاق. سَنَة (١٣٨١ هـ.ق).
١٢٥. جَمْهَرة أَنْسَاب العَرَب، عَليّ بن أَحْمَد بن جَزم (ت: ٦٥٥هـ). تَحْقِيق: عبدالسَّلام هَارُون. طَبْعَة القَاهِرَة (١٩٦٢ م).

حَرْف الحَاء

١٢٦. الأَحْكَام السُّلطانِية، لأَبِي الحَسن عَليّ بن مُحَمَّد البَصري البَغْدَادِي المَاوَردي، الطَّبعَة الأُولىٰ مَصْر، ١٣١٩ هـ.
١٢٧٢. الإِحكَام لِابْن حَزم، لعَليّ بن أَحْمد بن حَزم الأُندلسي، أَبُو مُحمّد، دَار الحَدِيث، القَاهِرَة، ١٤٠٤ هـ، طَبْعَة ١.
١٢٨. الإِحكَام للآمُدي، لعَليّ بن مُحمّد الآمدي، أَبُو الحَسن، دَار الكتَاب العَربي، بَيْرُوت ١٤٠٤ هـ، تَحقِّيق: الدّكتُور سيّد الجُمِيلي.
١٢٩. حَاشِية ردّ المُختَار عَلىٰ الدُّر المُختَار لِابْن عَابدِين، المَطْبع المُصطفَائي، لَكهنو.
١٣٠. الحَاكم فِي مَعْرِفَة علُوم الحَدِيث، لأَبِي عَبد الله مُحَمَّد بن عَبدالله بن الحَاكم النَّيشابوري (ت ٤٠٥ هـ)، طَبْعَة دَار الكِتَاب العَربِي.
١٣١. الحَدَائِق الوَردِيَّة فِي منَاقِب الأَئِمَّة الزَّيدِيَّة، لأَبِي عَبدالله الشَّهِيد حُمَيد ابن أَحْمَد المَحَلي الْتِيمِي الوَادعِي، مَطْبُوع، ومَخْطُوط فِي مَكْتَبَة آل كَاشف الغِطَاء بِرَقم «٧١٣»، ومُصَوَّرَة عن مَخْطُوطة نُسخَت سَنَة (١٣٥٧ هـ). دَار أُسَامة. دِمَشْق ١٤٠٥ هـ.
١٣٢. حليَة الأَولِيَاء وطَبَقَات الأَصفيَاء، أَحْمَد بن عَبدالله. أَبُو نَعِيم الإِصبهَانِي (المُتوفّىٰ ٤٣٠ هـ).

١٣٣. الحُور العِين. سَعِيد نشوَان الحميَري (١١٧٧م). تَحقِيق: كمَال مُصْطَفىٰ دَار آزال. بَيْرُوت، والمَكْتَبَة اليمنية صَنْعَاء ١٩٨٥م.
١٣٤. حَيَاة الصَّحَابة. مُحَمَّد يُوسُف الكَاندهلوي. تَحقِيق: عَليّ شِيري دَار إحيَاء التُّرَاث العَربي. بَيْرُوت: لُبنَان.
١٣٥. حَيَاة الحَيوَان الكُبرىٰ. مُحَمَّد بن مُوسىٰ الدّميري (ت ٨٠٨هـ). طَبْعَة المَكْتَبَة الإِسْلاَمِيَّة ـ بَيْرُوت.
١٣٦. الحَيوَان. للجَاحظ. طَبْعَة القَاهرَة ١٣٦٥هـ، وَكَذا طَبْعَة الحَلبي مِن سَنَة (١٣٥٧هـ).
١٣٧. حَيَاة الصَّحَابة، لمُحمّد بن يُوسف إليَاس الحَنفي الهِندي، طَبع لاَهُور.
١٣٨. حَيَاة الحَيوَان الكُبرىٰ، مُحَمَّد بن مُوسىٰ الدّميري (ت ٨٠٨هـ). طَبْعَة المَكْتَبَة الإِسْلاَمِيَّة ـ بَيْرُوت.
١٣٩. الحَيوَان، للجَاحظ. طَبْعَة القَاهرَة ١٣٦٥هـ، وَكَذا طَبْعَة الحَلبي مِن سَنَة (١٣٥٧هـ).

حرف الخاء

١٤٠. الخَرَائج وَالجَرَائح، لأَبي الحُسَيْن سَعِيد بن عَبدالله الرّاوندي المَعرُوف بِقُطب الدّين الرّاوندي (ت ٥٧٣هـ)، تَحقِيق وَنَشر: مُؤسّسة الإِمَام المَهدي ـ قُم، ١٤٠٩هـ.
١٤١. خَصَائِص أَمِير المُؤمِنِين ـ ضِمن السُّنن، الحَافظ النّسائي (٣٠٣هـ) دَار الكُتُب العِلمِيّة ـ بَيْرُوت.
١٤٢. خَصَائص أَمِير المُؤمِنِين عَليّ بن أَبِي طَالب، للحَافظ أَبِي عَبدالرَّحمَن أَحْمَد

بن شُعيب النّسائي. دَار الكِتَاب العَربي، بَيْرُوت: لُبْنَان.
١٤٣. الخَصَائِص الكُبرىٰ (كفَاية الطَّالب اللَّبيب فِي خَصَائص الحَبِيب)، جَـلاَل الدِّين السّيوطي. طَبْعَة دَار الكِتَاب العَربي.
١٤٤. خُلاَصَة الأَقوَال فِي مَعْرِفَة الرِّجَال (رِجَال العَلاَّمَة الحِلي)، لجَمَال الدّين أَبِي مَنْصُور الحَسَن بن يُوسُف بن عَليّ بن المُطهر الحِلي (ت ٧٢٦ هـ)، تَـصحِيح مُحَمَّد صَادق بَحر العُلُوم، مَنْشورَات الشَّريف الرَّضي، الطَّبْعَة الأُولىٰ ١٤٠٢هـ

حَرْف الدَّال

١٤٥. دَائِرَة مَعَارف القَرن العشرِين، مُحَمَّد فَريد وَجدي. دَار المَعْرِفَة، بَيْرُوت.
١٤٦. دَائِرَة المَعَارِف الإِسْلاَمِيَّة، نَقَلها إِلىٰ العَربِية مُحَمَّد ثَابت الفَندي وآخرُون. دَار المَعْرِفَة. بَيْرُوت ـ لُبْنَان.
١٤٧. الدُّر المَنْثُور فِي طَبَقَات رَبَّات الخدُور، العَاملي ـ زَينَب (ت ١٣٣٢ هـ). طَبْعَة القَاهِرَة (١٣١٢ هـ).
١٤٨. الدُّر المَنْثُور فِي التَّفسِير بِالمَأثُور، جَلاَل الدِّين السّيوطي (ت ٩١١ هـ). دَار الفِكر بَيْرُوت: لُبْنَان.
١٤٩. دلاَئل النُّبوَّة، أَبُو نَعِيم أَحْمَد بن عَبدالله الأَصبهَاني (ت ٤٣٠ هـ). نَشر دَار الوَعي ـ حَلب (١٣٩٧ هـ).
١٥٠. دلاَئِل النُّبوَّة، أَبُو بَكر أَحْمَد بن الحُسَيْن البَيهقي (٤٥٨ هـ) نَشر دَار الوَعي حَلب ١٣٩٧ هـ.
١٥١. دُول الإِسلاَم، مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثْمان الذَّهَبي : (ت ٧٤٨ هـ). تَحقِّيق: فَهِيم مُحَمَّد شَلتُوت ومُحَمَّد مُصْطَفىٰ إِبرَاهِيم. طَبْعَة القَاهِرَة (١٩٧٤ م).

حرف الذال

١٥٢. الذُّرِيَّة الطَّاهِرَة، لمُحمّد بن أحمَد الدّولابي (مَخطُوط)، وَتَحقِيق: مُحمّد جوَاد الجَلالي، مُؤسَّسة النَّشر الإسلَامي ١٤٠٧ هـ.

١٥٣. ذَخَائر العُقبىٰ فِي منَاقب ذَوي ٱلقُرْبَىٰ، لُمحبّ الدّين أَحْمَد بن عَبدالله الشّهير بالُمحبّ الطّبري، (ت ٦٩٤ هق)، نَشره حُسام الدّين القُدسي بالقَاهرَة ١٣٥٦ هـ.

حرف الراء

١٥٤. رِبيع الأَبرَار، لأَبي القَاسم جَار الله مَحمُود بن عُمر بن مُحَمّد بن أَحمَد الزّمخشري (ت ٥٣٨هـ).

١٥٥. رِجَال النَّجاشي، لأَبي العَبَّاس أَحْمَد بن عَليّ النَّجاشي تَحْقِّيق مُحَمَّد جوَاد النَّائِيني طَبْعَة دَار الأَضوَاء بَيْرُوت.

١٥٦. رَشفَة الصّادي مِن بحُور فَضَائل بَني الهَادي، لأَبي بَكْر بن شهاب الدّين العَلوي، الحُسَيْنيّ الشّافعي، طَبع مَصر ١٣٠٣ هـ.

١٥٧. الرَّوض الأُنف، لعَبدالرَّحمن بن عَبدالله السُّهيلي (٥٨١ هـ) تحقّيق طَه عَبدالرَّؤوف سَعد طَبْعَة القَاهرَة.

١٥٨. الرِّيَاض النَّضرة فِي فَضَائل العَشرَة، لُمحبّ الدِّين الطَّبريّ الشّافعِيّ (ت ٦٩٤ هق)، طَبْعَة بَيْرُوت ١٤٠٣ هـ، وَطَبْعَة ثَانِية فِي مَصْر، ودَار الغَرب الإِسْلَاميّ بَيْرُوت ١٩٩٦ م، تَحقّيق: عِيسىٰ عَبدالله مُحمّد مَانع الحمْيَري.

حرف الزاي

١٥٩. زَاد المَسِير فِي عِلم التَّفسِير لعَبدالرَّحمن بن الجَوزِي البَغدَادي (٥٠٨ هـ)

المَكتب الإسْلاَميّ بيْرُوت.
١٦٠. زَاد المعَاد فِي هَدي خَير العِبَاد. مُحَمَّد بن أَبِي بَكر ابْن القِيم (ت ٧٥١ هـ). تَحقِّيق: شُعيب الأَرنَاؤط وعَبدالقَادر الأَرنَاؤط. طَبْعَة بيْرُوت.
١٦١. الزُّهد، الإِمَام أَحْمَد بن مُحَمَّد بن حَنبل (ت ٢٤١ هـ). طَبْعَة دَار الكُتب العِلْمِيَة -بيْرُوت.
١٦٢. زُهر الأَدَب وَثمر الأَلبَاب. إبرَاهِيم بن عَليّ الحُصري القَيروَاني (ت ٤٥٣ هـ). تَحقِّيق: مُحي الدِّين عَبدالحَمِيد. طَبْعَة القَاهرَة ١٩٥٣ م.
١٦٣. الزَّيدِيَّة، الدُّكتور أَحْمَد مَحمُود صُبحي. النَّاشر: الزَّهرَاء للإعلاَم العَربي. القَاهرَة ـ مَصْر.
١٦٤. الزَّيدِيَّة قِرَاءَة فِي المَشْرُوع، وَبَحث فِي المُكونَات لعَبدالله بن مُحَمَّد بن إسْمَاعِيل حَمِيد الدِّين، مَركَز الرَّائد للدِّرَاسَات وَالبحُوث الطَّبعَة الأُولىٰ عَام (١٤٢٤هـ).
١٦٥. الزَّيدِيَّة، عَبدالله بن مُحَمَّد بن إسمَاعِيل حَمِيد الدِّين، طَبع مُؤسَّسة الإِمَام زَيد بن عَليّ الثَّقَافِية.

حَرف السِّين

١٦٦. سُبل السَّلام شَرْح بلُوغ المَرَام مِن جَمْع أَدلة الأَحكَام، لمُحَمَّد بن إسمَاعِيل الكَحلاني ثُمَّ الصَّنعاني اليَمني، مَطْبعَة مُصطَفىٰ البَابي الحَلبي وَأَوْلاَده بِمَصر، الطَّبعَة الرَّابعَة ١٣٧٩ هـ.
١٦٧. سُبل الهُدىٰ وَالرَّشاد، لصَّالح الشَّامي. طَبْعَة مَصْر.
١٦٨. سِرّ السّلسّلة العَلوِية (مَخطُوط)، وَمَطبُوع، لأَبِي نَصر البُخَاري، حيَاة الإِمَام زَيد.

١٦٩. سَفِينة البحَار، المُسمَّىٰ سَفِينة بحَار الأَنوَار وَمَدِينة الحُكم وَالآثَار. عَبَّاس آبن مُحَمَّد رِضا القُمي. طَبْعَة النَّجف سَنَة ١٣٥٥ هـ.
١٧٠. السَّقِيفة (أو) أَئِمَّة الشِّيْعَة، سَلِيم بن قَيس الكوفِي الهلاَلي العَامري (المُتوفّىٰ ٩٠ هـ). طَبْعَة مُؤسَّسَة الأَعلمي. بَيْرُوت ـ لُبْنَان.
١٧١. السُّنن الكُبرىٰ، لأَبِي بَكر أَحْمَد بن الحُسَيْن بن عَليّ البَيهقي (ت ٤٥٨هق)، تَحْقِّيق: مُحَمَّد مُحيي الدِّين عَبد الحَمِيد، دَار إِحيَاء التُّرَاث العَربي ـ بَـيْرُوت ١٤٠٥ هـ. وتَحْقِّيق: مُحَمَّد عَبد القَادر عَطا، طَبْعَة دَار الكُتُب العِلْمِيَة، الطَبْعَة الأُولىٰ ـ بَيْرُوت ١٤١٤هـ مُصَوَّرَة مِن دَائِرَة المَعَارِف العُـثمانِية، حَـيدر آبَـاد الدّكن ١٣٥٣ هـ.
١٧٢. سُنن آبْن مَاجه، لأَبِي عَبد الله مُحَمَّد بن يَزيد بن مَاجه القَزوِينيّ (ت ٢٧٥هق)، تَحْقِّيق: فُؤاد عَبد البَاقي، دَار إِحيَاء التُّرَاث، بَيْرُوت، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٣٩٥ هـ. ونَشْر دَار الفِكر، طَبْعَة ـ بَيْرُوت ١٣٧١ هـ.
١٧٣. سُنن التّرمذي، لأَبِي عِيْسَىٰ مُحَمَّد بن عِيْسَىٰ بن سَورة التّرمذي (ت ٢٩٧هـ) تَحْقِّيق: أَحْمَد مُحَمَّد شَاكر، دَار إِحيَاء التُّرَاث، بَيْرُوت.
١٧٤. سُنن الدَار قُطني، لأَبِي الحَسَن عَليّ بن عُمر البَغْدَادِي المَـعْرُوف بـالدَار قطني، (ت ٢٨٥ هـ) تَحْقِّيق: أَبُو الطَّيب مُحَمَّد آبادي، عَالم الكُتُب، بَيْرُوت، الطَبْعَة الرّابعة ١٤٠٦هـ، طَبْعَة بُولاَق بالقَاهِرَة.
١٧٥. سُنن النَسائِي، الحَافظ المُتوفّىٰ سَنَة (٣٠٢ هـ). طَبْعَة دَار الكُتُب العِلْمِيَة. بَيْرُوت ـ لُبْنَان.
١٧٦. سُنن أَبي دَاود، لأَشعث السّجستانيّ الأَزديّ (ت ٢٧٥ هـ ق)، إِعدَاد وَتَعلِيق: عِزّت عَبد الدّعاس، طَبْعَة دَار الـحَدِيث الطَّـبْعَة الأُولىٰ ـ حِـمص ١٣٨٨ هـ

وطَبْعَة مُصطَفىٰ البَابيّ ـ مَصر ١٣٩١هـ.
١٧٧. سِير أَعْلاَم النُّبلاء، مُحَمَّد بن أَحْمَد بـن عُـثْمان الذَّهَـبي (ت ١٣٧٤ م). تَحْقِّيق: مَجْمُوعة مِن البَاحثِين تَحت إِشرَاف: شُـعيب الأَرنَـاؤط. مُـؤسَّسَة الرِّسَالة بَيْرُوت ـ لُبْنَان.
١٧٨. السِّيرة النَّبوِّية، لأَبِي مُحَمَّد عَبد المَلك بن هِشام بن أَيُوب الحمْيَري، (ت ٢١٣ أو ٢١٨ هـق)، تَحْقِّيق: مُصْطَفىٰ السَّـقا، وإِبـرَاهِـيم الأَنْـبَاري، وعَـبد الحَفِيظ شَلبي، مَكْتَبَة المُصْطَفىٰ، قُم، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٣٥٥ هـ.
١٧٩. السِّيرة النَّبوِّية بهَامش السِّيرة الحَلبِية، لأَحمد بن زَيني بن أَحْمَد دَحلاَن (ت ١٣٠٤ هـ) طَبْعَة دَار الكِتَاب العَربِي بَيْرُوت ١٤٠٨هـ.
١٨٠. الشَّافِي ـ فِي الجوَاب عَلىٰ الرِّسَالة الخَارقة للفَقِيه عَـبدالرَّحِـيم بـن أَبِـي القَبَائل، تَأليف الإِمَام عَبدالله بن حَمْزَة الحَسَني (٥٦١ ـ ٦١٤). الطَبْعَة الأُولىٰ ١٩٨٩م. مَنْشُورات مَكْتَبَة اليَمَن الكُبرىٰ، اليَمَن ـ صَنْعَاء.

حَرْف الشِّين

١٨١. شَرح شَافِيَة أَبي فِرَاس فِي مناَقب آل الرَّسُول وَمَثَالب بَني العَبَّاس، طَبْعَة الهِند.
١٨٢. شَرح الثَّلاَثِين مَسأَلة فِي عَقَائِد الزَّيدِيَّة لإِبرَاهِـيم بـن يَـحْيَىٰ السَّـحولِي (مَخْطُوط)، بدَار الكُتب المَصْرِيَة، مِيكرُوفِيلم رَقم (٣٠٧٢٨).
١٨٣. شَذرَات الذَّهب فِي أَخْبَار مَن ذَهَب، لأَبِي الفَلاَح عَبد الحَي المَعْرُوف بأَبن العِمَاد (ت ١٠٨٩ هـق)، تَحْقِّيق: الأَرنَاؤط، طَبْعَة ـ بَيْرُوت، ودِمشق ١٤٠٩ هـ، ونَشر مَكْتَبَة القُدسي، القَاهرَة ١٣٥٠هـ.

١٨٤. شَرْح البَحر الرَّائق، لزَين الدّين بن إبرَاهِيم بن مُحَمّد المَعرُوف بأبن نُجِيم المَصْري الحَنفي.
١٨٥. شرَحْ الهَاشميَات، لمُحَمّد مَحمُود الرّافعي، الطّبعة الثّانِية شَركة التَّمدّن بمَصر، وَطَبعَة بيرُوت ١٤٠٢هـ.
١٨٦. شَرْح نَهْج البَلاَغة، للشَّيخ مُحَمَّد عَبده، طَبْعَة دَار الكِتَاب العَربيّ ١٤٠٦هـ، طَبْعَة الفَجَّالة الجَدِيدَة ـ مَصْر ١٤٠٣هـ.
١٨٧. شَرْح نَهْج البَلاَغَة؛ للخُوئيّ، طَبْعَة دَار الفِكر بَيْرُوت ١٤٠٦هـ.
١٨٨. شَرْح نَهْج البَلاَغة، لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد المُعتزليّ (ت ٦٥٦ هـ ق)، تَحقِّيق: مُحَمَّد أَبُو الفَضل، طَبْعَة ـ بَيْرُوت ١٤٠٩هـ.
١٨٩. شَرْح نَهْج البَلاَغَة، أبْن أَبِي ٱلحَدِيد، عَبدالحَمِيد بن هِبة الله (ت: ٦٥٥هـ). طَبْعَة بَيْرُوت (١٣٧٤هـ). وبتَحقِّيق: مُحَمَّد أَبُو الفَضل إبرَاهِيم. طَبْعَة دَار إحيَاء الكُتُب العَربِية ـ مَصْر.
١٩٠. الشِّفَاء بِتَعرِيف حقُوق المُصْطَفى، لقَاضي أحْمَد بن عَيَّاض بن مُحَمَّد بن عَبد الله أبن مُوسىٰ بن عَيَّاض اليَحصبُي، أنـدلسِي الأَصْـل، (٤٩٦هـ ـ ٥٤٤هـ) طَبْعَة بَيْرُوت.
١٩١. الشّعر وَالشُّعرَاء. عَبدالله بن مُسْلِم أبْن قُتِيبَة (ت ٢٧٦ هـ). تَحقِّيق: أحْـمَد شَاكر. طَبْعَة القَاهرَة (١٩٦٦م).
١٩٢. شَوَاهد التّنزيل لقوَاعد التّفضِيل، لأَبِي القَاسم عُبِيد الله بن عَبد الله النّيسابوري المَعْرُوف بالحَاكم الحَسكَاني (مِن أَعْلاَم القَرن الخَامس، والمُتوفّىٰ بَعد سَنَة ٤٧٠هـ)، تَحقِّيق: مُحَمَّد بَاقر المَحمُوديّ، مُؤسَّسَة الطّبع والنّشـر، طَـهرَان، الطَبْعَة الأُولىٰ ـ ١٤١١هـ.

حرف الصّاد

١٩٣. صَحِيح البُخَاري، لأَبِي عَبدالله مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن إِبرَاهِيم بن المُغِيرة الجَعفي البُخَاري،(ت ٢٥٦ هـ)، تَحقِّيق: مُصْطَفىٰ دِيب البَغا، دَار آبْن كَثِير، بَيْرُوت، الطَبْعَة الرَّابعَة ١٤١٠ هـ، ومطَبْعَة المُصطفَائِي ١٣٠٧هـ.

١٩٤. شَرْح صَحِيح البُخَاريّ، عَبد الله مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل، لَمحمُود بن أَحْمَد العَينيّ (ت ٨٥٥هق)، مطْبَعَة الفَجَّالة الجَدِيدَة ـ مَصْر ١٣٧٦هـ.

١٩٥. صَحِيح التّرمذيّ، لِعيسىٰ بن سَورة التّرمذيّ، (ت ٢٩٧هق)، طَبْعَة بَيْرُوت ١٤٠٥هـ. مطْبَعَة المَكْتَبَة السّلفِية بِالمَدِينة المُنورَة.

١٩٦. الصَّحِيح مِن سِيرَة النَّبيّ الأَعظمﷺ، السَّيِّد جَعْفَر مُرتَضىٰ العَامِلي. دَار الهَادي دَار السِّيرة. بَيْرُوت ـ لُبْنَان.

١٩٧. صَحِيح مُسْلِم، لأَبِي الحُسَيْن مُسْلِم بن الحَجَّاج القُشِيري النّيسابُوري، (ت ٢٦١ هـ ق)، تَحقِّيق: مُحَمَّد فُؤاد عَبد البَاقي، طَبْعَة ـ بَيْرُوت ١٣٧٤ هـ. دَار الحَدِيث ـ القَاهِرَة، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٤١٢ هـ، ودَار إِحيَاء التُّرَاث العَربِي، بَيْرُوت.

١٩٨. صَفوَة الصَّفوة، لأَبِي الفَرج عَبدالرَّحمَن بن عَليّ الجَوزِي (٥٩٧هـ). مُؤسَّسَة الكُتُب الثَّقَافِية. بَيْرُوت: لُبْنَان. وبتَحقِّيق: مَاخُوري قَلعَجي.

١٩٩. الصَّوَاعق المُحرقة، لِابْن حَجر الهَيثمي (٩٧٤هـ). تَحقِّيق: عَبدالوَهَّاب اللَّطِيف. مَكْتَبَة القَاهِرَة.

حرف الضّاد

٢٠٠. ضُحىٰ الإِسْلاَم، الدُّكتور أَحْمَد أَمِين المَصْري، (الطَّبعَة الخَامِسَة).

٢٠١. الضَّوء اللاَّمع لأهل القَرن التَّاسع، لمُحَمّد بن عَبد الرّحمن، للحَافظ السّخاويّ (ت ٩٠٢ هـ ق)، نَشر دَار مَكتبَة الحَيَاة بَيرُوت، وَدَار مَكتَبة الحَيَاة بَيرُوت، وَمَطبَعة القُدسيّ ـ مَصر ١٣٥٢ هـ.

حَرْف الطَّاء

٢٠٢. طَبَقَات أَعْلاَم الشِّيْعَة، للشَّيخ آقا بُزرك الطّهراني، مُؤسّسة إِسمَاعِيليَان، قُم، الطَبْعَة الثَّانِيَة.
٢٠٣. الطّبقات الكُبرىٰ، لُمحَمَّد بن سَعد الوَاقدي الزُّهري (ت ٢٣٠ هـ)، دَار صَادِر، بَيْرُوت ١٤٠٥هـ، طَبْعَة أُوربا، طَبْعَة لَيدن.

حَرْف العَين

٢٠٤. العَبَّاسيُون الأَوَائل. دَارسة تَحلِيلِية لفَاروق عُمر. دَار الإِرشَاد. بَيْرُوت (١٩٧٠ ـ ١٩٧٤ م).
٢٠٥. العِبر فِي خَبر مَن غبر. الذَّهَبي مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثْمان (ت ٧٤٨ هـ). بتَحْقِّيق: الدُّكتُور. صَلاَح الدِّين المُنجد. بتَحقِّيق: فُؤاد السَّيِّد. طَبْعَة الكُويت (١٩٦٠ ـ ١٩٦٩م).
٢٠٦. العَقِيدة وَالشَّرِيعَة فِي الإِسْلاَم، إِجنَاس جولد تَسِيهر.
٢٠٧. العِقد الفَرِيد، أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عَبد رَبِّه الأُندلسِي (ت ٣٢٨ هـ). دَار الكُتُب العِلْمِيّة. بَيْرُوت: لُبْنَان. وبتَحقِّيق أَحْمَد أَمِين وَجمَاعة، طَبْعَة القَاهِرَة. وتَحقِّيق: مُحَمَّد سَعِيد العريَان.
٢٠٨. عُمدَّة الطَّالب فِي أَنْسَاب آل أَبِي طَالب، لِابْن عنبَه أَحمَد بن عَليّ جمَال الدِّين

الحُسَيْنيّ (ت ٨٢٨هـ)، المَطْبَعة الحَيدرِية النَّجف الأَشرَف عَام ١٣٨٠هـ.
٢٠٩. عُيُون الأَثر، لأَحمد بن عَبدالله بن يَحْيَىٰ المَشهُور بِآبن سَيّد آلنَّاس (ت ٧٣٤ هـق)، طَبْعَة دَار المَعْرِفَة ـ بَيْرُوت ١٤٠١هـ، طَبْعَة القُدسي ١٣٥٦هـ.
٢١٠. عُيُون أَخبَار الرّضاﷺ، لأَبي جَعْفر مُحَمّد بن عَليّ بن الحُسَيْن بن بَابوَيه القُمي المَعرُوف بِالشَّيخ الصّدوق (ت ٣٨١هـ)، مَنشُورَات المَكتَبة الحَيدرِية، النّجف الأَشرَف.
٢١١. عُيُون الأَخبَار وَفنُون الآثَار، لِابْن قُتِيبة الدّينوري (ت ٢٧٦ هـ)، طَبع دَار الكِتَاب العَربِي، وطَبْع قَدِيم.
٢١٢. عُيُون الأَخبَار، لِابْن قِتِيبة. طَبْعَة المُؤسَّسة المَصْرِيّة العَامة. سَنَة ١٣٩٢هـ.

حَرْف الغَين

٢١٣. الغَارَات، لأَبي إِسحَاق إِبرَاهِيم بن مُحَمّد بن سَعِيد المَعرُوف بآبـن هِـلال الثّقفي، مَنْشُورات أَنجمن آثَار ملّي ـ طَهرَان.
٢١٤. الغَدِير فِي الكِتَاب والسُّنَّة والأَدَب، عَبدالحُسَيْن أَحْمَد الأَمِيني النَّـجفي. ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م. دَار الكِتَاب العَربِي. بَيْرُوت ـ لُبْنَان.

حَرْف الفَاء

٢١٥. الإِفَادة فِي تَأرِيخ الأَئِمَّة السَّادَة، لِلإِمَام النَّاطق بِالحَقّ أَبِي طَالب يَحْيَىٰ آبن الحُسين بن هَارون الهَارُوني الحَسَني، تَحقِّيق: إِبرَاهِيم بن مَجد الدِّين بن مُحَمَّد المُؤيدِي، وَهَادي بن حَسَن بن هَادي الحَمزَّاوي، مَنْشورَات مَركَز أَهْل البَيْت للدّرَاسَات الإِسلاَمِيَّة، اليَمَن صَعْدَة، الطَّبعَة الأُولىٰ عَام (١٤٢٢هـ).

٢١٦. فجر الإسلام، الدكتور أحمد أمين، الطبعة الرابعة، الفجالة الجديدة.
٢١٧. الفتنة الكبرى علي وبنوه، للدكتور، طه حسين، طبع دار الهلال.
٢١٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ). طبعة بولاق (١٣٠١هـ). طبعة السلفية (١٣٩٠هـ).
٢١٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ ق)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، والمطبعة السلفية مصر ١٣٨٠هـ، وتحقيق: عبد العزيز بن عبدالله بن باز ـ القاهرة ١٣٩٨هـ
٢٢٠. الفتح القدير (تفسير)، لمحمد بن علي الشوكاني، (ت ١٢٥٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ.
٢٢١. الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي. أجزاء. دائرة المعارف الحيدرية. النجف ١٩٦٢م / ١٣٨٢هـ.
٢٢٢. فتوح البلدان، أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ). تحقيق: رضوان محمد رضوان. السعادة، القاهرة (١٩٩م)، وكذا طبعة (١٣١٩هـ).
٢٢٣. الفخري في أنساب الطالبيين، للسيد عز الدين بن أبي طالب إسماعيل ابن الحسين. تحقيق: السيد مهدي الرجائي. مكتبة آية الله العظمى المرعشي. قم (١٩٨٩م / ١٤٠٩هـ).
٢٢٤. الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فنا خسرو الديلمي الهمداني (إلكيا) (ت ٥٠٩هـ ق)، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، و ١٤١٩هـ.
٢٢٥. فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم،

لإبرَاهيم ابْن مُحَمَّد بن المُؤيد بـن عَـبد الله الجُـويني الحـمُويني، (ت ٧٢٢ أو ٧٣٠ هـ ق)، تَحْقيق: مُحَمَّد بَاقر المَحمُودي، طَـبْعَة مُـؤسّسة الـمحمُودي بَيْرُوت ١٣٩٨هـ.

٢٢٦. الفِقْه المَنسُوب للإمَام الرّضاﷺ، مُؤسَّسة آل البَيْت ﷺ لإحيَاء التُّرَاث، قُم، نَشْر المُؤتَمر العَالمي للإمَام الرّضاﷺ ـ مَشْهد المُقدس طَبْعَة (١٤٠٦).

٢٢٧. فَيض القَدِير، لمحَمَّد بن عَليّ الشّوكاني، (ت ١٢٥٠ هـ)، طَبْع دَار الصَّحَابَة.

٢٢٨. فَيض القَدِير شَرْح الجَامِع الصَّغِير، لأبِي زَكريا يَحْيَىٰ بن مُحَمَّد عَبد الرّؤوف المَناويّ (ت ١٠٣١ هـ ق)، الطَبْعَة الأُولىٰ ـ القَاهرَة ١٣٥٦هـ.

٢٢٩. الفُصُول المُهمَّة فِي مَعْرفة الأئِمَّة. عَليّ بن مُحَمَّد الصَّباغ المَالكِي (٨٥٥هـ). مُؤسَّسَة الأعلمي للمَطبُوعات ـ بَيرُوت. (١٤٠٨ هـ)، وَكَذا طَبْعَة الحَيْدَرِيَّة ـ النَّجف. العِرَاق عَام (١٣٨١ هـ)، وَكَذا طَبْعَة دَار الحَدِيث قُم.

٢٣٠. الفَضَائل، لأبي الفَضل سَدِيد الدّين شَاذان بن جِبرِيل بن إسمَاعِيل بن أبي طَالب القُـمي (ت ٦٦٠ هـ)، طَـبعَة دَار الكـتَاب العـربيّ بَـيرُوت ١٤٠٦هـ، وَالمَطبعَة الحَيدرِية النَّجف الأشرَف، الطَّبعة الأُولىٰ ١٣٣٨هـ.

٢٣١. الفَقِيه (مَن لاَ يَحضَره الفَقِيه)، لأبي جَعْفر مُحَمّد بن عَليّ بن الحُسَيْن بـن بَابوَيه القُمي المَعرُوف بِالشَّيخ الصَّدوق (ت ٣٨١ هـ)، طَبعَة مُؤسَّسة النَّشـر الإِسلاَمي قُم. مُؤسَّسة الأعلمي ـ بَيرُوت، الطَّبعَة الخَامسَة ١٤٠٠هـ.

٢٣٢. فَضَائل الصّحَابة، لأبِي عَبدالله أحْمَد بن مُحَمّد حَنْبل الشَّيبَانيّ (٢٤١ هـ)، تحقِّيق: وَصي الله بن مُحمّد عبَّاس، دَار العِلم، الطَّبعَة الأُولىٰ ١٤٠٣هـ، وَطَبْعَة جَامعَة أُمّ القُرىٰ السّعودِية.

٢٣٣. فَضَائل الخَمْسَة مِن الصّحَاح السّتة، لمُرتَضىٰ الحُسَيْنيّ الفَيروز آبـادي،

مُؤسَّسَة الأعلمي للمَطبُوعات، بَيْرُوت، الطَبْعَة الثّالثَة ١٩٧٣م.
٢٣٤. الفَصل فِي المِلل وَالأهوَاء وَالنّحل، عَليّ بن أَحْمَد بن حَزم (ت ٤٥٦ هـ). طَبْعَة القَاهرَة (١٣٢١ هـ).

حَرْف القَاف

٢٣٥. الفَهْرَست، لُمحَمَّد بن إِسحَاق بن النّديم. تحقُيق: نَاهد عَبَّاس عُثْمان. نَشْر دَار قُطري بن الفجَاءة، الطَبْعَة الأُولىٰ الدّوحَة ـ قَطر ١٩٨٥م.
٢٣٦. قَاموس الرِّجَال فِي تَحقُيق روَاة الشّيْعَة وَمُحدثِيهم، لُمحَمَّد تَقي بن كَاظم التُّستري (ت ١٣٢٠ هـ)، مُؤسَّسَة النّشر الإِسْلاَميّ، قُم الطَبْعَة الثّانِيَة ١٤١٠هـ.
٢٣٧. القَامُوس المحِيط، لُمحَمَّد بن يَعقُوب الفَيروز آبَادي، مطبَعَة مُصْطَفىٰ البَابي الحَلبي القَاهرَة، الطَبْعَة الثّانِيَة ١٩٥٢م.
٢٣٨. القَامُوس، لُمحَمَّد مُرتَضىٰ الزّبيديّ (ت ١٢٠٥هـق)، طَبْعَة دَار إِحيَاء التُّرَاث العَربِي ـ بَيْرُوت ١٤٠٥هـ.

حَرْف الكَاف

٢٣٩. الكَافِي (الأُصُول)، المطبَعَة الإِسْلاَمِيَّة. عَام (١٣٨٨هـ.ق). طَهرَان، ثُمّ طَبعَ سَنَة (١٣٧٧هـ.ق) الحَيدرِي. طَهرَان ـ إِيرَان.
٢٤٠. الكَامل فِي التّأرِيخ، لأَبِي الحَسَن عَليّ بن أَبِي الكرَام مُـحَمَّد مُـحَمَّد بـن عَبدالكَرِيم الشّيبَاني المَعْرُوف بِأبن الأثِير (ت ٦٣٠ هـ). عُني بمرَاجَعة أُصوله: نُخبَة مِن العُلمَاء. دَار الكِتَاب العَربِي. بَيْرُوت ـ لُبْنَان.
٢٤١. كَنز العُمّال فِي سُنن الأَقوَال وَالأَفعَال، لعَلاَء الدّين عَليّ المُتّقي آبن حُسَام

الدّين الهندي (ت ٩٧٥ هـ)، تَصحِيح صَفوَة السّقا، مَكتَبة التُّرَاث الإسلاَمي - بَيْرُوت، الطّبعة الأُولىٰ ١٣٩٧ هـ، وَطَبْع دَار الوَعي حَلب ١٣٩٦ هـ.
٢٤٢. كَشف الغُمَّة فِي مَعْرِفَة الأَئِمَّة، لعَليّ بن عِيسَىٰ الإربليّ (ت ٦٨٧ هـ)، تَصحِيح هَاشم الرّسولي المحلاتي، دَار الكِتَاب الإسْلاَميّ، بَيْرُوت، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٤٠١ هـ، طَبْعَة تبريز بدُون تأرِيخ.
٢٤٣. كَشف المُرَاد، لجمَال الدّين أَبِي مَنْصُور الحَسَن بن يُوسُف بن عَليّ بن المُطهر الحِلي (ت ٧٢٦هـ) طَبْعَة دَار الفِكر، ودَار إحيَاء التُّرَاث بَيْرُوت.

حَرْف اللَّام

٢٤٤. لسَان العَرَب، لأَبِي الفَضل جمَال الدّين مُحَمَّد بن مُكرم بن مَنظُور الأَفرِيقي المَصْري، (ت ٧١١ هـ ق)، الطَبْعَة الأُولىٰ دَار صَادِر - بَيْرُوت ١٤١٠ هـ.
٢٤٥. لسَان المِيزَان، لأَبِي الفَضل أَحْمَد بن عَليّ بن حَجر العَسقلاَنيّ (ت ٨٥٢ هـ ق)، تَحقِيق: عَادل أَحْمَد عَبد المَوجُود، وعَليّ مُحَمَّد مُعوض، طَبْعَة دَار الكُتب العِلْمِيَة بَيْرُوت، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٤١٦ هـ.
٢٤٦. لسَان المِيزَان، لأَبِي الفَضل أَحْمَد بن عَليّ بن حَجر العَسقلاَنيّ (ت ٨٥٢ هـ ق)، تَحقِيق: عَادل أَحْمَد عَبد المَوجُود، وعَليّ مُحَمَّد مُعوض، طَبْعَة دَار الكُتب العِلْمِيَة بَيْرُوت، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٤١٦ هـ.

حَرْف المِيم

٢٤٧. مَآثر الإنَافة فِي مَعَالم الخِلاَفة، لأحمد بن عَبدالله القَلْقَشندي (ت ٨٢١ هـ) تَحقِيق: عَبد السّتار فرَّاج، طَبْعَة عَالم الكُتب بَيْرُوت.

٢٤٨. المِئة المُختَارة، لعَمرُو بن بَحر الجَاحظ بن مَحبُوب الكنَاني اللّيثي (ت ٢٥٥ هـ).
٢٤٩. مَا أُنزل مِن القُرآن فِي عَليّ، لمُحَمّد بن العبّاس بن عَليّ بن مَروَان (الحَجّام).
٢٥٠. مَجلّة آخِر سَاعَة عَدَد (١٥ آذَار سَنَة ١٩٦١ م).
٢٥١. مَجلّة رَايَة الإِسْلاَم تَأرِيخ وَاحد رَبِيع الآخر (١٣٨٠ هـ).
٢٥٢. مَجلّة التَّمدن الإِسْلاَمي.
٢٥٣. مَجَلّة العِرفَان عَدَد تَشرِين الثَّانِي (١٩٦٠ م).
٢٥٤. المَجالس السَّنِية، السّيّد مُحْسِن الأَمِين العَاملي، طَبْعَة النَّجَف الأَشْرَف.
٢٥٥. مَجَالس الطَّبري، العَلاَّمة الأُصُولي المحَقّق أَحْمد بن مُوسىٰ الطَّبري المُكنىٰ بَأبي الحُسين ﷺ (٢٦٨ ـ ٣٤٠ هـ)، تَحقِّيق: عَبدالله بن حـمُود العـزيّ، طَـبْع مُؤسَّسة الإِمَام زَيد الثَّقَافِيَّة الطَّبْعَة الأُولىٰ لعَام (١٤٢٢ هـ).
٢٥٦. المُختَصر فِي أَخْبَار البَشر، (تأرِيخ أَبِي الفدَاء)، لعمَاد الدّين إِسْمَاعِيل أَبُو الفدَاء، (ت ٧٣٢ هـ ق)، نَشر مَكْتَبَة القُدسيّ، طَبْعَة ـ القَاهرَة ١٤٠٨ هـ، طَـبْعَة إدَارة ترحَاب السُّنَّة ـ بَاكستَان، المَكْتَبَة الإِعدَادِية.
٢٥٧. مُختَصر تَأرِيخ العَرب، سيّد أَمِير عَليّ، أُخذ بِالوَاسطَة.
٢٥٨. مَجْمَع الزّوَائد وَمَنبع الفوَائد، لعَليّ بن أَبِي بَكْر الهَـيثميّ (ت ٨٠٧ هـ ق)، تَحقِّيق: عَبدالله مُحَمَّد دَرويش، طَبْعَة دَار الفِكـر، الطَـبْعَة الأُولىٰ ـ بَـيْرُوت ١٤١٢ هـ ق)، مُصَوَّرَة عن طَبْعَة القُدسيّ ١٣٨٩ هـ ق، طَبْعَة ـ القَاهرَة الثَّانِيَة بدُون تأرِيخ.
٢٥٩. المَحَاسن، لأَبي جَعْفر أَحمَد بن مُحمّد بـن خَـالد البَـرقي (ت ٢٨٠ هـ)، تَحقِيق: السَّيّد مَهدي الرَّجَائي، المَجْمَع العَالمي لأَهل البَـيْت ـ قُـم، الطّـبعَة الأُولىٰ ١٤١٣ هـ.

٢٦٠. مُحَاضرَات الأُدبَاء، الرَّاغب الإِصفهَاني، طَبعَة بَيرُوت.
٢٦١. المُخْتَصَر، الحَسن بن سُليمَان الحِلي، طَبعَة النَّجف الأَشرف.
٢٦٢. المُحَلىٰ، لأَبي مُحَمّد عَليّ بن أَحمَد بن سَعِيد اْبن حَزم الظّاهري، دَار الفِكر.
٢٦٣. المُرَاجعَات، عَبدالحُسَيْن شَرف الدّين المُوسوي العَاملي، طَبْعَة بَيْرُوت.
٢٦٤. مُروج الذَّهَب وَمَعَادن الجَوهر، لأَبِي الحَسَن عَليّ بن الحُسَيْن المَسعُوديّ (ت ٣٤٦ هـ ق)، تَحقِّيق: مُحَمَّد مُحييّ الدّين عَبد الحَمِيد، مـطْبَعَة السّـعادة، الطَّبْعَة الرّابعة ـ القَاهرَة ١٣٨٤ هـ.
٢٦٥. مَسَار الشِّيعَة، لأَبي عَبدالله مُحَمّد بن مُحَمّد اْبن النّعمَان العَكْبري البَغدَادي المَعرُوف بِالشَّيخ المُفِيد، (ت ٤١٣ هـ ق)، طَبعَة بَيرُوت.
٢٦٦. مُسْتَدرك الوَسَائل وَمُسْتَنبط المَسَائل، للشَّيخ المِيرزا حُسين النّوريّ، طَبعَة طَهرَان نَاصر خسرُو.
٢٦٧. المُستَدرك عَلىٰ الصَّحِيحَين، لأَبِي عَبدالله مُـحَمَّد بـن عَـبدالله الحَـاكـم النّيسابُوري، دَار الكُتُب العِلمِيّة ـ بَـيْرُوت، الطَـبْعَة الأُولىٰ ١٤١١ هـ، طَـبْعَة حَيدر آبَاد.
٢٦٨. مُسْنَد الإِمَام الرِّضا عليه السلام، المَنسُوب إِلىٰ الإِمَام الرِّضا، مُؤسَّسة الإِمَام المَهدي (عَجل الله تَعَالىٰ فَرَجه) ـ قُم، الطّبعَة الأُولىٰ ١٤٠٨ هـ.
٢٦٩. مُسْنَد الإِمَام زَيد بن عَليّ زَين العَابدِين، جَمع عَليّ بن سَالم الصّنعانيّ، طَبعَة دَار الصَّحَابة ١٤١٢ هـ. طَهرَان دَار الكُتب الإِسلاَميَّة، الطّبعَة الثّانِية.
٢٧٠. مُسْنَد أَحْمَد، لُمحَمَّد بن حَنبل الشّيبانيّ (ت ٢٤١ هـ ق)، تَحقِّيق: عَبد الله مُحَمَّد الدّرويش، طَبْعَة دَار الفِكر، الطَبْعَة الثَّانِيَة ـ بَيْرُوت ١٤١٤ هـ، طَـبْعَة جَامعة أُم القُرىٰ السّعودية، طَبْعَة دَار العِلم ١٤٠٣ هـ.

٢٧١. مُسْنَد ابْن مَاجه، لُمحَمَّد بن يَزِيد القَزوينيّ (ت ٢٧٥هق)، تَحقِّيق: فُؤاد عَبد البَاقي، نَشر دَار الفِكر، طَبْعَة ـ بَيْرُوت ١٣٧١ هـ، دَار إحيَاء التُّرَاث، بَيْرُوت، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٣٩٥ هـ.
٢٧٢. مُسْنَد الطَّيالسيّ، لسُليَمان بن دَاود الطَّـيالسيّ (ت ٢٠٤ هق)، طَـبْعَة دَار صَادِر ـ بَيْرُوت ١٤٠٢ هـ.
٢٧٣. المَصَابِيح، لأَحمَد بن إبْرَاهِيم بن الحَسَن بن عَليّ بن إبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن سُليَمان ابن دَاود بن الحَسَن بن الحَسَن السِّبط بن أَمِير المُؤمِنِين عَليّ بن أَبِي طَالب: ٢٤٨، تَحقِيق عَبدالله بن عَبدالله بن أَحـمَد الحُـوثي، طَـبع مُـؤسَّسة الإمَام زَيد ابن عَليّ الثَّقَافِية.
٢٧٤. مَصَابِيح السُّنَّة، البَغوي الشَّافِعِي، طَبع مُحَمّد عَليّ صَبِيح.
٢٧٥. مَطَالب السّؤول فِي مَناقب آل الرَّسول، لكمَال الدِّيـن مُـحَمّد بـن طَـلحَة الشّافعي (ت ٦٥٤هـ)، النَّجف الأَشرف، وَنُسخَة خَطيَّة فِي مَكتبَة المَرعَشي قُم.
٢٧٦. المُصنَّف، عَبدالرَّزاق بن هَمَّام الصَّنعاني (٢١١ هـ). تَحقِّيق: حَبِيب الرَّحمن الأَعظمي. مَنْشُورات المَجلس العِلمي، طَبْعَة بَيْرُوت سَنَة (١٣٩٠ هـ) وَمَا بَعدها.
٢٧٧. المَعَارف، لأَبي مُحَمّد عَبد الله بن مُسْلم المَعرُوف بِابن قُتَيبَة الدِّينوريّ (ت ٢٧٦ هق)، حَقَّقه وَقَدمَّ لهُ ثَروت عُكَاشه: مَنشورَات الشَّرِيف الرَّضيّ الطَّبعَة الأُولىٰ ١٤١٥هـ.
٢٧٨. معَاهد التَّنصِيص علىٰ شَوَاهد التَّلخِيص. عَبدالرَّحمَن بـن عَـبدالرَّحـمَن العَبَّاسي (ت ٩٦٣ هـ).
٢٧٩. مَعَالم التّنزيل، لمُحَمّد الحُسَيْن بن مَسعُود الفرَّاء البَـغويّ (ت ٥١٦ هق)، تَحقِيق: خَالد مُحَمّد العَك، وَمروَان سوَار، نَشر دَار المَعرِفَة، الطَّبعَة الثَّانِية ـ

بَيرُوت ١٤٠٧هـ.

٢٨٠. مَعَالم العِترَة النَّبويّة وَمَعارف الأَئِمَّة أَهْل البَيْت الفَاطِمِية، لأَبي مُحَمّد تقيّ الدّين عَبدالعَزيز بن مَحمُود بن المُبارك بن الأَخضر الجنَابذي الحَنْبلي (٥٢٤ـ٦١١هـ)، (مَخطُوط)، وَمَطبُوع فِي بَيرُوت ١٤٠٧هـ.

٢٨١. مُعجَم الأُدبَاء، لأَبي عَبدالله يَاقوت الحَمويّ البَغدَاديّ المغَازيّ (ت ٦٢٦ هق)، طَبعَة دَار المَأمُون ـ بَغدَاد ١٣٥٥هـ

٢٨٢. مُعْجَم البُلدَان، لأَبي عَبدالله شهاب الدّين يَـاقُوت بـن عَـبدالله الحَـمويّ الرّوميّ (ت٦٢٦هـ)، طَبعَة دَار إحيَاء التّراث العَـربيّ بَـيرُوت الطّـبعة الأُولىٰ ١٣٩٩هق.

٢٨٣. مُعَاوِيَة اَبن أبي سُفْيَانَ، مَحمُود عَبَّاس الْعَقاد، طُبع بمطَابع مؤسّسة دَار الهِلال.

٢٨٤. المُعجَم الصَّغِير، لأَبِي القَاسم سُليَمان اَبن أَحْمَد بن أَيُوب بن مُطير اللَّخمي الشّامي الطّبراني (ت ٣٦٠هـ)، تَحْقِّيق: مُحمَّد عُثْمان، دَار الفِكـر، بَـيْرُوت، الطَبْعَة الثَّانِيَة ١٤٠١هـ.

٢٨٥. المُعْجَم الأَوسَط، أَبُو القَاسم سُليمان بن أَحْمَد الطَّبري (٣٦٠هـ). مَكْـتَبَة المَعَارِف - الرِّيَاض. الطَبْعَة الأُولىٰ (١٤٠٧هـ). قَام بإِخرَاجه: إبرَاهِيم مُظفر وآخرُون. تَحت إشرَاف: مَجْمَع اللُّغة العَربية ـ مَصْر.

٢٨٦. المُعْجَم الكَبِير، لأَبِي القَاسم سُليَمان بن أَحْمَد اللَّخمي الطّبراني (ت ٣٦٠هـ)، تَحقّيق: حَمدي عَبد المَجِيد السّلفي، دَار إِحيَاء التُّرَاث العَربِي، بَـيْرُوت الطَبْعَة الثَّانِيَة ١٤٠٤هـ

٢٨٧. المُعْجَم الأَوسط، لأَبِي القَاسم سُليَمان اَبن أَحْمَد بن أَيُوب بن مُطِير اللَّخمي الشّامي الطّبراني (ت ٣٦٠هـ)، تَحْقِّيق: طَارق بن عُوض الله، وعَبد الحَسَـن

بن إبرَاهِيم الحُسَيْنيّ، دَار الحَرمِين، القَاهرَة، ١٤١٥ هـ.
٢٨٨. مُعْجَم رِجَال الحَدِيث، السَّيِّد أَبُو القَاسم بن عَليّ أكبر الخُوئي، طَبْعَة دَار إحيَاء التُّرَاث بَيْرُوت ١٤٠٦ هـ، وَمَنشُورات مَدِينة العِلم، قُم، الطَبْعَة الثَّالثة ١٤٠٣ هـ.
٢٨٩. المُعمّرون وَالوَصايا، لأَبي حَاتم السِّجستَاني (ت ٢٥٠ هـ)، تَحقِيق: عَبد المُنعم عَامر، الطَّبعَة المَيمَنية بمَصر ١٣٥٦ هـ.
٢٩٠. المِعيَار وَالموَازنة، لأَبي جَعْفر مُحَمّد بن عَبدالله الإسكَافي (ت ٢٤٠ هـ)، تَحقِيق: مُحَمّد بَاقر المَحمُودي.
٢٩١. مَجْمَع البَيَان فِي تَفْسِير القُرْآن، لأَبِي عَليّ الفَضل بن الحَسَن الطّبرسيّ (ت ٥٤٨ هق)، طَبْعَة دَار المَعْرِفَة ـ بَيْرُوت ١٤١٩ هـ، طَبْعَة دَار إحيَاء التُّرَاث العَربِي.
٢٩٢. المَغَازي، لمُحَمّد بن سَعد الوَاقدي الزُّهري، (ت ٢٣٠ هـ)، تَحقِيق: الدّكتور مَارسُون جُونس، مُؤسَّسة الأَعلمي للمَطبُوعات، بَيرُوت، وَطَبعَة مَصر، الدّار العَامرة.
٢٩٣. المُغني، لأَبِي مُحَمَّد مُوفق الدّين مُحَمَّد بن عَبد الله بن أَحْمَد بن قُدَامة المَقدسي (ت ٦٢٠ هـ)، دَار الكِتَاب العَربِي بَيْرُوت ١٣٥٩ هـ، طَبْعَة مُحَمَّد عَليّ صَبِيح وَأَولاَده.
٢٩٤. المُغني، لأَبِي مُحَمَّد عَبدالله بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن قُدَامة المَقدسيّ، عَلىٰ مُخْتَصر لأَبِي القَاسم عُمر بن الحُسَيْن بن عَبد الله بن أَحْمَد الخَرقي مطْبَعَة المنَار ـ مَصْر ١٣٤٢ هـ.
٢٩٥. مُغني المحتَاج إلىٰ مَعْرِفَة معَاني أَلفَاظ المِنهَاج، الشَرْح للشَّيخ مُحَمَّد الشّربِيني الهجري، دَار إحيَاء التُّرَاث العَربِي، بَيْرُوت.

٢٩٦. مُقدَّمة اَبن خُلدُون، لِابْن خُلدُون المَغربي (ت ٨٠٨هـ)، دَار الجَبل بَيرُوت.
٢٩٧. المِلل والنِّحل، لأَبِي مَنْصُور عَبد القَاهر بـن طَـاهر بـن مُـحَمَّد اَلـتمِيمي البَغْدَادِي (ت ٤٢٩ هـ)، تَحْقِّيق: البِير نَصري نَادر، طَبْعَة دَار المَشرق، بَيْرُوت ١٩٧٠م.
٢٩٨. المِلل والنِّحل، لأَبِي اَلْفَتْح، مُحَمَّد بن عَبد الكرِيم الشّهرستَاني (ت ٥٤٨ هـ) عَلىٰ هَامش (الفَصل)، لِابْـن حَـزم الظَّـاهري، الطَـبْعَة الثَّـانِيَة، أُفست، دَار المَعْرِفَة بَيْرُوت.
٢٩٩. مَنَاقب آل أَبِي طَالب، لأَبِي جَعْفر رَشِيد الدّين مُحَمَّد بن عَليّ بن شهر آشُوب المَازندراني (ت ٥٨٨ هـ)، المطَبْعَة العِلْمِيَة قُم، طَبْعَة النَّجَف الأَشْرَف.
٣٠٠. مَنَاقب أَمِير المُؤْمِنِين عَليّ بن أَبِي طَالب، لـمحَمَّد بـن سُـليمان الكُـوفِيّ القَاضي (ت ٣٠٠ هـ)، تَحقِّيق: مُحَمَّد بَاقر اَلمحمُودي، مَجْمَع إِحيَاء الثَّـقافة الإِسْلاَميّ، قُم، الطَبْعَة الأُولىٰ ١٤١٢ هـ.
٣٠١. مَنَاقب المغَازلي، لأَبي الحَسن عَليّ بن مُحَمّد بن مُحَمّد الوَاسطي الشّافِعِي المَعرُوف بِاَبن المغَازلي (ت ٤٨٣ هـ)، إِعدَاد: مُحَمّد بَـاقر المَـحمُودي، دَار الكُتب الإِسلاَمية، طَهرَان، الطَبعَة الثَانِية ١٤٠٢ هـ.
٣٠٢. مقَالاَت الإِسْلاَمِيين وَاَختلاَف المُصلِين. للأَشعري عَـليّ بـن إِسْـمَاعِيل (٣٢٤ / ٩٣٥). تَحقِّيق: هلمون ريتر. سِـلسِلة النَّشـرات الإِسْـلاَميّ فـرانـز شتَاينر ميسبادان.
٣٠٣. مقَاتل الطَّالبِيين، أَبُو الفَرج عَليّ بن الحُسَيْن بن مُحَمَّد القَرشي الإِصبهَانِي الأُموري (٢٨٤ ـ ٣٥٦ هـ). شَرْح وتَـحقِّيق: السَّـيِّد أَحْـمَد صَـقر. مُـؤسَّسَة الأَعلمي. بَيْرُوت ـ لُبْنَان.

٣٠٤. مَقتل الحُسَيْن ٧ ومَصْرع أَهْل بَيْتَه وَأَصحَابه بِكربلاَء (المُشتَهر: مَقتل أَبِي مِخْنَف)، أَبُو مِخْنَف لوط بن يَحْيَىٰ. مَكْتَبَة العُلوم العَامة. البَحرِين. مَكْتَبَة الخَير. صَنْعَاء ـ ج. ي. (مُصور عن أَصل مَخْطُوط) يَقع فِي (١٤٤) صَفحَة.
٣٠٥. مَقْتل الحُسَيْن، لمُوفق بن أَحمَد المَكي الخوَارزمي الحَنفي (ت ٥٦٨ ه). تَحقِيق: مُحمّد السّماوي، مَكتبَة المُفِيد، قُم، وَطَبع مَطبعَة الزّهراء عليها السلام.
٣٠٦. مُنْتَخَب كَنز العُمَّال، عَليّ بن حسَام الدِّين بن عَبدالمَلك (٨٨٥ـ ٩٧٥ه). دَار إحيَاء التُّرَاث العَربِي. بَيْرُوت ـ لُبْنَان.
٣٠٧. مَوسُوعَة المِلل والنِّحل، أَبِي ٱلْفَتْح الشّهرستاني عَام ١٩٨١ م. بدُون ذِكر لإِسم الدَار النَّاشر.
٣٠٨. مَودّة القُربىٰ، للسَّيِّد عَليّ بن شَهاب الدّين الحُسَينيّ العَلوي الشّافِعِي الهَمدَاني، طُبع ١٩٩٠ م.
٣٠٩. مِيزَان الإِعتدَال فِي نَقد الرِّجَال، لأَبِي عَبد الله مُحمَّد بن أَحْمَد الذّهبي، (ت ٧٤٨ هق)، تَحقِّيق مُحمَّد البَجَاوي، طَبْعَة دَار المَعْرِفَة للطِّبَاعَة والنّشر بَيْرُوت ١٩٦٣ م، وطَبْع القَاهرَة ١٣٢٥ ه، دَار الفِكر بَيْرُوت.
٣١٠. المِيزَان فِي تَفْسِير القُرْآن، لُمحَمَّد حُسِين الطَّبَاطَبَائِي، دَار الكُتُب الإِسْلاَمِيَّة، طَهران، الطَبْعَة الثَّالِثة ١٣٩٧ ه.
٣١١. مِيزَان الإِعتدَال، مُحمَّد بن أَحْمَد بن عُثْمان الذَّهَبي (ت ٧٤٨ه). تَحْقِّيق: عَليّ البَجَاوي. طَبْعَة القَاهرَة (١٩٦٣ م).

حَرْف النُّون

٣١٢. النّهَاية فِي غَرِيب الحَدِيث والأَثر، لأَبِي السّعادات مُبَارك بن مُبَارك الجَزري

المَعْرُوف بأبن الأثِير الشَّيبَاني الشَّافِعي (ت ٦٠٦ هـ)، تَحْقِّيق: طَاهر أحْمَد الزّاوي، مُؤسَّسَة إسمَاعِيليان، قُم، الطَّبْعَة الرّابعة ١٣٦٧ هـ.

٣١٣. نهَايَة الإرَب فِي فنُون الأدَب، لشَهَاب الدّين النّويريّ (ت ٧٣٢ هـ ق)، تَحقّيق: كمَال مَروَان طَبْعَة ـ القَاهرَة ١٢٤٩ هـ.

٣١٤. نهَايَة الإرَب فِي مَعْرِفَة أنسَاب العَرَب، لأحمَد بن عَبدالله القَلقَشنديّ (ت ٨٢١ هـ ق)، نَشْر إدَارة البحُوث العِلْمِيّة، طَبْعَة ـ بَيرُوت ١٤٠٢ هـ.

٣١٥. نُزهَة المَجَالس وَمُنتَخب النَفَائس، لعَبدالرّحمَن بن عَبد السّلام الصّفوري الشّافعي، القَاهرة.

٣١٦. نُور الأبصَار فِي منَاقب آل بَيْت النّبي الُمختَار، لمُؤمِن بن حَسَن مُؤمِن الشّبلنجيّ (ت ١٢٩٨ هـ)، طَبْعَة دَار الكُتُب العِلْمِيّة، بَيرُوت، الطّبْعَة الأولى ١٣٩٨ هـ.

٣١٧. نهَايَة الإرَب فِي مَعْرِفَة أنسَاب العَرَب، للقَلقَشندي. طَبْعَة بَغْدَاد.

٣١٨. النّزَاع وَالتّخَاصم فِيمَا بَيْن بَني أُميّة وبَني هَاشم، تَحقِيق: حُسين مُؤنس القَاهرة دَار التّعارف سَنَة ١٩٨٨ م.

٣١٩. نَسَب قُرَيْش، لأبِي عَبدالله المُصعب بن عَبدالله بن المُصعب الزُّبَيْري (١٥٦ ـ ٢٣٦ هـ). عُني بِنَشره. إليفي بروفنسال. دَار المَعَارِف ـ القَاهرَة.

٣٢٠. نُظم دُرر السّمْطَين فِي فضَائل المُصطَفىٰ وَالمُرتَضىٰ وَالبَتُول والسّبطين، جمَال الدّين مُحمّد أبن يُوسف الزّرَندي، (٦٩٣ ـ ٧٥٠ هـ)، طَبع بَيرُوت، دَار الثّقافة للكتَاب العَربي ١٤٠٩ هـ.

٣٢١. النُّجوم الزَّاهرة فِي مُلوك مَصْر والقَاهرَة. أبْن تَغري بَردي، يُوسُف الأتَابكي (ت ٨٨٤ هـ). القَاهرَة (١٩٢٩ ـ ١٩٥٦ م).

٣٢٢. نهَاية الإرَب فِي فنُون الأدب، لشَهاب الدّين النّويريّ (ت ٧٣٢هـ ق)، تَحقِيق: كمَال مَروَان طَبعَة ـ القَاهرة ١٢٤٩ هـ.
٣٢٣. نهَاية الإرَب فِي مَعرفَة أنسَاب العَرب، لأحمد بن عَبدالله القَلقشنديّ (ت ٨٢١هـ ق)، نَشر إدَارة البحُوث العِلمِية، طَبعَة ـ بيرُوت ١٤٠٢ هـ.

حرف الهاء

٣٢٤. الهَاشمِيَات وَالعَلويَات، قصَائِد الكُمَيْت، وَابن أَبي الحَدِيد
٣٢٥. الهِدَاية الكُبرىٰ للخُصيبي

حرف الواو

٣٢٦. وَسَائِل الشّيعَة إلىٰ تَحصِيل مسَائل الشَّرِيعَة، مُحَمَّد بن الحَسَن الحرّ العَاملي، طَبْع مُؤسَّسَة آل البَيْت ١٤١٤هـ.
٣٢٧. الوَافِي، لُمحَمَّد محسن بن مُرْتَضىٰ الفَيض الكَاشَانِي، نَشر مَكْتَبَة الإمَام أَمِير المُؤْمِنين عَليّ ﷺ إصْفهَان ١٤٠٦هـ.
٣٢٨. الوَفَاء بأَخْبَار المُصْطَفىٰ، لِابْن الجَوزِي. طَبْعَة ١٣٩٥م. مطَبْعَة السَّعَادَة. مَصْر.
٣٢٩. الوَافِي، لُمحَمَّد مُحْسِن بن مُرْتَضىٰ الفَيض الكَاشَانيّ، نَشر مَكْتَبَة الإمَام أَمِير المُؤْمِنين عَليّ ﷺ إصفهَان ١٤٠٦هـ.
٣٣٠. الوَافِي بالوَفِيَّات، لصَفيّ الدّين خَلِيل بن أيبك الصَّفدي، دَار النّشر فرانزشتانيز ـ قيسبادان.
٣٣١. وَفِيَّات الأَعْيَان وَأنبَاء أَبْنَاء الزّمان، لشَّمْس الدّين أَبِي العَبَّاس أَحْمَد بن

مُحمَّد البَرمكيّ المَعْرُوف بابـن خَـلّكان (ت ٦٨١ هـ ق)، تَـحْقِيق: الدّكـتور إحسَان عَبَّاس، طَبْعَة دَار صَادِر ـ بيْرُوت ١٣٩٨ هـ.

٣٣٢. وَقعَة صِفِّين، لنَصر بن مزَاحم المَنقريّ، تَحْقِيق وشَرْح عَبدالسَّلاَم هَارُون، القَاهرَة، الطَبْعَة الثَّانِيَة ونَشر مَكْتَبَة السَّيِّد المَرعشيّ النّجفيّ قُم ١٣٨٢ هـ.

حَرْف اليَاء

٣٣٣. يَنَابِيع المَوَدَّة لذَوي ٱلْقُرْبَىٰ، لسُليَمان ٱبن إبرَاهِيم القَندُوزيّ الحَـنفيّ (ت ١٢٩٤ هـ)، تَحْقِيق: عَليّ جَمَال أشْرَف الحُسَيْنيّ، طَبْعَة أسوة الطَبْعَة الأُولىٰ ـ قُم ١٤١٦ هـ، وَالطَّبْعَة الحَيْدَرِيَّة فِي النَّجَف الأَشْرَف.